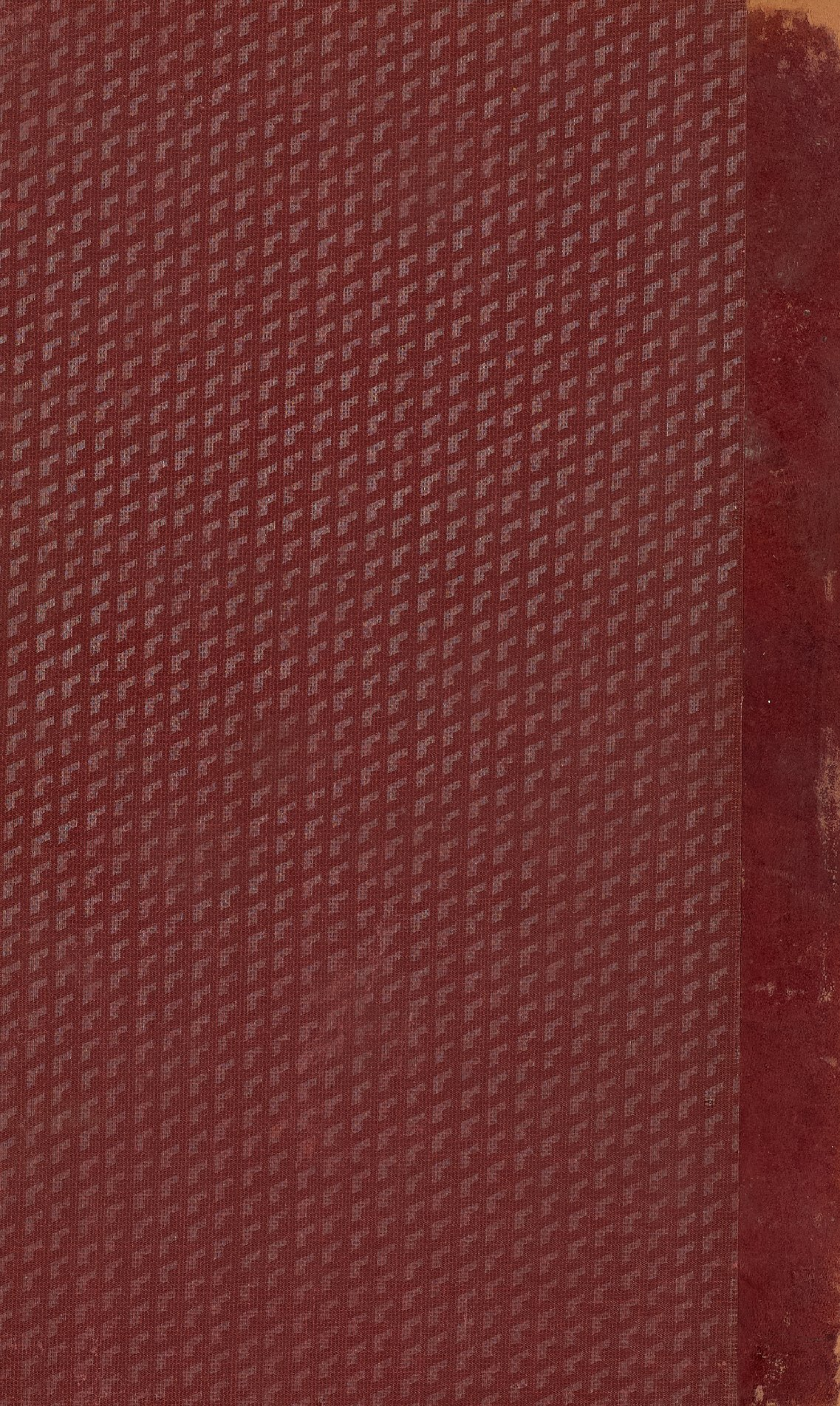
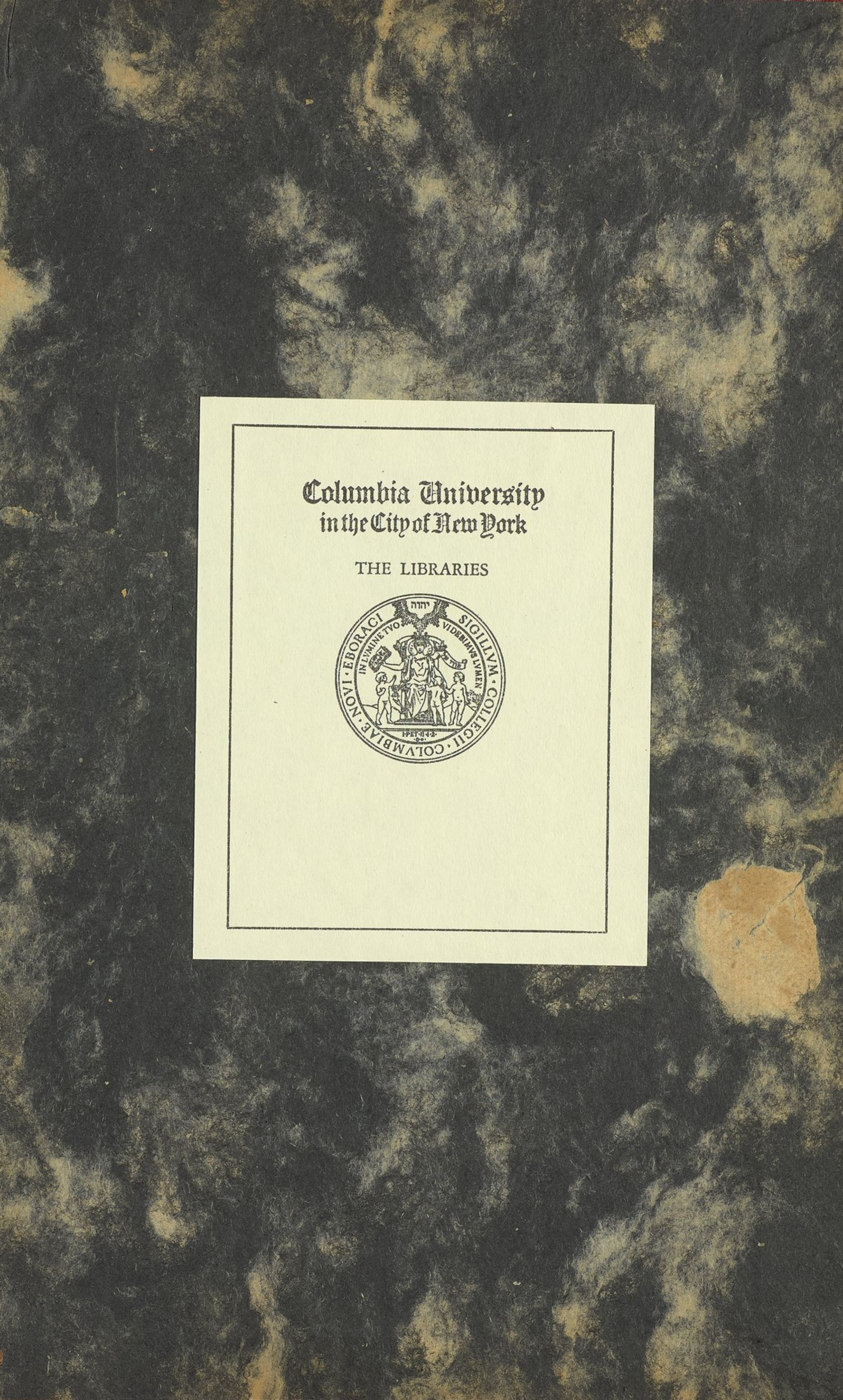
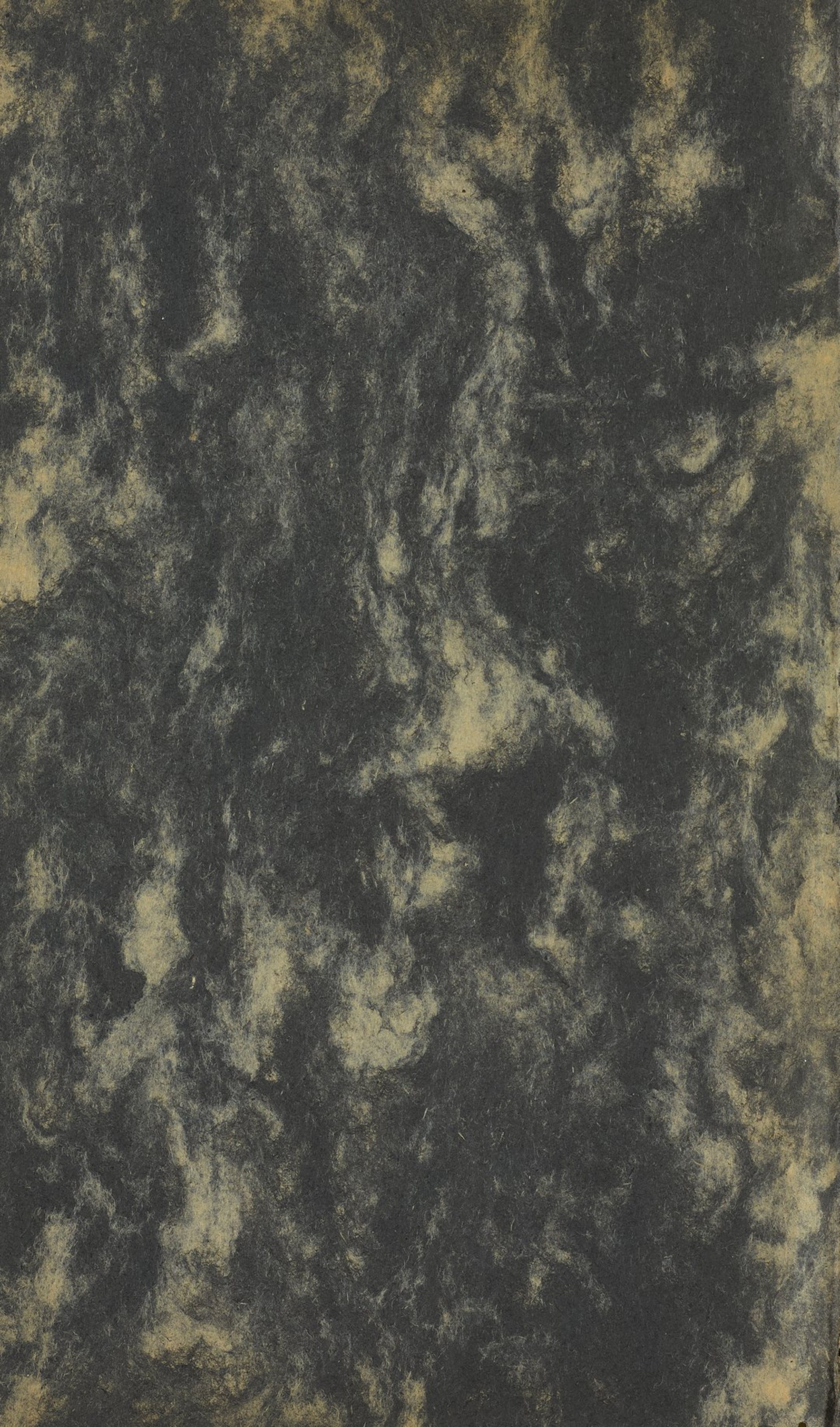








نفح الطيب

من غصن الأندلس الرطيب

وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب

تأليف

أديب المغرب وحافظه الشيخ أحمد بن محمد المقّرِىّ التِّلِمْسانِىّ

المتوفى فى عام ١٠٤١ من الهجرة

حققه ، وضبط غرائبه ، وعلق حواشيه

محمد محيى الدين عبد الحميد

الجزء الخامس

الطبعـــة الأولى

فى عام ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٩ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى

لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رُسُلِ الله ، وعلى آلهم وأصحابهم .

لإبراهيم بن الأعلم البطليوسى

وقال الأديب النحوى المؤرخ أبو إسحاق إبراهيم بن الأعلم البطليوسى صاحب التآليف التى بلغت نحو خمسين :

يا حِمْصُ لازلت دارا لكل بؤس وساحه
ما فيك موضع راحه إلا وما فيه راحه[1]

وهو شيخ أبى الحسن بن سعيد صاحب « المغرب » وأنشده هذين البيتين لماضجر من الإقامة بإشبيلية أيام فتنة الباجى .

للقلندر البطليوسى

وقال الأديب الطبيب أبو الأصبغ عبد العزيز البطليوسى الملقب بالقلندر :

جرت مِنِّىَ الخمرُ مجرى دمى فَجُلُّ حياتىَ من سكرها
ومهما دجت ظُلَم للهموم فتمزيقها بِسَنَا بدرها[2]

وخرج يوماً وهو سكران ، فلقى قاضياً فى نهاية من قبح الصورة ، فقال : سكران خذوه ، فلما أخذه الشرطة[3] قال للقاضى : بحق[4] من ولاك على المسلمين بهذا الوجه القبيح عليك إلا ما أفضلت على وتركتنى ، فقال القاضى : والله لقد ذكرتنى بفضل عظيم ، ودَرَأ عنه الحد

لابن جاخ الصباغ

وقال ابن جاخ الصباغ البطليوسى ، وهو من أعاجيب الدنيا ، لا يقرأ ولا يكتب :

ولما وقفنا غداة النوى وقد أسقط البين ما فى يدى
رأيت الهوادج فيها البدور عليها البراقع من عَسْجَدِ
وتحت البراقع مَقْلوبُهَا تدبُّ على وَرْدِ خَدٍّ نَدِى[5]

---

(١) فى ا « إلا وفيه راحه » ولايتم عليه وزن ولا يصح به معنى يتسق مع ماقبله والراحة الأولى : كف اليد ، والراحة الأخيرة : الارتياح ، تقول : أراحه راحة ، مثل أجابه جابة وأطاعه طاعة .

(٢) فى ا « ومهما دجت ظلمات الهموم » .

(٣) فى ا « فلما أخذه الشرط » .

(٤) فى ا « بفضل من ولاك » .

(٥) مقلوبها : أى عقارب ، وأراد بها واوات الأصداغ

تُسالم مَنْ وَطِئت خَدّه وتلدغ قلبَ الشّجِى المكمد

وقال فى المتوكل ، وقد سقط عن فرس :

لاعَتْبَ للطِّرف إن زلَّتْ قوائمه ولا يُدَنِّسه من عائب دَنَسُ
حَمَّلْتَ جُودًا و بأسافوقه ونُهًى وكيف يحمل هذا كلّه الفرسُ

للكميت البطليوسى

وقال الشاعر المشهور بالكميت البطليوسى :

لا تلومونى فإنى عالم بالذى تأتيه نفسى وتدع
بالحميّا والمحيّا صَبْوَتى وسوى حبهماعندى بدع
فُضِّلَ الجمعة يوما وأنا كل أيامى بأفراحى جُمَع [1]

لمحمد بن البين البطليوسى

وقال أبوعبدالله محمد بن البَيْنِ البَطَلْيَوْسى ، وهو ممن يميل إلى طريقة ابن هانىء :

غصبوا الصباح فقسَّموه خدودا واستنهبوا قُضُبَ الأراك قدودا
ورأوا حَصَا الياقوت دون محلِّهم فاستبدلوا منه النجوم عقودا
واستودعوا حَدَقَ المَهَا أجفانهم فسبَوْا بهنَّ ضَراغما وأسوداً
لم يكفهم حملُ الأسنة والظبا حتى استعارُوا أعيناً وقُدُودا [2]
وتضافرُوا بضفائر أبدَوْا لنا ضوء النهار بليلها معقودا
صاغوا الثغور من الأقاحى بينها ماء الحياة لو اغتدى مورودا

بين المتوكل ومضحك يقال له « الخطارة »

وكان عند المتوكل مضحك يقال له الخَطّارة ، فشرب ليلة مع المتوكل ، وكان فى السقاة وَسيم ، فوضع عينه عليه ، فلما كان وقت السحر دبَّ إليه ، وكان بالقرب من المتوكل ، فأحسَّ به ، فقال له : ما هذا يا خطارة ؟ فقال له : يا مولاى هذا وقت تفريغ [3] الخطارة الماء فى الرياض ، فقال له : لا تَعُدْ لئلا يكون ماء أحمر [4] ، فرجع الى نومه ، ولم يُعِدْ فى ذلك كلمة بقية عمره معه ، ولا أنكرمنه شيئا ، ولم يحدِّث بها الخطارة حتى قتل المتوكل ، رحمه الله تعالى !

---

(١) فى ب « فضل الجمعة يوم ــ الخ »
(٢) فى ا ، ب « حتى استعانوا أعينا ونهودا » وقد تكون « أعينا وخدودا »
(٣) فى ا « وقت تفرغ الخطارة » . (٤) كنى عن إراقة دمه إن عاد

والخطارة : صنف من الدواليب الخفاف يستقى به أهل الأندلس من[1] الأودية ، وهو كثير على وادى إشبيلية ، وأكثر ما يباكرون العمل فى السحر

لأبى زيد بن مولود الوزير

وقال الوزير أبو زيد عبد الرحمن بن مولود :

أرنى يوماً من الدهـــر على وَفْقِ الأمانى
ثم دَعْنِي بعد هذا كيفما شئت ترانى

لعبد المجيد بن عبدون الفهرى اليابرى

وقال أديب الأندلس وحافظها أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهرى اليابرى ، وهو من رجال الذخيرة والقلائد ، وشهرته مغنية عن الزيادة ، يخاطب المتوكل وقد أنزله فى دار وَكَفَتْ عليه :

أيا ساميا من جانبيه كليهما (سُمُوَّ حَبَاب الماء حالا على حال)
لعبـــدك دارٌ حل فيها كأنها (ديار لسلمى عافياتٌ بذى خال)
يقول لها لما رأى من دُثُورها (ألا عم صَبَاحا أيها الطلل البالى)
فقالت وما عَيَّتْ جواباً بردِّها (وهل يَعِمَنْ من كان فى العُصُر الخالى)
فَمُرْ صاحب الإنزال فيها بعاجل (فإن الفتى يَهْذِى وليس بفعال)[2]

وقال فى جَمْع حروف الزيادة حسبما ذكره عنه فى « المغرب » :

سألت الحروف الزائدات عن اسمها فقالت ولم تـكذب : أمان وتسهيل

ضوابط لحروف الزيادة

قلت : وعلى ذكر حروف الزيادة فقد أكثر الناس فى انتقاء الـكلمات الضابطة لها ، وقد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط ، ولنذكر الآن بعضها ، فنقول : منهـا « أهوى تلمسانا » ونظمتها فقلت :

قالت حروفُ زياداتٍ لسائلها هل هُوِيتْ بلدة : أهوى تلمسانا

وجمعها ابن مالك فى بيت واحد بأربعة أمثلة من غير حَشْو ، وهو :

هناء وتسليم ، تلا يوم أنسه ، نهاية مسئول ، أمان وتسهيل[3]

---

(١) كلمة « من » لا توجد فى ا (٢) فى ا « فمر صاحب الانزال فيها بفاصل » .
(٣) فى ا « نهاية مسنون » وهو تحريف .

ومنها « هَوِيتُ السمان » وحكى أن أبا عثمان المازنى سئل عنه فأنشد :

هَويتُ السمانَ فشيبننى وقد كنتُ قِدمًا هويتُ السمانا

فقيل له: أجِبْنا ، فقال : أجبتكم مرتين ، و يروى أنه قال: سألتمونيها ، فأعطيتكم ثلاثة أجو بة ، هكذا حكاه بعضُ المحققين، وهو أرق مما حكاه غير واحد على غير هذا الوجه [ومنها : « سألتمونيها »]

ومنها : اليوم تنساه ، الموت ينساه ، أسلمنى وتاه ، هم يتساءلون ، التناهى سموّ ، تنمى وسائله ، أسلمى تهاون ، تهاونى أسلم ، التمس هوانى ، ما سألت يهون ، مؤنس التياه ، لم يأتنا سهو ، ياأويس هل نمت ، نويت سؤالهم ، نويت مسائله ، سألتم هوانى ، تأملها يونس ، أتانى وسهيل ، هونى مسألتها ، سألت ما يهون ، وسليمان أتاه ، تسأل من يهوى ، استملانى هو ، أسلمت وهناى ، هو استمالنى ، سايل وأنت هم ، ياهول استنم ، أتاه وسليمان .

قلت : وليس هذا تكرارا مع السابق الذى هو «وسليمان أتاه» لأن التقديم والتأخير يصيرهما شيئين

ومنها : الوسمى هتَّانُ ، أوليتم سناه ، واليتم أنسه ، أمسيت وناله ، أنله توسيا ، أملتنى سهوا ، أتوسل يمنها ، سألتهن يوما ، سألت يومنها ، سألت ما يوهن ، نهوى ماسألت ، يهون ماسألت ، وقد سبق «سألت مايهون» وعَدُّهما شيئين من أجل التقديم والتأخير كما مر نظيره ، ألاتنس يومه ، ليتأس ماؤه ، سله موتى أنا ، أنسته اليوم ، سألتم هوينا ، آوى من تسأله ، وهين ماسألت ، وهنى ماسألت ، مسألتى نواه .

ومنها : مسألتى هاون ، سهوان يتألم ، أيلتم سهوان ، أو يلتم ناسه ، مسألتى أهون ، أوميت تنساه ، سموتن إليها ، أمليت سَهْوان ، وسألتم هينا ، يهون ماتسأل ، أتلومن سهيا ، أسلم وانتهى ، يتأمل سهوان ، يتأمل ناسوه ، يتأملن سواه ، ايتأمل نسوه ، الهوى أتنسم ، وليت ماه آسن ، تولين أسهما ، أتلوا سهمين ، أول ساهمتنى ، أسماؤه تنيل ، يتأملنه سوا ، أو لم يتسناه ، آمن و يتساهل ، أمسيتن لهوا ، توسميه لناء ، هو ما تسألين ، لأيها نتوسم ، أيهما نتوسل ، أتانى لسموه ،

سميتهن أولا ، أولاهن سميت ، سلمتنى أهوا ، أسلمتنى هوا ، أونستميلها ، أيستمهلونا ، هنأت الموسى ، سليم انتهوا ، وأنت سائلهم ، ساءلته ينمو ، تهنأ لايسمو ، اسألى مؤنته ، سألتى موهنا ، التمسى هونا ، استملى أهون ، التناه موسى ، لهواء يتسنم ، نهوى ماتسأل ، ماؤه ليتأسن ، تنسمى لهواء ، تلومى إن سها ، ألمتنى سهوا ، ستولينا أمه ، يتمهلون أسا ، أمهلتنى سوا ، التناسى وهم ، أهويت سلمان ، هويت المأنس ، المأنس تهوى ، هويت أم ناسل ، أوليس تم هنا ، استوهن أملى ، استهون أملى ، استملن وهيأ ، أتسلمونيها ، أيتسامونها ، ألا يتسمونه ، أليس توهمنا ، ألا يتسنموه

فهذه مائة وأربعة وثلاثون تركيبا[1] ، منها[2] ماهو متين ، ومنها ماهو غير متين ، وقد جمع ابن خروف فيها اثنين وعشرين تركيبا محكيا وغير محكى ، وأحسنها بيت ابن عبدون السابق ، ويليه بيت ابن مالك ، وقال الطغمى جامعاً لها أربع مرات :

آلمتنى سهواً ، تلومى إن سها أو ليس تم هنا ، الهوايتسنم

هكذا بخطه يتسنم ، ولو قال يتنسم لكان أنسب ، وقال أيضا :

وليت ما سناه والتمسى هنا ماتسألين هو الهنا يتوسم[3]

قلت : وقد جمعت فى المغرب زيادة على ماتقدم ، وكنت قدرت رسالة فيها أسميها « إتحاف أهل السيادة ، بضوابط حروف الزيادة »

لعبدالله بن الليث

وقال أبو محمد عبدالله بن الليث يستدعى الوزير أبا الحسن اليابرى فى يوم غَيْم :

رَقَمَ الربيعُ بروضنا أزهاره فجرى على صفحاته أنهاره
فعسى تشرفنا ببهجة سيد ألقى على ليل الخطوب نهاره

---

(١) لم يذكر فى ا بعد ما حكى عن أبى عثمان المازنى غير سطر واحد من هذه الضوابط كلها ، ثم قال « إلخ — فهذه مائة وأربعة وثلاثون — إلخ » .

(٢) فى ا « فيها ماهو متين وما هو غير متين » .

(٣) روى هذا البيت فى ا هكذا :

وأنست ما لهنى ، والتمسى هنا ما تسألين هو ، النها يتوسم

تتمتّعُ الآداب من نفحاته فيشَمُّ منها ورده وبهاره
ياسيدا بهَرَ البرية سوددا أبدى إلينا سره وجهاره
يومٌ أظلَّ الغيم وجه ضيائه فعليك ياشمس العلا إظهاره

لأبى القاسم ابن الأبرشي

وقال أبو القاسم بن الأبرش :

أدر كاسَ المـدام فقد تغَنَّى بفرع الأيك طائره الصَّدوحُ
وهَبَّ على الرياض نسيم صبح يمـر كما دنا سار طليح
ومال النهر يشكو من حَصَاه جراحاتٍ كما أنَّ الجريح

وقال :

حلفت ويشهد دمعى بما أقاسيه من هجركَ الزائدِ
فإن كنت تجحد ماأدَّعى وحاشاكَ أن تعْرَفَ بالجاحد
فإن النبى عليه السلام قضى باليمين مع الشاهد

لأبى الحسن ابن بسام

وقال أبو الحسن على بن بَسَّام الشنتريني صاحبُ الذخيرة ، وشهرته تغنى عن ذكره ، ونظمه دون نثره ، يخاطب أبا بكر بن عبد العزيز :

أبا بَكرٍ المُجْتَبى للأدب رفيع العماد قريع الحَسَبْ
أيلحن فيك الزمانُ الخؤن ويُعْرِبُ عنك لسان العرب
وإن لم يكن أفقُنَا واحداً فينظمنا شملُ هذا الأدب

وقد ذكرنا له فى غير هذا المحل قوله :

ألا بادر فلا ثانٍ سوى ما عَهدْتَ الكأسِ والبدر التمام

الأبيات

وتأخرت وفاته إلى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، وهو منسوب إلى « شَنْتَرِينَ » من الكُوَر الغربية البحرية من أعمال بَطَلْيَوس

لأبى عمر ابن كوثر

وقال أبو عمر يوسف بن كوثر :

مررت به يوما يغازل مثـــله ... وهذا على ذا بالملاحة يَمْتَنُّ

فقلت اجْمَعَا فى الوصل رأيكما فما ... لمثلكما كان التغـزل والمجْنُ

عسى الصب يقضى الله بينكما له ... بخير فقالا لى اشتهى العسَلَ السَّمْنُ

لأبى محمد ابن سارة

وقال أبو محمد بن سارة :

أعندك أن البدر بات ضجيعى ... فقضَّيْتُ أوطارى بغـير شفيع

جعلت ابنة العنقود بينى و بينه ... فكانت لنا أما وكان رضيعى

وقال :

أيا من حارت الأفكار فيه ... فلم تعـلم له الأقدار كنها(١)

بِجِيد النيل منا عقد أنس ... أقام بغير واسطة فـكُنْهَا(٢)

لمنذر الأشبونى

وقال أبو الحسن منذر الأشبونى :

فديتك إنى عن جنَابك راحِلٌ ... فهل لىَ يوما من لقائك زادُ

وحَسْبُك والأيام خون غوادر ... فراقٌ كما شاء العـدا و بعادُ

لخلف القطينى

وقال خلف بن هرون القطينى :

مَنْ أنبتَ الورْدَ فى خدَّيك ياقمر ... ومن حَمَى قَطْفَه إذ ليس مصطبر

الزهر فى الروض مقرون بأزمنة ... وروضُ خدك موصول به الزَّهَرُ

لابن السيد النحوى فى أبناء ابن الحاج

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس حَسّون وعَزون ورحمون ، فأولع بهن الإمام أبو محمد بن السِّيد النحوى ، وقال فيهم :

أخفيتُ سُقْمِىَ حَتَّى كاد يخفينى ... وهِمْتُ فى حُبِّ عَزُّونَ فعَزُّونى

ثم ارْحَمُونى برَحْمُون فإن ظمئت ... نفسى إلى ريق حَسُّون فحَسُّونى

---

(١) فى ا « أيا من حارت الأوهام فيه » والكنه ـ بالضم ـ حقيقة الشىء .

(٢) كنها فى هذا البيت مؤلف من « كن » فعل أمر ، وضمير الغائبة العائد إلى واسطة العقد .

ثم خاف على نفسه فخرج من قرطبة، هكذا رأيته بخط بعض المؤرخين، انتهى . والله أعلم .

لابن خفاجه

وقال ابن خَفَاجَة يُداعب من بَقَلَ عِذَارُه :

أيها التائه مَهْلاَ ساءنى أن تِهْتَ جهلا
هل ترى فيما ترى إلا شبابا قد تولَّى
وغراما قد تسرى وفؤادا قد تسلى
أين دمعٌ فيك يجرى أين جنب يتقلَّى
أين نفس بك تهذى وضلوع فيك تُصْلَى
أى باكٍ كان لولا عارض وافى فوَلى(١)
وتخلى عنك إلا أسفا لا يتخلى
وانطوى الحسن فَهَلاَّ أجمل الحسن وهلا

أما بعد أيها النبيل النبيه ، فإنه لايجتمع العِذَار والتيه ، قدكان ذلك وغصن تلك الشبيبة رَطْب، ومَنْهَل ذلك المقبّل عَذب ، وأما والعذار قد بَقَل، والزمان قدانتقل ، والصبُّ قد صحا فعقل ، فقد ركدت رياحُ الأشواق، ورقدت عيون العشاق ، فَدَعْ عنك من نظرة التجنِّى(٢)، ومشية التثنى ، وغُضَّ من عِنانك ، وخذ فى تراضى إخوانك(٣)، وهَشَّ عند اللقاء هَشَّةَ أريحية، واقْنَعْ بالإيماء رَجْعَ تحية، فكأنى بفنائك مهجورا ، و بزائرك مأجوراً ، والسلام .

للرصافى

وقال الرصافى لما بعث إليه من يهواه سكينا :

تفاءلْتُ بالسكين لما بعثتَهُ لقد صدقت منى العِيافة والزجر(٤)
فكان من السكين سُكْناك فى الحشا وكان من القطع القطيعة والهجر

---

(١) فى ا « أى ملك كان »
(٢) فى ا « التحنى »
(٣) فى ا « ترضى إخوانك »
(٤) فى ب « القيافة والزجر »

لأبي بكر ابن حبيش

وحضر الفقيه أبو بكر بن حبيش ليلة مع بعض الجِلة وطفىء السراج ، فقال ارتجالا :

أَذْكِ السراجَ يرينا غُرَّةً سفرت فباتت الشمس تستحيي وتستتر
أو خَلِّهِ فكفانا وجه سيدنا لا يطلبُ النجمَ مَنْ فى بيته قمر

وقصد أحد الأدباء بمُرْسية أحدَ السادة من بنى عبد المؤمن ، فأمر له بصِلَة خرجت على يد ابن له صغير ، فقال المذكور ارتجالا :

تبركْ بنَجْلٍ جاء باليمن والسعد يبشر بالتأييد طائفةَ المهدى
تكلَّمَ روح الله فى المهد قبله وهذا براء بدل اللام فى المهد[1]

لابن جابر فى مجبنات

وخرج الأستاذ أبو الحسن بن جابر الدباج يوما مع طلبته للنزهة بخارج إشبيلية ، وأحضرت مُجَبَّنَاتٌ[2] ماخبَا نارُها ، ولا هدأ أوارُهَا ، فما حاد[3] عنها ولا كفْ ، ولاصرَفَ حرُّها عن اقتضابها البنان[4] ولاالكفّ ، فقال :

أحلى مواقعها إذا قربتها وبُخَارُهَا فوق الموائد سام
إن أحرقت لمسا فإن أوارها فى داخل الأحشاء برد سلام

للأبيض الإشبيلى

وقال أبو بكر أحمد بن محمد الأبيض الإشبيلى يتهكم برجل زعم أنه ينال الخلافة :

أميـر المؤمنين نداء شيخ أفادك من نصائحه اللطيفه
تَحَفّظْ أن يكون الجذع يوما سريرا من أسرتك المنيفه
أفكِّر فيك مصلوبا فأبكى وتضحكنى أمانيك السخيفه[5]

لصفوان

وقال صفوان :

ونهار أنس لو سألنا دهرنا فى أن يعود بمثله لم يقدر
خَرَقَ الزمانُ لنابه عاداته فلو اقترحنا النجم لم يتعذر

---

(١) « وهذا براء بدل اللام » يريد « تكرم » فإنه عبارة عن « تكلم » بقلب لامها راء ، ووقع فى ا « وهذا بزاء بدل اللام » محرفا .

(٢) فى ب « وأحضرت بجنات » وفى نسخة عندها « محنية » وكلاهما تحريف

(٣) فى ا « فما خام عنها وما كف »

(٤) فى ا « ولا صرف جرها عن اختصامها البنان » .

(٥) فى ا « أفكر فيه مطويا فأبكى » محرفا .

فى فتية علمت ذُكاءَ بحسنهم فتلفعت من غيمها فى مئزر
والسرحَة الغناء قد قبضت بها كف النسيم على لواء أخضر
وكأن شكل الغيم مُنْخُل فضة يلقى على الآفاق رطب الجوهر

لأبى بكر بن يوسف في غلام سلم عليه بأصبعه

واجتاز بعضُ الغِلْمان على أبى بكر بن يوسف ، فسلم عليه بأصبعه ، فقال أبو بكر فى ذلك وأشار فى البيت الثالث إلى أن والد الغلام كان خطيب البلد :

مر الغزال بنا مَرُوعًا نافرا كشبيهه فى القفر ريع بصائده
لثم السُّلاَمَى فى السلام تسترا ثم انثنى حذر الرقيب لراصده
هلا تكلف وَقْفَةً لمحبه ولو أنها قصرًا لجلسة والده

لابن الحاج

وقال أبو الحسن بن الحاج :

كفى حَزَنًا أن المشارع جمة وعندى إليها غُلَّةٌ وأوام
ومن نكد الأيام أن يعدم الغنى كريمٌ وأن المكثرين لئام

لأبى القاسم القبتورى

وقال أبو القاسم القبتورى(١) :

واحسرتا لأمور ليس يبلغها مالى وهُنَّ مُنَى نفسى وآمالى
أصبحت كالآل لا جَدْوَى لدىَّ وما آليت جدا ولكن جدى الآلى

لابن أمية البلنسي

وقال أحمد بن أمية البَلَنسى :

قال رئيسى حين فاوضته وما دَرَى أن مقامى عسير
أقم فقلت الحال لا تقتضى فقال سر قلت جناحى كسير

لابن برطلة

وقال ابن برطلة :

لله ما ألقاه من همة لا ترتضى إلا السُّهَا منزلا
ومن خُمُول كلما رمت أن أسمو به بين الورى قال لا

لابن خروف

وكتب ابن خروف لبعض الرؤساء :

---

(١) فى ا أخر بيتى أبى القاسم القبتورى عن بيتى أحمد بن أمية البلنسى .

يامن حوى كل مجد بجده وبجده
أتاك نَجْلُ خروف فامنن عليه بجَدِّه[١]

وكتب أيضا لبعضهم يستدعى فروة :

بهاء الدين والدنيا ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الأنوا ء من جَدْوَاك جلد أبى[٢]
وفَضْلُكَ عالم أبى خروف بارع الأدب
حلبتُ الدهر أشْطُرَهُ وفى حلب صفا حلبى

و بعد كَتْبى لما ذكر خشيت أن يكون لابن خروف المشرقى لا الأندلسى ، والله تعالى أعلم .

لأبى بكر ابن مالك

وركب محبوب أبى بكر بن مالك كاتب ابن سعد بغلةً رديفَ رجل يعرف بالدب ، فقال أبو بكر فى ذلك :

و بغلة مالها مثال يركبها الدب والغزال
كأن هذا وذا عليها سحابة خَلْفَهَا هلال

لأبى الحسن ابن حريق

وخرج محبوب لأبى الحسن بن حريق يوما لنزهة وعَرَضَ سَيْل عاقه عن دخول البلد ، فبات ليلة عند أبى الحسن ، فقال فى ذلك :

ياليلة جادت الأمانى بها على رَغْم أنف دهرى
تسيلُ فيها علىَّ نُعْمَى يَقْصُرعنها لسانُ شكرى
أبات فى منزلى حبيبى وقام فى أهله بعذر
وبت لا حالة كحالى صريعَ سكرٍ ضجيعَ بدرِ
ياليلة القدر فى الليالى لأنت خير مِنَ ألف شهر

---

(١) جده : هو الخروف ، ولعله يريد فروة يلبسها فى الشتاء ، ففى الأبيات الآتية نظير ذلك .
(٢) في ا « طلبت مخافة اللأْواء »

لأبى الحسن ابن الزقاق

وقال أبو الحسن بن الزقاق :

عذيرى من هَضيم الكشح أحْوَى ... رخيم الدَّلِّ قد لبس الشبابا

أعدَّ الهجر هاجرة لقلبى ... وصيَّر وعده فيها سَرَابا

وقال أبو بكر بن الجزار السرقسطى :

لابن الجزار السرقسطى

ثناء الفتى يبقى ويفنى ثراؤه ... فلا تكتسب بالمال شيئا سوى الذكر (١)

فقد أبْلَتِ الأيام كعبا وحاتما ... وذكرهما غضٌّ جديدٌ إلى الحشر

وقال الأديب أبو عبد الله الجذامى : كان لشخص من أصحابنا قَيْنة ، فبينما هو ذات يوم قد رام تقبيلها على أثر سواك أبصره بمبسمها إذ مر فوّال ينادى على فول يبيعه قال : فكلفنى أن أقول فى ذلك شيئا ، فقلت :

لأبى عبدالله الجذامى

ولم أنس يوم الأنس حين سَمَحْتِ لِى ... وأهديت لى من فيك فول سواك

ومر بنا الفوّال للفول مادحا ... وما قَصْدُه فى المدح فولُ سواك

وشرب يوما أبو عبد الله المذكور عند بعض الأجِلّةِ وذَرَعَه القىء ، فارتجل فى العذر :

لا تؤاخذ مَنْ أخلَّ به ... قهوة فى الكاس كالقَبَسِ

كيف يُلْحَى فى المدام فتى ... أخذته أخْذَ مفترس

دخَلَتْ فى الحلق مكرهة ... ضاق عنها موضعُ النفسِ

خرجت من موضع دخلت ... أنِفَتْ من مخرج النجس

لسلمة بن أحمد

وجلس سلمة بن أحمد إلى جنب وَسيم يكتب من محبرة فانصبَّ الحبرُ منها على ثوب سلمة ، فخجل الغلام ، فقال سلمة :

صَبَّ المداد وما تعمد صبه ... فتورد الخد المليحُ الأزهر

---

(١) فى ا « ويبقى لشراؤه » وليس بشىء .

يا من يؤثِّرُ حبره فى ثوبنا تأثيرُ لحظك فى فؤادى أكبَرُ

لأبى الحسن ابن حزمون

وكان لأبى الحسن بن حزمون بمُرْسِية محبوب يدعى أبا عامر ، وسافر أبو الحسن فبينما هو بخارج الْمَرِية إذ لقى فتى يشبه محبوبه ، وسأله عن اسمه ، فأخبره بأنه[1] يدعى أبا عامر ، فقال أبو الحسن فى ذلك :

إلى كم أفِرُّ أمامَ الهوى وليس لذا الحبِّ من آخر

وكيف أفر أمام الهوى وفى كل وادٍ أبو عامر[2]

لأبى بكر ابن مالك

وحضر أبو بكر بن مالك كاتب ابن سعد مع محبوبه لارتقاب هلال شوّال ، فأغمى على الناس ورآه محبوبه ، فقال أبو بكر فى ذلك :

توارى هلال الأفق عن أعين الورى ولاح لمن أهواه منه وحَيَّاه[3]

فقلت لهم لم تفهموا كُنْهَ سره ولكن خذوا عنى حقيقة معناه

بَدَا الأُفْقُ كالمرآة راق صفاؤه فأبصر دون الناس فيه مُحَيَّاه

لأبى بكر ابن حبيش

وكتب أبو بكر بن حبيش لمن يهواه بقوله :

متى ما ترم شرحا لحالى وتبيينا فصَحِّفْ على قلبى «علومك تحيينا»

أرادنى «إنِّى بحبك مولع» .

للقاضى ابن السليم

وكتب القاضى بن السليم إلى الحكم المستنصر بالله :

لوأن أعضاء جسمى ألسُنٌ نطقت بشكر نعماك عندى قلّ شكرى لَكْ

أو كان ملّكنى الرحمنُ من أجَلِى شيئاً وصلت به يا سيدى أجلك

ومن تكن فى الورى آماله كثرت فإنما أملى فى أن ترى أملك

للوزير ابن أبى الخصال

وقال الوزير ابن أبى الخصال :

وكيف أؤدِّى شكر من إنَ شكرته على بِرِّ يومٍ زادنى مثله غدا

---

(١) فى ا « فأخبر أنه » .

(٢) أخذ هذا من مثل ، وهو قولهم « فى كل واد أثر من ثعلبة » .

(٣) فى ا « فحياه » .

فإن رمت أقْضِى اليوم بعضَ الذى مضى رأيت له فضـــلا على مُجَدَّدَا[١]

للرصافى

وقال الرصافى :

قلدت جيد الفـكر من تلك الحِلَى ما شـــاءه المنثور والمنظوم

وأشَرْت قُدَّامى كأنى لاثم وكأنـ كفى ذلك الملثوم

وقال :

ويالك نعمـــة رُمْنَا مَدَاها فما وصل اللسانـ ولا الضمير

عجزنا أنـ نقوم لهـا بشكر على أنـ الشكور لهـا كثير

لابن باجة

وقال ابن باجة :

قوم إذا انتقبوا رأيت أهـلة وإذا هُمُ ســـفروا رأيت بدورا

لايسألون عنـ النوال عُفَاتَهم شكرا ولا يحمون منـــه نقيرا[٢]

لو أنهم مسحوا على جَدْب الربا بأ كفهم نبت الأقاحُ نضـيرا

لابن الأبار

وقال ابن الأبار يمدح أبا زكريا سلطان إفريقية :

تحلَّت بعَلْياك الليـالى العواطل ودانت لسقياك السحاب الهواطل

وما زينـــة الأيام إلا مناقب يُفَرِّعهـا أصلان بأس ونائل

إذ الطَّوْل والصَّول استقلاَّ براحة ترقَّتْ لهـا نحو النجـوم أنامل

وقال أيضا فى سعيد بن حكم رئيس مزقة[٣] :

سَـيِّد أيِّدٌ رئيس بئيس فى أساريره صفاتُ الصباحِ

قمر فى أفق المعالى تجـلّى وتحـلى بالسؤدد الوضَّـاح

سلم البحر فى السماحة منه لجواد سَمَّـوه بحـرَ السماح

وقال أبو العباس أحمد الإشبيلى :

---

(١) فى ا « بعض الذى قضى » . (٢) النقير ــ بفتح النون ــ النكتة فى ظهر النواة ، وهو مضرب المثل فى التفاهة (٣) فى ا « رائس مزقة »

لأبى العباس أحمد الإشبيلى

يا أفضل الناس إجماعا ومعرفتى تُغْنى وما الحسن فى ريب ولا رِيَبِ
ورثت عن سلف ماشئت من شرف فقد بهرت بموروثٍ ومكتسب[١]

لابن زهر الحفيد

وقال ابن زُهْر الحفيدُ :

يا من يُذَكِّرنى بعهد أحبتى طاب الحديث بذكرهم ويطيب
أعِدِ الحديث علىَّ من جنباته إن الحديث عن الحبيب حبيب
ملأ الضلوع وفاض عن أحنائها قلب إذا ذكر الحبيب يذوب[٢]
ما زال يَخْفِق ضاربا بجناحه يا ليت شعرى هل تطير قلوب

وقال فى زهر الكتان :

أهــلا بزهر اللاّزَوَرْدِ ومرحبا فى روضة الكتان تعطفه الصبا
لو كنت ذا جهل لخلتك لُجَّةً وكشفت عن ساق كما فعلت سَبَا[٣]

ولما قال الموشحة المشهورة التى أولها .

* صادنى ولم يدر ما صادا *

قال أبو بكر بن الجد : لو سئل عما صاد لقال : تيس بلحية حمراء ! .

ولما قال الموشحة التى أوّلها :

* هات بنت العنب واشرب *

إلى قوله :

* وفَدِّه بأبى ثم بى *

سمعها أبوه فقال : يفديه بالعجوز السَّوْآء[٤] ، وأما أنا فلا .

---

(١) فى ا « وورثت من سلف » .

(٢) فى ا « ملأ الضلوع وفاض عن أجنابها » .

(٣) يريد بلقيس ملكة سبأ التى قص الله تعالى قصصها مع سليمان عليه السلام ، وفى ذلك القصص الكريم : (قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ، قال إنه صرح ممرد من قوارير) .

(٤) فى ب « بالعجوز السوامة » .

لأبى بكر بن زهر الأصغر

وهنالك أبو بكر بن زهر الأصغر ، وهو ابن عم هذا الأكبر .

ومن نظم الأصغر :

والله ما أدرى بما أتوسل إذ ليس لى ذات بها أتوصل

لكن جعلت مودتى مع خدمتى لعُلاك أحظى شافع يُتَقَبَّلُ

إن كنت من أدوات زهر عاطلاً فالزهر منهنَّ السماك الأعزل

وهذه الأبيات خاطب بها المأمون بن المنصور صاحب المغرب .

لأبى جعفر عمر ابن صاحب الصلاة

وقال الأديب أبو جعفر عمر ابن صاحب الصلاة :

وما زالتِ الدنيا طريقا لهالك تباين فى أحوالها وتخالف

ففى جانبٍ منها تقوم مآتم وفى جانب منها تقوم معازف

فمن كان فيها قاطنا فهو ظاعن ومن كان فيها آمنا فهو خائف

لأبى بكر محمد ابن صاحب الصلاة

وقال أبو بكر محمد بن صاحب الصلاة يخاطب أخيل لما انتقل إلى العُدْوَة :

لا تنكرنّ زمانا رماك منه بسهم

وأنت غاية مجد فى كل علم وفهم

هذى دموعىَ حتى يراك طرفىَ تَهْمِى

ياليت ما كنت أخشى عليك عُدْوَانَ هم (١)

وإنما الدهرُ يُبْدِى ما لا يجوز بوَهْمِ (٢)

ما زال شَيْهَمَ مَسٍّ لكل يقظان شَهْمِ

ولما وفد أهل الأندلس على عبد المؤمن قام خطيبا ناثرا وناظما ، فأتى بالعجب ، وباهى به أهل الأندلس فى ذلك الوقت .

وله فى عبد المؤمن :

هم الألى وهبوا للحرب أنفسهم وأنهبوا ما حَوَتْ أيديهمُ الصَّفَدَا (٣)

---

(١) فى ا « عدوان بهم » (٢) فى ا « ما لا يجول بوهم »

(٣) الصفد ـ بفتح الصاد والفاء جميعا ـ العطاء .

ما إن يُغِبُّونَ كحل الشمس من رَهَجٍ كأنما عينها تشكو لهم رمدا

لابن السيد البطليوسى فى عمرو بن مذحج

وقال ابن السِّيد البَطَلْيَوْسى فى أبى الحكم عمرو بن مذحج بن حزم ، وقد غلب على لبه ، وأخذ بمجامع قلبه :

رأى صاحبى عَمْراً فكلف وصفه وحَمَّلنى من ذاك ما ليس فى الطَّوْق

فقلت له عمرو كعمرو فقال لى صَدَقْتَ، ولكن ذاك شَبَّ عن الطوق[1]

لابن عبدون فى عمرو أيضا

وفيه يقول ابن عبدون :

ياعمرو رُدَّ عَلَى الصُّدُور قلوبَهَا مِنْ غير تقطيع ولا تَحْرِيقِ

وأدر علينا من خلالك أكؤسا لم تأل تسكرنا بغير رحيق

وفيه يقول أحدهما :

قل لعمرو بن مذحج جاء ما كنت أرتجى

شارب من زبرجد ولَمًى من بنفسج

وكتب إليه ابن عبدون :

سلام كما هبت من المزن نفحة تنفس عند الفجر من وجهها الزهر[2]

ومنها :

أبا حسن أبلغ سلام فَمِى يَدَىْ أبى حسن وارفق فكلتاهما بحر

ولا تَنْسَ يمناك التى هى والندى رضيعا لِبَانٍ لا اللُّجَيْنِ ولا التِّبر

جواب عمرو بن مذحج

فأجابه من أبيات :

تحير ذهنى فى مجارى صفاته فلم أدر شعر ما به فُهْتَ أم سحر

أرى الدهر أعطاك التقدم فى العُلٰى وإن كان قدوافى أخيرا بك الدهر[3]

لئن حازت الدنيا لك الفضل آخرا ففى أُخْرَيَاتِ الليل ينبلج الفجر

---

(١) فى ا « ولكن ذا أشب عن الطوق » وأصل هذا مثل فى عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة الأبرش « شب عمرو عن الطوق » .

(٢) فى ا « تنفس عند الفجر فى وجهها الزهر » .

(٣) في نسخة عند ا « أعطاك التقدم فى الورى » وسقط من ب مجرور فى

لعمرو بن مذحج فى ابن زهر

ولعمرو فى أبى العلاء بن زُهْر :

قدمت علينـا والزمان جديد وما زلت تبدى فى الندى وتعيد

وحق العـلا لولا مراتبك العـلا لمـا اخْضَرّ فى أفق المكارم عُودُ

فلُوحُوا بنى زهر فإن وجوهكم نجوم بأفلاك العـلاء سعود

وقوله لأبى الوليد ابن عمه :

إنِّى لأعجب أن يدنو بنـا وطن ولا يُقَضَّى من اللُّقْيَا لنـا وطر (١)

لاغرو إن بعدت دار مُصَاقِبة بنـا وجدّ بنـا للحضرة السَّفَرُ

فمحجر العين لا يلقـاه ناظرهـا وقد توسَّع فى الدنيـا به النظر

لمحمد بن مذحج

وقال ابن عمه أبو بكر محمد بن مذحج يخاطب ابن عمه أبا الوليد :

ولما رأى حِمْصَ استخفَّتْ بقدره على أنهـا كانت به ليـلة القدر

تَحَمَّلَ عنها والبـلاد عريضة كما سُلَّ من غمد الدجى صارمُ الفجرِ

لأبى الوليد بن مذحج

وقال أبو الوليد المذكور :

أتجزع من دمعى وأنت أسَلْتَه ومن نار أحشائى وأنت لهيبها

وتزعم أن النفس غيرك عُلِّقَتْ وأنت ولا منّ عليك حبيبهـا

إذا طلعت شمس على بسـلوة أثار الهوى بين الضلوع غروبهـا

وله أيضا :

لمـا استمالك معشر لم أرْضَهُمْ والقول فيك كما علمت كثير

داريت دونك مهجتى فتماسكت من بعـد ما كادت إليك تطير

فاذهب فغيرُ جوانحى لك منزل واسمع فغيرُ وفائك المشكورُ

وقال :

يقول وقد لمتـــه فى هَوَى فلانٍ وعرّضت شيئاً قليـلا

أتحسـدنى قلت لا والذى أحلك فى الحب مرعى وبيلا

(١) فى ب « ولا يقضى من العليا لنا وطر » ولا ينسجم مع صدر البيت .

وكيف وقد حُلَّ ذاك الجناب ... وقد سَلَكَ الناس ذاك السبيلا[(١)]

وله مما يكتب على قَوْسٍ :

إنَّا إذا رفعت سماء عجاجةٍ ... والحرب تقعد بالردى وتقوم[(٢)]

وتمرَّدَ الأبطال فى جنباتها ... والموت من فوق النفوس يَحُومُ

مَرَقَتْ لهم منا الحُتُوفُ كأنما ... نحن الأهلة والسهام نجوم

لأبي الحسين ابن فندلة

وقال أبو الحسين بن فندلة[(٣)] فى كلب صيد :

فُجِعْتُ بمن لو رمت تعبير وصفه ... لقلَّ ولو أنى غرفت من البحر

بأخْطَلَ وثاب طموح مؤدب ... ثبوت يصيد النسر لوحل فى النسر

كلون الشباب الغض فى وجهه سَنًى ... كأن ظلاما ليس فيه سوى البدر

إذا سار والبازى أقول تعجبا ... ألاليت شعرى يسبق الطير من يجرى

لأبي العباس ابن سيد فى ابن فندلة

ولا يلتفت إلى قول أبى العباس بن سيد فيه :

الموت لايبقى على مهجة ... لا أسدا يبقى ولا نَعْثَلَهْ[(٤)]

ولا شريفا لبنى هاشم ... ولا وضيعا لبنى فندله

وكان ابن سيد مسلطا على هذا البيت ، قال ابن سعيد : وإنما ينبح الكلب القمر .

قال أبو العباس النجار : كان أبو الحسين يلقب بالوَزَغَة ، فوصلتُ إلى بابه يوما ، فتحجب عنى ، فكتبت على الباب :

تحجب الفندلى عنى ... فساء من فعله ضميرى

يَنْفِرُ من رؤيتى كأنى ... مضمخ الجيب بالعبير

قال : ومن عادة الوَزَغَة أن تكره رائحة الزعفران وتهرب منه

---

(١) فى ا « فكيف وقدحل ذاك الحمى »

(٢) فى ب « إنى إذا رفعت سماء عجاجتى »

(٣) كذا فى ا ، وفى ب « ابن قندلة » وكذا فى كل ما يأتي .

(٤) فى ا « لا أسدا أبقى ولا تنفله » .

لأبى القاسم ابن حسان

وقال أبو القاسم بن حسان :

ألا ليتنى ما كنت يوماً معظما ... ولا عرفوا شخصى ولا علموا قصرى
أُكَلَّفُ فى حال المشيب بمثل ما ... تحملته والغصن فى ورق نضر
فما عاش فى الأيام فى حُرِّ عيشةٍ ... سوى رجل ناء عن النهى والأمر

لأبى بكر ابن مرتين

وقال أبو بكر بن مرتين :

صحبت منك العلا والفَضْلَ والـكرما ... وشيمةً فى الندى لا ترتضى السأما
مودة فى ثرى الإنصاف راسخة ... وسمكها فوق أعناق السماء سما

وقال :

أنصفتنى فمحضْتُكَ الود الذى ... يُجْزَى بصفوته الخليلُ المنصف
لا تشكرنَّ سوى خلالك إنها ... جلبت إليك من الثنا ما يعرف

وقال :

يا هِلالا يتجـلَّى ... وقضـيبا يتثنى
كل أنس لم تَـكُنْهُ ... فهو لفظ دون معنى

للقاضى ابن زرقون

وقال القاضى أبو عبد الله محمد بن زرقون :

ذكر العهْدَ والديار غريبُ ... فجـرى دمعه ولَجَّ النحيب
ذكر العهد والنوى من حبيب ... حَبَّذَا العهد والنوى والحبيب
إذ صفاء الوداد غير مَشُوبٍ ... بتجنٍّ وودُّنا مشبوب
وإذا الدهر دهرنا وإذا الدا ... ر قريب وإذ يقول الرقيب

ومنهـا :

أسأل الله عفوه فلئن سا ... ء مقالى لقد تعفُّ القلوب
قد ينال الفتى الصغائر ظرفا ... لا سواها وللذُّنُوبُ ذنوبُ
وأخو الشعر لا جُنَاح عليه ... وسواء صدوقه والـكذوب

وقال[١] :

يامعدن الفضل وطَوْدَ الحجا لا زلت من بحر العلا تغترف
عبدك بالباب فقل منعما يدخل أو يصبر أو ينصرف

لأبي عبد الله محمد بن عمر الإشبيلي

وقال الخطيب أبو عبد الله محمد بن عمر الإشبيلي :

وكُلٌّ إلى طبعه عائد وإن صَدَّه المنعُ عن قصده
كذا الماء من بعد إسخانه يعود سريعا إلى برده

لأبي بكر الزبيدي الإشبيلي

وقال إمامُ اللغة أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدي الإشبيلي :

ما طلبت العلوم إلا لأني لم أزل مِنْ فنونها في رياض
ما سواها له بقلبيَ حظ غير ما كان للعيون المِرَاض

وقال :

أشْعِرَنْ قلبكَ باساً ليس هذا الناس ناسا
ذَهَبَ الإبريزُ منهم فبقوا بعد نُحَاسا
سامِرِيِّينَ يقولو ن جميعاً لا مِسَاسَا[٢]

وكان كتاب « العين » للخليل مختلَّ القواعد ، فامتعض له هذا الإمام ، وصقل صدأه كما يُصْقَل الحسام ، وأبرزه في أجمل منزع ، حتى قيل : هذا مما أبدع واخترع ، وله كتاب في النحو يسمى « الواضح » وصَيَّره الحكم المستنصر مؤدبا لولده هشام المؤيد ، وبالجملة فهو في المغرب بمنزلة ابن دُرَيْد في المشرق .

---

(١) هكذا وقع في ب ، وفي ا ذكر هذين البيتين بعد البيتين الآتيين مما يفهم منه أنهما للخطيب أبي عبد الله محمد بن عمر الإشبيلي .

(٢) سامريين : جمع سامري ، وأخذ هذا من قول الله تعالى في قصة السامري (فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس) .

لأبى بكر بن طلحة الإشبيلى النحوى

وقال النحوى أبو بكر محمد بن طلحة الإشبيلى ، وشعره رقيق خارج عن شعر النحاة ، ومنه :

إلى أى يوم بعده يرفع الخمر ... وللوُرْقِ تغريد وقد خفق النهر
وقد صقلت كف الغزالة أفقها ... وفوق متون الروض أردية خضر (١)
وكم قد بكت عين السماء بدمعها ... عليها ولولا ذاك ما بَسَمَ الزهر

وقال :

بدا الهلالُ فلمَّا ... بدا نَقَصْتُ وتمَّا
كأن جسمى فِعْلٌ ... وسحر عينيه « لما »

وكان لا يملك نفسه فى النظر إلى الصُّوَر الحسان ، وأتاه يوماً أحدُ أصحابه بولد له فتَّان الصورة ، فعندما دخل مجلسه قَصَر عليه طَرْفَه ، ولم يلتفت إلى والده ، وجعل والده يوصيه عليه وهو لايعلم مايقوله [ولم يلتفت إلى والده](٢) وقد افتضح فى طاعة هواه ، فقال له الرجل : يا أبا بكر حقق النظر فيه لعله مملوك ضاع لك ، وقد جبره الله تعالى عليك ، ولكن على مَنْ يتركه عندك لعنة الله ، هذا ما عملت بحضرى ، والله إن غاب معك عن بصرى لحة لتفعلَنَّ به ماشتهر عنك ، وأخذ ولَدَه وانصرف به ، فانقلب المجلس ضحكا .

لأبى جعفر بن الأبار الإشبيلى

وقال أبو جعفر أحمد بن الأبَّار الإشبيلى ، وهو من رجال « الذخيرة » :

زارنى خيفةَ الرقيب مُريبا ... يَتَشَكَّى منه القضيب الكثيبا
رشأ راش لى سهام المنايا ... من جفون يَسْبِى بهن القلوبا
قال لى ماترى الرقيب مطلاًّ ... قلت دعه أتى الجناب الرحيبا
عاطِهِ أكؤسَ المدام دِرَاكا ... وأدِرْهَا عليه كوبا فكوبا

---

(١) فى ا « وفوق متون الأرض أردية خضر »

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من ا هنا ، وهو مكرر فى ب ما مع سبق

واسقنيها من خمر عينيك صِرفاً … واجعل الكأس منك ثغْراً شَنِيبا
[ثم لمّا أنْ نام مَنْ نَتّقيهِ … وتَلَقّى الكرَى سميعاً مُجِيبا](١)
قال لابدَّ أن تدبَّ عليه … قلت أبغى رَشاً وآخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثنِّ عليه … قلت عَمْرِى لقد أتيت قريبا
فوثبنا على الغزال ركوبا … وسعينا على الرقيب دبيبا(٢)
فهَلَ ابصرت أو سمعت بصَبٍّ … ناك محبوبه وناك الرقيبا

وأنشد له ابن حزم :

أو ما رأيت الدهر أقبل معتبا … متنصلا بالعذر مما أذنبا
بالأمس أذبل فى رياضك أيكة … واليوم أطلع فى سمائك كوكبا

وقيل : إنه خاطب بهما ابنَ عَبَّاد ملك إشبيلية وقد ماتت له بنت ووُلد له ابنٌ ، و بعضهم ينسبهما لغيره

لأبي القاسم العطار الإشبيلي

ودخل الأديبُ أبو القاسم العطار الإشبيلي حماما بإشبيلية ، فجلس إلى جانبه وَسيم خمريُّ العينين ، فافتتن بالنظر إليه والمحادثة إلى أن قام وقعد فى مكانه أسود ، فقال :

مضت جنة المَأْوَى وجاءت جَهَنَّمُ … فها أنا أشقى بعد ما كنت أنعم
وما كان إلا الشمس حان غروبها … فأعقبها جنح من الليل مظلم

لأبي عمرو الإشبيلي

وقال الأديب المصنف أبو عمرو عثمان بن على بن عثمان بن الإمام الإشبيلى صاحب « سمط الجمان » :

عذيرى من الأيام لادر دَرُّهَا … لقد حَمّلتنى فوق ما كنت أرهب
وقد كنت جَلْدًا ماينهنهنى النوى … ولا يستبينى الحادث المتغلب
يقاسى صروف الدهر منى مع الصبا … جُذَيْلُ حِكاكٍ أو عُذَيْقُ مُرَجَّبُ
وكنت إذا ما الخطب مَدَّ جناحه … علىَّ ترانى تحته أتقلب

(١) هذا البيت لا يوجد فى ب (٢) فى ا « وسعينا على الرقيب أبيبا »

فقد صرتُ خَفَّاق الجناح يروعنى غراب إذا أبصرته وهو يَنْعَبُ
وأحسب مَنْ ألقى حبيبا مودعا وأن بلاد الله طــرا مُحَصَّبُ

وقد امتعض للآداب فى صدر دولة بنى عبد المؤمن ، فجمع شمل الفضلاء الذين اشتملت عليهم المائة السابعة إلى مبلغ سنه منها فى ذلك الأوان ، واستولى بذلك على خصل الرهان ، وانفرد بهذه الفضيلة التى لم ينفرد بها إلا فلان وفلان

أبو الحسن على بن جابر الدباج الإشبيلى

وكان الأديب العالم الصالح أبو الحسن على بن جابر الدباج الإشبيلى إماما فى فنون العربية ، ولـكن شهر بإقراء كتب الآداب كالـكامل للمبرد ونوادر القالى وماأشبه ذلك ، وكان ــ مع زهده ــ فيه لَوْذَعِيَّة ، ومن ظرفه أن أحد تلامذته قال لغلام جميل الصورة : بالله أعطنى قبلة تمسك رمقى ، فشكاه إلى الشيخ وقال له : ياسيدى ، قال لى هذا كذا ، فقال له الشيخ : وأعطيته ما طلب ؟ فقال : لا ، فقال له : ما هذه الثقالة ؟ ما كفاك أن حرمته حتى تشتكى به أيضا ؟ وحَسْبُكَ من جلالة قدره أن أهل إشبيلية رضُوا به إماماً فى جامع العديس[١] .

وله :

لما تبدَّتْ وشمس الأفق بادية أبصرت شمسين من قرب ومن بعد
من عادة الشمس تُعْشِى عينَ ناظرها وهذه نورها يشـفى من الرمد

لمالك بن وهيب الإشبيلى

وقال مالك بن وهيب[٢] :

أراميتى بالسحر من لَحَظَاتها نعيذك كيف الرمى من دون أسهم
ألا فاعلمى أن قد أصَبْتِ فواصلى سهامك أو كُفِّى فلست بمُسْلِمِ
فإنسانَ عينِ الدهر أصميتِ فاحذرى مطالبة بالقلب واليـــد والفم
أما هو فى غِيل غدا غابهُ القَنَا تحفُّ به آساد كل ملـــثم
ولو أن لى رُكْناً شديدا بنَجْدَة أوَيْتُ له من بأس لحظك فارحمى

(١) فى أصل ا « العدبس » وفى نسخة عندها « العبدس »
(٢) فى ب « مالك بن وهب » وفى الشعر الآتى (فى ص ٢٨) ما يؤيد ما أثبتناه

وهو إشبيلى ، كان من أهل الفلسفة كما فى « المسهب » قال : وهو فيلسوف المغرب ، ظاهر الزهد والورع ، استدعاه من إشبيلية أمير المسلمين على بن يوسف تاشفين إلى حضرة مرَّاكش ، وصيره جليسه وأنيسه ، وفيه يقول بعض أعدائه :

دولة لابن تاشفين علىٍّ   طهرت بالكمال من كل عيب
غير أن الشيطان دَسَّ إليها   من خباياه مالكَ بْنَ وهيب[1]

وأمرهُ على بمناظرة[2] محمد بن تومَرْتَ الملقبِ بالمهدى الذى أنشأ دولة بنى عبد المؤمن

لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز المذكور فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب يستدعى بعض إخوانه :

بمعاليك وجَدِّكْ   جُدْ بلقياك لعبدك
حضر الكل ولكن   لم يطب شىء لفقدك

وقال :

وراغب فى العلوم مجتهد   لكنه فى القَبُول جُلْمود
فهو كذى عُنَّةٍ به شَبَق   ومشتهى الأكل وهو ممعود

وقال :

لئن عرضت نوى وعَدَتْ عوادٍ   أدالت من دُنُوك بالبعاد
فما بعدت عن اللقيا جسوم   تدانت بالمحبة والوداد
ولكن قُرْبُ دارك كان أندى   على كبدى وأحلى فى فؤادى

وله فى مجمرة :

ومَحْرُورة الأحشاء لم تَدْرِ ما الهوى   ولم تدر ما يلقى المحب من الوجد
إذا ما بدَا برقُ المدام رأيتها   تثير غماما فى الندىِّ من النَّدِّ
ولم أر نارا كلما شب جمرها   رأيت الندامى منه فى جنة الخلد

---

(١) فى ا « من جناياه مالك بن وهيب »
(٢) فى ب « وأمر على مناظرة محمد بن تومرت » ببناء « أمر » مشدد الميم للمجهول

وقوله من قصيدة :

وإن هُمُ نكصوا يوما فلا عجب ... قد يَكْهَمُ السيفُ وهو الصارم الذكر
العَوْدُ أحمد والأيام ضامنة ... عقبى النجاح ووعْدُ الله مُنْتَظَرُ

وقال :

تقريب ذى الأمر لأهل النهى ... أفضل ما ساس به أمره
هذا به أولى وما ضرّه ... تقريب أهل اللهو فى النُّدْره
عطارد فى جُلِّ أوقاته ... أدنى إلى الشمس من الزُّهْرَه

وقوله :

تفكر فى نقصان مالك دائما ... وتغفلُ عن نقصان جسمك والعمر
ويَثْنِيكَ خوف الفقر عن كل بغية ... وخيفةُ حال الفقر شر من الفقر (١)

وقوله :

يا ليلة لم تَبِنْ من القصر ... كأنها قُبْلَةَ على حَذَرِ
لم تك إلا كلا ولا ومضت ... تدفع فى صدرها يد السحر (٢)

وقال فيمن نظر إليه فأعرض عنه :

قالوا ثَنَى عنك بعد البشر صَفْحَتَهُ ... فهل أصاخ إلى الواشى فغيره
فقلت لا بل دَرَى وجدى بعارضِهِ ... فردَّ صفحته عمدا لأُبصره

وقال :

حكت الزمان تَلَوُّناً ... لمحبها العانى الأسير
فوصالها برد الأصيلِ وهجرها حَرُّ الهَجير

وقال يستدعى :

---

(١) فى ا « وخوفك حال الفقر شر من الفقر »

(٢) كلا ولا : كناية عن قصر المدة

هو يوم كما تراه مَطِيرُ ... كَلِبَ القرُّ فيه والزمهرير[١]

وأرانا الغمام والبرد ثوبيـــن علينا كلاهما مجرور

ولدينا شمسان شمس من الرا ... ح وشمس تسعى بها وتدور

فمن الرأى أن تُشَبَّ الكوانيـــنُ بأجذالها وترخى الستور

فاتركِ الاعتذار فيه فترك الـــشرب فى مثل يومنا تغرير[٢]

وقال :

هو البحر غُصْ فيه إذا كان ساكنا ... على الدر واحذرهُ إذا كان مُزْبِدَا

وقال :

غبتَ عنا فغاب كلُّ جمال ... ونأى إذ نأيتَ كلُّ سرور

ثم لما قدمت عاودنا الأنـــس وقَرَّتْ قلوبنا فى الصدور

فلوَ أنا نَجْزِى البشير بنعمى ... لوهبنا حياتنا للبشير

وقال :

كم ضَيَّعَتْ منك المنى حاصلا ... كان من الأحزم أن يُحْفَظَا

فالفظ بها عنك فمن حق ما ... يخفى صواب الرأى أن يلفظا

فإن تعللت بأطماعها ... فإنما تَحْلُمُ مستيقظا[٣]

وقال :

يقولون لى صبرا وإنى لصابر ... على نائبات الدهر وهى فواجع

سأصبر حتى يقضىَ الله ماقضى ... وإن أنا لم أصبر فما أنا صانع

---

(١) فى ب « جلب القرفيه والزمهرير » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى أصل ا

(٢) فى ا « فترك الشرب فى مثل يومنا تعذير »

(٣) فى ب « فإنما تخلب مستيقظا » محرفا .

وقال :

بأبى خَوْدٌ شَمُوعٌ أقبلت تحمل شَمْعَهْ(١)

فالتقى نوارها واختلفا قدرا ورِفْعَهْ

ومسير الشمس تستهدى بضوء النجم بدعه

وقال فى فرس أشهب :

وأشهب كالشهاب أضحى يَلُوح فى مُذْهَب الجِلاَلِ

قال حسودى وقد رآه يَخُبُّ تحتى إلى القتال

مَنْ أَلْجَمَ الصبح بالثريا وأسرج البرق بالهلال

وقال :

رمتنى صروف الدهر بين معاشر أَصَحُّهُم ودا عدوٌّ مقاتل

وما غربة الإنسان فى غير داره ولكنها فى قرب مَنْ لايشاكل

وقال :

أصبحت صَبًّا دنفا مغرما أشكو جَوَى الحب وأبكى دما

هذا وقد سَلَّمَ إذ مر بى فكيف لو مَرَّ وما سلما

وقال :

وقفنا للنوى فهَفَتْ قلوب أضَرَّ بها الجوى وهمت شؤن

يُنَاجِى بعضنا باللحظ بعضا فتعرب عن ضمائرنا العيون

فلا والله ما حُفظت عهود كما ضمنوا ولا قُضِيت ديون

ولو حكم الهوى يوما بعدل لأنصف من يَفِى ممن يخون

أمرُّ بداركم وأغضُّ طرفى مخافة أن تُظَنّ بى الظنون

ولما رأى عبدُ الرحمن بن سبلاق الحضرمى الإشبيلى فى النوم أنه مر على قبر وقوم يشربون حوله وسط أزاهر فأمروه أن يرثى صاحب القبر ، وهو أبو نُوَاس الحسن

(١) الشموع ــ بفتح الشين ــ اللعوب الضحوك المزاحة

لعبد الرحمن ابن سبلاق

ابن هانىء ، قال :

جادك يا قبر انسكاب الغمام وعاد بالروح عليك السلام

ففيك أضحى الظّرْفُ مستودَعًا واستترت عنا عيون الظلام(١)

لمحمد بن نصر الإشبيلي

وقال أبو بكر محمد بن نصر الإشبيلي :

وكأنما تلك الرياض عرائس ملبوسهن معصفر ومزعفر

أو كالقيان لبسن مَوْشِيَّ الحِلَى فلهنَّ فى وَشْى اللباس تبخْتُرُ

لأحمد بن محمد الإشبيلي

وقال أحمد بن محمد الإشبيلي :

أماترى النرجس الغض الذكى بدا كأنه عاشق شابت ذوائبه

أو المحب شكا لمَّا أضر به فَرْطُ السَّقام فعادته حبائبه

وقال :

رُبَّ نَيْلُوفَر غدا مخجل الرا ئى إليه نفاسَةً وغَرَابَهْ

كمليك للزنج فى قبة بيضاء يدنو الدجا فيغلق بابه

لأبى الأصبغ ابن سيد

وقال أبو الأصبغ بن سيد :

كأنما النرجس فى منظر الـحسن الذى أمثاله تُبْتَغَى

أنامل من فضة فوقه كأس من التبر به أفرغا

لإبراهيم بن خيرة الصباغ

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن خيرة الصباغ مما أنشده له أبو عامر بن سلمة(٢) فى كتاب « حديقة الارتياح » :

يوم كأن سحابه لبست عِمَامى المصامت

حجبت به شمس الضحى بمثال أجنحة الْفوَاحت

فالغيث يبكى فَقْدَهَا والبرقُ يضحك مثل شَامِتْ

---

(١) فى ا « واستترت عنك عيون الظلام » .

(٢) فى ا « أبو عامر بن مسلمة » .

والرعـد يخطب مُفصِحًا والجوّ كالمحزون ساكت
والروض يسقيه الحيا والنَّـوْرُ ينظر مثل باهت
فاشرب ولَذَّ بجنـــــة واطْرَبْ فإن العمر فائت

وله :

رب ليـل طال لا صُبْحَ له ذى نجوم أقسمت أن لا تغور
قد هتكنا جُنْحَه من فَلَقٍ من خمور ووجوه كالبدور
إن بَدَتْ تشبهها فى كأسها نار إبراهيم فى برد ونور (١)
صرَعَتْنَا أن علونا ظهرها فى ميادين التصابى والسرور (٢)
وكأنا حين قمنـا معشر نُشِرُوا بعد ممَاتٍ من قبور

لأبى بكر بن حجاج

وقال أبو بكر بن حجاج :

لما كتمت الحب لا عن قِلَى ولم أجد إلا البكا والعويل
ناديت والقلب به مغرم يا حسبى الله ونعم الوكيل

وقال :

يقولون إن السحر فى أرض بابل وما السحر إلا ما أرتك محاجره
وما الغصن إلا ما انثنى تحت بُرْدِهِ وما الدِّعْصُ إلا ما طَوَته مآزره
وما الدر إلا ثغـره وكلامـه وما الليـل إلا صُدْغه وغدائره

وهذه الأبيات من قصيدة فى محمد بن القاسم بن حَمُّود ملك الجزيرة الخضراء ، أعادها الله تعالى !

لأبى عبد الله الرصافى

وقال الرصافى أبو عبد الله الشاعر المشهور ، وهو ابن روميِّ الأندلس ، فى حريرى :

---

(١) فى ا « إذ بدت تشبهها فى كأسها » .
(٢) فى ا « صرعتنا إذ علونا ظهرها » .

وبنفسى من لا أسميه إلا بعض إلمامة و بعض إشاره
هو والظبى فى الجمال سواء ما استعار الغزالُ منه استعاره[١]
أغيَدٌ يُمْسِك الحرير بفيه مثل ما يمسك الغزال العَرارَهْ

وهو القائل يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على :

لو جئت نار الهدى من جانب الطُّورِ قَبَسْتَ ما شِئْتَ من علم ومن نور

لأبي جعفر ابن الجزار

ولأبى جعفر أحمد بن الجزار[٢] :

ومازلت أجْنِي منك والدهر مُمْحِل ولا ثمرٌ يُجْنَى ولا زَرْعَ يُحْصَدُ
ثمار أياد دانيات قطوفُهَا لأوراقها ظلٌّ على ممدّد
يرى جاريا ماء المكارم تحتها وأطيار شكرى فوقهنّ تغرّد

لأبى جعفر ابن البنى

ولما نفى أبو جعفر بن البنى من مَيُورْقة ، وأقلع فى البحر ثلاثة أميال ، ونشأت ريح رَدَّته ، لم يتجاسر أحد من إخوانه على إتيانه ، فكتب إليهم :

أحِبتنا الألى عَنَتُوا علينا وأقصونا وقد أزف الوداع[٣]
لقد كنتم لنا جَذَلاً وأُنسا فما بالعيش بعدكم انتفاع[٤]
أقول وقد صَدَرنا بعد يوم أشوقٌ بالسفينة أم نزاع
إذا طارت بنا حامت عليكم كأن قلوبنا فيها شِراع

وله :

غصبتِ الثريا فى البعاد مكانها وأودعت فى عينى صادق نَوْئها
وفى كل حال لم تزالى بخيلة فكيف أعرت الشمس حلة ضوئها

وله فى غلام يرمى الطيور :

قالوا تصيب طيورَ الجوِّ أسهمه إذا رماها فقلنا عندها الخبر[٥]

(١) فى ا « ما استفاد الغزال منه استعاره » (٢) فى ا « أحمد بن الحراز »
(٣) فى ا « أحبتنا الألى عتبوا علينا » (٤) الجذل ـ بالتحريك ـ الفرح
(٥) فى ا « فقلنا عندنا الخبر » .

تعلمت قوسها من قوس حاجبه وأيَّدَ السهمَ من أجفانه الحَوَرُ[١]

يلوح فى بُرْدَة كالنقس حالـكة كما أضاء بجنح الليـلة القمرُ

وربما راق فى خضراء مُونِقة كما تفتَّـح فى أوراقه الزَّهَرُ

لأبى المطرف أحمد بن عميرة

وقال الأديب الكاتب القاضى أبو المطرف بن عميرة المخزومى ، لما قص شَعْر ملك [شرق] الأندلس زيان بن[٢] مردنيش مزين ، فى يوم رفع فيه أبو المطرف شعراً ، فخرجت صلة المزين ، ولم تخرج صلة أبى المطرف :

أرى مَنْ جاء بالموسى مُوَاسًى وراحـة من أذاع المدح صِفْرَا

فأنجح سعىُ ذا إذ قصَّ شَعْرًا وأخفق سعىُ ذا إذ قصَّ شِعْرَا

واسم أبى المطرف أحمد ، وهو من جزيرة شقر ، من كورة بَلَنسية .

لأبى جعفر أحمد بن طلحة

وكان الكاتب الحسيب أبو جعفر أحمد بن طلحة يعشق علجاً من علوج ابن هُودٍ ويماشيه فى غزواته ، وفيه يقول :

ما أحضرُ الغزوَ من صلاح كلاَّ ولا رغبـة الجهاد

لـكن لـكيما يكون داع لقربنا خـيرة الجياد

وقد تقدمت حكايته فلتراجع .

لأبى إسحاق ابن خفاجة

وكان صَنَوْبَرِى الأندلس أبو إسحاق بن خفاجة ، وهو من رجال الذخيرة والقلائد والمسهب والمطرب والمغرب ، وشهرته تغنى عن الإطناب فيه ، مُغْرًى بوصف الأنهار والأزهار ومايتعلق بها[٣] ، وأهل الأندلس يسمونه الجَنَّان ، ومن أكثر من شىء عرف به ، وتوفى سنة ثلاث أوخمس وثلاثين وخمسمائة ، وولد سنة خمسين وأربعمائة ، ومن نظمه قوله :

ربما استضحك الحبابَ حبيبٌ نفضت لونها عليـه المدامُ

---

(١) فى ا « تعلمت قوسه من قوس حاجبه »

(٢) فى ب « ريان بن مردنيش » براء مهملة

(٣) فى ب « وما يتعلق بهما »

كلما مر قاصراً من خُطَاه ... يتهادى كما تهادى الغمام[1]

سَلَّمَ الغصن والكثيب علينا ... فعلى الغصن والكثيب السلام

وبات مع بعض الرؤساء فكاد ينطفىء السراج ثم تراجع نوره ، فقال :

وأغرَّ ضاحَكَ وجهه مصباحه ... فأنار ذا قمراً وذلك فرْقدا

ما إن خبا تلقاء نور جبينه ... حتى ذكا بذكائه فتوقدا

وله :

كتبت وقلبى فى يديك أسير ... يُقيم كما شاء الهوى ويسير

وفى كل حين من هواك وأدمعى ... بكل مكان روضةٌ وغدير

وله :

كتابنا ولدينا البدر ندمان ... وعندنا أكؤس للراح شهبان

والقضب مائسة والطير ساجعة ... والأرض كاسية والجو عريان

لأبي بكر محمد بن أحمد الأبيض

ولما سئل أبو بكر محمد بن أحمد الأنصارى المعروف بالأبيض عن لغة فعجز عنها بمحضر مَنْ خجل منه أقسم أن يقيد رجليه بقيد حديد ، ولا ينزعه حتى يحفظ الغريب المصنف ، فاتفق أن دخلت عليه أمه فى تلك الحال ، فارتاعت ، فقال :

ريعت عجوزى أن رأتنى لابساً ... حَلَقَ الحديد ومثل ذاك يَرُوعُ

قالت جُنِنْتَ فقلت بل هى همة ... هى عنصر العلياء والينبوعُ

سَنَّ الفرزدق سنة فتبعتها ... إنى لما سن الكرامُ تَبُوعُ

وكان شاعراً وَشَّاحا وطاح دمه على يد الزبير أمير قرطبة لما هجاه بمثل قوله :

عَكَفَ الزبير على الضلالة جاهداً ... ووزيره المشهور كلب النار

ما زال يأخذ سجدة فى سجدة ... بين الكؤس ونغمة الأوتار

---

(١) فى ا « يتهادى كما يمر الغمام »

فإذا اعتراه السهو سبح خلفه   صوت القيـــان ورَنّةُ المزمار

ولما بلغ الزبير عنه ذلك وغيره أمر بإحضاره ، فقرعه ، وقال : ما دعاك إلى هذا ؟ فقال : إنى لم أر أحَقّ بالهجو منك ، ولو علمتَ ما أنت عليه من المخازى لهجوت نفسك إنصافاً ، ولم تَـكِلْها إلى أحد ، فلما سمع الزبير ذلك قامت قيامته ، وأمر بقتله .

وأنشد له ابن غالب فى « فرحة الأنفس » قولَه فى حلقة حائط :

وحلقة كشعاع الشمس صافية   لو قابلت كوكباً فى الجو لالتهبا
تأنقَ القَـيْنُ فى إحكام صنعتها   حتى أفاض على أطرافها الذهبا
كأنها بيضة قَدْ قُدَّ قَوْنَسُها   وكل جنب لهـا بالطعن قد ثُقِبا

وقال فيمن يحدث نفسه بالخلافة :

أمير المؤمنين نداء شيخ   أفادك من أماليـه اللطيفه
تحفظ أن يكون الجزعُ يوما   سريراً من أسرتك المنيفه
وأذكر منك مصلوبا فأبكى   وتُضْحكنى أمانيك السخيفه (١)

وهاجى ابنَ سارة ، فقال فيه ابن سارة (٢) :

ومن العجائب أن يكون الأبيض   بحماره بين السوابق يركض

لأبى على الشلوبين النحوى

وقال إمام النحاة بالأندلس أبو على عمر الشلوبين فيمن اسمه قاسم :

ومما شجا قلـبى وفيض مدمعى   هَوًى قدَّ قلبى إذ كلفت بقاسم (٣)
وكنت أظن الميم أصلا فلم تكن   وكانت كمـيم ألحقت بالزراقم (٤)

والزراقم : الحيات ، مشتقة من الزرقة ، والميم زائدة ، يريد أن ميم قاسم كميمها ، فهو قاسٍ ، وهو منسوب إلى حصن شلو بينية على ساحل غَرْناطة ، وله من الشهرة

---

(١) فى ا « أذكر منك مصلوبا فأبكى » وتقرأ « أذكر » على هـذا بالبناء للمجهول مشدد الـكاف .   (٢) تقدم مكررا « ابن صارة » بالصاد .
(٣) فى ا « شجا قلبى وفض مدامعى »   (٤) فى ا « ألحقت فى الزراقم »

والتآليف ما يغنى عن الإطناب فى وصفه، وله «التوطئة» و «وشرح الْجُزُولية» وغيرهما، وكان مغفلا، ومع ذلك فهو آية الله تعالى فى العربية، وكان فى لسانه لكنة، ولما أراد مأمون بنى عبد المؤمن التوجُّهَ إلى مُرْسِيَة، وقد ثار بها ابن هُودٍ، وأنشده الشعراء، وتكلم فى مجلسه الخطباء، قام الشلوبين وقال دعاء منه : ثَلَّمك الله ونَثَرك، يريد سَلّمك الله ونَصَرك، لأنه بلكنته يبدل[1] السين والصاد ثاء، فكان كما قال: عاد المأمون وقد ثلم عسكره ونثر.

لأبى إسحاق الإلبيرى

ولما مرض الفقيه الزاهد أبو إسحاق إبراهيم الإلبيرى دخل عليه الوزير أبو خالد هاشم بن رجاء، فرأى ضيق مسكنه، فقال : لو اتخذت غير هذا المسكن لكان أولى بك، فقال وهو آخر شعر قاله :

قالوا ألا تستجيد بيتاً تعجب من حسنه البيوتُ
فقلت ما ذالكم صوابا عُشٌّ كثير لمن يموتُ[2]
لولا شتاء ولَفْح قيظ وخوف لص وحفظ قوتِ
ونسوة يبتغين سترا بنيت بنيان عنكبوتِ

لأبى بكر ابن عبادة

وقال أبو بكر بن عبادة القزاز الموشّح فى ابن بَسّام صاحب «الذخيرة» :

يا منيفاً على السماكين سام حُزتَ خصل السباق عن بَسّام
إن تَحِكْ مدحةً فأنت زُهَير أو تشبب فعروة بن حزام
أو تباكر صيدَ المها فابنُ حُجْرٍ أو تبكى الديار فابن جذام[3]
أو تذم الزمان وهو حقيق فأبو الطيب البعيد المرامى

ولما انترسلك نظام مُلْك لَمْتُونة تفرق ملك الأندلس رؤساء البلاد، وكان من جملتهم

---

(١) فى ا «يرد السين». (٢) ما ذالكم صوابا : أى ليس هذا صوابا.

(٣) فى ا «فابن خدام» وهو اسم ورد فى شعر امرىء القيس فى قوله * نبكى الديار كما بكى ابن خذام * واضطرب العلماء فى ضبطه كثيرا، لأنهم لم يعرفوا ابن خذام هذا ولا سمعوا له شعراً ولا وجدوه إلا فى هذه الكلمة.

الأمير أبو الحسن بن نزار لما له من الأصالة فى وادى آشٍ ، فحسده أهل بلده ، وقصدوا تأخيره عن تلك المرتبة ، فخطبوا فى بلدهم لملك شرق الأندلس محمد بن مردنيش ، ووجَّه لهم عماله وأوصاهم أن يُخْرَج هذا الأسد من غِيلِهِ ، ويفرق بينه وبين تأميله ، ورفعوا له أشعاراً كان يستريح بها على كاسه ، ويبثها بمحضر من يركَن إليه من جُلَّاسه ، ومنها قوله ، وقد استشعر من نفسه أنها أهل للتقديم ، مستحقة لطلب سلفه القديم :

لأبى الحسن ابن نزار

الآن أعرف قدر النفع والضَّرَر ... فكيف أصدر ما للملك من صَدَرِ

وكيف أطلع فى أفق العلا قمراً ... ويستهلّ بكفّى واكف الدرر

وكيف أملأ صدر الدهر من رعب ... وأستقلّ بحمل الحادث النكر

وأستعدُّ لما ترمى الخطوبُ به ... وأستطيل على الأيام بالفِكَر

لكننى ربما بادرت منتهزا ... لفرصةٍ مرقت كالمح بالبصر[1]

فى أم رأسىَ ما يعيا الزمان به ... شرحا فسَلْ بعدها الأيام عن خبرى

شىء من خبر ابن نزار

فعندما وقف ابن مَرْدَنِيش على هذا القول وجَّه إلى وادى آش مَنْ حمله إليه ، وقيده ، وقدم به إلى مُرْسِية أسيراً ، بعد ما كان مرتقبا أن يقدم أميراً ، فلما وقعت عين ابن مَرْدَنيش عليه قال له : أمكن الله منك يا فاجر ، فقال : أنت — أعزك الله ! — أولى بقول الخير من قول الشر ، ومن أمكنه الله من القدرة على الفعل فما يليق به أن يستقدر بالقول ، فاستحيا منه ، وأمر به للسجن ، فمكث فيه مدة ، وصدرت عنه أشعار فى تشوّقه إلى بلاده ، منها قوله :

لقد بلغ الشوق فوق الذى ... حسبت فهل للتلاقى سبيل

فلو أننى مت من شوقكم ... غراما لما كان إلا قليل

تُعَللنى بالتدانى المنى ... وينشدنى الدهر صبر جميل

(١) فى ا « لفرصة فرقت كاللمح بالبصر » .

فقل لِبثينة إنْ أصبحت بعيداً فلم يَسْلُ عنها جميل [١]

أغضُّ جفونىَ عن غيرها وسمعى عن اللوم فيها يميل

ولم يزل على حاله من السجن إلى أن تحيَّل فى جارية مُحْسِنة للغناء [٢] حَسَنَةِ الصوت وصنع مُوَشحته التى أولها :

نازَعَكِ البدر اللياح بنتَ الدنان [٣]

فلم يدع لك اقتراح على الزمان

وفيها يقول :

يا هل أقول للحسود والعِيسُ تُحْدَى

بالأمى على السراح كانت أمانى

أخرجها ذاك السماح إلى العِيَـــــانِ

وجعل يلقيها [٤] على الجارية حتى حفظتها ، وأحكمت الغـناء بها ، وأهداها إلى ابن مردنيش بعدما أوصاها أنها [٥] متى استدعاها إلى الغناء وظفرت به فى أطرب [٦] ساعة وأسَرِّهَا غنته بهذه الموشحة ، وتلطفت فى شأن رغبتها فى سراح قائلها ، فلعل الله تعالى فيجعل فى ذلك سببا ، واتفق أن ظفرت بما أوصاها به ، وأحسنت غناء الموشحة ، فطرب ابن مَرْدَنيش لسماع مدحه ، وأعجبه مقاصد قائلها ، فسألها : لمن هى ؟ قالت : لمولاى عبدك ابن نزارٍ ، فقال : أعيدى على قوله «يالأمى على السراح» فأعادته ، فداخلته عليه الرأفة والأريحية [٧] بما أصابه ، فأمر فى الحين بحَلِّ قيده ، واستدعى به إلى موضعه فى ذلك الوقت ، فلما دخل خلع عليه أدناه [٨] وقال له : ياأبا الحسن ، قد أمرنا لك بالسَّراح على رغم الحسود ، فارجع إلى بلدك مُبَاحا لك

---

(١) فى ب « فقل كبثينة إذ أصبحت » محرفا .

(٢) فى ا « محسنة فى الغناء » (٣) فى ب « نازع البدر اللياح »

(٤) فى ا « وجعل من يلقيها » وكلمة «من» زائدة لا موضع لها .

(٥) فى ب « أنه متى دعاها » (٦) فى ا « فى أطرب حاله » .

(٧) فى ا « الرقة والأريحية » (٨) فى ا ، ب « وأدناه »

أن تطلب الملك بها و بغيرها إن قدرت ، فأنت أهل لأن تملك جميع الأندلس ، لاوادى آش ، فقال له : والله ياسيدى بل ألتزم طاعتك والإقرار بأنك بعثتنى من قبر رمانى فيه الحساد والوشاة ، ثم شربا حتى تمكنت[1] بينهما المطايبة ، فقال له : يا ابن نزار ، الآن أريد[2] أن أسألك عن شىء ، قال : وماهو ياسيدى ؟ قال : عما فى أمِّ رأسك حين قلت :

فى أم رأسىَ ما يَعْيَا الزمانُ به شَرْحاً فَسَلْ بعدها الأيامَ عن خبرى

فقال له : ياسيدى لاتسمع إلى غرور نفس ألْقَتْه[3] على لسان نَشْوَان لعبت بأفكاره الأمانى وغَطّت على عقله الآمال ، والله لقد بَقيتُ فى دارى أروم الاجتماع بجارية مَهِينة قدر سنة فما قدرت على ذلك ، ومنعتنى منها زوجتى ، فكيف أطلب مادونه قطع الرؤوس ونهب النفوس ؟ فضحك ابن مردنيش ، وجدّد له الإحسان ، وجهزه إلى بلده ، وأمر عماله أن يشاركوه فى التدبير ، ويستأذنوه فى الصغير والكبير ، فتأثَّلَ به مجدُه ، وعَظُم سَعْدُه .

ومن شعره قوله :

انظر إلى الروض سُحَيْرًا وقد بَثَّ به الطلُّ علينا العيون

يَرْقُبُ منا يقظة للمنى فقل لها أهلا بداعى المجون

وحُثّها شمساً إلى أن ترى شمس الضحى تطرق تلك الجفون

وقوله :

تنبه لمعشوق وكأس وقَيْنَةٍ وروض ونهر ليس يبْرَح خَفّاقا

فقد نَبَّهَتْ هذى الحدائق ورقها وفتّح فيها الصبح بالطل أحداقا

ومهما تكن فى ضيقة فأدِرْ لَهَا كؤس الطلا فالسكر يُوسِع ماضاقا

وقوله :

---

(١) فى ا « إلى أن تمكنت » (٢) فى ا « إلا أنه أريد أن أسألك »

(٣) فى ا «إلى غرور نفس ألفته على لسان نشوان» وفي ب «غرور نفس الفتنة»

عطف القضيب مع النسيم تَمَيُّلاَ والنهر مَوْشِيُّ الخمائل والحلى
تركته أعطافُ الغصون مظللا ولنا عن النهج القويم مضللا
أمْسَى يغازلنا بمقــلة أشهل والطرف أسحر ما تراه أشهلا

بين ابن نزار وأبي جعفر ابن سعيد

وقال بعضهم : استدعاني أبوالحسن بن نزار لمجلس أنس (١) بوادى آش ، فلما احتفل مجلسُنا ، وطابت لذتنا قال : والله ماتمامُ هذه المسرة إلا حضور أبي جعفر بن سعيد وهو الآن بوادى آش ، فوافقناه على ذلك لما نعلم من طيب حالتنا معهما ، وأنهما لا يأتيان إلا بما يأتى به اجتماع النسيم والروض ، فخلا فى موضع وكتب له :

ياخير من يُدْعَى لـكاس دائر ووجوه أقمار وروض ناضر
إنا حضرنا فى الندىِّ عصابة معشوقة من ناظم أو ناثر
كلٌّ مخلًّى للــذى يختاره فى الأمن من ناه له أو زاجر (٢)
ما إن لهم شغل بفن واحد بل كل ما يجرى بوفق الخاطر
شَدْو ورقص وافتطاف فكاهة وتعانق وتغــامز بنواظر
وهُم كما تدرى بأفْقِى أنجـمٌ لـكن لنا شوق لبدر زاهر

سيدى ، لازلت متقدماً لكل مكرمة ! هل يجمل التخلف عن نادٍ قام فيه السرور على ساق ، وضحك فيه الأنس بملء فيه ، وانْسَدَل به ستر الصون ، وفاءَ عليه ظلُّ النعيم ، وسَفَرت فيه وجوه الطرب ، وركضت خيل اللهو ، وثار قَتَام الند ، وهطلت سحاب ماء الورد ، وجُلِيت الـكؤس (٣) ، كالعرائس على كراسى العروس ، المثقلة (٤) بالعاج والآبنوس ، وكأنَّ قطع النهار ممتزجة بقطع الظلام ، أو بنى حام قد خالطت بنى سام ، وعلى رؤس الأقداح ، تيجان نظمها امتزاج الماء بالراح ، فطوراً تستحي (٥)

---

(١) فى ب « بمجلس أنس »
(٢) فى ا « كل محلي للذى تختاره »
(٣) فى ا « وطيبت الـكؤس »
(٤) فى ا « المنقلة بالعاج »
(٥) فى ا « وطوراً يستحسن فيبدو خجلها ، وطوراً يخلف فيظهر وجلها »

فيبدو خجلها ، وطوراً تمتزج فيظهر وَجَلها ، والعود ترجمان المسرة قد جعلته أمُّهُ فى حِجْرها ، كولد ترضعه بدرِّها ، وساقى الشَّرْب كالغصن الرطيب ، أوراقه أردية الشرب ، وأزهاره الكؤس ، التى لا تزال تطلع وتغرب كالشموس ، ساقٍ يفهم بالإشارة ، حلو الشمائل عَذْب العبارة ، ذو طَرْف سَقيم ، وخَدٍّ كأنه من خَفَره لطيم ، ولدينا من أصناف الفواكه والأزاهر ، ما يحار فيه الناظر ، وهل تكمل لذة دون إحضار خدود الورد ، وعيون النرجس ، وأصداغ الآس ، ونهود السفرجل ، وقدود قصب السكر ، ومباسم قلوب الجوز ، وسُرَر التفاح ، ورُضَاب ابنة العنب ، فقد اكتمل بهذه الأوصاف المختلسة من أوصاف الحبائب الطرب :

فَطِرْ بجناح الشوق عند وصولها إليك ولا تجعل سواكَ جوابَهَا

فلا عين إلا وهى تَرْنُو بطرفها إليك فيَسِّرْ فى المِطال حسابها

فقد أصْبَحَتْ تعلو عليها غشاوة لبعدك فاكشف عن سَنَاها ضبابها

قال أبو جعفر : فجعلت وصولى جواب ما نَظَم ونَثَر ، وألفيت الحالة يقصر عن خُبْرها الخَبَر ، فانغمسنا فى النعيم ، انغماسَ عَرْف الزهر فى النسيم ، ومَرَّ لنا يومٌ غض الدهر عنه جَفْنَه ، حتى حسبناه عنواناً لما وعد الله تعالى به فى الجنة .

بين ابن نزار وابن سعيد والكتندى

وشرب يوما مع أبى جعفر بن سعيد والكتندى الشاعر فى جنة بزاوية غَرْنَاطة ، وفيها صِهْريج ماء قد أحدق به شجر نارنج وليمون وغير ذلك من الأشجار ، وعليه أنْبُوبُ ماء تتحرك به صورة جارية راقصة بسيوف وطيفورُ رخامٍ يصنع فى أنبوبة الماء صورة خباء ، فقالوا : نقتسم[1] هذه الأوصاف الثلاثة ، فقال أبو جعفر يصف الراقصة :

وراقصة ليست تحَرَّكُ دون أن يحركها سيف من الماء مُصْلَتُ

يدور بها كرها فتنضى صَوارما عليه فلا تعيا ولا هو يُبْهَتُ

---

(١) فى ا « فقالوا نتقسم هذه الأوصاف » .

إذا هي دارت سرعة خِلْتَ أنها إلى كل وجه في الرياض تَلَفَّتُ

وقال ابن نزار في خباء الماء :

رأيت خباء الماء ترسل ماءها فنازعها هَبُّ الرياح رداءها

تطاوعُهُ طورا وتعصيه تارة كرا قصة حلت وضمت قباءها

وقد قابلت خير الأنام فلم تزل لديه من العلياء تُبْدِى حياءها

إذا أرسلت جوداً أمام يمينه أبى العدلُ إلا أن يرد إباءها

وقد قيل : إن هذه الأبيات صنعها بمحضر الأمير أبى عبد الله بن مَرْدَنيش ملك شرق الأندلس ، وإنه لما ألجأته الضرورة أن يرتجل فى مثل ذلك شيئاً ، وكانت هذه عنده مُعَدَّة ، فزعم أنه ارتجلها ، قال أبو عمر بن سعيد : وهذا هو الصحيح ، فإنه ما كانت عادته أن يخاطب عمى أبا جعفر بخير الأنام ؛ فإن كل واحد منهما كفؤ الآخر .

وقال الكتندى :

وصهريج تخال به لُجَيْنا يذاب وقد يُذَهِّبه الأصيل

كأن الروض يعشقه فمنه على أرجائه ظِلٌّ ظليل

وتمنحه أكف الشمس عشقاً دنانيراً فمنه لها قبولُ

إذا رَفَعَ النسيم القُضْبَ عنها فحينئذ يكون لها سبيل

وللنارنج تحتَ الماء لما تبدَّى عكسها جمر بليل(١)

ولليمون فيه دون سبك جلاَجل زُخْرفٍ بصبا تجول(٢)

فياروضا به صقلت جفونى وأرهف مَتْنَه الزهر الكليل

تناثر فيك أسلاك الغوادى وقبل صفح جدولِكَ القبول(٣)

(١) فى ا « وللنارنج تحت الماء مهما * تبدى عكسها »

(٢) فى ب « جلاجل زخرفت نصبا تجول » .

(٣) فى ب « وقبل صفح جدواك القبول » .

ولا برحت تُجمّعُ فيك شملا من الأكياس والكاس الشَّمُول
بُدُورٌ تستنير بها نجوم مع الإصباح ليس لها أفول[١]
يهيم بهم نسيمُ الروض ألفا فمن وَجْدٍ له جسم عليل

لأبى الأصبغ ابن الأرقم الوزير

وروى أن الوزير أبا الأصبغ عبد العزيز بن الأرقم وزير المعتصم بن صُمَادح رأى رايةً خضراء فيها صنيفة[٢] بيضاء فى يد عِلْجٍ من عُلُوج المعتصم نَشَرَهَا على رأسه ، فقال :

نشرت عليك من النعيم جناحا خضراء صَيَّرَتِ الصباحَ وشاحا
تحكى بخَفْقٍ قلبَ من عاديته مهما يصافح صفحُهَا الأرواحا
ضمنت لك النعمى برأى ظافر فترقَّبِ الفأل المشير نجاحا[٣]

وكان هذا الوزير آية الله تعالى فى الوفاء ، وأرسله المعتصم إلى المعتمد بن عَبَّاد ، فأعجبت المعتمدَ محاولتُه ، ووقع فى قلبه ، فأراد إفساده على صاحبه ، وأخذ معه فى أن يقيم عنده ، فقال له : ما رأيت من صاحبى ما أكره فأوثر عند غيره ما أحب ، ولو رأيت ما أكره لما كان من الوفاء تركى له فى حين فَوَّضَ إلىَّ أمره ، ووثق بى ، وحَمَّلنى أعباء دولته ، فاستحسن ذلك ابنُ عباد ، وقال له : فاكتم على ، فلما عاد إلى صاحبه سأله عن جميع ما جرى له ، فقال له فى أثناء ذلك : وجرى لى معه ما إن أعلمتك به خِفْتُ أن تحسب فيه كالامتنان والاستظهار ، وتظن أن خاطرى فسَدَ به ، و إن كتمتك لم أوفِ النصيحة حقها ، وخفت أن تطلع عليه من غيرى ، فيحُطّنى ذلك من عينك ، وتحسب فيه كيدا ، فحمل عليه فى أن يُعْلمه ، فأعلمه بعد أن تلطف هذا التلطف ، وهو من رجال الذخيرة والمسهب ، وابنه الوزير أبو عامر من رجال القلائد .

---

(١) فى ا « بدور تستدير بها نجوم »
(٢) كذا فى ا ونسخة عند ب ، وفى أصل ب « فيها ضيقة بيضاء »
(٣) فى ب « فترقب الفأل المثير نجاحا » .

لأبي عامر ابن الوزير أبي الأصبغ

ومن نظم أبي عامر :

فتى الخيل يقتادها ذُبّلاً خفافا تبارى القَنا الذابلا[١]

ترى كل أجْرَدَ سامى التَّليل وتحسبه غصُناً مائلا

لأبي محمد عبد البر بن فرسان الوزير

وللوزير الكاتب أبي محمد بن فرسان واسمه عبد البر ، وهو حسنة وادى آش ، يخاطب يحيى المَيُورْقى :

أنعم بتسريح علىّ فعلهُ سبب الزيارة للحطيم ويثرب

ولئن تقوّل كاشح أن الهوى أرسَتْ معالمه وأنك مذهبى

فمقالتى ما إن مَلِلْتُ وإنما عمرى أبى حَمْلَ النِّجاد بمنكبى[٢]

وعجزت عن أن أستثير كَمِينَهَا وأشقّ بالصَّمصام صدر الموكب

وهذه الأبيات كتب بها إليه وقد أسنّ وملّ من الجهد معه ، يرغب فى سَراحه إلى الحجاز ، رحمه الله تعالى ، وتقبل نيته بمنه ويمنه !

لحاتم بن حاتم العنسى

وقال حاتم بن حاتم بن سعيد العَنْسى ، وكان صاحب سيف وقلم ، وعلم وعلم :

يا دانيا منى وما أنا زائر لا أنت معذور ولا أنا عاذر

ماذا يضرك إذ ظللت بظلمة أن لا يطالع منك بدر زاهر

وتوفى المذكور بغَرْناطة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة[٣] .

للتطيلى الأعمى

وقال التطيلى الأعمى فى أسد نحاس[٤] يقذف الماء :

أسد ولو أنى أُنا قِشُهُ الحساب لقلت صَخْرَهْ

فكأنه أسد السما ء يمجّ من فيه المجَرَّهْ

ابن ظافر والقاضى المؤيد

قال ابن ظافر : صرنا فى بعض العَشايا على البساتين المجاورة للنيل ، فرأينا فيه[٥] بئرا عليها دولابان متحاذيان ، قد دارت[٦] أفلاكهما بنجوم القواديس ، ولعبت بقلوب

---

(١) فى ا « تبارى القنا الذبلا » ولا تستقيم قافيته مع قافية تاليه بغير الألف .

(٢) فى ب « فمقالتى ما إن ملكت » محرفا .

(٣) فى ب « سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة »

(٤) سبق فى الجزء الرابع (ص ٣٧٣) وأن الأسد من رخام

(٥) فى ب « فرأينا فيها بئرا » (٦) فى ب « قد كادت أفلاكهما نجوم »

ناظريهما لعب الأمانى بالمفاليس[١] ، وهما يئنان أنين الأشواق ، ويفيضان ماء أغزر من دموع العشاق ، والروض قد جلا للأعين زَبَرْجَدَه ، والأصيل قد راقه حسنُه فنثر عليه عَسْجَدَه ، والزهر قد نظم جواهره فى أجياد الغصون ، والسواقى قد أذابت[٢] من سلاسل فضتها كلَّ مَصُون ، والنبت قد اخْضَرَّ شار به وعارِضُه ، وطِرْفُ النسيم قد رَكَضه فى ميادين الزهر راكضه ، ورُضَاب الغيث قد استقر من الطين فى لَمَى ، وحَيَّات المجارى حائرة تخاف من زمرد النبات أن يدركها العمَى ، والبحر قد صَقَل النسيمُ درعه ، وزعفران العشى قد ألقى فى ذيل الجوّ رَدْعَه ، فأوسَعَنا ذلك المكان حسنا وقلوبَنا استحواذا ، وملأ أبصارنا وأسماعنا مسرة والتذاذا ، ومِلْنا إلى الدولابين شاكِيَين أزمَرَا حين سَجَعت[٣] قيان الطير بألحانها ، وشَدَت على عيدانها ، أم ذكرا أيامَ نَعِمَا[٤] وطابا ، وكانا أغصانا رِطَابا ، فنَفَيَا عنهما لذيذ الهجوع ، ورجَّعا النوح وأفاضا الدموع طلبا للرجوع ، وجلسنا نتذاكر ما فى تركيب الدواليب[٥] ، من الأعاجيب ، ونتناشد ما وصفت به من الأشعار ، الغالية الأسعار ، فأفضى بنا الحديثُ الذى هو شجون ، إلى ذكر قول الأعمى التُّطيلى فى أسد نحاس يقذف الماء :

* أسد ولو أنى — إلخ *

فقال [لى] القاضى أبو الحسن على بن المؤيد رحمه الله تعالى : يتولد من هذا فى الدولاب معنى يأخذ بمجامع المسامع ، ويطرب الرائى[٦] والسامع ، فتأملت ما قاله بعين بصيرتى البصيرة ، واستمددت مادة غريزتى الغزيرة ، فظهر لى معنًى ملأنى أطرابا ، وأوسعنى إعجابا ، وأطرق كل منا ينظم ما جاش به مدُّ بَحْره ، وأنبأه به شيطانُ

---

(١) لعله أخذ هذا من قول الشاعر :

إذا تمنيت بت الليل مغتبطا إن المنى رأس أموال المفاليس

(٢) فى ب ونسخة عند ا « أذالت » وفى نسخة أخرى « أذلت »

(٣) فى ب « حين شجت قيان المطر » (٤) فى ب « أم ذكرا نعما وطابا »

(٥) فى ب « تراكيب الدواليب » (٦) فى ا « الراوى والسامع »

فكره ، فلم يكن إلا كنقرة العصفور ، الخائف من الناطور[١] ، حتى كمل ما أردنا من غير أن يقف واحد منا على ما صنعه الآخر ، فكان الذى قال :

حبذا ساعة العشية والدو لاب يُهْدِى إلى النفوس المسرَّهْ

أدهم لا يزال يعدو ولكن ليس يعدو مكانه قَدْرَ ذَرَّهْ[٢]

ذو عيون من القَوَاديس تبكى كل عين من فائض الدمع ثَرَّهْ[٣]

فَلَكٌ دائر يرينا نجوما كل نجم يبدى لدينا المجرَّهْ

وكان الذى قلت :

ودولاب يئِنُّ أنين ثَكلى ولا فقدًا شكاه ولا مَضَرَّهْ

ترى الأزهار فى ضحك إذا ما بكى بدموع عين منه ثره

حكى فَلَكاً تدور به نجوم تؤثر فى سرائرنا المسره

يظل النجم يشرق بعد نجم ويغرب بعد ما تجرى المجره

فعجبنا من اتفاقنا ، وقضى العجب منه سائر رفاقنا ، انتهى .

لابن شعبة الوادى آشى فى شعر ابنه

رجع - وكان لأبى محمد عبد الله بن شعبة الوادى آشى ابنٌ شاعرٌ ، فعرض عليه شعراً ، نظمَهُ ، فأعجبه ، فقال :

شعرك كالبستان فى شكله يجمع بين الآس والورد

فاصنع به إن كنت لى طائعا ما يصنع الفارس بالبند

لابن الحداد الوادى آشى

ولشاعر الأندلس أبى عبد الله بن الحداد الوادى آشى ، وهو من رجال الذخيرة :

لزمت قناعتى وقعدت عنهم فلست أرى الوزير ولا الأميرا

وكنت سمير أشعارى سفاها فعدت بها لفلسفتى سميرا

وله فى العروض تأليف مَزَجَ فيه بين الأنحاء الموسيقية ، والآراء الخليلية ، وردَّ فيه على السرقسطى المنبوز بالحمار .

---

(١) الناطور : حارس الزرع والبستان

(٢) يعدو فى صدر البيت بمعنى يسير سيراً سريعا ، ويعدو فى عجز البيت معناه يجاوز

(٣) فى ا « تبدى كل عين من فائض الماء عبرة » والثرة : الغزيرة الدمع الكثير الفيض

وله فى المعتصم بن صُمَادح :

لعلك بالوادى المقدس شاطئ ‏ فكالعَنْبَر الهندى ما أنا واطئ[١]

وإنىَ فى رَيَّاكَ واجدُ رِيحِهِمْ ‏ فجمرُ الأسى بين الجوانح ناشئ

ولى فى السُّرَى من نارهم ومَنَارهم ‏ هداة حداة والنجوم طوافئ

لذلك ماحنت ركابى وحمحمت ‏ عِرَابى وأوحى سيرها المتباطئ[٢]

فهل هاجها ما هاجنى ولعلها ‏ إلى الوخد من نيران قلبى لَوَاجئ[٣]

رويداً فذا وادى لُبَيْنَى وإنه ‏ لورد لُبَانَاتى وإنى لظامئ

موارد تَهْيَامى ومسرح ناظرى ‏ فللشوق غايات بها ومبادئ

واعترض عليه بعضُهم بأنه همز فى هذه القصيدة مالا يهمز ، فقال :

عجبت لغمازين علمى بجهلهم ‏ وإن قناتى لا تلين على الغمز[٤]

تجلَّت لهم آيات فهمى ومنطقى ‏ مبينة الإعجاز مُلْزِمة العجز[٥]

ولاحت لهم همزية أوْحَدِية ‏ وويل بها ويل لذى الهمز واللمز

رَمَوْهَا بنقص بينت فيه نقصهم ‏ ومن لَمَسَ الأفعى شكا ألم النكز

فإن أنكرت أفهامُهم بعض همزها ‏ فقد عرفت أكبادهم صحة الهمز

وله وهو مما يُتَغَنَّى به بالأندلس :

فَذَرِ العقيق مجانبا لعقوقه ‏ ودع العُذَيْبَ عذيب ذات الخال

أفق مُحَلًّى بالقواضب والقنا ‏ للأغْيَدِ المعطار لا المعطال

حجبوك إلا من توَهُّم خاطرى ‏ وَحَمَوْكَ إلا من تصوّر بالى

والقارظان جميلُ صبرى والكرى ‏ فمتى أرجِّى منك طيفَ خيال[٦]

---

(١) فى ب ونسخة عند ا « فللمنبر الهندى ما أنا واطئ »

(٢) فى ا « وأرخى سيرها المتباطئ » والعراب : الخيل العربية

(٣) فى ب « فهل هاجنى ما هاجها » وفيها « إلى الوجد من نيران قلبى لواجئ »

(٤) فى ب « لاتلين من الغمز » ‏ (٥) فى ا « تجلت لهم رايات فهمى »

(٦) القارظان : يضرب بهما المثل فيمن لا يؤوب .

ومن بدائعه قوله :

سامح أخاك إذا أتاك بزلَّةٍ فخلوصُ شيء قلما يتمكَّنُ
فى كل شيء آفة موجودة إن السراج على سَنَاه يُدَخِّنُ

وأنشد أحد الأدباء هذين البيتين متمثلا ، فأعجبا المعتصم ، وسأل عن قائلهما ، فأخبر ، فتبسم وقال : أتعرف إلى مَنْ أشار بهذا المعنى ؟ قال : ما أعرف إلا أنه مليح ، فقال المعتصم : كنت فى الصبا وهو معى ألقب بسراج الدولة ، فقاتله الله ما أشعره ، فسلوه ، فلما باحثوه فى ذلك أقر بحسن حَدْس المعتصم ، واكتنفته سعايات ، وكان ممن يغلب لسانُه على عقله ، ففر من المَرِيَّة ، وحُبس أخوه بها ، فقال :

الدهر لا ينفك من حدثانه والمرء منقاد لحكم زمانه
وعلمت أن السعد ليس بمُنْجِح ما لا يكون السعد من أعوانه
والجِدّ دون الجَدّ ليس بنافع والرمح لا يمضى بغير سِنَانِهِ

و بلغت الأبيات المعتصم فقال : شعره أعقل منه ، صدق فإنه لا يتهيأ له صلاح عيش إلا بأخيه ، وهو منه بمنزلة السنان من الرمح ، ثم أمر بإطلاقه ولحاقه به

ولما قال فى المعتصم :

يا طالب المعروف دُونَكَ فاتركَنْ دار المرية وارفُضِ ابنَ صمادح
رَجل إذا أعطاك حبةَ خردل ألقاك فى قيد الأسير الطائح
لو قد مضى لك عُمْرُ نوحٍ عنده لا فرق بينك والبعيد النازح

اغتاظ عليه ، وأبعده ، ففر من بلده[1]

ومن المنسوب إليه فى النساء :

خُنْ عهدها مثل ما خانتك منتصفا وامنح هواها بنسيان وسُلْوَانِ
فالغيدُ كالروض فى خَلق وفى خُلُق إن مرَّ جَانٍ أتى من بعده جانِ

(١) فى ا « ففر عن بلده »

وله :

حيثما كنت ظاعنا أو مقيما دُمْ رفيعاً وعِشْ منيعا سليما

الوزير الفقيه أبو بلال

وقال ابن دِحْيَةَ فى «المطرب» : إن من المجيدين فى الجدّ والهزل ، ورقيق النظم والجزل ، صاحبنَا الوزير أبا بلال[1] ، وقال لى : إنه كان وبُرْدُ شبابه قَشيب ، وغُصْن اعتداله رطيب ، بقميص النُّسك متقمص ، وبعلم الحديث متخصص ، فاجتاز يوماً وبيده مُجَلَّد من صحيح مسلم بقصر بعض الملوك الأكابر ، ومن بعض مناظره ناظر ، ومجلسه بخواص ندمائه حَالٍ ، وصوت المَثَانى والمَثَالث عَالٍ ، فقال : أطلعوا لنا هذا الفقيه ، فلعلنا نضحك منه . فلما مَثَلَ بين يديه وحَيَّا ، أمر الساقى بمُنَاولته كأس الحميا ، فتقبض متأففا ، وأبدى تمعرا وتقشفاً ، والسلطان يستغرب ضحكا بما هجم عليه ، ويَدُ الساقى ممدودة إليه ، واتفق أن انشقَّتْ من ذاتها الزجاجة ، فظهر من السلطان التطير من ذلك ، فأنشد الفقيه مرتجلا :

ومجلس بالسرور مشتمل لم يخل فيه الزجاجُ من أدب[2]

سَرَى بأعطافه يُرَنِّحُه فشق أثوابه من الطرب

فسُرَّ السلطان وسُرِّى عنه ، واستحسن من الفقيه مابدامنه ، وأمر له بجائزة سنية ، وخلعة رائقة

لابن البراق

وما أحسن قول ابن البراق :

يا سَرْحَةَ الحى يا مَطُولُ شَرْحُ الذى بيننا يطول

ولى ديون عليكِ حَلَّتْ لو أنه ينفع الحلول

وقوله :

انظر إلى الوادى إذا ماغرَّدَتْ أطياره شَقَّ النسيم ثيابه

أتراه أطْرَبَهُ الهديل وزاده طربا وحقك أن حللت جنابه

وله فى غلام على فمه أثر المداد :

يا عجبا للمداد أضحى على فمٍ ضُمِّنَ الزُّلالا

---

(١) فى ا « أبو بلال » خطأ ، وفى نسخة عند ب « أباهلال »

(٢) فى ا « لم يخل فيه الزجاج عن أرب »

كالقار أضْحَى على الحميا والليل قد لامس الهلالا

لأبي محمد عبدالله في معذرة

وكتب أبو محمد عبد الله فى معذرة إلى بعض أصحابه من الأسر فى طُلَيْطلة :

لو كنت حيث تجيبنى لأذاب قَلْبكَ ما أقول
يكفيك منى أننى لا أستقلُّ من الكبُول(١)
وإذا أردت رسالة لكُمُ فما ألفى رسول
هذا وكم بِتْنَا وفى أيماننا كأس الشَّمول
والعُودُ يخفق والدخا ن العنبرى به يجول
حال الزمان ولم يزَلْ مذ كنت أعهده يحول(٢)

لعلي بن مهلهل الجلياني

ولأبى الحسن على بن مُهَلْهل الجليانى فى أبى بكر بن سعيد صاحب أعمال غَرْناطة فى دوله الملثّمين :

لولا النهود لما عَرَاكَ تنهُّدُ وعلى الخدود القلبُ منك يخدَّد
يا نافذا قلبى بسهم جفونه مالى على سَهْم رميت به يَدُ

ليحي بن مطروح

وقال أبو زكريا يحيى بن مطروح فى غلام كاتب أطلَّ عذاره :

ياحسنه كاتبا قد خَطَّ عارضه فى خده جا كيا ماخط بالقلم
لاَمَ العذول عليه حين أبصره فقلت دعنى فزينُ البُرْدِ بالعَلَم
وانظر إلى عجب مما تلوم به بَدْرٌ له هالة قُدَّتْ من الظلم
قولوا عن البحر ماشئتم ولا عجب من عنبر الشِّحْرِ أو من در مبتسم(٣)

وله ، وقد عُزل عن مالقة والٍ غيرُ مرضى ، ونزل المطر على إثره ، وكان الناس فى جَدْب :

وربَّ والٍ سَرَّنَا عزله فبعضنا هنأه البعضُ

(١) الكبول : جمع كبل ، مثل قيد وقيود ، وزنا ومعنى .
(٢) فى ب ونسخة عند ا «حال الزمان ولم أزل» وحال يحول : تغير من حال إلى حاله
(٣) أخذه من قولهم « حدث عن البحر ولا حرج »

قد واصلتنا السحب من بعده ولَذّ فى أجفاننا الغُمْضُ
لو لم يكن من نَجَسٍ شخصُه ما طُهِّرَتْ من بعده الأرض

لأبى بكر محمد ابن نصر الاوسى

وكان الكاتب أبو بكر محمد بن نصر الأوسى مختصا بوزير عبد المؤمن أبى جعفر ابن عطية ، فقال فيه :

أباجعفر نلت الذى نال جعفر ولا زلت بالعليا تُسَرُّ وتُحْـبَر[(١)]
عليك لنا فضل وبر وأنعم ونحن علينا كل مدح يُحَـبَّر[(٢)]

وحَدَّث مَنْ حضر مجلس الوزير ابن عطية وقد أحس من عبد المؤمن التغير الذى أفضى إلى قتله ، وقد افتتح ابنُ نصر مطلع هذه القصيدة ، فتغير وجه أبى جعفر ، لأن جعفر بن يحيى كان آخر أمره الصلب ، فكأن هذا عمم[(٣)] الدعاء ، والعجب أنه قتل مثل جعفر بعد ذلك

وهذا الشاعر هو القائل :

وما أنا عن ذاك الهوى متبدِّل وذا الغَدْرُ بالإخوان غير كريم
بغيرك أجرى ذكر فضلك فى الندى كما قد جرَى بالروض هبُّ نَسيم
وإن كان عندى للجديد لذاذة فلست بناسٍ حرمةً لقـديم

لأبى عبد الله محمد بن على اللوشى

ولأبى عبد الله محمد بن على اللوشى يخاطب صاحب « المُسْهَب » :

بى إليكم شوق شديد ولكن ليس يبقى مع الجفاء اشتياق
إن يُغَيِّركم الفراق فودى لو خبرتم يزيد فيه الفراق[(٤)]

وله :

لو أن لى قلبا كقلبـــك كنت أهجر هجركا
يكفيك أنك قد نسيــت ولست أنسى ذكركا

---

(١) أراد بجعفر جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى ، وتحبر - بالبناء للمجهول - تسر ، من الحبور كالسرور وزنا ومعنى

(٢) يحبر - بتشديد الباء مبنيا للمجهول - ينمق ويزين

(٣) فى نسخة « تمم الدعاء » (٤) فى ا « لو جزيتم »

ومن العجائب أننى أفنى وأكتم سركا
كن كيفما تختاره فالحب يبسط عذركا

وله :

هل عندكم علم بما فَعَلَتْ بنا تلك الجفون الفاتكات بضعفها
نُصْحاً لكم أن تأمنوها أنها سَحَرَ النهى ما تبصرون بطرفها

لأبى محمد عبد المولى اللوشى

ولابنه أبى محمد عبد المولى ، وكان ماجنا ، لما نُعِى إليه وهو على الشراب أحدُ أصحابه مرتجلا :

إنما دنياك أكل وشراب وقِحَاب(١)
ثم مِنْ بَعْد صُرَاخٌ ووداع وتراب

وله :

يا نديمُ اشْرَبْ على أُفْقٍ صقيل وحديقه(٢)
واسقنى ثم اسقنى ثَمَّ اسقنى خمرا وريقه
من غزال تَطْلُع الشمس بخديه أنيقه
لا تفوّت ساعة من كأس خمر وعشيقه
واجتنب ماسخرت جهلاً له هذى الخليقه
رغبوا فى باطل زور بزهدٍ فى الحقيقه
ليس إلا ما تراه أنا أدرى بالطريقه

قال أبو عمران موسى بن سعيد : قلنا له : ماهذا الاعتقاد الفاسد الذى لاينبغى لأحد أن يصحبك به ؟ فقال: هذاقول لافعل ، وقد قال الله تعالى : (ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالايفعلون) .

---

(١) فى ب « وشراب وتحاب » والقحاب : جمع قحبة ، وهى المرأة الفاجرة .
(٢) فى ا « يانديمى اشرب »

ثم قال ابن سعيد : ولولا أن حاكى الكفر ليس بكافر ما ذكرتها ، وهذا منزع من قال من المجوس :

خذ من الدنيا بحظٍّ قبل أن ترحل عَنْهَا

فهى دار لا ترى من بعدها أحْسَنَ منها

وهذا كفر صُرَاح ، وقائله قد تقمّص كفرا ، اللهم غَفْرا !

وطلب منه بعض الأرذال ، أن يكتب له شفاعة عند أحد العُمَّال ، فكتب له[1] رسالة فيها هذه الأبيات :

كتاب شفاعة منه

كتبتُهُ مولاى فى طالع ما طار فيه طائر اليُمْنِ

وفكرة حائلة والحشا ينهب بالهم وبالحزن[2]

كَلَّفَنيه ساقط أخرق مشتهر بالطحن والقرن

أكذب خلق الله أرداهُمُ أخوفهم فى الخوف والأمن

يكفر ما يُسْدَى إليه ولا يعذر خلقا سيء الظن

فإن صنعت الخير ألفيته شرا وأضحى المجد ذا غَبْنِ

وانتقد الناسُ عليك الذى تُسْدِى له فى أى ما فن

فافعل به ما هو أهل له وأُسمعه تفسيرا ولا أكنى

أهِنْهُ واصفعه ولا تترك البوّاب يكرمه لدى الأذن

واقطع بفيه القولَ واحرمه من رَدِّ جواب أنسه يدنى

وكلما استنبط رأيا فسفِّهه ودعه مُسْخَنَ الجفن

فهو إذا أكرمته فاسد وصالح بالهُون واللّعْنِ

شفاعتى فى مثله هذه فلا سقاه هاطلُ المَزنِ

---

(١) فى ا « فكتب معه رسالة » وهى أدق

(٢) فى ب « وفكرة جائلة » وحائلة ــ بالحاء المهملة ــ أى متغيرة

ودفع إليه الكتاب مختوما ، فسر به ، وحمله إلى العامل ، وسافر إليه أياما ، فلما دفعه إليه قرأه وضحك ، ودفعه إلى مَنْ يشاركه فى ذلك من أصحابه ، فوعده بخير وأخرجه إلى شغل لم يرضه ، فلما عاد منه قال له : أخرجتنى لأرْذَلِ شغل وأخسه فما فائدة الشفاعة إذن ؟ فقال له : أو تريد أن أفعل معك ما تقتضيه شفاعة صاحبك ؟ قال : لا أقلَّ من ذلك ، فأمر من يأتيه بالأبيات ، فقرئت عليه ، فانصرف فى أسوأ حال ، فلما دخل [عليه] غرْناطة – وكان عبدالمولى تزوج فيها امرأة اغتبط بها – فتزيَّا هذا الرجل بزى أهل البادية ، وزوّر كتابا على لسان زوجة لعبدالمولى فى بلدة أخرى ، وقال فى الكتاب : وقد بلغنى أنك تزوّجت غيرى ، وأردت أن أكتب إليك [فى] أن تطلقنى ، فوصلنى كتابك تعرفنى فيه أن الزوجة الجديدة لم توافق اختيارك ، وأنك ناظر فى طلاقها ، فرَدَّنى ذلك عما عزمت عليه ، فانظر فى تعجيل ما وعدت به من طلاقها ، فإنك إن لم تفعل لم أُبْقَ معك أبدا ، فلما مر بدار عبد المولى رأى جارية زوجته فقال لها : أنا رجل بَدَوى أتيت من عند فلانة زوجة أبى محمد عبد المولى ، فعند ما سمعت ذلك أعلمت ستها ، وأخذت الكتاب ، فوقفت على ما فيه غير شاكة فى صحته ، فلما دخل عبد المولى وَجَدَها على خلاف ما فارقها عليه ، فسألها عن حالها ، فقالت : أريد الطلاق ، فقال : ماسبب هذا وأنا أرغبُ الناسِ فيك ؟ فألقت إليه الكتاب ، فلما وقف عليه حَلَفَ لها أن هذا ليس بصحيح ، وأن عدوّا له اختلقه عليه ، فلم يُفِد ذلك عندها شيئاً ، ولم يَطِبْ له بعد ذلك معها عيش ، فطلقها ، وعلم أن ذلك الرجل هو الذى فعل ذلك ، فقال له : لاجزاك الله خيرا ، ولا أصلح لك حالا ! فقال : وأنت كذلك ، فهذه بتلك ، والبادى أظلم ، فما كان ذنبى عندك حين كتبت فى حقى ما كتبت ؟ فقال له : مثلكَ لايقول « ما ذنبى » أنت كلك ذنوب :

ألست بألأَم الثقلين طُرًّا وأثقلهم وأفحشهم لسانا

فمهما تبغ برا عند شخص تَزِدْ منه بما تبغى هَوَانَا

فانصرف عنه عالى اللسان بلَعْنته .

وكان أحد بنى عبد المؤمن قد ألزمه أن ينسخ له كتابا بموضع منفرد ، فخطر له يوما جَلْدُ عُمَيْرة ، واتفق أن مر السيد يوما بذلك الموضع ، فنظر إليه فى تلك الحال (١) ، فقال له السيد (٢) : ما تصنع ؟ فقال : الدواة جفت ، ولم أجد ما أسقيها (٣) به إلا ماء ظهرى ، فضحك السيد ، وأمر له بجارية ، فقال :

قل للعُمَيْرة طَلِّقْــتِ بعد طول زواج

قد كان مائى ضياعا يمر فى غـير حاج

حتى حبـانى بحسنا ء قابـل للنتــاج

فـكان ناقل خمر من حنتم لزجاج

كانت تمـر ضياعا فأصبحت كالسراج

وقال حاتم بن سعيد :

لحاتم بن سعيد

جَنِّبُونِى عن المــدامة إلا عند وقت الصباح أوفى الأصيل

واشفعوها بكل وجـه مليح ودَعُونى من كل قالٍ وقِيلِ

وإذا ما أردتم طيب عيشى فاحجبونى عن كل وجه ثقيل (٤)

وقال مالك بن محمد بن سعيد :

لمالك بن محمد ابن سعيد

أتانى زائرا فبَسَطْتُ خـدى له ويقلٌّ بسط الخد عنـدى

فقلت له أيا مولاىَ ألفـا فقال وأنت ألفا عبد عبدى

---

(١) فى ا « فى تلك الحالة »

(٢) فى ا « فقال له الخادم »

(٣) فى ا « ولم أجد ماء أسقيها به »

(٤) فى ا « طيب عيش » وفيها « فاحجبونى عن وجه كل ثقيل »

وعانقَنى وقَبَّــلنى ونادى بلطف منه كيف رأيت وعدى

وقال فى استهداء مقص :

ألاقل نعَمْ فى مطلب قد حكاه لا يفصّل إذ نبغى الوصال موصلا (١)

نشق به صـدر النهـار وقد بدا ظلاما بأمثـال النجوم مكللا

وقال :

سارت كبدر وليلُ الخدر يسترها ولو بدا وجههـا جاءتك بالفلَقِ

ودونها من صَليل اللامعات حِمًى فالبرق والرعد دون الشمس فى الأفق

بين محمد بن غالب والـكتندى وأبى جعفر ابن سعيد

واجتمع بغرْناطة محمد بن غالب الرصافى الشاعر المشهور ومحمد بن عبد الرحمن الـكتندى الشاعر وغيرهما من الفضلاء والرؤساء ، فأخذوا يوما فى أن يخرجوا لنجد أو لحوز مؤمل ، وهما متنزهان من أشرف وأظرف متنزهات غرْناطة ، ليتفرجوا ويصقلوا الخواطر بالتطلع فى ظاهر البلد ، وكان الرصافى قد أظهر الزهد وترك الخلاعة ، فقالوا : مالنا غنى عن أبى جعفر بن سعيد ، اكتبوا له ، فصنعوا هذا الشعر وكتبوه (٢) له ، وجعلوا تحته أسماءهم :

بعثنا إلى رَبِّ السماحة والمجد ومن مالَهُ فى ملة الظرف من نِدِّ

ليسعدنا عند الصبيحة فى غد لنسعى إلى الحوز المؤمل أو نجد (٣)

نسرح منا أنفسا من شجونها ثوَتْ فى شجون هن شر من اللحد

ونظفر من بخل الزمان بساعة ألذ من العليا وأشهى من الحمد

على جَدْول ما بين ألفاف دَوْحة تهز الصبـا فيها لواء من الرَّنْدِ

ومن كان ذا شرب يخلّى بشأنه ومن كان ذا زهد تركناه للزهد

وماظرفه يأبى الحديث على الطلى ولا أن يديل الهزل حينا من الجد

---

(١) فى ب « يفصل إذ نبغي الوصال مفصلا » (٢) فى ا « وكتبوا له »

(٣) فى ا « بسعى إلى الحوز المؤمل أو نجد »

تهز معانى الشعر أغصان ظَرْفه ويمرح فى ثوب الصبابة والوجد
وما نَغَّصَ العيش المهنأ غير أن يمازجه تكليف ماليس بالود[(١)]
نظمنا من الخلان عقد فرائد ولما نَجِدْ إلاكَ واسطة العقد
فماذا تراهُ لا عدمناك ساعة فنحن بما تبديه فى جنة الخلد
ورشدك مطلوب وأمرك نحوه ار تقابٌ وكلٌّ منك يَهْدِى إلى الرشد

فكان جوابه لهم :

هو القول منظوما أو الدر فى العقد هو الزهر نَفّاح الصبا أم شَذَا الود
أتانى وفكرى فى عِقال من الأسى فحل بنفْثِ السِّحْر ماحل من عقد
ومن قبل علمى أين مبعث وجهه علمت جناب الورد من نَفَس الورد
وأيقنت أن الدهر ليس براجع لتقديم عصر أو وقوف على حد
فكل أوان فيه أعلام فضله ترادف موج البحر ردًّا إلى رد
فكم طيها من فائت متردِّم يهز بما قد ضمرت معطف الصلد[(٢)]
فيا من بهم تُزْهَى المعالى ومن لهم قياد المعالى ماسوى قَصْدِكم قصدى
فسمعا وطوعا للذى قد أشرتمُ به لاأرى عنه مدى الدهر من بُدِّ
فقوموا على اسم الله نحو حديقة مقلَّدة الأجياد مَوْشِية البرد
بها قبة تدعى الكمامة فاطلعُوا بها زهرا أذكى نسيما من الند
وعندىَ ما يحتاج كلٌّ مؤمل من الراح والمعشوق والكتب والنرد[(٣)]
فكل إلى ما شاءه لست ثانيا عِنَانا له إن المساعد ذو الود
ولست خَلِيًّا من تأنس قينة إذا ماشَدَتْ ضَلَّ الخلىُّ عن الرشد
لها ولد فى حجرها لا تزيله أوان غناء ثم ترميه بالبعد[(٤)]

---

(١) فى ا «يمازحه تكليف» بالحاء مهملة ــ تحريف

(٢) أشار إلى الرد على عنترة بن شداد فى قوله :

* هل غادر الشعراء من متردم *

(٣) فى ا ونسخة عند ب « وعندى ما يختار كل مؤمل »

(٤) أراد بالولد الذى فى حجرها عود الغناء .

فيا ليتنى قد كنت منها مكانه تُقَلِّبنى ما بين خصر إلى نهد
ضمنت لمن قد قال إنىَ زاهد إذا حَلَّ عندى أن يَحُول عن الزهد
فإن كان يرجو جنة الخلد آجلا فعندى له فى عاجلٍ جنةُ الخلد

فركبوا إلى جنته ، فمر لهم أحسن يوم على ما اشتهوا ، وما زالوا بالرصافى إلى أن شرب لما غلب عليه الطرب ، فقال الكتندى :

غَلَبناك عما رُمْتَه يا ابن غالب براح وريحان وشَدْوٍ وكاعب

فقال أبو جعفر :

بدا زهده مثل الخضاب فلم يزل به ناصلا حتى بدا زور كاذب

فلما غربت الشمس قالوا : ما رأينا أقصر من هذا اليوم ، وما ينبغى أن يترك بغير وصف ، فقال أبو جعفر : أنا له ، ثم قال بعد فكرة ، وهو من عجائبه التى تقدم بها المتقدمين وأعجز المتأخرين :

لله يوم مسـرة أضوَا وأقصر من ذُبالَهْ(١)
لما نصبنا للمـنى فيه بأوتار حِبالَه
طار النهار به كمر تاع فأجْفَلَتِ الغزاله
فكأننا من بعـده بعنا الهداية بالضلاله

والنهار : ذكر الحبارى ، وإليه أشار بقوله « طار النهار » والغزالة : الشمس ، ولا يخفى حسن التوريتين ، فسلَّم له الجميع ، تسليم السامع المطيع

لأبى جعفر ابن سعيد

وعلى ذكر الغزالة فى هذا الموضع فلأبى جعفر أيضا فيها ، وهو من بدائعه ، قوله :

بدا ذَنَبُ السرحان ينبىء أنه تقدّم سبت والغزالة خَلْفَه
ولم تر عينى مثله من مُتَابع لمن لا يزال الدهرَ يطلب حَتْفَه

---

(١) أضوا : أصله أضوأ ، أفعل تفضيل من الضوء ، فقلب الهمزة ألفا لانفتاح ما قبلها ، والذبالة ــ بضم الذال المعجمة ــ الشمعة ونحوها .

وقوله :

اسقنى مثل ما أنار لعينى ... شَفَقٌ ألبس الصباح جماله

قبل أن تبصر الغزالة تستد ... رج منه على السماء غِلَالَهْ

وتأمَّلْ لعسجد سال نهرا ... كرعت فيه أو تقضى عزاله(١)

لأبى جعفر ابن سعيد أيضا

ومن نظم أبى جعفر قولُه :

لو لم يكن شَدْوُ الحمائم فاضلا ... شَدْوَ القيان لما استخف الأغْصُنَا

طَرَبٌ ثَنَى حتى الجماد ترنحا ... وأفاض من دمع السحائب أعينا

وقوله :

فى الروض منك مشابه من أجلها ... يهفو له طرفى وقلبى المغـرم

الغصن قدّ ، والأزاهر حلية ، ... والورد خدّ ، والأقاحى مبسم

وقوله :

ألا حبذا نهـر إذا ما لحظته ... أبى أن يردَّ اللحظ عن حسنه الأنس

ترى القمرين الدهر قد عُنِيَا به ... يُفَضِّضه بدر وتُذْهِبه شمس

وقوله ، وقد مر بقصر من قصور أمير المؤمنين عبد المؤمن وقد رحل عنه :

قَصْرَ الخليفة لا أخليت من كرم ... و إن خلوت من الأعداد والعدد

جُزْنَا عليك فلم تنقص مهابته ... والغِيل يخلو و تَبْـقَى هيبة الأسد(٢)

وقوله من أبيات :

سَرِّحْ لحاظك حيث شئت فإنه ... فى كل موقع لحظة متأمَّلُ

وقوله أيضا :

ولقد قلت للـذى قال حُلُّوا ... ههنا : سِرْ فإننـــا ماسئمنا

لا تعيِّنْ لنـا مكانا ولـكن ... حيثما مالت اللواحظ ملنا

---

(١) فى ا « كرعت فيه أو تقضى غزاله »

(٢) فى ب « جزنا عليه » وما أثبتناه موافقا لما فى ا أنسب بما فى البيت الأول من الخطاب

وقال :

ألا هاتها إن المسرة قربها ... وما الحزن إلا فى توالى جفائها
مُدَام بكى الإبريق عند فراقها ... فأضْحَكَ ثغر الكاس عند لقائها

وقال :

عَرّجْ على الحُوزِ وخَــيِّم به ... حيث الأمانى ضافيات الجناح
واسبق له قبل ارتحال الندى ... ولا تزره دون شادٍ وراح
وكن مُقِيماً منه حيث الصـبا ... تمتار مسكا من أريج البطاح
والقُضْب مال البعض منها على ... بعض كما يثنى القدودَ ارتياح
وشَقَّ جيبَ الصبر قصفٌ إذا ... شقت جيوبَ الطلِّ منها الرياح
لم أُحْصِ كم غاديته ثابتا ... واسترقَصَتْنِى الراح عند الرواح

وقوله :

ألا حبذا روض بَكَرْنا له ضُحًى ... وفى جَنَبَات الروض للطل أدمع
وقد جعلت بين الغصون نسيمة ... تمزق ثوبَ الطلِّ منها وترقع
ونحن إذا ماظلت القُضْب ركعا ... نظل لها من هزة السكر نركع

بين ابن الصابونى وأحد الأدباء

وكان ابن الصابونى فى مجلس أحد الفضلاء بإشبيلية ، فقدّم فيما قدّم خيار ، فجعل أحد الأدباء يقشرها بسكين ، فخطف ابنُ الصابونى السكين من يده ، فألح عليه فى استرجاعها ، فقال له ابن الصابونى : كفَّ عنى وإلا جرحتك بها ، فقال له صاحب المنزل : اكفف عنه لئلا يجرحك ويكون جرحك جُبَارا(١)، تعريضا بقول النبى صلى الله عليه وسلم « جُرْحُ العجماء جُبَار » فاغتاظ ابن الصابونى ، وخرج من الاعتدال ، وأخطأ بلسانه ، وما كف إلا بعد الرغبة والتضرع

ومن نظم ابن الصابونى :

---

(١) جبار – بضم الجيم ، بزنة الغراب – هدر لاشىء فيه ، والعجماء : البهيمة .

من شعر ابن الصابوني وبعض أخباره

بعثت بمـرآة إليك بديعة فأطْلِع بسامى أفقِهَا قمرَ السعد
لتنظر فيها حُسْنَ وجهك منصفا وتعذرنى فيما أُكِنُّ من الوجد
فأرسل بذاك الخدّ لحظك برهةً لتجنىَ منه ماجناه من الورد
مثالك فيها منك أقرب مَلْمَسًا وأكثر إحسانا وأبقى على العهد

وقوله فى لابس أحمر :

أقْبَلَ فى حـلة مُورَّدة كالبدر فى حُلَّة من الشَّفَق
تحسبه كلما أراق دمى يمسح فى ثوبه ظُبَا الحدق

ورحل إلى القاهرة والإسكندرية فلم يُلتفت إليه ، ولا عُوّل عليه ، وكان شديد الانحراف ، فانقلب على عقبه يَعَض يديه ، على ماجرى عليه ، فمات عند إيابه إلى الإسكندرية كمدا ، ولم يعرف له بالديار المصرية مقدار

وحضر يوما بين يدى المعتضد الباجى ملك إشبيلية وقد نثرت أمامه جملة من دنانير سُكَّتْ باسمه(١) فأنشد :

قد فخر الدينار والدرهم لما علا ذين لـكم مِيسَمُ(٢)
كلاهما يُفْصِح عن مجدكم وكل جزء منه فردفم

ومر فيها إلى أن قال فى وصف الدنانير :

كأنها الأنجم والبعد قد حقق عندى أنها الأرْجُمُ

فأشار السلطان إلى وزيره ، فأعطاه منها جملة ، وقال له : بدِّلْ هذا البيت لئلا يبقى ذما

وكان يلقب بالحمار ، ولذا قال فيه ابن عتبة الطبيب :

ياعَيْرَ حِمْصَ عيرتْكَ الحمير بأكلك البر مكان الشعير

وهو أبو بكر محمد بن الفقيه أبى العباس أحمد بن الصابونى شاعر إشبيلية الشهير

---

(١) فى ا « دنانير سكته باسمه »

(٢) ذين : إشارة للدرهم والدينار ، والميسم ـ بكسر الميم ـ العلامة ، ووقع فى ا « لما علا زين لـكم »

الذكر ، والذى أظهره مأمون بنى عبد المؤمن ، وله فيه قصائد عدة ، منها قوله فى مطلع :

اسْتَوْلِ سَبَّاقاً على غاياتهـا نُجْحُ الأمور يبين فى بدآتها

وله الموشحات المشهورة ، رحمه الله تعالى!

بين ابن أبى الخصال والقاضى ابن مالك

ومن حكايات الصبيان أن ابن أبى الخصال ، وهو من شَقُورة ، اجتاز بأبدة وهو صبى صغير يطلب الأدب ، فأضافه بها القاضى ابن مالك ، ثم خرج معه إلى حديقة معروشة ، فقطف لهما منها عنقودا أسود ، فقال القاضى :

* انظر إليـه فى العصا *

فقال ابن أبى الخصال :

* كرأس زنجى عَصَى *

فعلم أنه سيكون له شأن فى البيان

بين أبى بكر بن المنخل وابنه

وحدث أبو عبد الله ابن زرقون أن أبا بكر بن المنخل وأبا بكر الملاح الشِّلْبيين كانا متواخيين متصافيين ، وكان لهما ابنان صغيران قد برعا فى الطلب ، وحازا قصب السبق فى حَلْبة الأدب ، فتهاجى الابنان بأقذع الهجاء ، فركب ابن المنخل فى سَحَر من الأسحار مع ابنه عبد الله ، فجعل يعتبه على هجاء بنى الملاح و يقول له : قد قطعت ما بينى و بين صديقى وصفيى أبى بكر فى إقذاعك فى ابنه[1] ، فقال له ابنه : إنه بدأنى والبادى أظلم ، و إنما يجب أن يُلْحَى من بالشر تقدم ، فعَذَره أبوه ، فبينما هما على ذلك إذ أقبلا على واد تَنِقُّ فيه الضفادع[2] ، فقال أبو جعفر لابنه : أجز :

* تنق ضـفادع الوادى *[3]

فقال ابنه :

* بصوت غـــير معتاد *

(١) فى ب « فى إقذاعك بابنه » والإقذاع : الهجو الممض المؤلم

(٢) فى ا « تنق فيه ضفادع »

(٣) النقيق : صوت الضفدع ، تنق : تصوت

فقال الشيخ :

* كأنَّ نقيق مقولها *

فقال ابنه :

* بنو الملاح فى النادى *

فلما أحست الضفادع بهما صمتت ، فقال أبو بكر :

* وتصمت مثل صمتهم *

فقال ابنه :

* إذا اجتمعوا على زاد *

فقال الشيخ :

* فلا غَوْثٌ لملهوف *

فقال الابن :

* ولا غَيْثٌ لمُرْتاد *

ولا خفاء أن هذه الإجازة لو كانت من الكبار لحصلت منها الغرابة ، فكيف ممن هو فى سن الصبا ؟

لابن المرغوى وقد أهدى للمعتمد كلبة صيد

ومن حكايات النصارى واليهود من أهل الأندلس ـ أعادها الله تعالى إلى الإسلام عن قريب ، إنه سميع مجيب ؟ ـ ما حكى أن ابن المرغوى[1] النصرانى الإشبيلى أهدى كلبة صيد للمعتمد بن عَبّاد وفيها يقول :

لم أر مَلْهًى لذى اقتناص ... وعكسبا مقنع الحريص
كمثل خَطّار ذات جيد ... أتْلَعَ فى صفرة القميص[2]
كالقوْس فى شكلهاولكن ... تنفذ كالسهم للقَنِيصِ

---

(١) كذا فى ب ، وفى أصل ا « المرغرى » وفى نسخة عندها « المزعرى » فى أخرى عندها أيضا « المغرى »

(٢) في ا « أتلع مصفرة القميص » وفى نسخة عندها « أقلع عن صفرة »

إن تَخذَتَ أنفها دليلا دل على الكامن العويص

لو أنها تستثير بَرْقًا لم يجد البرق من مَحِيصِ

ومنها فى المديح :

يشفع تنويله بود شَفْعَ القياسات بالنصوص

وقال :

الله أكبر أنت بدر طالع والنَّقْع دَجْن والكُماةَ نُجوم

والجود أفلاك وأنت مُديرها وعدوك الغاوى وهُنَّ رُجوم

وقال :

نزلت فى آل مكحول وضيفهمُ كنازل بين سمع الأرض والبصر

لاتستضىء بضوء فى بيوتهم مالم يكن لك تَطْفِيلٌ على القمر

وسببهما أنه نزل عندهم فلم يوقدوا له سراجا .

لنسيم الإسرائيلى

وقال نسيم الإسرائيلى :

يا ليتنى كنت طيرا أطير حتى أراكا

بمن تبدلت غيرًا ولم نَحُلْ عن هواكا[1]

وهو شاعر وَشَّاح من أهل إشبيلية ، وذكره الحِجَارى فى المسهب .

لإبراهيم ابن سهل الإسرائيلى

وقال إبراهيم بن سهل الأسرائيل فى أصفر ارتجالا :

كانَ مُحَيّاك له بهجة حتى إذا جاءك ماحى الجمال

أصبحت كالشمعة لما خبَا منها الضياء أسودَّ فيها الذُّبال[2]

وهو شاعر إشبيلية ووشّاحها ، وقرأ على أبى على الشلوبين وابن الدباج وغيرهما ،

---

(١) ورد هذا البيت فى ا هكذا :

بمن تبدلت غيرى أولم تحل عن هواكا

(٢) وقع فى ب «أصبحت كالشمعة لما جنى» وأظنه محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ا

ترجمة لإبراهيم ابن سهل الإسرائيلي

وقال العزفى حقه ، وكان أظهر الإسلام ما صورته : كان يتظاهر بالإسلام ، ولا يخلو مع ذلك من قدح واتِّهام ، انتهى .

وسئل بعض المغاربة عن السبب فى رقة نظم ابن سهل ، فقال : لأنه اجتمع فيه ذلان : ذل العشق ، وذل اليهودية .

ولما غرق قال فيه بعض الأكابر : عاد الدر إلى وطنه .

ومن نظم ابن سَهْل المذكور قوله :

وألْمى بقلبى منه جمر مؤجَّجٌ ... تراه على خديه يندى و يبرد
يسائلنى من أى دين مداعبا ... وشَمْل اعتقادى فى هواه مُبَدَّدُ
فؤادى حنيفى ، ولكنّ مقلتى ... مجوسية من خدِّه النارَ تعبدُ

ومنه قوله :

هذا أبو بكر يقود بوجهه ... جيش الفتور مطرز الرايات[1]
أهدى ربيع عذاره لقلوبنا ... حر المصيف فشَبّها لَفَحَاتِ
خد جرى ماء النعيم بجمره ... فاسودَّ مجرى الماء فى الجمرات

وذكر الحافظ أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفِهْرِى فى رحلته الكبيرة القدر والجرم المسماة « بمَلْء العَيْبة ، فيما جمع بطول الغيبة ، فى الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطَيْبة » خلافا فى إسلام ابن سهل باطنا ، وكتب على هامش هذا الكلام الخطيبُ العلامة سيدى أبو عبد الله بن مرزوق ما نصه : صحح لنا مَنْ أدركناه من أشياخنا أنه مات على دين الإسلام ، انتهى .

ورأيت فى بعض كتب الأدب بالمغرب أنه اجتمع جماعة مع ابن سهل فى مجلس أنس ، فسألوه لما أخذت منه الراح عن إسلامه : هل هو فى الظاهر

---

(١) كتب بهامش ب « قوله جيش الفتور ، هكذا فى الأصل ، ولعله « بجفنه جيش الفتور» أو « بوجهه جيش الفتون» تأمل » اه

والباطن أم لا ؟ فأجابهم بقوله : للناس ما ظهر ، ولله ما استتر ، انتهى .

واستدل بعضهم على صحة إسلامه بقوله :

تسلّيت عن موسى بحب محمد هُدِيتُ ولولا الله ما كنت أهتدى

وما عن قِلًى قد كان ذاك ، و إنما شريعة موسى عُطِّلت بمحمد

وله ديوان كبير مشهور بالمغرب ، حاز به قَصَب السَّبْق فى النظم والتوشيح .

وما أحسن قوله من قصيدة :

تأمل لَظَى شوقى وموسى يَشُبُّها (تجد خيرنار عندها خيرُ موقِدِ)

وأنشد بعضهم له قوله :

لقد كنت أرجوأن تكون مُوَاصلى فأسقيتنى بالبعد فاتحة الرعد

فبالله بَرِّدْ ما بقلبى من الجوى بفاتحةالأعراف من ريقك الشهد

وقال الراعى رحمه الله تعالى : سمعت شيخنا أبا الحسن على بن سمعة الأندلسى[1] رحمه الله تعالى يقول : شيئان لايصحان : إسلام إبراهيم بن سهل ، وتوبة الزمخشرى من الاعتزال ، ثم قال الراعى : قلت : وهما من[2] مروياتى ، أما إسلام إبراهيم بن سهل فيغلب على ظنى صحته لعلمي بروايته ، وأما الثانى ـ وهو توبة الزمخشرى ـ فقدذكر بعضهم أنه رأى رسما بالبلاد المشرقية محكوما فيه[3] يتضمن توبة الزمخشرى من الاعتزال فقوى جانب الرواية ، انتهى باختصار .

وقال الراعى أيضا ما نصه : وقد نكت الأديب البارع إبراهيم بن سهل الإسرائيلى الأندلسى على الشيخ أبى القاسم فى تغزله حيث قال :

أموسى أيا بعضى وكلِّى حقيقة وليس مجازا قولىَ الكل والبعضا

خفضتَ مكانى إذ جزمت وسائلى فكيف جمعت الجزم عندىَ والخفضا

---

(١) كذا فى ب ، وفى ا ترك بياضا بين كلمة «بن» وكلمة «سمعت» التى كتبها بتاء مفتوحة .

(٢) فى ا « فى مروياتى » (٣) فى ا « محكوم فيه »

وفى هذا دليل على أن يهود الأندلس كانوا يشتغلون بعلم العربية ، فإن إبراهيم قال هذين البيتين قبل إسلامه ، والله تعالى أعلم .

وقد روينا أنه مات مسلما غريقا فى البحر ، فإن كان حقا فالله تعالى رزقه الإسلام فى آخر عمره والشهادة ، انتهى .

من توجيهات ابن سهل باصطلاحات النحاة

ومن نظم ابن سهل فى التوجيه باصطلاح النحاة قوله :

رقت عوامله وأحسب رتبتى بنيت على خفض فلَنْ تتغيرا(١)

ومنه :

تنأى وتدنو والتفاتك واحد كالفعل يعمل ظاهرا ومُقَدَّرَا

وقوله :

إذا كان نَصْرُ الله وقفاً عليكم فإن العدا التنوين يحذفه الوقف

وقوله(٢) :

وقرأنا باب المضاف عناقا وحذفنا الرقيب كالتنوين

وقوله :

نبات بناء الحرف خامر طبعه فصرت لتأثير العوامل جازما(٣)

وقوله :

لك الثناء فإن يذكر سواك به يوما فكالرابع المعهود فى البدل(٤)

يعنى الغلط ، وقوله :

إذا اليأس ناجى النفس منك بلن ولا أجابت ظنونى ربما وعساى(٥)

---

(١) فى ا « فلم تتغيرا »

(٢) روى فى ا قبل هذا البيت بيتا آخر ، وهو قوله :

ليتنى نلت منه وصلا وأجلى ذلك الوجد عن هيام المنون

وليس هو من التوجيه فى شىء . (٣) فى ا « بنات بناء الحرف »

(٤) يريد بدل الغلط ، يعنى أن اسم غيره يذكر فى الثناء غلطا .

(٥) فى ا « إذا اليأس ناجى النفس منك لمن ولا » .

وقوله :

وقلت عساه إن أقمتُ يرقُّ لى | وقد نَسَخَتْ لا عنده ما اقتضت عسى [(١)]

وقوله :

ينفى لىِ الحال ولكنه | يُدْخِلُ لا فى كل مستقبل [(٢)]

وقوله :

خفضت مقامى إذ جزمت وسائلى | فكيف جمعت الجزم عندىَ والخفضا

وقوله فى غلام شاعر :

كيف خلاص القلب من شاعر | رقت معانيه عن النقد
يصغر نثر الدر عن نثره | ونظمه جَلَّ عن العقد
وشعره الطائل فى حسنه | طال على النابغة الجَعْدِى

وحدث أبو حَيَّان عن قاضى القضاة أبى بكر محمد بن أبى النصر [(٣)] الفتح بن على الأنصارى الإشبيلى بغَرْناطة أن إبراهيم بن سَهْل الشاعر الإشبيلى كان يهوديا ثم أسلم ، ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدة طويلة بارعة ، قال أبو حيان : وقفت عليها ، وهى من أبدع ما نظم فى معناها ، وكان سنُّ ابن سهل حين غرق نحو الأربعين سنة ، وذلك سنة تسع وأربعين وستمائة ، وقيل : إنه جاوز الأربعين وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم ، وما أحسن قوله :

مضى الوصل إلّا منية تبعث الأسى | أدارى بها همِّى إذا الليل عَسْعَسَا
أتانى حديث الوصل زورًا على النوى | أعِدْ ذلك الزور اللذيذ المؤنسا
ويا أيها الشوق الذى جاء زائرا | أصَبْتَ الأمانى خذ قلوبا وأنفسا
كسانىَ مُوسَى من سقام جفونه | رداء وسَقَّانى من الحب أكؤسا

(١) فى ا « وقد نسخت لا عنده ما ادعت عسى » يريد « لا » النافية ، و « عسى » الدالة على الرجاء .

(٢) فى ا « ينفى إلى الخال » محرفا (٣) فى ا « بن أبى نصر »

ومن أشهر موشّحاته قوله :

ليـل الهوى يقظان والحب تِرْبُ السَّهَر

والصـبر لى خوّان والنوم عن عينى بَرِى

وقد عارضه غيرُ واحد فما شَقُّوا له غبارا .

إبراهيم بن الفخـار اليهودى

وأما إبراهيم بن الفخار اليهودى فـكان قد تمكن عند الأذفونش ملك طُلَيْطلة النصرانى ، وصيره سفيرا بينه و بين ملوك المغرب ، وكان عارفا بالمنطق والشعر ، قال ابن سعيد : أنشدنى لنفسه يخاطب أديبا مسلما كان يعرفه قبل أن تعلو رتبته و يسفر بين الملوك ، ولم يزده على ما كان يعامله به من الإذلال ، فضاق ذَرْعُ ابن الفخار وكتب إليه :

أيا جاعلا أمرين شِبْهَيْنِ ماله من العقل إحساس به يتفقد

جعلت الغنى والفقر والذل والعلا سواءً فما تنفكّ تشقى وتجهد

وهل يستوى فى الأرض نَجْد وتَلْعة فتطلب تسهيلا وسيرك مُصْعِدُ

وما كنت ذا مَيْز لمن كنت طالبا بما كنت فى حال الفراغ تعوّد

وقد حال ما بينى و بينك شاغل فلا تطلبنِّى بالذى كنت تعهد

فإن كنت تأبى غير إقدام جاهل فإنك لاتنفك تُلْحَى وتُطْرد

ألا فأتِ فى أبوابه كل مسلك ولا تك فخلا حيثما قمت تقعد (١)

قال ابن سعيد : وأنشدنى لنفسه :

ولـما دجا ليـل العذار بخده تيقنت أن الليـل أخْفَى وأسترُ

وأصبح عُذّالى يقولون صاحب فأخلو به جَهْرا ولا أتسـتَّر

وقال يمدح الأذفونش لعنهما الله تعالى :

حضرة الأذفنش لابرحت غادة أيامهـا عرس

فاخلع النعلين تكرمـة فى ثرَاها إنهـا قُدُسُ

---

(١) فى ا « ولاتك محلا حيثما قمت تقعد »

قال : وأدخلونى إلى بستان الخليفة المستنصر ، فوجدته فى غاية الحسن كأنه الجنة ، ورأيت على بابه بوّابا فى غاية القبح ، فلما سألنى الوزير عن حال فرجتى قلت : رأيت الجنة إلا أنى سمعت أن الجنة يكون على بابها رضوان ، وهذه على بابها مالك ، فضحك وأخبر الخليفة بما جرى ، فقال له : قل له إنا قصدنا ذلك ، فلو كان رضوان عليها بوّابا لخشينا أن يرده عنها ، ويقول له : ليس هذا موضعك، ولما كان هناك مالك أدخله فيها ، وهو لايدرى ما وراءه ، ويخيل أنها جهنم ، قال : فلما أعلمنى الوزير بذلك قلت له : الله أعلم حيث يجعل رسالاته .

بين إلياس ابن المدور اليهودى وطبيب آخر

وكان فى زمان الياس بن المدور اليهودى الطبيب الرُّنْدِى طبيب آخر كان يجرى بينهما من المُحَاسدة ما يجرى بين مشتركين فى صنعة ، فأصلح الناسُ بينهما مرارا ، وظهر لإلياس من ذلك الرجل الطبيب ما ينفر الناس منه فكتب إليه :

لاتخدعَنَّ فما تكون مودة ... ما بين مشتركين أمرا واحدا

أنظر إلى القمرين حين تشاركا ... بسَنَاهما كان التلاقى واحدا

يعنى أنهما معاً لما اشتركا فى الضياء وجب التحاسد بينهما والتفرقة : هذا يطلع ليلا وهذه تطلع نهارا ، واعتراضهما يوجب الكسوف .

وكتب أيوب بن سليمان المروانى إلى بسام بن شمعون اليهودى الوَشْقى فى يوم مَطِير : لما كنت ـ وَصَل الله تعالى إخاءك وحفظك ! ـ مطمَحَ نفسى ، ومنتزع اختيارى (١) من أبناء جنسى ، على جوانبك أميل (٢) ، وأرتع فى رياض خلقك الجميل ، هزتنى خواطرُ الطربِ والارتياح ، فى هذا اليوم المطير ، الداعى بكاؤه إلى ابتسام الأقداح ، واستنطاق البمِّ والزير (٣) ، فلم أر مُعِيناً على ذلك ، ومبلغا [إلى] ما هنالك ، إلا حسن نظرك ، وتجشُّمك من المكارم ما جرت به عادتك ، وهذا يوم حرمَ

(١) فى ا « ومنزع اختيارى » (٢) أخذ هذه الفقرة من قول الشاعر :

نميل على جوانبه كأنا ... إذا ملنا نميل على أبينا

(٣) البم والزير : من أسماء أوتار العود

الطرف فيه الحركة ، وجعل فى تركها الخير والبركة ، فهل توصل مكرمتك أخاك إلى التخلى معك فى زاوية ، متكئا على دَنٍّ مستندا إلى خابية ، ونحن خِلاَل ذلك نتجاذب أهدابَ الحديث[١] التى لم يبق من اللذات إلا هى ، ونُجِيل الألحاظ فيما تعوّدت عندك من المحاسن والأسماع فى أصناف الملاهى ، وأنت على ذلك قدير ، وكرمُكَ بتكلُّفه جَدير ، ولا يعين المرء يوما على راحته إلا كريم الطباع ، وها أنا والسمع منى إلى الباب وذو الشوق حليف استماع :

فإن أتى داعٍ بنَيْلِ المُنَى وَدَّعَ أشجانى ونعم الوداع

وهذا المروانى من ذرية عبد العزيز أخى عبد الملك بن مروان ، وهو من أهل المائة السادسة .

قسمونة بنت إسماعيل الشاعرة

وكانت بالأندلس شاعرة من اليهود يقال لها قسمونة بنت إسماعيل اليهودى ، وكان أبوها شاعرا ، واعتنى بتأديبها ، وربما صنع من الموشحة قسما فأتمتها هى بقسم آخر ، وقال لها أبوها يوما : أجيزى :

لى صاحب ذو بهجة قد قابلت مَنْعًا بظهر واستحلت جرمها[٢]

ففكرت غير كثير وقالت :

كالشمس منها البدر يَقْبِسُ نوره أبدا ويكسف بعد ذلك جرمها

فقام كالمُخْتَبَل ، وضمها إليه ، وجعل يقبل رأسها ، ويقول : أنت والعشر كلمات أشعر منى .

ونظرت فى المرآة فرأت جمالها وقد بلغت أوان التزوج[٣] ولم تتزوج فقالت :

أرى رَوْضَةً قد حان منها قِطَافُهَا ولستُ أرى جانٍ يمدّ لها يدا

فوا أسفا يمضى الشباب مضيعا ويبقى الذى ما إن أسميه مفردا[٤]

---

(١) فى ا « الذي لم يبق من اللذات إلا هو »

(٢) فى ب « قد قابلت * منهابظهرواستحلت جرمها » وفى نسخة « قد قاتلت »

(٣) فى ا « أوان التزويج » (٤) فى ا « فوا أسفى يمضى الشباب ـ الخ »

فسمعها أبوها ، فنظر فى تزويجها .

وقالت فى ظبية عندها :

يا ظبيـة ترعى بروض دائمـا إنى حكيتك فى التوحُّشِ والحَوَرْ
أمسى كِلانا مفردا عن صاحب فلنصطبر أبدا على حكم القدر

لأبي عبد الله محمد بن رشيق القلعي

واستدعى أبو عبد الله محمد بن رشيق القَلْعِي ثم الغرْنَاطى بعضَ أصحابه إلى أنس ، بقوله :

سيدى عندىَ أترجٌّ ونارَنْجٌ وراحُ
وجَنَى آسٍ وزهر وحمانا لايُبَـاحُ
ليس إلا مُطْربٌ يُسْـلى النَّدامى ، والملاحُ
ومكان لانْهِتاكٍ قد نأى عنه الفلاحُ
لايرى يطلع فيـه دون أكواسٍ صباحُ
فيـه فتيان لهم فى لذة العيش جِمَـاحُ
طرحوا الدنيا يسارا فاستراحت واستراحوا
لاكقوم أوجعتْهُمْ لهـمُ فيها نُباحُ(1)

وله :

قال العذول إلى كم تدعو لمن لايجيب
فقلت ليس عجيبـا أن لايجيب حبيب
هوّن عليك فإنى من حُبِّـه لا أتوب

حديث عن ابن رشيق القلعى

قال أبو عمران بن سعيد : دخلت عليه وهو مسجون بدار الأشراف بإشبيلية ، وقد بقى عليه من مال السلطان اثنا عشر ألف دينار قد أفسدها فى لذات نفسه ،

---

(1) فى ا « لا لقوم أوجعتهم »

فلما لحنى أقبل يضحك ويشتغل بالنادر والحكايات الظريفة ، فقلت له : قالوا : إنك أفسدت للسلطان اثنى عشر ألف دينار ، وما أحسبك إلا زدتَ على هذا العدد لما أراك فيه من المسرة والاستبشار ، فزاد ضحكا ، وقال : يا أبا عمران ، أترا إذا لزمت الهم والفكر يرجع علىَّ ذلك العدد الذى أفسدت ، ثم فكر ساعة وأنشدنى :

ليس عندى من الهموم حديث | كلما ساءنى الزمان سُرِرْتُ
أترانى أكون للدهر عَوْناً | فإذا مسنى بضر ضجرت
غَمْرة ثم تنجلى فكأنى | عند إقلاع همها ما ضررت

لأبى عيسى لب بن عبد الوارث القلعى

وقال النحوى اللغوى أبو عيسى لب بن عبد الوارث القِلْعى :

بَدَا ألِفُ التعريف فى طِرْسِ حده | فيا هل تراه بعد ذاك ينكر
وقد كان كافورا فهل أنا تارك | له عند ما حياه مسك وعنبر
وما خير روضٍ لا يَرِفُّ نباته | وهل أفتَنُ الأثواب إلا المشهر

وقال :

أبى لى أن أقول الشعر أنى | أحاول أن يفوق السحرَ شِعْرِى
وأن يصغى إليه كل سمع | ويعلَقُ ذكره فى كل صَدْرِ(١)

قال الحِجَارى : أخبرنى أنه أحبَّ أحَدَ أولاد الأعيان ممن كان يقرأ عليه ، فلما خلا به شكا إليه ما يجده ، فقال له : الصبيان يفطنون بنا ، فإذا أردت أن تقول شيئاً فاكتبه لى فى ورقة ، فلما سمعت ذلك منه تمكن الطمع منى فيه ، وكتبت له :

يا مَنْ له حُسْنٌ يفوق به الورى | صِلْ هائماً قد ظَلَّ فيك مُحَيَّرَا
وامنن علىَّ بقبلة أو غيرها | إن كنت تطمع فى الهوى أن تؤجرا(٢)

---

(١) فى ب « ويعلو ذكره فى كل ذكر »

(٢) فى ا « وامنن عليه بقبلة »

وكتبتُ بعدها[١] من الكلام ما رأيته ، فلما حصلت الورقة عنده كتب إليَّ في غيرها : أنا من بيتٍ عادةُ أهله أن يكونوا اسم فاعل لا اسم مفعول ، وإنما أردتُ أن يحصل عندي خطك شاهداً على ما قابلتني به لئلا أُشكوك إلى أبي فيقول لي : حاش لله أن يقع الفقيه في هذا ، وإنما أنت خبيث ، رأيته يطالبك بالتزام الحفظ فاختلقت عليه لأخرجك من عنده ، فأبقى معذَّباً معك ومعه ، وإن أنا أوقفته على خطك صدَّقني واسترحت ، ولكن لا أفعل هذا إن كَفَفْتَ عني[٢] ، وإن انتهيت فلا أخبر به أحدا ، قال ابن عبد الوارث : فلما وقفت على خطه علمت قدر ما وقعت فيه ، وجعلت أرغب إليه في أن يرد الرقعة إليَّ ، فأبى وقال : هي عندي رَهْن على وفائك بأن لا ترجع تتكلم في ذلك الشأن ، قال : فكان والله يبطل القراءة فلا أجسر[٣] أكلمه ، لأني رأيت صيانتي وناموسي قد حصل في يده ، وتُبْتُ من ذلك الحين عن هذا وأمثاله .

لجابر بن خلف الفحصي

وقال جابر بن خلف الفَحْصي ـ وكان في خدمة عبد الملك بن سعيد ، وقرأ مع أبي جعفر بن سعيد وتهذب معه ـ يخاطبه حين عاثت الذئاب في غَنَمه :

أيا قائداً قد سما في العـلا … وساد علينا بذات وجَدّْ
غدا الذئب في غنمي عائثا … وقد جئتُ مستعدياً بالأسد

وكثر عليه الدين ، فكتب إليه أيضاً :

أفي أيامك الغُـرِّ … أموتُ كذا من الضُّرِّ؟
وأخبط في دُجى همي … ووجهك طلعة الفجر

فضحك وأدَّى دينه .

ولما خلع أهلُ المَرِية طاعةَ عبد المؤمن ، وقتلوا نائبه ابن مخلوف ، قدّموا عليهم

(١) في ب « وكتب بعدها »
(٢) في ا « إلا إذا لم تنته عني »
(٣) في ا « ولا أجسر »

لأبى يحيى ابن الرميمى

أبا يحيى بن الرميمى ، ثم كان عليه من النصارى ما علم ، ففر إلى مدينة فاس ، و بقى بها ضائعاً خاملا ، يسكن فى غرفة ، و يعيش من النسخ ، فقال :

أمسيت بعد الملك فى غرفة ضَيِّقة الساحَةِ والمدخل (١)

تستوحش الأرزاق من وجهها فما تزال الدَّهْرَ فى معزل

النسخ بالقوت لديها ولا تقرعها كفٌّ أخٍ مُفْضِلِ

وأنشدها لبعض الأدباء ، فبينما هو ليلة ينسخ بضوء السراج و إذا بالباب يقرع ، ففتحه ، فإذا شخص متنكر لا يعرفه ، وقد مد يده إليه بصُرَّة فيها جملة دنانير ، وقال : خذها من كف أخ لا يعرفك ولا تعرفه ، وأنت المفضل بقبولها ، فأخذها ، وحَسُن بها حاله

وقال له بعضٌ : هذا شعرك أيام خلعك ، فهل قلت أيام أمرك ؟ قال : نعم ، لما قَتَل أهل المُرِية ابنَ مخلوف عامل عبدالمؤمن وأكرهونى أن أتولى أمرَهم قلت :

أرى فتناً تكشَّفَ عن لظاها رماد بالنفاق له انصداع

وآل بها النظامُ إلى انتثارٍ وساد بها الأسافل والرعاع

سأحمل كل ما جُشِّمْتُ منها بصدر فيـه للهَوْل اتساع

وأصل بنى الرميمى من بنى أمية ملوك الأندلس ، ونسبوا إلى رميمةَ قريةٍ من أعمال قرطبة .

لأبى بحر يوسف بن عبد الصمد

وقال أبو بحر يوسف بن عبد الصمد :

فوصلت أقطاراً لغير أحبة ومدحت أقواما بغير صِلَاتِ

أموال أشعارى نمَتْ فتكاثرت فجعلت مدحى للبخيـل زكاتى

وهذا من غريب المعانى .

---

(١) فى ب « ضيقة الساحل والمدخل »

وفى بنى عبد الصمد يقول بعض أهل عصرهم ، لما رأى من كثرة عددهم ، والتئامهم(١) بالسلطان :

ملأت قلبى هُموماً مثل ما ملأ الدنيا بنو عبد الصمد
كاثَرَ الشيخ أبوهم آدما فغدا أكثر نسلا وولد
كلُّهم ذئب إذا آمنته والرعايا بينهم مثل النَّقَدْ(٢)

أبو جعفر أحمد بن عباس، الوزير

وكان الوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن عباس وزير زهير الصقلى(٣) ملك المرية بذَّ الناسَ فى وقته بأربعة أشياء : المال ، والبخل ، والعجب ، والكتابة ؛ قال أبو حيان : وكان قبل مِحْنَتِه صير هِجِّيراه(٤) أوقات لعب الشطرنج أو ما يسنح له هذا البيت :

عيون الحوادث عنى نيام وهضمى على الدهر شىء حرام

وذاع هذا البيتُ فى الناس حتى قلب له مصراعه الأخير بعضُ الأدباء فقال :

سَيُوقِظُهَا قَدَرٌ لا ينام

وكان حسنَ الكتابة ، جميل الخط ، مليح الخطاب ، غزير الأدب ، قوى المعرفة ، مشاركا فى الفقه ، حاضر الجواب ، جَمَّاعاً للدفاتر ، حتى بلغت أربعمائة ألف مجلد ، وأما الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عددها لكثرتها ، وبلغ ماله خمسمائة ألف مثقال جعفرية سوى غير ذلك ، وكان مقتله بيد باديس بن حَبُّوس(٥) ملك غرْناطة ، وكفى دليلا على إعجابه قولُه :

لىَ نفس لا ترتضى الدهر عمراً وجميع الأنام طرًّا عبيدَا
لو ترقّتْ فوق السماك محلا لم تزل تبتغى هناك صُعُودا

---

(١) فى ا « والتباسهم بالسلطان »

(٢) فى ا « كلهم ذئب أزل منتن » والنقد ــ بفتح النون والقاف ــ الغنم

(٣) فى ا « الصقلبى »

(٤) جعل فلان هجيراه كذا : مثل جعله دأبه وعادته وديدنه وطبعه

(٥) فى أصل ب « باديس بن حبون » وفى نسخة عندها « بن حيون »

أنا مَنْ تعلمون شيدتُ مجدى فى مكانى ما بين قومى وليدا

وكان يُتَّهم بداء أبى جهل[١] فيما ينقل ، حتى كتب بعضُ الأدباء على برجه بالْمَرِية :

خلوت بالبرج فما الذى تصنع فيه يا سخيف الزمان

فلما نظر إليه أمر أن يكتب :

أصنع فيه كلَّ ما أشتهى وحاسدى خارجَهُ فى هَوَان

لأبى بكر التطيلى الأعمى

وكان الأعمى التطيلى شاعراً مشهوراً ، وكان الصبيان يقولون له « تحتاج كحلا يا أستاذ » فكان ذلك سبب انتقاله من مُرْسِية ، وقيل له : يا أبا بكر ، كم تقع فى الناس ؟ فقال : أنا أعمى ، وهم لا يبرحون حُفَراً فما عذرى فى وقوعى[٢] فيهم ؟ فقال له السائل : والله لا كنت قط حفرة لك ، وجعل يواليه بره ورِفْدَه ، ومن شعره :

وجوهٌ تعزُّ على معشر ولكن تهون على الشاعر

قرونُهُمُ مثل ليل المحب وليل المحب بلا آخر[٣]

وله :

زنجيكم بالفسوق دارى يدلى من الحرص كالحمار

يخلو بنَجْل الوزير سرًّا فيولج الليل فى النهار

لأبى جعفر أحمد بن الخيال الاستى

ومن شعر أبى جعفر أحمد بن الخيال الاستى كاتب ابن الأحمر فيمن اسمه « فضل الله » :

من الناس من يُؤْتَى بنقد ، ومنهم بكره ، ومنهم من ينالك إذا انتشى

ومنهم فتى يؤتى على كل حالة وذلك فضل الله يؤتيه مَنْ يشا

ولعبد الملك بن سعيد الخازن :

---

(١) داء أبى جهل : الأبنة .

(٢) كذا ، ولعله « فما عذرى فى وقوعى فيهم »

(٣) يريد أن قرونهم طويلة ، وهذه هى كنية الديوث .

لعبد الملك بن سعيد الخازن

ما حمدناك إذ وقفنا ببابك للذى كان من طويل حجابك
قد ذممنا الزمان فيك فقلنا أبعد الله كل دهر أتى بك

وقال فى « المسهب » : كنت بمجلس القاضى ابن حمدين ، وقد أنشده شعراء قرطبة وغيرها ، وفى الجملة هلال شاعر غَرْناطة ، ومحمد بن الأستجى شاعر أستجة الملقب بزحكون ، فقام الأستجى وأنشد[ه] قصيدة ، منها :

لمحمد بن الأستجى (زحكون)

إليك ابن حمدين انتخلْتُ قصائداً بها رَقَصَتْ فى القُضْب وُرْقُ الحمائم
أنا العبد لكن بالمودة أُشترى إذا كان غيرى يشترى بالدراهم

فشكره ابنُ حمدين ، ونَبَّه على مكان الإحسان ، فحسده هلال البيانى على ذلك ، فلما فرغ من القصيدة قال له هلال : أعِدْ علىَّ البيتَ الذى فيه « رقص الحمام » فأعاده ، فقال له : لو أزلتَ النقطة عن الخاء كنتَ تصدق(١) ، فقال له فى الحين . ولو أزلتَ النقطة عن العين كنتَ تحسن .

وكانت على عين هلال نقطة فكان ذلك من الاتفاق العجيب والجواب الغريب ، وعمل فيه .

للمقدم ابن المعافى يرثى ابن جودى

ولما قال المقدم بن المعافى(٢) فى رثاء سعيد بن جودى :

مَنْ ذا الذى يطعم أو يكسو وقد حَوَى حِلْفَ الندى رَمْسُ(٣)
لاَاخضرَّتِ الأرض ولاأورق الـعود ولا أشرقتِ الشمس
بعد ابن جُودِىٍّ الذى لن ترى أكرمَ منه الجنُّ والإنسُ

فقيل له : أترثيه وقد ضربك ؟ فقال : إنه نفعنى حتى بذنوبه ، ولقد نهانى ذلك الأدب عن مضار جمة كنتُ أقع فيها على رأسى ، أفلا أرعى له ذلك ؟ والله ما ضَرَبنى إلا وأنا ظالم له ، أفأبقى على ظلمى له بعد موته ؟

---

(١) المراد كلمة « انتخلت » وهى بالخاء المعجمة ، ومعناها انتخبت واصطفيت وجودت من شعرى الكثير ، وأراد هلال أن يجعلها «انتحلت» بالحاء المهملة ، وهو بمعنى سرقت وأخذت من شعر غيرى ، يتهمه بالسرقة .

(٢) فى ا « مقدم بن معافى » (٣) فى ب « وقد غدا حلف الندى الرمس »

وقيل له : لم لاتهجو مؤمن بن سعيد ؟ فقال : لا أهجو من لو هجا النجوم ما اهتدى أحد بها .

لعبد الملك ابن نظيف

وقال أبو مروان عبد الملك بن نظيف(١) :

لا أشرب الراح إلا مَعْ كل خَرْق كريم
ولست أعشق إلا ساجى الجفون رخيم

لهلال البيانى

ومدح هلال البيانى ابنَ حمدين بقصيدة أولها :

عرج على ذاك الجناب العالى واحكم على الأموال بالآمال
فيه ابنُ حَمْدين الذى لنوَاله من كل أرض شدّ كل رحال

فقال له القاضى : ماهذا الوثوب على المدح من أوّل وَهْلَة ، ألا تدرى أنهم عابوا ذلك ، كما عابوا الطول أيضا ؟ وأن الأولى التوسط ، فقال [له] : ياسيدى ، اعذرنى بما لك فى قلبى من الإجلال والمحبة ، فإنى كلما ابتدأت فى مدحك لم يتركنى غرامى فى أُسمك إلى أن أتركه عند أول بيت(٢) ، فاستحسن ذلك منه ، وأحسن إليه .

ومن هذه القصيدة :

قاضٍ مُوَالٍ بره ونواله فله جميع العالمين مَوَالى

وكان يهوى وَسيما من متأدبى قرطبة ، فصنع فيه شعراً أنشده منه :

وكَّلْتَ عينى برَعْى النجم فى الظلم وعَبْرَتِى قد غدت ممزوجة بدم

فقال له الغلام : أنت لاتبرح بكوكب من عينك ليلا ولا نهارا ، وعاشقا وغير عاشق ، فخجل هلال ، وكان على عينه نقطة

وحكى ابن حيان أن الأمير عبدَ الرحمن عثرت به دابته وهو سائر فى بعض أسفاره ، وتطأطأت ، فكاد يكبو لِفيه ، ولحقه(٣) جزع ، وتمثل أثره بقول الشاعر :

---

(١) كذا فى ا ، وفى ب « وقال عبد الملك بن مروان بن نظيف »
(٢) فى ب « إلا أن أتركه عند أول بيت » وفى ا « عن أول بيت »
(٣) فى ا « فلحقه جزع »

* وَمَا لا ترى مما يَقِى اللهُ أكثرُ *

بين الزجالى والإسكندرانى الوزير

وطلب صدر البيت فعزب عنه ، وأمر بالسؤال عنه فلم يوجد من يحفظه إلا الكاتب محمد بن سعيد الزجالى ، وكان يلقب بالأصمعى لذكائه وحفظه ، فأنشد الأمير

* ترَى الشىء مما يُتَّقى فتهابهُ * (١)

فأعجب الأمير ، واستحسن شكله ، فقال له : الزم السرادق ، وأعقب ابناً يسمى حامداً ، وحضر مع الوزير عبد الواحد بن يزيد الإسكندرانى فى مجلس فيه رؤساءُ ، فعرض عليهم فرس مطهم ، فتمثل فيه عبد الواحد بقول امرىء القيس

* بَريدالسرى بالليل من خيل بربرا *

ففهم الزجالى بأنه عرض بأنه من البربر ، فلم يحتمل ذلك وأراد الجواب ، فقال مدبِّجاً(٢) لما أراده ومعرضا : أحسن عندى من ليل يسرى بى فيه على مثل هذا يوم على الحال التى قال فيها القائل :

ويَوْم كظلِّ الرمح قَصَّرَ طولَهُ دمُ الزِّقِّ عنا واصطفاقُ المزاهر

وإنما عرض للإسكندرانى بأنه كان يشهد مجالس الراحات فى أول أمره ومعرفة الغناء ، فقلق الوزير ، وشكاه إلى الحاجب عيسى بن شُهَيد ، فاجتمع مع الزجالى وأخذ معه فى ذلك ، فحكى له الزجالى ماجرى من الأول إلى الآخر ، وأنشد :

وما الحر إلا مَنْ يَدينُ بمثل ما يُدَانُ ومَنْ يخفى القبيح وينصف

هُمُ شرعوا التعريض قَذْفاً فعندما تبعناهمُ لاموا عليه وَعَنَّفُوا

بين الزجالى وابنه حامد

ومن نوادر ابنه حامد أنه غلط أمامه فى قوله تعالى (الزانية والزانى) بأن قال « فانكحوهما » فأنشده حامد :

أبْدَعَ القارىء معنى لم يكن فى الثقلين

---

(١) فى ب « نرى الشمس مما يتقى فنهابه »

(٢) فى ب « مدمجا »

أمر الناس جميعاً بنكاح الزانِيَيْن

وقال لبعض أصحابه حينئذ : أما سمعت ما أتى به إمامنا من تبديل الحدود ؟ وتضاحكا

للوزير أبى عبد الله بن عبد العزيز

وكتب الوزير أبو عبد الله بن عبد العزيز إلى المنصور صاحب بَلَنْسية ، ويعرف بالمنصور الصغير ، قطعةً أولُها :

يا أحسَنَ الناسِ آدابا وأخلاقا وأكرَمَ الناس أغصانا وأوراقا

ويا حَيَا الأرض لِمْ نكَّبْتَ عن سَنَنى وسُقْتَ نحوى إرعاداً وإبراقا

ويا سَنَى الشمس لِمْ أظلمتَ فى بصرى وقد وسعت بلاد الله إشراقا

من أى باب سَعَتْ غير الزمان إلى رحيب صدرك حتى قيل قد ضاقا

قد كنت أحسبنى من حسن رأيك لى أنى أخذت على الأيام ميثاقا(١)

فالآن لم يبق لى بعد انحرافك مَا آسَى عليه وأبدى منه إشفاقا(٢)

جواب المنصور صاحب بلنسية للوزير

فأجابه بهذه القطعة :

مازلت أوليك إخلاصا و إشفاقا وأنثنى عنك مَهمَا غِبْتَ مشتاقا

وكان من أملى أن أقتنيك أخا فأخفق الأمل المأمول إخفاقا

فقلت غَرْسٌ من الإخوان أكلؤه حتى أرى منه أثمارا وأوراقا(٣)

فكان لمازَهَا أزهاره ودَنَا إثمارها حَنْظَلاً مُرًّا لمن ذاقا

فلست أول إخوان سقيتهم صفوى وأعلقتهم بالقلب إعلاقا

فما جَزَوْنِى بإحسانى ولا عرفوا قدرى ولا حفظوا عهدا وميثاقا

ترجمة الوزير أبى عبد الله بن عبد العزيز

والوزير المذكور قال فى حقه فى المطمح : إنه وزير المنصور بن عبد العزيز ، ورَبُّ السبق فى وده والتبريز ، ومُنْقِض الأمور ومُبْرِمُها ، ومُخْمِدُ الفتن ومُضْرِمها ، اعتقل بالدَّهى(٤) ، واستقل بالأمر والنهى ، على انتهاض بين الأكفاء ، واعتراض المحو

---

(١) فى ا « قد كنت أحسبنى فى حسن رأيك »

(٢) فى ب « بعد انحرافك لى * أسى عليه »

(٣) فى ا « حتى أرى منه إثماراً وإيراقا » وفى نسخة « غرس من الإخوان »

(٤) فى ب ونسخة عند ا والمطمح « بالرهى »

لرسومه والإعفاء ، فاستمر غَيْرَ مراقب ، وأمر ماشاء غير ممتثل للعواقب ، ينتضى عزائم تنتضى ، فإن ألمتْ من الأيام مظلمة أضا، إلى أن أوْدَى ، وغارمنه الكوكبُ الأهدى ، فانتقل الأمر إلى ابنه أبى بكر ، فناهيك من أى عرف ونُكر، فقد أربى(١) على الدُّهَاه ، وماصبا إلى الظبية والمَهَاه(٢) ، واستقلَّ بالهول يقتحمه ، والأمر يسديه ويلحمه ، فأىَّ نَدَى أفاض ، وأى أجنحة بمدًى هَاض ، فانقادت إليه الآمال بغير خطام ، ووردت من نداه ببحرٍ طامٍ ، ولم يزل بالدولة قائما ، ومُوقظًا مِنْ بهجتها ما كان نائماً ، إلى أن صار الأمر إلى المأمون بن ذى النون أسَدِ الحروب ، ومَسَدِّ الثغور والدرُوب(٣) ، فاعتمد عليه واتكل ، ووكل الأمر إلى غير وَكِلْ ، فماتعدَّى الوزارة إلى الرياسة ، ولاتردَّى بغير التدبير والسياسة ، فتركه مستبداً ، ولم يجد من ذلك بدًّا .

وكان أبو بكر هذا ذا رفعة غير متضائلة ، وآراء لم تكن آفلة ، أدرك بها ماأحبَّ ، وقطع غاربَ كل منافس وجبَّ ، إلى أن طَلَّحه العمر وأنضاه ، وأغمدهُ الذى انتضاه ، فخلا الأمر إلى ابنيه فتبلدا فى التدبير ، ولم يفرقا بين القَبيل والدَّبير ، فغلب عليهما القادرُ بن ذى النون ، وجلب إليهما كل خَطْبٍ(٤) ما خلا المَنُون ، فانْجَلَوا ، بعدما ألقوْا ماعندهم وتخلّوا ، وكان لأبى عبد الله نظم مستبدع ، يُوضَعُ بين الجوانح ويودع ، انتهى المقصود من الترجمة .

للوزير أبى الفرج يستهدى خمرا

وكان للوزير أبى الفرج ابن مكبود(٥) قد أعياه علاجه ، وتهيأ للفساد مزاجُه ، فدل على خمر قديمة ، فلم يعلم بها إلا عند حكم ، وكان وسيما ، وللحسن قَسيما ، فكتب إليه :

أرسِلْ بها مثلَ وُدِّكْ أرقَّ من ماء خدِّكْ

---

(١) فى ب « فقد ربى على الدهان » (٢) فى ا « ولا إلى المهاه »
(٣) فى ب « ومسدد الثغور والدروب » (٤) فى ب « كل جلب »
(٥) مكبود : مريض بالكبد

شـــقيقة النفس فانضح   بها جَوَى ابنى وعَبْـدِكْ

وكتب رحمه الله تعالى معتذراً[١] ، عما جناه منذراً :

ما تغيبت عَنْكَ إلا لعـذر   ودليلى فى ذاك حرصى عليكا

هَبْكَ أن الفرار من عُظْمِ ذنب   أتراه يكون إلا إليكا[٢]

ترجمة الوزير أبى الفرج

وقال فى المطمح فى حق أبى الفرج : من ثَنِيَّة[٣] رياسة ، وعِتْرَة نفاسة ، ما منهم إلا مَنْ تحلى بالإمارة ، وتردَّى بالوزارة ، وأضاء[٤] فى آفاق الدول ، ونهض بين الخيل والخَوَل ، وهو أحد أمجادهم ، ومتقلِّد نِجَادهم ، فاقَهم[٥] أدبا ونُبلا ، وباراهم كرما تخاله وَبْلا ، إلا أنه بقى وذَهَبُوا ، ولقى من الأيام ما رهبوا ، فعاين تنكرها ، وشرب عكرها ، وجال فى الآفاق ، واستدرَّ أخلاف الأرزاق ، وأجال للرَّجاء[٦] قداحا متواليات الإخفاق ، فأخمل قدره ، وتوالى عليه جور الزمان وغدره ، فاندفنت آثاره ، وعَفَتْ أخباره ، وقد أثبتُّ له بعضَ ما قاله وحاله قد أدبرت ، والخطوبُ إليه قد انْبَرَت ، أخبرنى الوزير الحكيم أبو محمد المصرى وهو الذى آواه ، وعنده استقرت نوَاه ، وعليه كان قادما ، وله كان مُنَادما ، أنه رغب إليه فى أحد الأيام أن يكون من جملة ندمائه ، وأن لا يُحْجَبَ عنه وتكون منَّةً من أعظم نعمائه ، فأجابه بالإسعاف ، واستساغ منه ما كان يعَاف ، لعلمه بعِلته[٧] ، وإفراط خَلّته ، فلما كان [ظهر] ذلك اليوم كتب[٨] إليه :

أنا قد أهبْتُ بكم وكلكم هوًى   وأحقكم بالشكر منى السابق[٩]

فالشمس أنت وقد أظل طلوعها   فاطلع وبين يديك فجر صادق

للوزير أبى عامر بن مسلمة

وقال الوزير أبو عامر بن مسلمة :

حج الحجيج منًى ففازوا بالمنى   وتفرقت عن خِيفِهِ الأشهاد

---

(١) فى ا ونسخة عند ب « معذراً »   (٢) فى ب « هبك أن الفرار من غير ذنب »

(٣) فى ا « من نبتة » وفى المطمح « بيتة »   (٤) فى ا « وأومض »

(٥) فى ا « فاتهم أدبا »   (٦) فى ب « وأجال الرجاء قداحا »

(٧) فى ا « لعلمه بغلته » وفى نسخة ب « بقلته » وأثبتنا ما فى المطمح

(٨) فى ا « خطب إليه »   (٩) فى ب « قد أبهت بكم وكلكم هدى »

ولنا بوجهك حجة مبرورة في كل يوم تنقضي وتُعاد

ترجمة الوزير أبي عامر بن مسلمة

وقال الفتح في حقه ما صورته : نَبْتَةُ[١] شرفٍ باذخ ، ومَفْخر على ذوائب الجوزاء شامخ ، وزَرُوا للخلفاء ، فانتجعتهم الأدباء واتبعتهم العظماء ، وانتسبت لهم النعماء ، وتنفست عن نور بهجتهم الظلماء ، وأبو عامر هذا هو جوهرهم المنتخل ، وجوادهم الذي لا يبخل[٢] ، وزعيمهم المعظم ، وسِلْكُ مَفْخَرِهم المنَظّم ، وكان فتى المُدام ، ومستفتي النِّدَام ، وأكثر من النعت للراح والوصف ، وآثر الأفراح والقصف ، وأرى قَيْنَاتَ السرور مجلوّة ، وآيات الحسن متلوّة ، وله كتاب سماه « حديقة الارتياح ، في وصف حقيقة الراح » واختص بالمعتضد اختصاصا جَرَّعهُ رَدَاه ، وصَرَعه في مَدَاه[٣] ، فقد كان في المعتضد من عدم تحفظه للأرواح ، وتهاونه باللُّوَّام في ذلك واللوَّاح[٤] ، فاطمأن إليه أبو عامر واغتر ، وأنس إلى ما بَسَمَ [له] من مُؤانسته وافتر ، حتى أمكنته في اغتياله فرصة ، لم يعلق بها حصة ، ولم يضيق[٥] عليه إلا أنه زلت به قدمه فسقط في البحيرة وانكفا ، ولم يعلم به إلا بعدما طفا ، فأخرج وقد قضى ، وأدرج منه في الكفن حُسام المجد مُنْتَضَى ، فمن محاسنه قولُه يصف السوسن ، وهو مما أبدع فيه وأحسن :

وسوسن راق مرآه ومخبره وجَلَّ في أعين النظار منظره
كأنه أكؤس البَلُّورِ قد صنعت مُسَنْدَسات تعالى الله مظهره[٦]
وبينها ألسن قد طوقت ذهبا من بينها قائم بالملك يؤثره

إلى أن قال : واجتمع بجنة خارج إشبيلية مع أخدانٍ[٧] له عِلْية ، فبينما هم يديرون الراح ، ويشربون[٨] من كأسها الأفراح ، والجوُّ صاح ، إذ بالأفق قد غيم ، وأرسل الدِّيم ، بعدما كسا الجو بمطارف الرذاذ[٩] ، وأشعر الغصون زهر قباذ[١٠] ، والشمس

---

(١) في ب « بيت شرف باذخ » وفي نسخة عند ا « بيتة شرف »

(٢) في ا « الذي لم يبخل » (٣) في ا « في مبتداه » (٤) اللوام : جمع لائم ، واللواح : جمع لاح ، واللاحي واللائم متقاربا المعنى (٥) في ا « ولم يطاق عليه » (٦) في ب « مسدسات تعالى الله مظهره » (٧) في ا « مع إخوان له » (٨) في ا « ويثيرون »

(٩) في ا « مطارف لاذ » (١٠) في ب « دهر قباذ »

منتقبة بالسحاب ، والرعد يبكيها بالانتحاب[١] ، فقال :

يوم كأن سحابه لبست عمامات الصوامت
حجبت به شمس الضحى بمثال أجنحة الفواخت
والغيث يبكى فقدها والبرق يضحك مثل شامت[٢]
والرعد يخطب مُفْصِحًا والجو كالمحزون ساكت

وخرج إلى تلك الخميلة والربيعُ قد نشر رِدَاءَهُ ، ونثر على معاطف الغصون أَنْداءَهُ[٣] ، فأقام بها وقال :

وخميلة رقم الزمان أديمها بمفضض ومقسم ومشوب[٤]
رشفت قبيل الصبح ريقَ غمامة رشف المحب مراشف المحبوب
وطردت فى أكنافها ملك الصبا وقعدت واستوزرت كل أديب
وأدَرْتُ فيها اللَّهْوَ حقَّ مَدَارِهِ مع كل وضاح الجبين حَسِيبِ[٥]

للوزير أبي حفص أحمد بن برد

وقال الوزيرُ الكاتب أبو حفص أحمد بن بُرْد :

قلبى وقلبك لا محالة واحد شهدَتْ بذلك بيننا الألحاظ
فتعالَ فلنِغظِ الحسود بوصلنا إن الحسود بمثل ذاك يغاظ

وقال :

يامن حرمت لذاذتى بمسيره هذى النوى قد صعَّرَتْ لى خدّها
زوّد جفونى من جمالك نظرة والله يعلم إن رأيتك بعدها

ترجمة الوزير أحمد بن برد

وقال فى المطمح فى ابن برد المذكور : إنه غُذِى بالأدب ، وعلا إلى أسمى الرتب ، ومامن أهل بيته إلا شاعر كاتب ، مُلازم لباب السلطان مُرَاقب[٦] ، ولم يزل فى الدولة العامرية بسَبْقٍ يذكر ، وحَقٍّ لا ينكر ، وهو بديع الإحسان ، بليغ القلم

(١) فى ا «والغيث يبكيها والرعد بالانتحاب» (٢) فى نسخة عند ب «يضحك ضحك شامت» (٣) فى ب «نشر رداه ، ... نداه» (٤) هكذا فى ب ونسخة عند ا ، وفى أصل ا «بمعضد ومسهم وقشيب» (٥) فى ب «وأدرت فيها الدهر كأس مدامة» وفيها «وضاح الجبين مهوب» (٦) فى ا «لازم بباب السلطان مراتب»

واللسان ، مليح الكتابة ، فصيح الخطابة ، وله رسالة السيف والقلم ، وهو أوّل من قال بالفرق بينهما ، وشعرُه مثقف المبانى ، مُرْهَف كالحسام اليمانى ، وقد أثبتُّ منه ما يلهيك سماعا ، ويريك الإحسان لماعا ، فمن ذلك قوله يصف البَهار :

تأمل فقد شق البهار كمائما وأبرز عن نوّاره الخضِلِ الندى
مداهن تبر فى أنامل فضة على أذرع مخروطة من زَبَرْجَدِ

وله يصف معشوقا ، أهيفَ القدّ ممشوقا ، أبدى صفحة ورد ، وبدا فى ثوب لازَوَرْد :

لما بدا فى لازور دِيِّ الحرير وقد بَهَرْ
كبرت من فرط الجما ل وقُلْتُ : ماهذابشر
فأجابنى لا تنكرن ثوب السماء على القمر

للوزير أبى جعفر بن اللماى

وقال الوزير الكاتب أبو جعفر بن اللماى :

ألمَّا فَدَيْتُكُمَا نَسْتَلِمْ منازلَ سَلْمَى على ذى سَلَمْ
منازل كنت بها نازلا زمان الصبا بين جِيدٍ وفم
أما تجِدُنَّ الثرى عاطرا إذا ما الرياح تنفسن ثم

وقال فى المطمح فيه : إمامٌ من أئمة الكتابة ومُفَجِّرُ ينبوعها ، والظاهر على مصنوعها بمطبوعها ، إذا كتب نَثَر الدر فى المَهارق ، ونَمَّتْ فيه أنفاسُه كالمسك فى المفارق[1] ، وانطوى ذكره على انتشار إحسانه ، مع امتداد لسانه[2] ، فلم تَطُلْ لدَوْحته فروع ، ولااتصل لها من نهر الإحسان كروع ، فاندفنت محاسنُه من الإهمال فى قَبْر ، وانكسرت الآمالُ بعدم بدائعه كسرا بعد جَبْر ، وكان كاتبَ على بن حمود العلوى وذكر أنه كان يرتجل بين يديه ولا يُرَوّى ، فيأتى على البَدِيه ، بمايتقبَّله المُرَوِّى[3]

(١) كذا فى أصل ا ، وفى ب ونسخة عند ا « كالمسك فى المهارق »
(٢) فى ا « وقصر أمره على امتداد لسانه »
(٣) فى ب ونسخة عند ا « بما يفعله المروى » وفى أصل ا « يتقيله » وأثبتنا ما فى نسخة ثالثة عند ا

ويُبْدِيه ، فمن ذلك ما كتب به متفننا من ضمن رسالة[١] : رَوْضُ القلم[٢] فى فِنائك مُونِق ، وغُصْنُ الأدب بمائك مورق ، وقد قذف بحر الهند دُرَرَهُ ، و بعث روض نجدٍ زَهَره ، فأهدى ذلك على يدى فلان الجارى فى جَهْدِه ، على مبانى قصده[٣] .

للوزير حسان ابن مالك

وقال الوزير حسان بن مالك بن أبى عبدة فى المهرجان :

أرى المهرجان قد استبشرا　　غداة بكى المزن واستعبرا
وسربلت الأرض أمواهها　　وجللت السندس الأخضرا[٤]
وهز الرياح صنابيرها　　فضوّعت المسك والعنبرا
تهادى به الناس ألطافه　　وسامى المقلّ به المكثرا

ترجمة الوزير حسان بن مالك

وقال فى حقه فى المطمح : من بيت جَلَالَة ، وعِتْرَةِ أصَالَة[٥] ، كانوا مع عبد الرحمن الداخل ، وتوغلوا معه فى متشعبات تلك المداخل ، وسعَوْا فى الخلافة حتى حضر مُبَايِعُها ، وكثر مُشايِعُها ، وجَدُّوا فى الهدنة وانعقادها ، وأخمدوا نار الفتنة عند اتِّقادها ، فانبرمت عُرَاها ، وارتبطت أولاها وأخراها ، فظهرت البيعة واتضحت ، وأعلنت الطاعة وأفصحت ، وصاروا تاج مَفْرِقها ، ومنهاج طُرُقها ، وهو ممن بلغ الوزارة [من] بعد ذلك وأدركها ، وحل مطلعها وفلكها ، مع اشتهار فى اللغة والآداب ، وانخراط فى سلك الشعراء والكتاب ، وإبداع لما ألف ، وانتهاض بما تكلف ، ودخل على المنصور و بين يديه كتاب ابن السرى وهو به كَلِف ، وعليه معتكف ، فخرج وعمل على مثاله ، كتابا سماه « ربيعة وعقيل » جرد له من ذهنه أىَّ سيفٍ صَقيل ، وأتى به منتسخا مصورا فى ذلك اليوم من الجمعة الأخرى ، وأبرزه والحسنُ يتبسم عنه و يتفرَّى ، فسر به المنصور وأعجب ، ولم يَغِبْ[٦] عن بصره ساعة ولاحجب وكان له بعد هذه المدة حين أدْجَتْ الفتنة ليلها وأزجت إبلها وخيلها ، اغتراب

---

(١) فى ا « ما كتب به معتنيا من بعض رسالة »
(٢) فى ا « روض العلم »　(٣) فى ا « الجارى فى حمده ، على مثانى قصده »
(٤) فى ا « وسربلت الأرض أفواهها »　(٥) فى ب « وفخر إصالة »
(٦) فى ب « ولا غاب عن بصره »

كاغتراب الحارث بن مُضاض ، واضطراب بين القوانى والمواضى (١) ، كالحية النضناض ، ثم اشتهر بعد ، وافترّ له السعد ، وفى تلك المدة يقول يتشوّق إلى أهله :

سـقى بلدا أهلى به وأقاربى غوادٍ بأثقال الحَيَا وروائح
وهبَّتْ عليهم بالعشى وبالضحى نواسـم برد والظِّلال فوائح
تذكرتهم والنأىُ قد حال دونهم ولم أنس لـكن أوقدَ القلبَ لافح
ومما شجانى هاتف فوق أيكة ينوح ولم يعـلم بما هو نائح
فقلت اتَّئِدْ يكفيك أنىَ نازح وأن الذى أهواه عنى نازح
ولى صبية مثل الفراخ بقَفْرة مضى حَاضِنَاهَا فاطَّحتْهَا الطوائح (٢)
إذا عصفَتْ ريح أقامت رؤوسها فلم يلقها إلا طيور بوارح
فمن لصغارٍ بعد فقـد أبيهمُ سوى سانحٍ فى الدهر لو عنّ سانح

واستوزره المستظهر عبد الرحمن بن هشام أيام الفتنة فلم يرض بالحال ، ولم يمض فى ذلك الانتحال ، وتثاقل عن الحضور فى كل وقت ، وتغافل فى ترك الغرور بذلك المقت ، وكان المستظهر يستبدُّ بأ كثر تلك الأمور دونه ، و ينفرد مغيبا عنه شؤنه ، فكتب إليه :

إذا غبت لم أحضر و إن جئت لم أُسَلْ فسيان منى مشـــهد ومغيب
فأصبحت تَيْمِيًّا وما كنت قبلها لتيم ولـكن الشـبيه نسيب (٣)

وله :

رأت طالعا للشيب بين ذوائـبى فباحت بأسرار الدموع السواكب
وقالت أشيب قلت صُبْحُ تجاربى أنار على أعقاب ليـل نوائبى

---

(١) فى ب « بين القوانى والمواضى » والقوانى : جمع قناة على غير القياس

(٢) فى ب « متى خاضتا فيها طحتها الطوائح » وأثبتنا ما في ا

(٣) يشير إلى قول الشاعر :

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأمرون وهم شهود

ولما مات رثاه الوزير أبو عامر بن شُهَيْد بقوله :

أفى كل عام مصرع لعظيم ... أصاب المنايا حادثى وقديمى
وكيف اهتدائى فى الخطوب إذا دجت ... وقد فَقَدَتْ عيناى ضوء نجوم
مضى السلف الوضاح إلا بقية ... كغرة مسودّ القميص بهيم
فإن ركبت منى الليالى هَضيمةً ... فقبلى ما كان اهتضام تميم
أبا عبدة إنا غدرناك عندما ... رجعنا وغادرناك غير ذميم (١)
أنخذل من كنا نرودُ بأرضه ... ونكرع منه فى إناء علوم
ويجلو العَمَى عنا بأنوار رأيه ... إذا أظلمت ظلماء ذات غيوم
كأنك لم تلقح بريح من الحجا ... عقائم أفكار بغير عقيم
ولم نعتمر مغناك غدوًا ولم نَزُرْ ... رواحا لفصل الحكم دار حكيم (٢)

وقال الوزير الفقيه أبو أيوب ابن [أبى] أمية :

أمِسْكَ دارينَ حياكَ النسيم به ... أم عنبر الشِّحْر أم هذى البساتين
بشاطىء النهر حيث النَّوْر مؤتلق ... والراح تعبق أم تلك الرياحين (٣)

ترجمة الوزير أبى أيوب ابن أبى أمية

وحلاه فى المطمح بقوله : واحدُ الأندلس الذى طَوّقها فخارا ، وطبقها بأوانه افتخارا ماشئت من وَقار لا تُحِيل الحركةُ سكونه ، ومقدار يتمنى مخبرٌ أن يكونَه ، إذا لاح رأيت المجد مجتمعا ، وإذا فاه أضحى كلُّ شىء مستمعا ، تكتحل منه مُقَلُ المجد ، وتنتحل المعالى أفعاله انتحال ذى كَلَف بها ووَجْد ، لو تفرقت فى الخلق سَجَاياه لحمدت الشِّيَم ، ولو استسقيت بمحياهُ لما استمسكت الديَم ، ودعى للقضاء فما رضى ، وأعفى عنه فسكأنه ماستقضى ، لديه تثبت الحقائق ، وتنبت العلائق ، وبين يديه يسلك عين (٤) الجَدَد ، ويدَع اللّدِد اللّدَدَ (٥) ، وله أدب إذا حاضر به

(١) فى ا « أبا عبدة إنا عذرناك » محرفا ، ويدل له البيت بعده
(٢) فى ب ونسخة عند ا « ولم نعتمد مغناك » وما أثبتناه عن أصل ا أحسن
(٣) فى ب ونسخة عند ا « بشاطىء الروض حيث الروض مؤتلق »
(٤) فى ا « يسلك من الحق الجدد » (٥) فى ا « ويدع الألد اللدد »

فلا البحرُ إذا عصف ، ، ولا أبو عثمان[١] إذا وصف ، مع حلاوة مؤانسةٍ تستهوى الجليس ، وتَهْوِى حيث شاءت بالنفوس ، وأما تحبيره و إنشاؤه ، ، ففيهما للسامع تحبيره وانتشاؤه ، وقد أثبتُّ له بِدَعًا ، يثنى إليها الإحسان جِيداً وأخْدَعا ، فمن ذلك قوله فى منزل حله متنزها :

يامنزل الحسن أهواه وآلفـــه حقا لقد جمعت فى صحنك البِدَعُ

لله ما اصطنعت نعماك عندى فى يوم نعمت به والشمل مجتمع

وحَلَّ مُنْيَة صهره الوزير أبى مروان بن الدب بعُدْوة إشبيلية المطلة على النهر ، المشتملة على بدائع الزهرِ ، وهو مُعَرِّس ببنته فأقام بها أياما متأنسا ، ولجذوة السرور مقتبسا ، فوالى عليه من التحف ، وأهدى إليه من الطُّرَف ، ماغمر كثره ، و بهر نفاسة وأثره ، فلما ارتحل وقد اكتحل من حسن ذلك الموضع بما اكتحل ، كتب إليه :

قل للوزير وأين الشكر من منن جاءت على سنن تترى وتتصل

غَشِيتُ مغناك والروض الأنيق به يَنْدَى وصَوْبُ الحَيَا يهمى و ينهمل

وجال طرفى فى أرجائه مرحا وفق اجتيازى يستعلى و يستفل[٢]

ندعو بلَفْتَتِهِ حيث ارتمى زهر عليه من منثنى أفنانه كلل

محـــل أنس نعمنا فيه آونة من الزمان وواتانا به الأمل

وحَلَّ بعدذلك متنزها بها على عادته ، فاحتفل فى موالاة ذلك البر و إعادته ، فلما رحل كتب إليه :

يا دارُ أمَّنَــكِ الزما ن صروفَهُ ونوائبه

وجَرَتْ سعودك بالذى يهــوى نزيلك آيبه

فلنعم مأوى الضيف أنـــت إذا تحاموا جانبه

خطر شأوت به الديا ر وأذعَنَتْ لك قاطبه

---

(١) لعله أراد بأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، ووقع فى ا « ولا أبوعثمان ابنه إذا وصف » وأحسب أن كلمة «ابنه» مقحمة (٢) فى نسخة عند ا «وقت اجتيازى»

وصنع له[١] ابن عبد الغفور رسالة سماها «بالساجعة» حذا بها حذو أبى العلاء المعرى فى «الصاهل والساجح» و بعث بها إليه ، يعرضها عليه ، فأقامت عنده أياما ثم استدعاها منه فصرفها إليه ، وكتب معها : بكر زففتها أعزك الله تعالى نحوك ، وهززت بمقدمها سناك وسروك ، فلم ألفظها عن شبع ، ولا جهلت ارتفاعها عما يجتلى من نوعها ويستمع ، ولكن لما أنسته[٢] من أنسك بانتجاعها ، وحرصك على ارتجاعها دفعت فى صدر الولوع ، وتركت بينها و بين مجاثمها بتلك الربوع[٣] ، حيث الأدب غضّ ، وماء البلاغة مرفض ، فأسعد أعزك الله بكرتها ، وسلها عن أفانين معرتها ، بما تقطفه من ثمارك ، وتغرفه من بحارك ، وترتاح له ولإخوانه من نتائج أفكارك ، وإنها لشنشنة أعرفها فيكم من أخزم ، وموهبة حزتموها وأحرزتم السبق فيها منذ كم . انتهى .

ترجمة الوزير أبى القاسم ابن عبد الغفور

وابن عبد الغفور هو الوزير أبو القاسم الذى قال فيه الفتح : فتى زكا فرعا وأصلا ، وأحكم البلاغة معنى وفصلا ، وجرد من ذهنه على الأعراض نصلا ، قدها به وفراها ، وقدح زند المعالى حتى أوراها ، مع صون يرتديه ، ولا يكاد يبديه ، وشبيبة ألحقته بالكهول ، فأقفرت منه ربعها المأهول ، وشرف ارتداه ، وسلف اقتفى[٤] أثره الكريم واقتداه ، وله شعر بديع السرد ، مفوف البرد ، وقد أثبت له منه ماألفيت ، و بالدلالة عليه اكتفيت ، فمن ذلك قوله :

تركت التصابى للصواب وأهله ... و بيض الطلى للبيض والسمر للسمر

مدامى مدادى والكؤس محابرى ... وندماى أقلامى ومنقلتى سفرى

وله :

---

(١) فى ا «وصنع ولد ابن عبد الغفور» محرفا

(٢) فى ب «لما أنست» (٣) فى ب «تلك الربوع»

(٤) فى ب «وشرف اقتدى أثره الكريم واقتداه»

لاتنكروا أننا فى رحلة أبدا ... نحث فى نَفْنَفٍ طورا وفى هدف(١)
فدهرنا سُدْفَة ونحن أنجمها ... وليس ينكر مجرى النجم فى السُّدَفِ
لوأسفر الدهر لى أقصرت عن سفرى ... وملت عن كَلَفِى بهذه الكُلَفِ

وله من قصيدة :

رويدك يا بدر التمام فإننى ... أرى العِيسَ حَسْرَى والكواكب طلعا(٢)
كأن أديم الصبح قد قدَّ أنجما ... وغودر درعُ الليل فيها مرقَّعَا
فإنى و إن كان الشباب محببا ... إلى وفى قلبى أجلَّ وأوقعا
لآنف من حسن بشِعْرى مفترى ... وآنف من حسن بشَعْرِى قُنِّعَا

للوزير أبي الوليد ابن حزم

وقال الوزير أبو الوليد بن حَزْم :

إليك أبا حفص وما عن ملالة ... ثنيت عنانى والحبيب حبيب
مقالا يطير الجمر عن جَنَبَاته ... ومن تحته قلبٌ عليك يذوب
مضت لك فى أفياء ظلى صَوْلَة ... لها بين أحناء الضلوع دبيب(٣)
ولكن أبى إلا إليك التفاته ... فزاد عليه من هواك رقيب
وكم بيننا لوكنت تَحْمَدُ مامضى ... إذ العيش غَضٌّ والزمان قشيب
وتحت جناح الغيم أحشاء رَوْضَةٍ ... بها لخفوق العاصفات وَجِيبُ
وللزهر فى ظل الرياض تبسم ... وللطير منها فى الغصون نحيب

وقال فى الزهد :

ثلاث وستون قد جُزْتَهَا ... فماذا تؤمل أو تنتظر
وحَلَّ عليك نذير المشيب ... فما تَرْعَوِى أو فما تزدجر
تمر لياليك مَرًّا حثيثا ... وأنت على ما أرى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضى ... من العمر لاعْتَضْتَ خيرا بشر

---

(١) فى ب « نحث فى نقف » محرفا (٢) كذا فى ا ، ب ، ولعله « ظلعا » بالظاء المعجمة (٣) فى ا « مضت لك فى أفياء ظلى قولة »

فمالك لا تستعدّ إذَن لدار المقام ودار المقر

أترغب عن فَجْأةٍ للمنون وتعلم أن ليس منها مفر

فإما إلى جنة أزلفت وإما إلى سَقَر يستعر

لابن أبى زمنين

وقال ابن أبى زمنين :

الموت فى كل حين ينشر الكَفَنَا ونحن فى غفلة عما يُرَاد بنا

لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها وإن توشَّحْتَ من أثوابها الحسنا

أين الأحبة والجيران ؟ ما فعلوا أين الذين هُمُ كانوا لنا سَكَنَا

سقاهُمُ الموت كأساً غير صافية فصيرتهم لأطباق الثرى رُهُنَا

تبكى المنازل منهم كل منسجم بالمكرمات وتَرْثى البر والمننا

حَسْبُ الحمام لَوَ ابقاهم وأمهلهم أن لا يظن على مَعْلُوَّةٍ حسنا[١]

ترجمة الوزير أبى عبد الله محمد بن أبى زمنين

وقال فى المطمح : الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبى زمنين فقيه متبتل ، وزاهد لا منحرف إلى الدنيا ولا منفتل ، هَجَرَها هَجْر المنحرف ، وحل أوطانه فيها محل المُعْتَرِفْ ، لعلمه بارتحاله عنها وتفويضه[٢] ، وإبداله منها وتعويضه ، فنظر بقلبه لا بعينه ، وانتظر يوم فراقه وبَيْنِه ، ولم يكن له بعد ذلك بها اشتغال ، ولا فى شِعاب تلك المسالك إيغال ، وله تآليف فى الوعظ والزهد وأخبار الصالحين تدل على تخليته عن الدنيا واتِّراكه ، والتفلّت من حبائل الاغترار وأشراكه ، والتنقل من حال إلى حال ، والتأهب للارتحال ، ويستدل به على ذلك الانتحال ، فمنها قوله :

* الموت فى كل حين ينشر الكفنا *

فذكر الأبيات ، انتهى

---

(١) فى ب ونسخة عند ا « ألا يظن على معلومة حسنا »

(٢) فى ا « لعلمه بارتحالها عنه وتقويضه ؛ وإبدالهامنه وتعويضه »

خلف بن هرون يمدح ابن حزم

وقال خَلَفُ بن هرون يمدح الحافظ أبا محمد بن حزم :

يخوض إلى المجد والمكرمات بحارَ الخطوب وأهوالَهـا
وإن ذكرتْ للعـلا غاية ترقّى إليهـا وأهوى لها

ترجمة الحافظ ابن حزم

وقال فى المطمح فيه : فقيه مستنبط ، ونبيه بقياسه مُرْتبط ، ماتكلم تقليدا ، ولا عدا اختراعا[1] وتوليدا ، ماتمنت به الأندلس أن تكون كالعراق ، ولا حَنّت الأنفس معه إلى تلك الآفاق ، أقام بوطنه ، ومابرح عن عَطَنه ، فلم يشرب ماء الفرات ، ولم يَقْفُ عيشة الثمرات[2] ، ولكنه أربى على مَنْ مِنْ ذلك غُذِى ، وأزرى على مَنْ هنالك نُعِل وحُذِى ، تفرد بالقياس ، واقتبس نارَ المعارف أيَّ اقتباس ، فناظر بها أهل فاس ، وصنف وحبَّر حتى أفنى الأنقاس[3] ، ونابذ الدنيا ، وقد تصدّت له بأفتن مُحيًّا ، وأهدت إليه أعْبقَ عَرْف وريًّا ، وخلع الوزارة وقد كسته ملاَهَا ، وألبسته حُلاَها ، وتجرّد للعلم وطلبه ، وجد فى اقتناء نُخَبِه ، وله تآليف كثيرة ، وتصانيف أثيرة ، منها « الإيصال ، إلى فهم كتاب الخصال » وكتاب « الإحكام ، لأصول الأحكام » وكتاب « الفِصَل[4] ، فى الأهواء والملل والنحل » وكتاب « مراتب العلوم » وغير ذلك مما لم يظهر[5] مثله من هنالك ، مع سرعة الحفظ ، وعفاف اللسان واللحظ ، وفيه يقول خلف بن هروان :

* يخوض إلى المجد والمكرمات *

ولابن حزم فى الأدب سَبْقٌ لاينكر ، وبديهة لايعلم أنه روّى فيها ولا فكَّر ، وقد أثبتُّ من شعره مايعلم أنه أوحد ، وما مثله فيه أحد ، ثم ذكر جملة من نظمه ذكرناها فى غير هذا الموضع .

وكتب أبو عبد الله بن مسرة إلى أبى بكر اللؤلؤى يستدعيه فى يوم طين ومطر ، لقضاء أرب من الأنس ووَطَر :

---

(١) فى ا « ولا تعدى اختراعا » (٢) فى نسخة عند ا « عشية المسرات »
(٣) الأنقاس : جمع نقس ، بالكسر ، وهو المداد الذى يكتب به
(٤) وقع فى ا ، ب « القصد ، فى الملل والنحل » محرفا ، والكتاب طبع بمصر مرتين
(٥) فى ب « مما لم يمطر مثله من هنا لك »

أقبـل فإن اليوم يوم دَجْنِ إلى مكان كالضمير مكنى
لعلّنا نُحْـكم فيـه أشهى فن فأنت فى ذا اليوم أمشى منى (١)

ترجمة أبى عبد الله ابن مسرة

وقال فى المطمح : إن ابن مسرة كان على طريق من الزهد والعبادة سَبَقَ فيها ، وانتسق فى سلك مُقتفيها ، وكانت له إشارات غامضة ، وعبارة عن منازل الملحدين غير داحضة ، ووجدت له مقالات ردية ، واستنباطات مُرْدِية ، نسب بها إليه رَهَق ، وظهر له فيها مَزْحَل عن الرشد ومزهق ، فتُتُبعت مصنفاته بالحرق ، واتسع فى استباحتها الخرق ، وغدت مهجورة ، على التالين محجورة ، وكان له تنميق فى البلاغة وتدقيق لمعانيها ، وتزويق لأغراضها وتشييد لمبانيها ، انتهى . وهو من نمط الصوفية الذين تُـكُلم فيهم ، والتسليم أسلم ، والله تعالى بأمرهم أعلم .

فرار الفقيه أبى عبد الله الخشني من المناصب

ومن حكايات أهـل الأندلس فى الانقباض عن السلطان ، والفرار من المناصب ، مع العذر اللطيف : ما حكاه فى المطمح فى ترجمة الفقيه أبى عبـد الله الخشنى(٢) إذ قال : كان فصيح اللسان ، جزيل البيان ، وكان أنوفا منقبضاً عن السلطان ، لم يتشبث بدُنيا ، ولم يُنكث له مُبْرم عَلْيا ، دعاه الأمير محمد إلى القضاء فلم يجب ، ولم يظهر رجاءه المحتجب ، وقال: أبيت عن إمامة هذه الديانة(٣) ، كما أبت السموات والأرض عن حمل الأمانة ، إباية إشفاق ، لا إباية عصيان ونفاق ، وكان الأمير قد أمر الوزراء بإجباره ، أو حمل السيف إن تمادى على تأبِّيه و إصراره ، فلما بلغه قولُه هذا أعفاه ، قال : وكان الغالب عليه علم النسب ، واللغة والأدب ، ورواية الحديث ، وكان مأمونا ثقة ، وكانت القلوب على حبـه متفقة ، وله رحلة دخل فيها العراق ، ثم عاد إلى هذه الآفاق ، وعند ما اطمأنت داره ، و بلغ أقصى مناه مَدَاره ، قال :

---

(١) فى ب « لنا يحكم فيه أشهى فن » وفى ا « لعلنا نحكم فيه أدنى فن »
(٢) فى ب « الحسنى »
(٣) فى ب « أبيت عن أمانة هذه الديانة »

* كأنْ لم يكن بَيْنٌ ولم تكُ فُرْقَةٌ * الأبيات ، انتهى .

وهذه الأبيات قدمناها فى الباب الخامس فى ترجمة القاضى ابن أبى عيسى .

فأنت ترى كلام الفتح قد اضطرب فى نسبتها ، فمرة نسبها إلى هذا ، ومرة نسبها إلى ذاك ، وهى قطعة عَرْفُها ذاكٍ .

من دعابات أهل الأندلس

ومن دُعابات أهل الأندلس وملحهم : ما يحكى عن ابن أبى حَلَّى[1] ، وهو على ابن أبى حَلَّى[1] المكناسى[2] أبو الحسن ، قال لسان الدين : كان شيخا مليح الحديث ، حافظا للمسائل الفقهية ، قائما على المدوَّنة[3] ، مضطلعاً بمشكلاتها ، كثير الحكايات ، يحكى أنه شاهد غرائب وملحاً[4] فينمقها عليه بعض الطلبة ، و يتعدون ذلك إلى الافتعال والمداعبة ، حتى جمعوا من ذلك جزءا سموه «السالك والمحلّى[5]، فى أخبار ابن أبى حلّى » فمن ذلك أنه كانت له هرة فدخل البيت يوماً فوجدها قد بلت إحدى يديها وجعلتها فى الدقيق حتى علق بها ونصبتها بإزاء كُوَّة فأر ورفعت اليد الأخرى لصيده ، فناداها باسمها ، فزوت[6] رأسها ، وجعلت أصبعها على فمها ، على هيئة المشير بالصمت ، وأشباه ذلك ، وتوفى المذكور سنة ٤٠٦[7] ، قاله فى الإحاطة .

من أجوبة ملوك الاندلس

ومن أجوبة ملوك الأندلس : أنْ نزارا العبيدى صاحب مصر، كتب إلى المروانى صاحب الأندلس كتابا يسبه فيه و يهجوه ، فكتب إليه المروانى : أما بعد فإنك عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك ، والسلام . فاشتد ذلك على نزار وأفحمه عن الجواب ، وحكى أنه كتب إلى العبيدى ملك مصر مفتخرا :

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت ... بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

إذا وُلد المولود منـــا تهللت ... له الأرض واهتزت إليه المنابر

ومن غريب ما يحكى من قوة أهل الأندلس وشجاعتهم : أن الأمير حريز[8]

(١) فى ب « مايحكى عن أبى الحلى » (٢) فى ب ونسخة عندا «الكنانى»
(٣) فى ب ونسخة عند ا « قائما على الدولة » (٤) فى ا «شاهد غرائب تملحا»
(٥) فى ب « السالك والحلى » (٦) فى ا « فردت رأسها »
(٧) فى أصل ا « سنة ٤٦ » وفى نسخة عندها « سنة ٧٤٩ »
(٨) تقدم فى الجزء الرابع « جرير بن عكاشة » (انظر فهرست الجزء الرابع)

ابن عكاشة من ذرية عكاشة بن محصن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بساحه أذفونش ملك [ملوك] الروم ، فبدأهم بخراب ضياعها[١] وقطع الشجر ، فكتب إليه حريز : ليس من أخلاق القدير ، الفساد والتدمير ، فإن قدرت على البلاد أفسدت ملكك ، ولو كان الملك فى عشرة أمثال عددى لم ينزل لى بساحة ، ولا تمكن منها براحة ، فلما وصلته الرسالة عَفَّ ، وأمر بالكف ، و بعث الملك يرغبه فى الاجتماع به ، فاسترهنه فى نفسه عدة من ملوك الروم ، فأجاب إلى ما ارتهن ، ولما ساروا إلى المدينة[٢] البيضاء ـ وهى قلعة رباح غربى طليطلة ـ خرج حريز لابسا لأمَةَ حربه ، يرمق الروم منه شخصاً أوتى بسطة فى الجسم والبسالة يتحدثون بآلات[٣] حربه ، و يتعجبون من شجاعة قلبه ، ولما وصل فسطاط الملك تلقته الملوك بالرحب والسعة ، ولما أراد النزول عن فرسه ركز رمحه ، فأبصر الملك منه هيئة تشهد له بما عنه حُدِّث ، وهيبة يجزع للقائها الشجاع و يكترث ، فدعاه إلى البراز عظيم أبطالهم ، فقال له الملك : يا حريز ، أريد أن أنظر إلى مبارزتك هذا البطل ، فقال له حريز : المبارز لايبارز إلا أكفاءه ، و إن لى بينة على صدق قولى أن ليس لى فيهم كُفْءٌ ، هذا رمحى قد ركزته ، فمن ركب واقتلعه بارزته ، كان واحدا أو عشرة ، فركب عظيمهم فلم يهز الرمح من مكانه حين رامه ، ثم فعل ذلك مرارا ، فقال له الملك : أرنى يا حريز كيف تقلعه ، فركب وأشار بيده واقتلعه ، فعجب القوم ، ووصله الملك وأكرمه ، انتهى .

من شجاعة أهل الأندلس

وكان حريز هذا شاعرا ، ولما اجتاز به كاتب ابن ذى النون الوزير أبو المطرف ابن المثنى كتب إليه :

حريز ابن عكاشة

يا فريداً دون ثانٍ وهلالا فى العيان

---

(١) فى ا « بخراب ضياعهم »

(٢) فى ا « ولما صاروا بالمدينة ـ إلخ »

(٣) فى ا « يتعجبون من آلات حربه ، ويتحدثون بشجاعة قلبه »

عُدِمِ الراحُ فصارت مثل دهن البلسان

فجاوبه حريز ، وهو يومئذ أمير قلعته :

يا فريدا لا يُجَارَى بين أبناء الزمان

جاء من شعرك روض جاده صَوْبُ البيان

فبعثناها سُلاَفا كسجاياك الحسان

وكان لحريز كاتب يقال له عبد الحميد بن لاطون فيه تغفل شديد ، فأمره أن يكتب إلى المأمون بن ذى النون فى شأن حصنٍ دخله النصارى ، فكتب : وقد بلغنى أن الحصن الفلانى دخله النصارى إن شاء الله تعالى ، فهذه الواقعة التى ذكرها الله تعالى فى القرآن ، بل هى الحادثة الشاهدة بأشراط الزمان ، فإنا لله على هذه المصيبة التى هَدَّتْ قواعد المسلمين ، وأبقت فى قلوبهم حسرة إلى يوم الدين . فلما وصل الكتاب للمأمون ضحك حتى وقع للأرض ، وكتب لابن عكاشة جوابه ، وفيه : وقد عهدناك منتقياً لأمورك ، نقادا لصغيرك وكبيرك ، فكيف جاز عليك أمر هذا الكاتب الأبله الحِلْفِ ، وأسندت إليه الكتب عنك دون أن تَطَّلع عليه ، وقد علمت أن عنوان الرجل كتابه ، ورائد عقله خطابه ، وما أدرى من أى شىء يتعجب منه، هل من تعليقه إن شاء الله تعالى بالماضى (١) ؟ أم من حسن تفسيره للقرآن ووضعه مواضعه ؟ أم من تورُّعه عن تأويله إلا بتوقيف من سماع (٢) عن إمام ؟ أم من تهويله لما طرأ على مَنْ يخاطبه ؟ أم من علمه بشأن هذا الحصن الذى لو أنه القسطنطينية العظمى ما زاد عن عظمه (٣) وهَوْله شيئا ؟ ولو أن حقيرا يخفى عن علم الله تعالى لخفى عنه هذا الحصن ! ناهيك من صخرة حيث لا ماء ولا مرعى ، منقطع عن بلاد الإسلام ، خارج عن سلك النظام ، لا يعبره إلا لص فاجر ، أو قاطع

(١) فى ا « يتعجب منه قبل »

(٢) فى ا « يتوقف عند سماع »

(٣) في ا « مازاد على عظمه »

طريق غير متظاهر ، حُرَّاسُه لايتجاوزون الخمسين ، ولا يرون خبز البر عندهم إلا فى بعض السنين ، باعه أحدهم بعشرين ديناراً ، ولعمرى إنه لم يغبن فى بيعه ولا ربح أرباب ابتياعه ، وأراح من الشين بنسبته والنظر فى خداعه ، فليت شعرى ما الذى عظمه فى عين هذا الجاهل ، حتى خطب فى أمره بمالم يخطب به فى حرب وائل[1]

فلماوقف حريز على الكتاب كتب لابن ذى النون جوابا منه : و إن المذكور ممن له حُرْمة قديمة ، تغنيه عن أن يمتَّ بسواها ، وخدمة محمود أولاها وأخراها ، ولسنا ممن اتسعت مملكته ، وعظمت حضرته ، فنحتاج إلى انتقاء الكُتَّاب ، والتحفظ فى الخطاب ، و إنما نحن أحْلاَسُ ثغور[2] ، وكتاب كتائب[3] لا سطور ، و إن كان الكاتب المذكور لا يحسن فيما يلقيه على القلم ، فإنه يحسن كيف يصنع فى مواطن الكرم ، وله الوفاء الذى تحدث به فلان وفلان ، بل سارت بشأنه فى أقصى البلاد الركبان ، وليس ذلك يَقْدح عندنا فيه ، بل زاده لكونه دالا على صحة الباطن والسذاجة فى الإكرامْ والتنويه ، انتهى .

ولهذا الكاتب شعر يسقط فيه سقوط الأغبياء ، وقديتنبه فيه تنبه الأذكياء ، فمنه قوله من قصيدة يمدح حريزا المذكور مطلعها :

يذكرنى بهمُ العنبر وظَلْمُ ثناياهمُ سُكَّر

إلى أن قال :

ولولا معاليك يا ذا النَّدَى لما كان فى الأرض مَنْ يشعر

فلا تنكرنَّ زحاما على ذَرَاك وفى كفك الكوثر

ومشى فى موكبه وهم فى سَفَر ، وكان فى فصل المطر والطين ، فجعل فرسه فى ذنب فرس ابن عُكَّاشة ، فلما أثارت يدا فرسه طينا جاءَ فى عنق أميره ، ففطن لذلك

(١) يريد حرب البسوس التى دارت بين بكر وتغلب ابنى وائل بسبب مقتل كليب

(٢) أحلاس : جمع حلس ـ بكسر أوله ـ وهو الملازم للشىء ، والثغور : جمع ثغر ، وهو الموضع الذى يخاف أن يجىء منه العدو

(٣) الكتائب : جمع كتيبة ، وهى الفرقة من الجيش

الأمير ، فقال له : يا أبا محمد ، تقدم ، فقال : معاذ الله أن أسيء الأدب بالتقدم على أميرى ، فقال : فإن كان كذلك فتأخر مع الخيل ، فقال : مثلى لا يزال على [1] ركابك فى مثل هذه المواضع ، فقال له : فقد والله أهلكتنى بما ترمى يدا فرسك على من الطين ، فقال : أعز الله الأمير [2] ! فوالله ما علمت أن يد فرسى تصل إلى عنقك ، فضحك ابن عكاشة حتى كاد يسقط عن مركوبه .

المقتدر بن هود وغلام نشأ عنده

وكان بسَرَقُسْطَةَ غلام اسمه يحيى بن يطفت من بنى يفرن ، قد نشأ عند ملكها المقتدر بن هود ، وتخلق بالركوب والأدب ، وكان فى غاية الجمال والحلاوة والظَّرف فعلق بقلب ابن هود ، وكتم حبه زمانا فلم ينكتم ، فكتب له :

يا ظَبْيُ بالله قل لى ... مَتَى تُرَى فى حِبالى
يمرُّ عمرى وحالى ... من خيبتى منك خالى

فكتب له الغلام فى ظهر الرقعة :

إن كنت ظبياً فأنت الـ ... ـهِزَبْرُ تبغى اغتيالى
وليس يخطر يوما ... حلولُ غِيلٍ ببالى

ثم كتب بعدها : هذا ما اقتضاه حكم الجواب فى النظم ، وأنا بعد قد جعلت رَسَنِى بيد سيدى ، فعسى أن يقودنى إلى ما أحب ، لا ما أكره ، والذى أحبه أن يكون بيننا من المحبة ما يقضى بدوام الإخلاص ، ونأمن فى مَغَبته من العار والقصاص ، فتركه مدة ، ثم كتب له يوماً على الصورة التى ذكرها :

ماذا ترى فى يوم أمْنٍ طرزت ... حلل السحاب به البروق المذهبه
وأنا وكاسى لا جليسٌ غيره ... ملآن لا يخلو إلى أن تشربه
والأنس إن يَسَّرْتَهُ متيسر ... ومتى تُصَعبه فيا ما أصعبه

---

(١) فى ا « لا يزال عن ركابك »

(٢) فى ا « أعز الله الأمير ، يعذرنى »

فأجابه :

يا مالـكا بَذَّ الملوك بعلمه وخلاله وعلوه فى المرتبـهْ
وافى نَدَاكَ فخِرْتُ عند جوابه إذ ما تضمن ريبة مستغربهْ
إنا إذا نخلو تَقَوَّلَ حاسد وغدا بهذا الأمر ينصر مذهبه
هَبْنى إلى يوم تطيش به النهى والبيض تُنْضَى والقنا مُتَأَشبه
وهُنَاكَ فانظرنى بعين بصيرة فالشِّبل يعرف أصله مَنْ جَرَّبه

ثم أعلاه إلى درجة الوزارة والقيادة ، إلى أن قتل فى جيش كان قدمه عليه ، فقال فيه من قصيدة :

يا صارما أغْمَـدَتْهُ عن ناظرىَّ الصوارم
وزهـــرة غيبتها من الطيـــور كمائم
يا كوكبا خَرَّ من أنـــجمى وأنفى راغم
بكَتْ علىَّ وشَقَّتْ جيوبَهُنَّ الغمائم
قل للحمائم إنِّى أصبحت أحكى الحمائم
وأنثُرُ الدمع مهما رأيت للزهر باسم
تالله لا لَذَّ عيش لمـتْرَفٍ لك عادم

ولما رحل الوزير عبد البر بن فرسان من وادى آش إلى على الميورقى صاحب فتنة إفريقية أقبل عليه ، ثم ولى أخوه يحيى الإمارة بعده ، فأسند جميع أموره إليه ، فقال يخاطبه :

أجُبْناً ورمحى ناصِرِى وحُسَامى وعجزاً وعزمى قائِدِى وإمامى
ولى منك بَطَّاش اليدين غَضَنْفَر يُحَارب عن أشباله ويحامى (١)

(١) الغضنفر ـ بزنة السفرجل ـ اسم من أسماء الأسد ، والأشبال : جمع شبل ـ بالـكسر ـ وهو ولد الأسد

ألا غنيانى بالصهيل فإنه سماعى ورَقْراقُ الدماء مُدامى
وحُطّا على الرمضاء رَحْلى فإنها مِهادى وخَفّاقُ البنود خيامى

الأمير أبو عبد الله بن مردنيش

وكان الأمير أبو عبد الله بن مَرْدَنيش ملك شرق الأندلس من أبطال عصره ، وكان يدفع فى المواكب ، ويشقها يمينا وشمالا منشداً :

أكُرُّ على الكتيبة لا أبالى أحَتْفى كان فيها أم سِواها

حتى إنه دفع مرة فى موكب النصارى ، فصَرَع منهم وقتل ، وظهر منه ما أعجبت به نفسه ، فقال لشخص من خواصه عالم بأمور الحرب : كيف رأيت ؟ فقال : لو رآك السلطان لزاد فيما لَكَ فى بيت المال ، وأعلى مرتبتك ، أمن يكون رأسَ جيشٍ يُقْدِم هذا الإقدام ، ويتعرض بهلاك نفسه إلى هلاك مَنْ معه ، فقال له : دعنى فإنى لا أموت مرتين ، وإذا مت أنا فلا عاش مَنْ بعدى .

من ظرف أهل الأندلس

ومن حكاياتهم فى الظرف : أن القاضى أبا عبد الله محمد بن عيسى من بنى يحيي بن يحيي خرج إلى حضور جنازة ، وكان لرجل من إخوانه منزل بقرب مقبرة قريش ، فعزم عليه فى المَيْل إليه ، فنزل وأحضر له طعاماً ، وغنت جارية :

طابت بطيب لِثَاتِكَ الأقداح وزهَا بحمرة وجهك التفاحُ[1]
وإذا الربيع تنسَّمت أرواحه نَمَّتْ بعَرْف نسيمك الأرواح[2]
وإذا الحنادس ألبست ظلماءها فضياء وجهك فى الدجى مصباح

فكتبها القاضى طربا على ظهر يده

قال الراوى : فلقد رأيته يكبر على الجنازة والأبيات على ظهر يده

من بلاغات أهل الأندلس

ومن حكاياتهم فى البلاغة : ما ذكره فى «المطمح» أن أبا الوليد بن عيال[3] لما انصرف من الحج اجتمع مع أبى الطيب فى مسجد عمرو بن العاص بمصر ، ففاوضه

---

(١) في ا « وزهت بحمرة وجهك التفاح »
(٢) فى ا « لمت بعرف نسيمك الأرواح » محرفا ، ونمت : وشت
(٣) فى ب « ان الوليد بن عقال »

لابن عبد ربه

قليلا ، ثم قال له : أنشدنى لمليح الأندلس ، يعنى ابن عبد ربه ، فأنشده :

يالؤلؤا يَسْبِى العقول أنيقا ورَشاً بتعذيب القلوب رفيقا
ما إن رأيت ولاسمعت بمثله درًّا يعود من الحياء عقيقا
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه أبصرت وجهك فى سناه غريقا
يامن تقطع خَصْرُهُ من رقة ما بال قلبك لايكون رقيقا

فلما كمل إنشادها استعادها ، ثم صفق بيديه وقال : يا ابن عبد ربه ، لقد تأتيك العراق حَبْواً ، انتهى .

وقال مؤلف كتاب « واجب الأدب » : مما يجب حفظه من مخترعات الأندلسيين قول ابن عبد ربه :

ياذا الذى خَطَّ العذارُ بخده خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما كنت أقطع أن لحظَكَ صارمٌ حتى حملت من العذار حمائلا

من سعة اطلاع ابن زيدون

وحكى أن الوزير أبا الوليد بن زَيْدُون توفيت ابنته ، وبعد الفراغ من دفنها وقف للناس عند مُنْصَرَفهم من الجنازة ليتشكر لهم ، فقيل : إنه ما أعاد فى ذلك الوقت عبارة قالها لأحد ، قال الصَّفَدى : وهذا من التوسُّع فى العبارة ، والقدرة على التفنن فى أساليب الكلام ، وهو أمر صعب إلى الغاية ، وأرى أنه أشق مما يحكى عن واصل بن عطاء أنه ما سُمعت منه كلمة فيها راء ، لأنه كان يلثغ بحرف الراء لثغة قبيحة ، والسبب فى تهوين هذا الأمر وعدم تهويله أن واصل ابنَ عطاء كان يعدل إلى ما يُرادف تلك الكلمة مما ليس فيه راء ، وهذا كثير فى كلام العرب ، فإذا أراد العدول[1] عن لفظ فرس قال جواد أوسابِح أوصافِن ، أوالعدول عن رمح قال قناة أوصَعْدة أويَزَنى أو غير ذلك ، أو العدول عن لفظ صارم قال حسام

(١) ومن ذلك قوله فى بشار بن برد : « أما لهذا الزنديق الملقب أبا معاذ من يقتضى منه ؟ أما والله لولا أن الغيلة من أخلاق الغالية لبعثت إليه من يبعج بطنه ـ إلخ »

أو لهذم أوغيرذلك ، وأما ابنُ زيدون فأقول فى حقه : [إنه] أقلّ مما كان فى تلك الجنازة ، وهو وزير ، ألف رئيس ممن يتعين عليه أن يتشكرله ، و يضطر إلى ذلك ، فيحتاج فى هذا المقام إلى ألف عبارة مضمونُهَا الشكر(١)، وهذا كثير إلى الغاية ، لاسيما من محزون ، فقد قطعةً من كبده :

ولكنه صَوْبُ العقول إذا انبرت سحائبُ منه أعْقِبَتْ بسحائب(٢)

وقد استعمل الحريرى هذا فى مقاماته عند ما يذكر طلوع الفجر ، وهو من القدرة على الكلام ، وأرى الخطيب بن نُبَاتة ممن لا يُلْحَق فى هذا الباب ، فإنه أملى مجلدة معناها من أوّلها إلى آخرها « يا أيها الناس اتقوا الله واحذروه فإنكم إليه راجعون » وهذا أمر بارع معجز ، والناس يذهلون عن هذه النكتة [فيه] ، انتهى كلام الصَّفَدى ملخصا .

وقال فى الوافى ، بعدذكر[ه] جملةً من أحوال ابن زيدون ما نصه : وقال بعض الأدباء : مَنْ لبس البياض ، وتختم بالعقيق ، وقرأ لأبى عمرو ، وتفقه للشافعى ، وروى شعر ابن زيدون ، فقد استكمل الظّرْف ، وكان يسمى بُحْتُرِيَّ المغرب(٣) لحسن ديباجة نظمه ، وسهولة معانيه ، انتهى .

رَجْع إلى كلام أهل الأندلس :

لأبى الربيع سليمان بن على الشلبى

وكان الأديب المحدّث أبو الربيع سليمان بن على الشلبى الشهير بكثير يهوى مَنْ يتجنَّى عليه ويقول : إنه أبرد من الثلج ، فخاطبه كثير بقوله :

يا حبيبا له كلام خَلُوبُ قُلِّبَتْ فى لَظَى هواه القلوب
كيف تعزو إلى محبك بَرْدًا ومن الحبِّ فى حَشاه لهيبُ
أنت شمس وقلت إنىَ ثلج فلهذا إذا طلعت أذوب

---

(١) فى ا « مضمونها التشكر »
(٢) فى ب « أعقبت بسحاب »
(٣) فى ا « بحترى الغرب »

وقال ابن مهران مما يشتمل على أربعة أمثال :

لابن مهران

المال زين ، والحياة شهية ، والجود يفقر ، والشجاعة تقتل
والبخل عيب ، والجبان مذمم ، والقَصْد أحكم ، والتوسط أجمل

وقال ابن السِّيد البَطَلْيَوْسى متغزلا :

لابن السيد البطليوسى

نفسى الفداء لجؤذر حُلْو اللَّمَى مستحسن بصدوده أضنانى
فى فيه سِمْطَا جوهرٍ يروى الظما لو عَلَّنى ببَروده أحيانى

ويخرج من هذه القطعة عدة قطع (١) .

وقال ابن صارة مضمنا :

لابن صارة

إلى كم ينفدُ الدينار منى ويطلب كف من عنه يَحِيدُ
ألم أنشده فى وادى هيامى به لو كان يعطفه النشيد
حبيبى أنت تعلم ما أريد ولكن لا ترق ولا تجود
وكم غنيت حين تنكبتنى مُنًى شيطانُها أبداً مَريد
(يريد المرء أن يؤتى مُناه ويأبى الله إلا ما يريد)

وقال ذو الرياستين أبو مروان عبد الملك بن رَزِين :

لعبد الملك ابن رزين

بالله إن لم تزدجر يا مشبه البدر المنير

---

(١) كأن تقول مثلا :

نفسى الفداء لجؤذر مستحسن بصدوده
فى فيه سمطا جوهر لو علنى ببروده

وكأن تقول :

نفسى الفداء لجؤذر حلو اللمى مستحسن
فى فيه سمطا جوهر يروى الظما لو علنى

وكأن تقول :

نفسى الفداء لجؤذر بصدوده أضنانى
فى فيه سمطا جوهر ببروده أحيانى

لأسَرِّحَنَّ نواظـرى　　فى ذلك الورد النضير
ولآ كلنَّكَ بالمـنى　　ولأشربنَّكَ بالضمير

لابن عبد ربه

وقال ابن عبد ربه :

اشرب على المنظر الأنيق　　وامزج بريق الحبيب ريقى
واحلل وشاح الكعاب رفقاً　　خوفا على خَصْرها الرقيق
وقل لمن لام فى التصابى　　خذوا قليلا عن الطريق(١)

وسيأتى إن شاء الله تعالى قريبا من بلاغة أهل الأندلس فى الجد والهزل ما فيه مَقْنَع لمن اقتصر عليه .

من أنفة أهل الأندلس

ومن حكاياتهم فى عدم احتمال الضيم والذل والوصف بالأنفة : أنه لما ثار أيوب بن مطروح فى المائة الخامسة فى الفتنة على ملك غَرْنَاطة عبد الله بن بلقين ابن حَبُّوس وخاض بحار الفتنة حتى رماه موجُها فيمن رمى على الساحل ، وحصل فيما بث عليهم يوسف بن تاشفين من الحبائل ، وكانت له همة وأَنَفَة عظيمة ، وخلع عن إمارته ، وحصل فى حِبالته ، أدخل رأسه تحته ، فانتظر مَنْ حضر معه أن يتكلم أو يخرج رأسه ، فلم يكن إلا قليل حتى وقع ميتا ، رحمه الله تعالى !

ولما ثار الميورقى بإفريقية على بنى عبد المؤمن الثورةَ المشهورة ، وخدمه جملة من أعيان أهل الأندلس ، وكان من جملتهم مالك بن محمد بن سعيد العنسى ، كتب عنه من رسالة : و بعد ، فإنا لانحتاج لك إلى برهان على أمير لسانه الحسام ، وأيده(٢) التأييد الربانى الذى لا يُرَام ، قد نصب خيامه بالبَرَاح ، ولم يتخذ سوراً غير سُمْر القنا و بيض الصِّفاح ، له من العزم رداء ومن الحزم كمين(٣) :

إذا صدق الحسام ومُنْتضيه　　فكل قَرَارة حصن حصين

(١) فى ا « خل قليلا عن الطريق »
(٢) فى ب « ويده التأييد — إلخ »
(٣) فى ا « له من الحزم رداء ومن الرأى كمين »

وهو من القوم الذين لا يجورون على جار ، ولا يرحلون بخَزْية ولا يتركون من عار ، دينُهم دينُ التقوى ، وإن كنت من ذلك فى شك فأقدم علينا حتى يصح لك اختبار الذهب بالسَّبْك ، وأنت بالخيار فى الظعن والإقامة ، فإن حللت نزلت خير منزل ، وإن رحلت وُدِّعْتَ أفضل وَدَاع ، وسرت فى كنف السلامة ، إذ قد شهرنا بأنا لا نقيد إلا بالإحسان ، وأن ندع لاختياره كل إنسان .

من كرم أهل الأندلس

ومن حكايات أهل الأندلس فى الجود والفضل ومكارم الأخلاق : أن أبا العرب الصقلى حضر مجلس المعتمد بن عباد ، فأدخلت عليه جملة من دنانير السَّكَّة ، فأمر له بخريطتين منها ، وبين يديه تصاوير عنبر من جملتها صورة جمل مُرَصَّع بنفيس الدر ، فقال أبو العرب : ما يحمل هذه الدنانير إلا جمل ، فتبسم المعتمد وأمر له به ، فقال :

أعطيتنى جَمَلاً جَوْناً شَفَعْتَ به ... حملا من الفضة البيضاء لو حملا

نتاج جودك فى أعطان مكرمة ... لا قِدَّ تَعْرف من منع ولا عُقُلاَ(١)

فاعْجَبْ لشأنى فشأنى كله عجب ... رفهتنى فحملت الحمل والجملا

من شعر أبى العرب الصقلى

ومن نظم أبى العرب المذكور :

إلام اتباعى للأمانى الكواذب ... وهذا طريق المجد بادى المذاهب ؟

أُهَمُّ ولى عزمان عزم مشرق ... وآخر يثنى همتى للمغارب

ولا بدَّ لى أن أسأل العِيسَ حاجةً ... تشق على أخفافِها والغوارب

إذا كان أصلى من تُراب فكلها ... بلادى وكل العالمين أقاربى

من كرم الوزير أبى بكر ابن عبد العزيز

وذكر الحافظ الحِجارى فى « المسهب » أنه سأل عمه أبا محمد عبد الله بن إبراهيم عن أفضل من لقى من أجواد تلك الحَلْبة ، فقال : يا ابن أخى ، لم يُقدَرْ أن يقضى لى الاصطحاب(٢) بهم ، فى شباب أمرهم ، وعنفوان رغبتهم فى المكارم ، ولكن

---

(١) فى ب « لاقد تصرف من منع ولا عقلا »

(٢) فى ا « الاستمطار لهم »

اجتمعت بهم وأمرُهُم قد هرم ، وساءت بتغير الأحوال ظنونهم ، ومَلُّوا الشكر ، وضجروا من المروءة ، وشغلتهم المحن والفتن ، فلم يبق فيهم فضل للإفضال وكانوا كما قال أبو الطيب :

أتى الزمانَ بنُوه فى شبيبته فسرَّهم وأتيناه على الهرم

فإن يكن أتاه على الهرم فإنا أتيناه وهو فى سياق الموت ، ثم قال : ومع هذا فإن الوزير أبا بكر بن عبد العزيز — رحمه الله تعالى — ! كان يحمل نفسه مالا يحمله الزمان ، ويبسم فى موضع القطوب ، ويظهر الرضا فى حال الغضب ، ويجهد ألا ينصرف عنه أحدٌ غير راض ، فإن لم يستطع الفعل عوض عنه القول

من كرم المعتمد بن عباد

قلت له : فالمعتمد بن عباد كيف رأيته ؟ فقال : قصدته وهو مع أمير المؤمنين(١) يوسف بن تاشفين فى غَزْوته للنصارى المشهورة ، فرفعت له قصيدة منها :

لا روّع الله سِرْباً فى رحابهمُ وإن رَمَوْنى بترويع وإبعاد(٢)

ولا سقاهم على ما كان من عطش إلا ببعض نَدَى كف ابن عباد

ذى المكرمات التى مازلتَ تسمعها أنْسَ المقيم وفى الأسفار كالزاد

ياليت شعرىَ ماذا يرتضيه لمن ناداه يا مَوْئلى فى جَحْفل النادى

فلما انتهيت إلى هذا البيت قال : أما ماأرتضيه لك فلست أقدر فى هذا الوقت عليه ، ولكن خذ ماارتضى لك الزمان ، وأمر خادماله فأعطانى ماأعيش فى فائدته إلى الآن ، فإنى انصرفت به إلى الْمَرية ، وكان يعجبنى سكناها والتجارة بها ، لكونها مِينا لمراكب التجار من مسلم وكافر ، فتجَرْتُ فيها فكان إبقاء ماء وجهى على يديه ، رحمة الله تعالى عليه ! ثم أخذ البطاقة وجعل يجيل النظر والفكر فى القصيدة ، وأنا مترقب لنقده ، لكونه فى هذا الشأن من أئمته ، وكثيراً ما كان الشعراء يتحامَوْنه لذلك إلامَنْ عرف من نفسه التبريز ، ووثق بها ، إلى أن انتهى إلى قولى :

(١) فى ا « أمير المسلمين »

(٢) فى ا « لاروح الله سربا » محرفا

ولاسقاهُمُ عَلَى ما كان من عطش   إلا ببعْضِ نَدَى كف ابن عَبَّاد

فقال : لأى شىء بخلت عليهم أن يُسْقَوْا بكفه ؟ فقلت : إذن كان يلحقنى من النقد مالحق ذا الرمة فى قوله :

* ولا زال مُنْهَـلاًّ بجرعائك القطر * (١)

وكان طوفان نوح أهون عليهم من ذلك ، فتألَّقَتْ غرته ، وبدت مَسَرَّته ، وقال : إنا لله على أن لم يُعِنَّا الزمانُ على مكافأة مثلك .

قال : وكنت ممن زاره بسجنه بأَغْمَات ، وحملتنى شدة الحمية له والامتعاض لما حل به أن كتبت على حائط سجنه متمثلا :

فإن تَسْجُنوا القَسْرِيَّ لاتسجنوا اسْمَه   ولا تسجنوا مَعْرُوفَهُ فى القبائل

ثم تفقدت الكتابة بعد أيام ، فوجدت تحت البيت : لذلك سجنَّاه :

ومَنْ يَجْعَلِ الضرغام فى الصيد بازه   تَصَيَّده الضرغام فيما تصيَّدَا

فما أدرى مَنْ جاوب بذلك ، ثم عدت له ووجدته قد مُحى ، وأعلمت بذلك ابن عبَّاد ، فقال : صدق المجاوب ، وأنا الجانى على نفسه ، والحافر بيده لرَمْسه ، ولما أردت وداعه أمر لى بإحسان على قدر ما استطاع ، فارتجلت :

من شعر الحجارى

آليتُ لا أقبلُ إحسانَكم   والدَّهْرُ فيما قد عَرَاكم مُسِى
فنى الذى أسْلفتم غُنْيَـة   وإن يكن عندكم قد نُسِى

قال : وفيه أقول من قصيدة :

يا طالب الإنصاف من دهره   طلبت أمرا غير معتاد
فلو يكون العدل فى طبعه   لما عدا ملك ابن عَبَّاد

وللحِجَارى المذكور كتاب فى البديع سماه « الحديقة » وأنشد لنفسه فيه :

وشادن ينصف من نفسه   أمننى من سطوة الدهر
ينام للشرب على جنبه   ويصرف الذَّنْبَ إلى الخمر

وله فى فرس :

(١) عجز بيت لذى الرمة وصدره * ألا يا اسلمى يادارمى على البلى *

ومُسْتَبِقٍ يَحَار الطَّرْفُ فيه ويسلم فى الكفاح من الجماح
كأن أديمَهُ ليلٌ بَهيم تَحجَّلَ باليسير من الصباح
إذا احْتَدَمَ التسابق صار جرما تقلب بين أجنحة الرياح

لأبي العلاء ابن أزرق

وكتب أبو العلاء إدريس بن أزرق إلى ابن رشيق ملك مُرْسِية ، وقد طالت إقامته عند ابن عبد العزيز :

ألا ليت شعرى هل أعود إلى الذى عهدتُ من النُّعمى لديكم بلا جَهْدِ
فوالله مُذْ فارقتكم ما تخلَّصَتْ من الدهر عندى ساعةٌ دون ما كَدّ
فمُنُّوا بإذنٍ كى أطير إليكم فلا عار فى شوق إلى المال والمجد(١)

ووقف بعضُ أعدائه على هذه الأبيات ، فوَشَى بها إلى ابن عبد العزيز قاصدا ضَرَره ، وكان ذلك فى مَحْفِل ليكون أبلغ ، فقال : والله لقد ذكرتنى أمره ، ولقد أحسن الدلالة على حاله ، فإن الرجل كريم ، وعلينا موضع اللوم ، لا عليه ، ووالله لأوسعنّهُ مالا ووُجْدًا بقدر وسعى ، ثم أخذ فى الإحسان إليه حتى بر يمينه رحمه الله تعالى :

هكذا هكذا تكون المعالى طُرُقُ الجد غيرُ طُرْقِ المزاح

لمحمد بن هشام المروانى

ولنذكر جملة من بنى مَرْوان بالأندلس ، فنقول :

قال محمد بن هشام المروانى صاحب كتاب « أخبار الشعراء » :

ورَوْضَة من رياض الحزْنِ حالفها طَلٌّ أطَلَّتْ به فى أفقها الحللُ
كأنما الورد فيما بينها ملك مُوفٍ ونوّارها من حَوْلِهِ خَوَلُ

وكان فى مدة الناصر ، وأدخل عليه يوما ليذاكره ، فاستحسنه ، وأمره بالتزام بنيه ليؤدبهم بحسن أدبه ، ويتخلقوا بخلقه ، فاستعفى من ذلك ، وقال : إن الفتيان

---

(١) فى ا « فلا عار فى شوقى إلى المال والمجد »
(٢) الخول ، كالخدم وزنا ومعنى

لايتعلمون إلا بشدة الضبط والقَيْد والإغلاظ ، وأنا أكره أن أعامل بذلك أولاد الخليفة فيكرهونى ، وقد يحقد لى بعضهم ذلك إلى أن يقدر على النفع والضرر .

قالوا : وكان يتعشق المستنصر بالله ولى عهد الناصر وهو غلام ، وله فيه :

مَتِّعْ بوجهك جفنى ... يا كوكبا فوق غُصْنِ

يامن تحجَّبَ حتى ... عن كل فكر وأُذْنِ

وخامر الخوف فيه ... فما يمر بذهن (١)

فليس للطَّرْفِ والقلب ... غير دمع وحزن

فإننى ذو ذنوب ... وأنت جنة عَدْنِ

لأحمد بن هشام

وقال أخوه أحمد بن هشام :

قطعت الليالى بارتجاء وصالكم ... وما نلت منكم غير مُتَّصِل الهجْرِ

وما كنت أدرى ما التصبُّر قبلكم ... فعلمتونى كيف أقوى على الصبر

وما كنت ممن يَعْلَقُ الصبر فكره ... ولكن خشيت الصبر يذهب بالعمر

علو همة أحمد بن هشام

ومن حكاياتهم فى علوِّ الهمة : أنه كان سبب قراءته واجتهاده أنه حضر مجلسا فيه القائد أحمد بن أبى عبدة ، وهو غلام ، فاستخبره القائد ، فرآه بعيدا من الأدب والظَّرْف ، ورأى له ذِهْنًا قابلا للصلاح ، فقال : أى سيف لو كانت عليه حلية ؟ فقامت مِنْ هذه الكلمة قيامَتُه ، وثابت له همة ملوكية عَطَفَ بها على الأدب والتعلم (٢) ، إلى أن صار ابن أبى عَبْدَة عنده كما كان هو عند ابن أبى عبدة أولا ، فحضر بعد ذلك معه ، وجالا (٣) فى مضمار الأدب ، فرأى ابن أبى عبدة جوادا لايُشَقُّ غُبَاره ، فقال : ما هذا ؟ أين هذا مما كان ؟ فقال : إن كلمتكَ عملتْ

---

(١) فى ا « فمايجول بذهن »

(٢) فى ا « على الأدب والتعليم »

(٣) فى ا « رجالا فى مضمار الأدب » محرفا

فى فكرى ما أوجب هذا ، فقال : والله إن هذه حلية تليق بهذا السيف ، فجزاك الله عن همتك خيرا ! .

ثم قال له : سر إن لى عليك حقا إذ بعثتك على التأدب والتميز ، فإذا حضرنا فى جماعة فلا تتطاول على تقصيرى ، وحافِظْ على أن لا أسقط من العيون بإرباء غيرى على ، فقال : لك ذلك وزيادة .

المنذر بن عبد الرحمن الأوسط

وكان المنذر بن الأمير عبد الرحمن الأوسط سيىء الخلق فى أول أمره ، كثير الإصغاء إلى أقوال الوشاة ، مفرط القلق مما يقال فى جانبه ، معاقبا على ذلك مَنْ[1] يقدر على معاقبته ، مكثر التشكى ممن لا يقدر عليه لوالده الأمير عبد الرحمن ، فطال ذلك على الأمير ، فقال لوكيل خاص به عارف بالقيام بما يكلفه به : الموضع الفلانى الذى بالجبل الفلانى المنقطع عن العمران تبنى[2] فيه الآن بناء أسْكِنُ فيه ابنى المنذر ، وأوصاه بالاجتهاد فيه ، ففرغ منه ، وعاد إليه ، فقال له : تُعْلِم المنذر أنى أمرته بالانفراد فيه ، ولا تترك أحدا من أصحابه ولا أصحاب غيره يزوره ، ولا يتكلم معه البتة ، فإذا ضجر من ذلك وسألك عنه فقل له : هكذا أمر أبوك ، فتولّى الثقة ذلك على ما أمر به ، ولما حصل المنذر فى ذلك المكان و بقى وحده ، وفَقَد خَوَله ومن كان يستريح معه[3] ، ونظر إلى ما سُلِبه من الملك ضَجِر ، فقال للثقة : عسى أن يصلنى غلمانى وأصحابى أتأنَّسُ بهم ، فقال له الثقة : إن الأمير أمر أن لا يصلك أحد ، وأن تبقى وحدك لتستريح مما يرفع لك أصحابك من الوشاية ، فعلم أن الأمير قصد مِحْنَته بذلك[4] وتأديبه ، فاستدعى دواة وكتب إلى أبيه : إنى قد توحَّشْت فى هذا الموضع توحُّشا ما عليه من مزيد ، وعدمت فيه مَنْ كنت آنس إليه ، وأصبحت مسلوبَ العز فَقِيدَ الأمر والنهى ، فإن كان ذلك عقابا لذنبٍ كبير

(١) فى ا « معاقبا على ذلك لمن يقدر على معاقبته »

(٢) فى ا « نبنى فيه » (٣) فى ا « يستريح إليه »

(٤) محنته : امتحانه واختباره وابتلاءه .

ارتكبته وعلمه مولاى ولم أعلمه فإنى صابر على تأديبه ، ضارع إليه فى عَفْوه وصفحه :

وإن أمير المؤمنين وفِعْلَهُ لكالدهر ، لا عارٌ بما فعل الدهر

فلما وقف الأمير على رقعته ، وعلم أن الأدب بلغ به حقه ، استدعاه فقال له : وصلَتْ رقعتك تشكو ما أصابك من توحش الانفراد فى ذلك الموضع ، وترغب أن تأنس بخَوَلك وعبيدك وأصحابك ، وإن كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سكناك فى ذلك المكان ، وما فعلتُ ذلك عقابا لك ، وإنما رأيناك تكثر الضجر والتشكى من القال والقيل ، فأردنا راحتَك بأن نحجب (١) عنك سماع كلام مَنْ يرفع لك وينمّ ، حتى تستريح منهم ، فقال له : سماعُ ما كنت أضجر منه أخفّ على من التوحُّد والتوحش والتخلى مما أنا فيه من الرفاهية والأمر والنهى ، فقال له : فإذ قد عرفت وتأدبْتَ فارجع إلى ما اعتدته ، وعوّل على أن تسمع كأنك لم تسمع ، وترى كأنك لم تر ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « لو تكاشفتم ما تدافنتم » واعلم أنك أقرب الناس إلى وأحبهم فى ، وبعد هذا فما يخلو صدرك فى وقت من الأوقات عن إنكار على ، وسخط لما أفعله فى جانبك أو جانب غيرك ، مما لو (٢) أطلعنى الله تعالى عليه لساءنى ، لكن الحمد لله الذى حفظ ما بين القلوب بسَتْر بعضها عن بعض فيما يجول فيها ، وإنك لذو همة ومَطْمَح ، ومن يكن هكذا يصبر ويغض ويحمل ، ويبدل العقاب بالثواب ، ويصير الأعداء من قبيل الأصحاب ، ويصبر من الشخص على ما يسوء ، فقد يرى منه بعد ذلك ما يسر ، ولقد يخف على اليوم مَنْ قاسيت من فعله وقوله ما لو قطعتهم (٣) عضوا عضوا لما ارتكبوه منى ما شفيت منهم غيظى (٤) ، ولكن رأيت الإغضاء والاحتمال ، لا سيما عند الاقتدار ، أولى ، ونظرت إلى جميع مَنْ حولى ممن يحسن ويسىء فوجدت القلوب متقاربة بعضها من بعض ، ونظرت إلى

---

(١) فى ا « بأن يحجب عنك » وتقرأ بالبناء للمجهول

(٢) فى ا « مالو أطلعنى الله عليه »

(٣) فى أصل ا « ولو قطعتهم » وفي نسخة عندها « من لو قطعتهم »

(٤) فى ا « ما شفيت فيهم غيظى »

المسىء يعود محسنا ، والمحسن يعود مسيئا ، وصرتُ أندَم على مَنْ سبق له منى عقاب ، ولا أندم على مَنْ سبق له منى ثواب ، فالزم يا بنى معالى الأمور ، وإن جماعها فى التغاضى ، ومَنْ لا يتغاضى لا يسلم له صاحب ، ولا يقرب منه جانب ، ولا ينال ماتترقى إليه همته ، ولا يظفر بأمله ، ولا يجد معينا حين يحتاج إليه ، فقبَّل المنذر يده ، وانصرف ، ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده حتى تخلق بالخلق الجميل ، ، و بلغ ماأوصاه به أبوه ، ورفع قدره .

من شعر المنذر بن عبد الرحمن

ومن شعره فى ابن عم له :

ومولًى أبى إلا أذاىَ و إننى ... لأحْلُمُ عنه وهو بالجهل يقصد

توددته فازداد بعدا و بغضة ... وهل نافع عند الحسود التودد

وقوله :

خالف عدوّك فيما ... أتاك فيه لينصح

فإنما يبتغى أن ... تنام عنه فيربح

من كرم نفس المنذر بن عبد الرحمن

ومن كرم نفسه أن أحد التجار أهدى له جارية بارعة الحسن ، واسمها طَرَب ، ولها صنعة فى الغناء حسنة ، فعندما وقع بصره على حسنها ثم أذُنُه على غنائها أخذت بمجامع قلبه ، فقال لأحد خُدَّامه : ما ترى أن ندفع لهذا التاجر عوضا عن هذه الجارية التى وقعت منا أحسن موقع ؟ فقال : تقدر ماتساوى من الثمن وتدفع له بقدرها ، فَقُوِّمت بخمسمائه دينار ، فقال المنذر للخديم : ماعندك فيما ندفع له ؟ فقال : الخمسمائة ، فقال : إن هذا للؤم ، رجل أهدى لنا جارية ، فوقعت منا موقع استحسان ، نقابله بثمنها ، ولو أنه باعها من يَهُودى لوجد عنده هذا ، فقال له : إن هؤلاء التجار لؤماء بخلاء ، وأقلُّ القليل يقنعهم ، فقال : و إنا كرماء سُمَحاء ،

---

(١) فى ا وقع هذا البيت هكذا :

فإنما ينبغى أن ... تنام عنه فتربح

فلا يقنعنا القليل لمن نجود عليه ، فادفع له ألفَ دينارٍ ، واشكره على كونه خصَّنا بها ، وأعلمه بأنها وقعت منا موقع رضا

وفيها يقول :

ليس يفيد السرورُ والطربُ إن لم تقابل لواحظى طَرَبُ
أُبْهِتُ فى الكأس لستُ أشربها والفكر بين الضلوع يلتهب
يعجب منى معاشِرٌ جهلوا ولو رأوا حسنها لما عجبوا

وقال له أبوه يوماً : إن فيك لتيهاً مُفْرِطا ، فقال له : حُقَّ لفرعٍ أنت أصلُه أن يعلو ، فقال له : يابنى إن العيون تمجُّ التيَّاه(١) ، والقلوب تنفر عنه(٢) ، فقال : ياأبى لى من العز والنسب وعلوّ المكان والسلطان مايحمل عن ذلك ، و إنى لم أر العيون إلا مقبلة على ، ولا الأسماع [إلاَّ] مُصْغية إلى ، و إن لهذا السلطان رَوْنَقاً يرنِّقه(٣) التبذل ، وعلوًّا يخفضه الانبساط ، ولا يصونه ويشرفه إلا التيه والانقباض ، وإن هؤلاء الأنذال لهم ميزان يَسْبُرُون(٤) به الرجل منا ، فإن رأوه راجحاً عرفوا له قدر رَجاحته و إن رأوه ناقصا عاملوه بنقصه ، وصيروا تواضُعَه صغرا ، وتحضُّعه(٥) خِسَّةً ، فقال له أبوه : لله أنت ! فابق ومارأيت

المطرف بن عبد الرحمن الأوسط

وكان له أخ أديب أيضا اسمه المطرف بن عبد الرحمن الأوسط ، ومن شعره :

أفنيت عمرىَ فى الشُّرْ ب والوجوه الملاح
ولم أضيِّع أصيلاً ولا اطلاع صباح
أحْيِي الليالىَ سُهْدًا فى نَشْوَة ومراح
ولست أسمع ماذا يقول داعى الفلاح

والعياذ بالله من هذا الكلام ، وحاكى الكفر ليس بكافر

---

(١) فى ا « تمج التائه » (٢) فى ا « تنحرف عنه »
(٣) يرنقه : يكدره ، ووقع فى ب « يريقه التبذل »
(٤) فى ا « يشبرون به الرجل منا » (٥) فى ب « وتخفضه »

وعتبه أحد إخوانه على هذا القول فقال : إنى قلته وأنا لا أعقل ، ولم أعلم أنه يُحْفَظُ عنى ، وأنا أستغفر الله تعالى منه ، والذى يغفر الفعل أكرمُ من أن يعاقب على القول

ومن جيد شعره قوله :

يا أخى فرّقَتْ صروفُ الليالى بيننا غير زَوْرَةِ الأحلام
فغدونا بعد ائتلاف وقرب نتناجى بألسُنِ الأقلام

هشام بن عبد الرحمن الأوسط

وقال أخوهما الثالث هشام بن عبد الرحمن فيمن اسمه ريحان :

أحبك يا ريحان ماعشت دائما ولو لامَنِى فى حبك الإنس والجانُ
ولولاك لم أهْوَ الظلامَ وسُهْده ولا حُبِّبت لى فى ذَرَا الدار غربان
وما أعشق الريحان إلا لأنه شريكُكَ فى اسم فيه قلبىَ هيمان
على أنه لم يكمل الظرف مجلس إذا لم يكن فيه مع الراح ريحان

وله فيه :

إذا أنا مازحْتُ الحبيب فإنما قصدتُ شفاء الهم فى ذلك المزح
فما العيش إلا أن أراه مضاحكا كما ضحك الليل البهيم عن الصبح

يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط

وقال أخوهم الرابع يعقوب بن عبد الرحمن :

إذا أنا لم أجُدْ يوما وقومى لهم فى الجود آثار عظام
فمن يُرْجَى لتشييد المعالى إذا قعدت عن الخير الكرام؟

ومدحه بعضُ الشعراء ، فأمر له بمال جزيل ، فلما كان مثلُ ذلك الوقت جاءه بمدح آخر ، فقال أحد خدام يعقوب : هذا اللئيم له دين عندنا [جاء] يقتضيه؟ فقال الأمير : ياهذا ، إن كان الله تعالى خلقك مجبولا على كره ربّ الصنائع فأجر على ماجُبلت عليه فى نفسك ، ولا تكن كالأجرب يُعْدِى غيره ، و إن هذا الرجل(١)

(١) فى ا « وإن هذا رجل قصدنا ـ إلخ »

قصدنا قبلُ ، فكان منا[له] ما أنِسَ به وحَمَله على العودة ، وقد ظن فينا خيراً ، فلا نخيب ظنه ، والحديث أبدا يحفظ القديم ، وقد جاءنا على جهة التهنئة بالعمر ، ونحن نسأل الله تعالى أن يطيل عمرنا حتى يكثر ترداده ، ويديم نعمنا حتى نجد ماننعِم به عليه ، ويحفظ علينا مروءتنا حتى يعيننا على التجمل معه ، ولا يبلينا بجليس مثلك يقبض أيدينا عن إسداء الأيادى ، وأمر للشاعر بما كان أمر له به قبلُ ، وأوصاه بالعَوْد عند حلول ذلك الأوان مادام العمر .

بين الأميرين محمد وأبان ابنى عبد الرحمن الأوسط

وقال أخوهم الخامس الأمير محمد بن الأمير عبد الرحمن لأخيهم السادس أبان وقد خلا معه على راحة : هل لك أمل نبلغك إياه ؟ فقال : لم يبق لى أمل إلا أن يديم الله تعالى عمرك ويخلد ملكك ، فأعجب ذلك الأمير ، وقال : ما مالت إليك نفسى من باطل ، وكان كل واحد منهما يهيم بالآخر ، وفى ذلك يقول أبان :

يا من يلوم ولا يدرى بمن أنا مفتونٌ لو اُبصرته ما كنت تَلْحانى(١)

من مازَجَتْ روحُه روحى وشاطرنى يا حسنه حين أهواه ويهوانى

أبناء محمد بن عبد الرحمن وشىء من شعرهم

وكان للأمير محمد بن الأمير عبد الرحمن ثلاثة أولاد نجباء : القاسم ، والمطرف ، ومسلمة ، ولهم أخ رابع اسمه عثمان

فمن نظم القاسم فى عثمان أخيه ، وقد زاره فاستسقاه ماء ، فأبطأ عليه غلامه لعلة لم يقبلها القاسم :

المـاء فى دار عثمان له ثمن والخبز شىء له شأن من الشَّانِ

فاسْلَحْ على كل عثمان مررت به غير الخليفة عثمان بن عفان

وله :

شُغِلْتُ بالكيمياء دَهْرِى فلم أُفِدْ غير كل خُسْرِ

---

(١) لحاه يلحاه ويلحوه : عابه ولامه وتسخط فعله ، وقد وصل الهمزة من « أبصرته » وأصلها همزة قطع ؛ لضرورة إقامة وزن البيت

إتعاب فكر خداع عقل فساد مال ضياع عمر

وقال شقيقُه المطرف ، و يعرف بابن غزلان ، وهى أمه ، وكانت مغنية بديعة محسنة عوّادة أديبة :

هل أتكى مُشْرِفاً على نَهَرٍ أرمى بطرفى إليه من قصرى
عنـد أخٍ لو دهته حادثة أعطيته ماأحبُّ من عمرى

وقال أخوهما مسلمة :

إن شيبا وصَبْوة لمحال أو لم يأن أن يكون زوال(١)
فَدَعِ النفس عن مزاح ولَهْوٍ تلك حال مضت وجاءتك حال

وكان يقول : إنى لاأفارق إلاَّ من اختار مفارقتى ، ومَنْ خادعنى انخدعت له ، وأريته أنى غير فَطِن بخداعه ، ليعجبه أمره ، وأُدخل عليه مسرة بنفسه ورأيه .

محمد بن المنذر ابن محمد فى جاريته الأراكة

وقال محمد بن الأمير المنذر بن الأمير محمد فى جاريته الأراكة :

قل للأراكة قد زا د بالدنوّ اشتياقى
وهاج مابى إليها تمثُّلِى للعنـاق
وإننى وبقلـبى جمر جرى فى المآقى
طويت مابى ليوم يكون فيـه التلاقى
فإن أعد لاجتماع حرمْتُ يوم افتراق
لا يعرف الشوق إلا مَنْ ذاق طعم الفراق

لعبد الله بن الناصر

وقال عبد الله بن الناصر ، وقد أهدى له سعيد بن فرج ياسمينا أبيض وأصفر وكتب معه :

مولاى قد أرسلت نحوك تُحْفة بمـراد ما أبغيه منك تذَكُّرُ

---

(١) الصبوة ـ بالفتح ـ الميل إلى دواعي الصبا . يقول : مستحيل على من شاب أن يكون ذا صبوة

من ياسمين كاللُّجَين تبرجت بيضا وصفراً والسماح يعبر

فأجابه بما نصه :

أتاك تفسيرى ولَمَّا يَحُلْ منى على أضغاث أحلام [١]

فاجعله رَسْماً دائما زائرا منى ومنك غرة العام [٢]

وبعث إليه بهذين البيتين مع ملء الطبق دنانير ودراهم ، فقال ابن فرج :

قد سمعنا بجود كَعْبٍ وحاتم ما سمعنا جودا مَدَى العمر لازم [٣]

فدعائى بأن تدوم دعاء لىَ لا زال طولَ ما عشت دائم

ما سمعنا كمثل هذا اختراعا هكذا هكذا تكون المكارم

من جود بعض ملوك إفريقية

وتُشْبه هذه الحكاية حكاية اتفقت لبعض ملوك إفريقية ، وذلك أن رجلا أهدى له فى قادوس ورداً أحمر وأبيض ، فأمر أن يملأله دراهم ، فقالت له جارية من جواريه : إن رأى الأمير [أنْ] يلوّن ما أعطاه ، حتى يوافق ما أهداه ، فاستحسن ذلك الأمير ، وأمر أن يملأ دنانير ودراهم .

بين عبد الله المروانى وصديق يسايره

وكان المروانى المذكور يساير أحد الفقهاء الظرفاء ، فمرَّا بجميل ، فمال عبد الله بطرفه إلى وجهه [٤] ، وظهر ذلك لمسايره ، فتبسَّم ، ففهم عبد الله تبسمه [٥] ، فقال : إن هذه الوجوه الحسان خَلاَّبة ، ولكنا لا نتغلغل فى نظرها ، ولا ندَّعى العفة عنها بالجملة ، وفيها اعتبار وتذكار بالُحورِ العين التى وعد الله تعالى ، فقال له الفقيه : اُحتج لروحك بما شئت ، فقال : أو ما هى حجة تقبل ؟ فقال الفقيه : يقبلها من رَقَّ طبعُهُ ، وكاد يضيق عن الصبر وُسْعُهُ ، فقال : وأراك شريكا لى ، فقال :

---

(١) فى ا « ولما يحل عنى على أضغاث أحلام » (٢) فى ا « منك ومنى غرة العام »

(٣) كعب : هو كعب بن مامة الإيادى ، وحاتم : هو حاتم الطائى ، وهما مضرب المثل فى الجود

(٤) فى ا « علي وجهه »

(٥) فى ا « ففهم عبد الله عنه »

ولولا ذلك للمتك ، فأطرق عبد الله ساعة ثم أنشد :

أفدى الذى مر بى فمال له لحظى ولكن ثنيته غصبا

ما ذاك إلا تَخَافَ منتقد فالله يعفو ويغفر الذنبا

فقال له الفقيه : إن كنت ثنيت لحظك خوف انتقادى فإنى أدعوه إليك حتى تملأ منه ، ولا تنسب إلى ما نسبت ، فتبسم عبد الله وقال : ولا هذا كله ، وقال له : إن مثلك فى الفقهاء لمعدوم ، فقال له : ما كنتُ إلا أديبا ، ولكنى لما رأيت سوق الفِقْهِ بقُرْطُبة نافقة اشتغلت به ، فقال له : ومِنْ عَقْل المرء أن لا يفنى عمره فيما لاينفقه عصره .

مقتل عبد الله بن الناصر

وكان عبد الله المذكور يسمَّى الزاهد ، فبايع قوما على قتل والده الناصر وأخيه الحكم المستنصر ولى العهد ، فأخذ يوم عيد الأضحى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ، فذبح بين يديه رحمه الله تعالى ! .

لعبد العزيز بن الناصر

وقال أخوه أبو الأصبغ عبد العزيز بن الناصر ، وقد دخل ابن له الكتاب ، فكتب أول لوح ، فبعثه إلى أخيه [الحكم] المستنصر ملك الأندلس ، ومعه :

هاكَ يا مولاى خطًّا مَطَّه فى اللوح مطا

ابنُ سبعٍ فى سِنِيهِ لم يُطِقْ للوح ضبطا

دمت يا مولاى حتى يلدَ ابنُ ابنك سبطا

وله :

زارنى من همت فيه سَحَرًا يتهادى كنسيم السَّحَرِ

أقبس الصبح ضياء ساطعا فأضا والفجر لم ينفجر

واستعار الروض منه نفْحَةً بثَّهَا بين الصبا والزهر

أيها الطالع بدراً نيرا لاحللت الدهر إلاَّ بصرى

وكان مُغْرًى مغرما بالخمر والغناء ، فقطع الخمر ، فبلغه أن المستنصر لما بلغه تركُهُ

للخمر قال : الحمد لله الذى أغنانا عن مفاتحته ، ودَلَّه على ما نريد منه ، ثم قال : لو ترك الغناء لكمل خيره ، فقال : والله لا تركْتُه حتى تترك الطيورُ تغريدَها ، ثم قال :

أنا فى صحة وجاه ونُعْمَى   هى تدعو لهذه الألحان

وكذا الطير فى الحدائق تَشْدُو   للذى سَرَّ نفسه بالقيان

محمد بن الناصر

وقال أخوه محمد بن الناصر لما قدم أخوهما المستنصر من غَزْوة :

قدمْتَ بحمد الله أسعد مقدم   وضدُّك أضحى لليدين وللفم(١)

لقد حُزْتَ فيها السبق إذ كنت أهله   كما حاز « بسم الله » فضلَ التقدم(٢)

محمد بن عبد الملك بن الناصر

وأما أخوهما محمد بن عبد الملك بن الناصر فقال الحِجَارى فيه : إنه لم يكن فى ولد الناصر ممن لم يَلِ الملكَ أشعر منه ومن ابن أخيه ، وكتب إلى العزيز صاحب مصر :

أَلَسْنَا بنى مروان كيف تبدّلت   بنا الحالُ أو دارت علينا الدوائر

إذا وُلد المولود منا تهَلّلَتْ   له الأرض واهتزت إليه المنابر

وكان جواب العزيز له : أما بعدُ فإنك عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لهجرناك(٣) .

وله فى الصَّنَوْبر :

إن الصنوبرَ حصن   لديه حِرْزٌ وباسُ

خفت مِنَ أجل إرها   ب من عداهُ تراسُ

كأنما هو ضد   لما حواه الرياس

(١) لليدين وللفم : كناية عن كونه قد خر صريعا

(٢) « بسم الله » أراد هذا اللفظ ، فإنه يقدم على كل شىء

(٣) فى ا « علمتنا فهجوتنا ، ولو علمناك لهجوناك »

و بعض سيوف الأندلس محفور صـــدر الرياس على صورة قشور الصنوبر إلا أن تلك نائتة وهذه محفورة ، وقال :

أتانى وقد خُطَّ العـذارُ بخده — كما خط فى ظهر الصحيفة عنوان

تزاحمت الألحاظ فى وَجَناته — فشُقَّتْ عليــه للشقائق أردان

وزدْتُ غراما حين لاح كأنما — تفتَّحَ بين الورد والآس سوسان

وقال :

لئن كنت خَلاَّعَ العذار بشادن — وكأس فإنى غير نَزْرِ المواهبِ

وإنى لطعَّان إذا اشْتجَر القَنَا — ومُقْحِم طرفى فى صدورالـكتائب

وإنى إذا لم ترض نفسى بمنزل — وجاش بصدرى الفكرجم المذاهب

جليدٌ يَئُودُ الصخر لوأن صـبره — كصبرى على ما نابنى للنوائب(١)

وأسْرِى إلى أن يحسب الليل أننى — لطول مسيرى فيه بعضُ الـكواكب

مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك

وأما ابن أخيه مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر فكان فى بنى أمية شبه عبد الله بن المعتز فى بنى العباس ، بملاحة شعره وحسن تشبيهه .

ومن شعره القصيدة المشهورة :

غُصُنٌ يهتز فى دِعْصٍ نقاً — يجتنى منــه فؤادى حُرَقَا

سال لام الصدغ فى صفحته — سـيلان التِّبر وافى الورقا

فتناهى الحسنُ فيـه إنما — يَحْسُنُ الغصن إذاما أورقا

ومنها :

أصْبَحَتْ شمساً وفوه مَغْرِباً — و يد الساقى المحيِّ مشرقا(٢)

فإذا ما غَرَبَتْ فى فمــه — تركت فى الخدّ منــه شفقا

---

(١) يؤد : يعجز ويضعف

(٢) الضمير فى « أصبحت » يعود إلى الخمر ، وفى « فوه » يعود إلى الشادن

ومنها :

وكأن الورد يعلوه الندى   وَجْنَةَ المحبوب تَنْدَى عَرَقَا

قالوا : وهذا النمط قدفاق به[١] أهل عصره ، ويظن أنه لايوجد لأحد منهم أحلى وأكثر أخذا بمجامع القلوب من قوله :

وَدَّعْتُ مَنْ أهوى أصيلا ليتنى   ذقت الحِمام ولا أذوق نَوَاه

فوجدت حتى الشمس تشكو وَجْدَه   والورق تندب شجوها بهواه

وعلى الأصائل رقة من بعده   فكأنها تَلْقَى الذى ألقاه

وغدا النسيم مبلغا ما بيننا   فلذاك رقَّ هَوى وطاب شَذَاه

ما الروض قد مزجت به أنداؤه   سَحَرا بأطيب من شَذَا ذكراه

والزهر مبسمه ونَكْهته الصَّبا   والورد أَخْضَلَهُ الندى خَدَّاه

فلذاك أولع بالرياض لأنها   أبدا تذكِّرنى بمن أهواه

ولله قوله :

وعَشِيٍّ كأنه صبح عيد   جامع بين بَهْجَةٍ وشحوب

هَبَّ فيه النسيم مثل محب   مستعيرا شمائل المحبوب

ظَلْتُ فيه ما بين شمسين هذى   فى طلوع وهذه فى غُروب

وتدلَّتْ شمس الأصيل ولكن   شمسنا لم تزل بأعلى الجنوب[٢]

ربِّ هذا خلقته من بديع   مَنْ رأى الشمس أطلعت فى قضيب

أى وقت قد أسعف الدهر فيه   وأجابت به الْمُنَى عن قريب

قد قطعناه نَشْوة ووصالا   وملأناه من كبار الذنوب

حين وَجْهُ السعود بالبِشْرِ طَلْقٌ   ليس فيه أمارة للقطوب

---

(١) فى ا « فات به أهل عصره »

(٢) فى أصل ا « بأعلى الجيوب » وما أثبتناه يوافق ب ، ونسخة عندا

ضيع الله من يضيع وقتا قد خلا من مُكَدِّر ورقيب

وبات عند أحد رُؤساء بنى مروان ، فقدم إليه ذلك الرئيس[(١)] قدحا من فضة فيه راح أصفر ، وقال : اشرب وصِفْ فِدَاكَ ابنُ عمك ، فقام إجلالا وشرب صائحا بسروره ، ثم قال : الدواة والقرطاس ، فأُحْضِرَ ، وكتب :

اشرب هنيئا لا عَدَاكَ الطربْ شرب كريم فى العلا منتخب[(٢)]

وافاك بالراح وقد ألبست بُرْدَ أصيل معلما بالحَبَبْ

فى قَدَح لم يك يسقى به غير أولى المجد وأهل الحسب

ما جار إذ سقاك من كفه فى جامد الفضة ذَوْبَ الذهب

فقم على رأسك برا به واشرب على ذكراه طول الحقب

ويحكى أنه لما قتل أباه وقد وجده مع جارية له كان يهواها سَجَنه المنصورُ بن أبى عامر مدة ، إلى أن رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم يأمره بإطلاقه ، فأطلقه ، فمن أجل ذلك عرف بالطليق .

لأحمد بن سليمان بن أحمد فى ابن حزم

وقال أحمد بن سليمان بن أحمد بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر فى ابن حزم لما عاداه علماء عصره :

لما تحلّى بخلق كالمسك أو نَشْرِ عُودِ[(٣)]

نجل الكرام ابن حزم وقام فى العلم عُودِى[(٤)]

فتواه جدد دينى جدواه أورق عودى[(٥)]

وله فى أبى عامر

وله فى أبى عامر بن المظفر بن أبى عامر من قصيدة يمدحه بها :

بأبى عامر وَصَلْتُ حبالى فزمانى به زمان سعيد

فمتى زدت فيه ودا وشكرا فنَدَاه وقد تناهى يزيدُ

---

(١) فى ا « ذلك الرائس » (٢) فى ا « سر كريم »

(٣) النشر – بالفتح – طيب الريح ، والعود هنا : عود البخور

(٤) عودى : فعل ماض مبنى للمجهول من المعاداة

(٥) عودى : هنا كلمتان ، عود بمعنى غصن ، وياء المتكلم

كيف لى وصفه وفى كل يوم منه فى المكرمات معنى جديد

لأبى عبد الله محمد بن محمد ابن الناصر

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثى أبا مروان بن سراج :

وكم من حديث للنبى أبانه وألبسه من حسن منطقه وَشْياَ

وكم مُصْعَب للنحو قد راض صعبه فعاد ذَلُولاً بعد ما كان قد أعيا

لعبيد الله بن محمد المهدى (الأقرع)

وقال عبيد الله بن محمد المهدى ، وهو من حسنات بنى مروان ، ويعرف بالأقرع :

أقول لآمالى ستبلغ إن بدا مُحياًّ ابن عطاف ونعم المؤمَّلُ

فقالت دعانى كل يوم تعلل فقلت لها إن لاح يفنى التعلل

لئن كان منى كل حين ترحُّل فإنىَ إن أحْلُلْ به لست أرحَلُ

فَتىً تردُ الآمال فى بحر جوده وليس على نعمى سواه المعوَّلُ

وقال هذه فى الوزير ابن عَطَّاف ، فضن عليه حتى بِرَجع الجواب[1] ، فكتب إليه بقصيدة منها :

أيها الممكن من قدرته لا يراك الله إلا مُحْسنا

إنما المرء بما قدَّمه فتخير بين ذم وثنَا

لا تكن بالدهر ، غِراًّ وإذا كنت فانظر فعله فى ملكنا

كل ما خولت منه ذاهب إنما تصحب منه الكفنا[2]

مُدَّ كفاً نحو كف طالما أمطرت منه السحاب الُهتَّنَا[3]

أو أرِحْنِى بجواب مؤيس فمطالُ البر من شر العَنا

فلم يُعطه شيئاً ، وكان له كاتب فتحيَّلَ فى خمسين درهما فأعطاها له ، فلما سمع الوزير بذلك طرده ، وقال له : من أنت حتى تحمل نفسك هذا وتعطيه ؟ قال : فوالله ما لبث إلا قليلا حتى مات الوزير ، وتزوج الكاتب بزوجته ، وسكن فى داره ،

---

(١) فى ا ، ب « يرجع الجواب » ورجع الجواب : رده

(٢) فى ا « والذى تصحب منه الكفنا » وليس بشىء

(٣) فى ا « أمطرت فيه السحاب الهتنا »

وتخوّل فى نعمته ، فحملنى ذلك على أن كتبت بالفحم فى حائط داره :

أيا دارُ قولِى أين ساكنُكِ الذى أبى لؤُمُه أن يَترُكَ الشكر خالدا
تَسَمَّى وزيراً والوزارة سبة لمن قد أبى أن يستفيدَ المحامدا
وولَّى ولكن ليس يبرح ذمه فها هو قد أرضى عدوا وناقدا
وأضحى وكيل كان يأنف فعلَهُ نزيلك فى الحوض الممنّع واردا
جزاء بإحسان لذا و إساءة لذاك ، وساع وَرَّثَ الحمد قاعدا

والمثل السائر فى هذا « رُبَّ ساعٍ لقاعد » .

لسلمان بن المرتضى بن محمد (الغزال)

وقال سليمان بن المرتضى بن محمد بن عبد الملك بن الناصر ، وكان فى غاية الجمال ، و يلقب بالغَزَال :

قدمَ الربيعُ عليك بعد مَغيبِ فتلقَّهُ بسُلافة وحبيب[١]
فَصْل جديد فلتجدِّدْ حالة يأتى الزمان بها على المرغوب
الجوّ طَلْقٌ فالقه بطلاقة و إذا تقطَّب فالقه بقُطُوبِ
لله أيام ظفرت بها ومَنْ أهواه منقاد بغير رقيب

وله :

لى فى كفالات الرماح لو أنها وَفَتْ ضَمانٌ يُبلغ الآمالاَ[٢]
وكَّلْتُ دهرى فى اقتضاء ضمانها ضَنًّا بِهِ أن لا يحول فخالا

وكان مُولَعاً بالفكاهة والنادر ، محبًّا للظرفاء[٣] ، وكان يلتزم خدمته المضحك المشهور بالزرافة ، و يحضر معه ، ولعبوا فى مجلس سليمان لعبة أفضَوْا فيها إلى أن تقسموا اثنين اثنين ، كل شخص ورفيقه ، فقال سليمان : ومن يكون رفيقى ؟ فقال له المضحك : يا مولاى ، وهل يكون رفيق الغزال إلا الزرافة ؟ فضحك منه على عادته .

---

(١) السلافة ــ بضم السين ــ الخمر
(٢) يريد : لى ضمان يبلغ الآمال فى كفالات الرماح لو أنها وفت
(٣) فى ا « محبا فى الظرفاء »

ودخل عليه وهو قاعد فى رحبة قصره ، وقد أطلّ عذارُه ، فقال له : ما تطلب الزرافة ؟ فقال : ترعى الحشيش ، وأشار إلى عذاره ، فقال له : اعْزُبْ لعنك الله ! ومر سليمان به يوماً وهو سكران ، وقد أوقف ذكره وجعل يقول له : ماذا رأيت فى القيام فى هذا الزمان ؟ أما رأيت كل ملك قام كيف خلع وقتل ؟ والله إنك سيئ الرأى ! فقال له سليمان : وبم لقبت هذا الثائر ؟ فقال : يامولاى بصفته القائم ، فقال : ويحتاج إلى خاتم ؟ فقال : نعم ويكون خاتم سليمان ، فقال له : أخزاك الله ! إن الكلام معك لفضيحة .

لسعيد بن محمد المرواني

وقال سعيد بن محمد المروانى ، وقد هجره المنصور بن أبى عامر مدّة لكلام بلغه عنه ، فدخل والمجلس غاصّ[1] ، وأنشد :

مولاى مولاى أما آن أن ... تريحنى بالله من هجركا
وكيف بالهجر وأنَّى به ... ولم أزل أسبح فى بَحْرِكا ؟

فضحك ابن أبى عامر على ما كان يظهره من الوَقَار ، وقام وعانقه ، وعفا عنه ، وخلع عليه .

وله :

والبدر فى جوّ السماء قد انطوى ... طرَفاه حتى عاد مثل الزورق
فتراه من تحت المحاق كأنما ... غَرِقَ الكثيرُ وبعضُه لم يغرقِ

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز[2] :

وانظر إليه كزَوْرقٍ من فضة ... قد أثقلته حُمُولة من عَنْبر

لقاسم بن محمد المروانى

وقال قاسم بن محمد المروانى يستعطف المنصور بن أبى عامر ، وقد سَجَنه لقول صدر عنه :

ناشدتك الله العظيم وحقّهُ ... فى عبدك المتوسِّل المتحرِّم

---

(١) والمجلس غاص : أى ممتلىء بالناس

(٢) بقوله فى وصف الهلال

بوسائل المدح المُعَاد نشيدُها — فى كل مجمع موكب أو موسم (١)

لاتستبيح منى حِمًى أرعَا كَهُ — يامن يرى فى الله أحمى محتمى (٢)

للأصم المروانى

وقال الأصم المروانى يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على بجبل الفتح معارضا بائية أبى تمام :

* السيف أصْدَق أنباءً من الـكتب *

بقصيدة طويلة منها :

ماللعـدا جُنَّةٌ أوقى من الهرب — أين المفرُّ وخيلُ الله فى الطلب

وأين يذهب مَنْ فى رأس شاهقة — إذا رَمَتْهُ سماء الله بالشُّهُبِ

ومنهـا :

وطَوْدِ طارقٍ قد حل الإمام به — كالطُّور كان لموسى أيمن الرتب

لو يعرف الطَّود ماغشَّاه من كرم — لم يبسط النور فيه الـكف للسحب

ولو تيقن بأساً حل ذِرْوَته — لصار كالعين من خوف ومن رَهَبِ

منه يعاود هذا الفتح ثانيـة — أضعاف ماحدّثوا فى سالف الحِقَبِ

ويلبس الدينُ غضا ثوب عزته — كأن أيام بَدْرٍ عنه لم تَغِبِ

وقال فى نارنجة :

وبنت أيك دنا من لثمها قزح — فصار منه على أرجائها أثر (٣)

يبدو لعينيك منها منظر عجب — زبرجد ونُضَار صاغه المطر

كأن موسى نبىّ الله أقبسه — ناراً وجرَّ عليها كفه الخَضِرُ

وقال :

وشادنٍ قلت له صف لنا — بسـتاننا هذا ونارنجنا

---

(١) فى ب « فى كل مجمع كوكب أو موسم » وأحسبه محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ا

(٢) فى ب « لاتستبيح منى حمى أرعى له » والضمير المستتر فى « أرعاكه » يعود إلى الله

(٣) فى ا « فصار منه على أرحائها أثر »

فقال لى بستانكم جنة ومَنْ جَنَى النارنج ناراً جنى

وقال فى زَلَبَانى :

لله سفَّاح بدا لى مسحرا فأفاد علم الكيميا بيمينه(١)
ذَهَّبْتُ فضة خدّه بلواحظى وكذاك تفعل ناره بعجينه

وقال ، وقد نزل فى فندق لايليق بمثله :

يا هذه لا تُفَنِّدينى أن صرت فى منزل هَجِينِ
فليس قبح المحل مما يقدح فى مَنْصِبِى ودينى
فالشمس عُلْوِيَّة ولكن تغرب فى حَمْأة وطين

وقال أحمد المروانى :

لأحمد المروانى

حلفت بمن رمى فأصاب قلبى وقَلَّبه على جمر الصدود
لقد أودى تذكره بقلبى ولست أشك أن النفس تُودِى(٢)
فَقِيدٌ وهو موجود بقلبى فواعجبا لموجود فقيد(٣)

وقال الأصبغ القرشى يرثى ابن شُهَيد وهو من أصحابه :

للأصبغ القرشى

نَأَى من به كان السرورُ مواصلا وأسْلَمَ قلبى للصَّبابة والفكر(٤)

ومنها :

لعَمْرُكَ مايُجْدِى النعيمُ إذا نأتْ وجوهُهُمُ عنى ولا فُسْحَةَ العمر

وقال سليمان بن عبد الملك الأموى :

لسليمان بن عبد الملك الأموى

وذى جَدَلٍ أطال القول منه بلا معنى وقد خفىَ الصوابُ
فقلت أُجِيبُهُ فازداد ردًّا فقلت له قد ازدحم الجواب
ولم أر غير صمتى من مريح إذا ما لم يفد فيه الخطابُ

---

(١) فى ا « فأفاد علم الكيمياء بحسنه » ولا تتم قافيته مع الثانى
(٢) فى ا « لقد أودى تذكره بجسمى » (٣) فى ا « بموجود فقيد »
(٤) فى ب « أيامن به كان السرور مواصلا »

لأبى يزيد ابن العاصى

وقال أبو يزيد بن العاصى :

عابه الحاسد الذى لام فيــه أن رأى فوق خــدّه جُدَرِيّاً

إنما وَجْهُهُ هــلال تمام جَعَــلُوا برقعاً عليه الثريا

وله :

إذا شئت أن يصفو صديقك فاطَّرِحْ نزاع الذى يُبْدِيه فى الهزل والجدِّ

و إن كنت من أخلاقه فى جهنم فأنزِلْهُ من مَثْوَاكَ فى جنة الخلد

إلى أن يُتِيحَ الله من لطف صنعه فراقاً جميلا فاجعل العذر فى البعد

وليــكن هذا آخر ما نورده من كلام بنى مروان رحمهم الله تعالى ! .

ولنرجع إلى أهل الأندلس جملة ، فنقول :

لأبى الحجاج المنصفى

أمر أبو الحجاج المنصفى أن يكتب على قبره :

قالت لى النفس أتاك الردى وأنت فى بحر الخطايا مقيم

هلا ادَّخَرْتَ الزاد قلت اقْصِرِى لا يُحْمَلُ الزاد لدار الــكريم

وقد ذكرنا هذين البيتين فى غير هذا الموضع .

بين ابن مرج الكحل وطبيب

وقال ابن مرج الــكحل : اجتمعنا فى حانوت بعض الأطباء بإشبيلية ، فأضجرناه بكثرة جلوسنا عنده ، وتعذرت المنفعة عليه من أجلنا ، فأنشدنا :

خففوا عنا قليــلا رب ضيق فى بَرَاح

هل شكوتم من سقام أو جلسنا للصحاح

فأضفت إليهما ثالثا ، وأنشدته إياهُ(١) على سبيل المُدَاعبة :

إن أتيتم فُرَادَى ذاك حكم المستراح

---

(١) فى ب « وأنشدته إياها »

لأبى محمد غانم بن وليد

ودخل أبو محمد غانم[1] بن وليد مجلسَ باديس بن حبوس ، فوسَّع له على ضيق كان فيه ، فقال :

صير فؤادك للمحبوب منزلة سُمُّ الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة فقلما تَسَعُ الدنيا بغيضين

لأبى جعفر اللماى

ودخل على أبى جعفر اللماى بعضُ أصحابه عائدا فى علته التى مات فيها ، وجعل يروّح عليه بمروحة ، فقال أبو جعفر على البديهة :

روّحنى عائدى فقلت له لا لا تزدنى على الذى أجِدُ
أما ترى النار وهى خامدة عنـد هبوب الرياح تتقد

لابن القبطرنة

وقال الأعلم : ليكن محنوظك من النظم مثل قول ابن القَبْطُرْنة :

دعاك خليلك واليوم طل وعارضُ وجهِ الثرى قد بقَلْ
لِقِدْرَيْنِ فاحا وشمامة وإبريق راح ونعم المحل
ولو شـاء زاد ولـكنه يلام الصديق إذا ما احتفل

لأبى عامر ابن ينق

وقال أبو عامر بن يَنَّق[2] الشاطبى :

ما أحسن العيش لو أن الفتى أبدا كالبدر يرجو تماما بعد نقصان
إذ لا سبيل إلى تخليدِ مأثرةٍ إذ لا سبيل إلى تخليد جثمان

لأبى الحسن اللورقى

وقال أبو الحسن اللورقى :

عجبا لمن طلب المحَا مد وهو يمنع ما لديه
ولباسـطٍ آمالَهُ للغـير لم يبسط يديه
لم لا أحبُّ الضيف أو أرتاح من طرب إليه
والضيف يأكل رزقه عندى ويحمدنى عليه

---

(١) كذا فى ا ونسخة عند ب ، وفى أصل ب « ودخل محمد بن غانم بن وليد »

(٢) كذا فى ا ، وفى ب « أبو عامر بن نيق »

لأبى عيسى ابن لبون

وقال أبو عيسى بن لَبُّون ، وهو من قواد المأمون بن ذى النون :

نَفَضْتُ كفى من الدنيا وقاتُلها ... إليك عنى فما فى الحق أغتبن

من كِسْرِ بيتى لى روض ومن كتبى ... جليسُ صدقٍ على الأسرار مؤتمن

أدرى به ماجرى فى الدهر من خبر ... فعنده الحق مسطور ومختزن

وما مُصَابى سوى موتى ويدفننى ... قومٌ وما لهم علم بمن دفنوا

لأبى عامر ابن الحمار

وقال أبو عامر بن الحمار[1] :

ولى صاحب أحنو عليه و إنه ... ليوجعنى حينا فلا أتوجَّعُ

أقيم مكانى ماجفانى وربما ... يسائلنى الرُّجْعَى فلا أتمنع

كأنى فى كفيه غُصْنُ أراكةٍ ... تميل على حكم النسيم وترجع

لأبى العباس بن السعود

وقال أبو العباس بن السعود :

تَبًّا لقلب عن الأحباب منصرف ... يهوى أحبته ما خالس النظرا

مثل السَّجَنْجَلِ فيه الشخص تبصره ... حتى إذا غاب لم يترك به أثرا[2]

لأبى الحكم ابن علندة

ومرض أبو الحكم بن علندة[3] ، فعاده جماعة من أصحابه فيهم فتى صغير السن ، فوفاه من بره ما أوجب تغيرهم ، ففطن لذلك وأنشد ارتجالا :

تكَثَّرْ من الإخوان للدهر عُدَّةً ... فكثرة در العقد من شرف العقد

وعَظِّم صغير القوم وابدأ بحقه ... فمن خِنْصَرَىْ كفيك تبدأ بالعقد

للقاضى أبى موسى ابن عمران

وقال القاضى أبو موسى بن عمران :

ما للتجارب من مَدًى ... والمرء منها فى ازدياد

قد كنت أحسب ذا العلا ... مَنْ حاز علما واستفاد

فإذا الفقيه بغير ما ... لٍ كالخيام بلا عماد[4]

---

(١) فى ا « أبو عامر بن الحمارة » وفى نسخة عندها « بن الحمرة »

(٢) السجنجل : المرآة ، وفى ا « حتى إذا طاب لم يترك به أثراً »

(٣) فى أصل ا « أيو الحكم بن غلندة » (٤) فى ا و نسخة عند ب « كالخباء بلا عماء »

شرف الفتى بنُضَاره   إن الفقير أخو الجماد
ما العــلم إلا جوهر   قد بيع فى سوق الـكساد(١)

لأبى بكر ابن الجزار السرقسطى

وقال أبو بكر بن الجزار السَّرَقُسْطى :

إياكَ من زَلَلِ اللسان فإنما   عقل الفتى فى لفظه المسموع
والمرء يختبر الإناء بنَقْرِهِ   ليرى الصحيح به من المصدوع

وقال أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شُهَيد : تناول بعض أصحابنا نرْجِسَة ، فركَّبها فى وردة ، ثم دفعها إلىَّ وإلى صاعد ، وقال : قُولاَ ، فأبهمت دوننا أبوابُ القول ، فدخل الدميرى(٢) ، وكان أميًّا لا يذكر من الكلام إلا ما علق بنفسه فى المجالس ، وينفذ مع هذا فى المطوّلات من الأشعار ، فأشعر بأمرنا ، فجعل يقول دون روية :

ما للأديبين قَدَ أُعيتهما   مليحةٌ من مُلَحِ الجنـــة
نرجسة فى وردة ركبت   كمقلة تطرف فى وجنـه

لأبى محمد ابن حزم

وقال أبو محمد بن حَزْم فى « طوق الحمامة » :

خلوت بها والراح ثالثة لنـــا   وجنح ظلام الليل قد مد واعتلج
فتـــاة عدمت العيش إلا بقربها   فهل فى ابتغاء العيش وَيْحَكَ من حَرَجْ
كأنى وهى والـكأس والخمر والدجا   حَيًــا وثَرًى والدر والتبر والسبج

قال : وهذه خمس تشبيهات لا يقدر أحد على أكثر منها إذ تضيق الأعاريض عنه .

قال أبو عامر بن مسلمة : ولا أذكر مثلها إلا قول بعض(٣) :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت   وَرْدًا وعضت على العُنَّاب بالبرد

---

(١) فى ا « ما الحلم إلا جوهر »
(٢) فى ب « فدخل الزبير »
(٣) ينسب هذا البيت للوأواء الدمشقى

إلا أنه لم يعطف خمسة على خمسة كما صنع ابن حزم، بل اكتفى بالعلم فى التشبيهات

قال: ومن أغرب ماوقع لى من التشبيهات فى بيتٍ قولُ ابن برون الأكشونى الأندلسى يصف فرساً وَرْدًا أغر مُحَجَّلا :

فكأن غرته وتحجيلاته خمس من السوسان وسط شقائق

قال : وهذا على التحقيق ستة على ستة ، ولم أسمع بمثله لأحد .

قال ابن الجلاب : وكلام أبى عامر هذا لا يخلو من النقد .

لابن صارة

وقال ابن صارة :

أنظر إلى البدر وإشراقه على غدير مَوْجُه يَزْهَرُ

كمِشْحَذٍ من حَجَر أخضر خط عليه ذهب أحمر[1]

لأبي القاسم ابن العطار

وقال أبو القاسم بن العطار الإشبيلى :

ركبنا سماء النهر والجو مشرق وليس لنا إلا الحباب نجوم

وقد ألبسَتْهُ الأيك بُرْدَ ظلالها وللشمس فى تلك البرود رقوم

لابن صارة

وقال ابن صارة :

والنهر قد رَقَّتْ غُلَالة صبغه وعليه من ذهب الأصيل طِرازُ

تترقرق الأمواج فيه كأنها عُكَنُ الخصور تضمها الأعجاز

لسهل بن مالك

وقال سهل بن مالك :

ورب يوم وَرَدْنا فيه كل منى وقلَّ فى مثل ذاك اليوم أن نردا

فى روضتين بشطَّىْ سلسل شبِمٍ كما اجتليت من المحبوب مفتقدا[2]

يبدّد القطر فى أثنائه حلقاً فتنتظم الريح منها فوقه زرَدَا

لابن صارة

وقال ابن صارة :

أنظر النهر فى رداء عروس صبغته بزعفران العشىّ

---

(١) فى ا « خط عليه ذهب أخضر »

(٢) فى ا « كما اجتليت من المحبوب معتقدا »

ثم لما هَبَّ النسيم عليه ... هز عطفيه فى دِلَاصِ الكَمِىّ

ولبعضهم فى شكل يرمى الماء مجوفاً مثل الخباء وتمزقه الريح أحياناً :

ومُطَنَّب للماء ما أوتاده ... إلا نتائج فكر طَبٍّ حاذق

لعبت به أيدى الصبا فكأنها ... أيدى الصبابة بالفؤاد العاشق

لصفوان بن إدريس

وقال صفوان بن إدريس يصف تفاحة فى ماء :

ولم أر فيما تشتهى العينُ منظرا ... كتفاحة فى بِرْكة بقَرَار

يفيض عليها ماؤها فكأنها ... بقية خدّ فى اخضرار عِذار

لأبى جعفر ابن وضاح

وقال أبو جعفر بن وضاح فى دولاب :

وباكية والروض يضحك كلما ... ألحت عليه بالدموع السواجم

يروقك منها إن تأملت نحوها ... زئير أسود والتفاف أراقم(١)

تُخَلِّصُ من ماء الغدير سبائكا ... فتنبتها فى الروض مثل الدراهم

للوزير ابن عمار

وقال الوزير ابن عمار :

يوم تكاثَفَ غيمُهُ فكأنه ... دون السماء دخان عُودٍ أخْضَرِ

والطلّ مثل بُرَادة من فضة ... منثورة فى تربة من عنبر

والشمس أحياناً تلوحُ كأنها ... أَمَةٌ تُعَرِّضُ نفسها للمشترى

لأبى الحسن ابن سعد الخير

وقال أبو الحسن بن سعد الخير :

لله دولاب يفيض بسلسل ... فى روضة قد أينعت أفنانا

قد طَارَحَتْهُ بها الحمائم شجوها ... فيجيبها ويرجِّعُ الألحانا

فكأنه دَنِفٌ يدور بمعهد ... يبكى ويسأل فيه عمن بانا(٢)

ضاقت مجارى طرفه عن دمعه ... فتفتحت أضلاعه أجفانا

---

(١) فى ا « زئير أسود والتفات أراقم »

(٢) الدنف — كفرح — المريض ، وأراد بالمعهد مساكن ألافه ، وبان : فارق

لابن أبى الخصال

وقال ابن أبى الخصال :

ووردٍ جَنِيٍّ طالعتنا خدوده يبشر ونشر يبعثان على السكر
وحف ترنجانٌ به فكأنه خدود العذارى فى مَقانعها الخضر

لابن صارة

وقال ابن صارة :

يا رب نارنجة يلهو النديم بها كأنها كُرَةٌ من أحمر الذهب
أو جَذْوة حملتها كف قابسها لكنها جذوة معدومة اللهب

للخفاجى

وقال الخفاجى :

ومَيَّاسة تزهو وقد خلع الحيا عليها حُلَى حُمراً وأردية خضرا(١)
يذوب بها ريق الغمامة فضة ويجمد فى أعطافها ذهباً نضرا(٢)

لابن صارة

وقال ابن صارة أيضاً :

ونارنجة لم يَدَعْ حسنها لعينىَ فى غيرها مَذْهَبا
فطوراً أرى لَهباً مُضْرَمًا وطوراً أرى شَفقاً مُذْهَبا(٣)

لابن وضاح

وقال ابن وضاح فى السرو :

أيا سَرْوُ لا يُعْطِش مَنابِتَكَ الحَيا ولا يَدْعَنْ أعطافَكَ الخضِلُ النضر
فقد كسيت منك الجذوع بمثل ما تلف على الخطىِّ راياته الخضر(٤)

لأبى إسحاق الخولانى

وقال أبو إسحاق الخوْلانى :

نيلوفر شكله كشَكْلِى يعوم فى أبحر الدموع
قد ألبست عِطْفه دروعا خود لريح الصبا شموع
يلوح إذ لونه كلونى من فوق فَضْفَاضة هموع

---

(١) فى ا « ومياسة تزهى » بالبناء للمجهول كما هو الأشهر فى هذا الفعل
(٢) فى ا « ويجهر فى أعطافها ذهبا نضراً » وفى نسخة « سفنا مذهبا »
(٣) في ب « فطوراً أرى ذهبا مضرما »
(٤) فى ا « فقد كسيت من راية الملك مثل ما » وليس بشىء

مثل مساميرَ مذهبات　　فى حلقات من الدروع(١)

لابن الأبار

وقال ابن الأبَّارِ :

وسوسنات أرَتْ من حسنها بِدَعاً　　ولم يزل عصر مولانا يرى بدعه

شبيهـة بالثريَّا فى تألفها　　وفى تألقها تلتاح ملتمعه

هامت بيمناه تبغى أن تقبلها　　واستشرفت تجتلى مرآه مطلعه(٢)

ثم انثنى بعضُهاَ من بعضها غَلَباً　　على البـدار فوافت وهى مجتمعه

ورفع هذه الأبيات إلى الأمير [أبى يحيى] زكريا .

لحازم

وقال حازم :

لا نور يَعْدِلُ نور اللوز فى أَنَقٍ　　وبهجة عند ذى عَدْل و إنصاف

نظام زهـــر يظلُّ الدر مُنْتَثِرا　　عليه من كل هامى القطروَكَّافِ

بينا تُرَى وهى أصداف لدر حَياً　　بيض غدت دررا فى خُضْرِ أصداف

لابن سعد الخير

وقال ابن سَعْد الخير فى رُمَّانة :

وساكنة فى ظلال الغصون　　بروض يروقُكَ أفنانهُ

تضاحك أترابها فيـه إذ　　غدا الجوّ تدمع أجفانه

كما فتح الليث فاه وقـد　　تضرَّجَ بالدم أسنانه

لابن نزار الوادى آشى

وقال ابن نزار الوادى آشى :

ورُمانة قد فَضَّ عنها ختامَهاَ　　حبيبٌ أعار البدر بعض صفاته

فـكسَّر منها نهدعذراء كاعب　　وناولنى منها شبيـه لداته(٣)

لبعضهم فى القراسيا

وقال بعضهم فى القرَاسيا ، ويقال له بالمغرب « حب الملوك » :

ودوح تهـــــدل أشطانهُ　　رعى الدهر من حسنه ما اشتهى

فما احمرّ منه فصوصُ العقيق　　وما اسود منـه عيونُ المهـا

---

(١) فى ا « فى محلقات من الدروع » (٢) فى ا « واستبشرت تجتلى مرآه مطلعه »

(٣) فى أصل ا « وناولنى منها شبيه لذاته »

لبعضهم يصف معاهد أنسه

وقال بعضهم :

وأين معاهد للحسن فيها ... وللأنس التقاء البهجتين
وللأوتار والأطيار فيها ... لدى الأسحار أطربُ ساجعين(١)
فكم بدرٍ تجلّى من رُباها ... ومن بطحائها فى مطلعين
وأغيَدَ يرتعى من تَلْعَتَيْهَا ... ومن ثمر القلوب بمرتعين
إذا أهوى لسَوْسَنَة يميناً ... عجبت من التقاء السوسنين
وكم يوم توشَّح من سَناه ... ومن زهراتها فى حلتين
وراح أصيله ما بين نهر ... ودولاب يدور بمسمعين
بنهر كالسماء يجول فيه ... سحائب من ظلال الدوحتين
تدرَّعَ للنَّواسم حين هزت ... عليه كل غصن كالرُّدَيْنِي(٢)
ملاعب فى غرامى عند ذكرى ... صباه وغصنه المتلاعبين

للوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانىء

وقال الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانىء :

يا حُرْقَةَ البين كويْتِ الحشا ... حتى أذبت القلب فى أضْلُعِهْ
أذكيت فيه النار حتى غدا ... ينساب ذاك الذَّوْبُ من مدمعه
يا سُؤْلَ هذا القلب حتى متى ... يؤسى برشف الريق من منبعه
فإنَّ فى الشهد شفاء الورى ... لاسيما إن مُصَّ من مَكْرَعِهْ
والله يُدْنِى منكمُ عاجلا ... ويبلغ القلبَ إلى مطمعه

كتاب شذور الذهب لعلى بن موسى

ولو لم يكن للأندلسيين غير كتاب « شذور الذهب » لكفاهم دليلا على البلاغة ، ومؤلفه هو على بن موسى بن على بن [محمد بن] خلف أبو الحسن الأنصارى ، الجَيَّانى ، نزيل فاس ، وولى خطَابتها ، ولم ينظم أحد فى الكيمياء مثل نظمه بلاغةَ معانٍ

---

(١) فى ا « أطرب سامعين » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ا
(٢) الردينى : الرمح ، منسوب إلى ردينة ، وهى امرأة كانت تصنع الرماح

وفصاحةَ ألفاظٍ ، وعذوبةَ تراكيبَ ، حتى قيل فيه : إن لم يعلمك صناعة الذهب[1] علمك الأدب . وفى عبارة بعضهم : إن فاتك ذهبه ، لم يفتك أدبه . وقيل فيه : إنه شاعر الحكماء ، وحكيم الشعراء . وتوفى رحمه الله تعالى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

مثل من سرعة بديهة أهل الأندلس

ولنذكر هنا نبذًا من سرعة بديهة أهل الأندلس ، وإن مرت من ذلك جملة ، وستأتى أيضا زيادة على الجميع ، فنقول :

قال فى « بدائع البدائه » ما صورته : روى عبد الجبار بن حَمْديس الصقلى قال : صنع عبد الجليل بن وَهْبُون المرْسِى الشاعر لنا نزهة بوادى إشبيلية ، فأقمنا فيه يومنا ، فلما دنَت الشمسُ للغروب هبَّ نسيم ضعيف غَضَّن وَجْهَ الماء ، فقلت للجماعة : أجيزوا :

* حاكت الريح من الماء زرد *

فأجازه كل منهم بما تيسر له ، فقال لى أبو تمام غالب بن رباح ، الحجاج[2] : كيف قلت يا أبا محمد ؟ فأعَدْتُ القسيم له ، فقال :

* أىُّ دِرْعٍ لقتال لو جَمَدْ *

وقد ذكرنا فى هذا الكتاب ما يخالف هذا فليراجع فى محله .

ثم قال صاحب « بدائع البدائه » بعد ما سبق ما صورته : وقد نقله ابن حَمْديس إلى غير هذا الوصف ، فقال :

نثر الجوّ على الترب برد   أى دُرٍّ لنحُور لو جَمَدْ

فتناقض المعنى[3] بذكر البرد ، وقوله « لوجمد » إذ ليس البَرَد إلا ما جمده البَرْد اللهم إلا أن يريد بقوله «لوجمد» دام جموده ، فيصح ، وينعقد عن التحقيق[4] .

---

(١) فى ا « صنعة الذهب »   (٢) فى نسخة عند ا « الحجام »

(٣) فى ا « فتناقص المعنى »

(٤) فى ا « وينعقد على التحقيق »

ومثل هذا قولُ المعتمد بن عباد يصف فوّارة :

ولربما سَلَّتْ لنا من مائها سيفا وكان عن النواظر مُغْمَدَا
طبعته لجيًّا فزانت صفحة منه ولو جمدت لكان مُهَنَّدَا

وقد أخذت أنا هذا المعنى فقلت أصف روضا :

فلو دام ذاك النبت كان زَبَرْجَدًا ولو جمدت أنهاره كن بلُّورَا

وهذا المعنى مأخوذ من قول على التونسى الإيادى من قصيدته الطائية المشهورة :

ألؤلؤ قَطْر هذا الجو أم نُقَطُ ما كان أحسنه لو كان يلتقط

وهذا المعنى كثير للقدماء ، قال ابن الرومى من قطعة فى العنب الرازقى :

لو أنه يبقى على الدهور قَرَّطَ آذانَ الحسانِ الُحور

بين المعتمد على الله وابن جامع الصباغ

قال على بن ظافر : وأخبرنى مَنْ أثِق به قال : ركب المعتمد على الله أبو القاسم بن عَبَّاد للنزهة بظاهر إشبيلية فى جماعة من ندمائه ، وخواص شعرائه ، فلما أبْعَدَ أخذ فى المسابقة بالخيول ، فجاء فرسُه بين البساتين سابقا ، فرأى شجرة تين قد أينعت وزهت و برزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت ، فسدَّد إليها عَصاً ، كانت فى يده ، فأصابها ، وثبتت على أعلاها ، فأطْرَبَه ما رأى من حسنها وثباتها ، والتفت ليخبر به مَنْ لحقه من أصحابه ، فرأى ابنَ جامع الصباغ أول من لحق به فقال : أجز :

* كأنها فوق العصا *

فقال :

* هامَةُ زنجيٍّ عَصَى *

فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله ، وأمر له بجائزة سنية .

قال على بن ظافر : وأخبرنى أيضا أن سبب اشتهار ابن جامع هذا أن الوزير

بين الوزير ابن عمار وابن جامع الصباغ

أبا بكر بن عماركان كثيرالوفادة على ملوك الأندلس ، لايستقر ببلدة[١]، ولايستفزه عن وَطَرِهِ وَطَن ، وكان كثير التطلب لما يصدر عن أرباب المهن ، من الأدب الحسن[٢]، فبلغه خبرُ ابن جامع هذا قبل اشتهاره ، فمر على حانوته وهو آخذ فى صناعة صباغته[٣] ، والنيل قد جرعلى يديه ذَيْلاً ، وأعاد نَهَارَهما ليلا ، فأراد أن يعلم سرعة خاطره ، فأخرج زندَه ويده بيضاء من غير سوء ، وأشار إلى يده ، وقال :

* كم بين زند وزند ؟ *

فقال :

* مابين وَصْل وَصَدٍّ *

فعجب من حسن ارتجاله ، ومُبَادرة العمل واستعجاله ، وجَذَب بضَبُعِهِ ، وبلغ من الإحسان إليه غايةَ وُسْعِهِ .

بين الوزير بن عمار ويحي القصاب

وبلغنى أيضا أنه دخل سَرَقُسْطَة فبلغه خبر يحيى القصَّاب السرقسطى ، فمر عليه ، ولحم خرفانه[٤] بين يديه ، فأشار ابن عمار إلى اللحم ، وقال :

* لحم سِبَاط الخرفان مهزول *

فقال :

* يقول للمفلسين مــه زولوا *[٥]

بين المتوكل وابن عبدون

ولما صنع المتوكل على الله بن الأفطس صاحبُ بَطَلْيَوْس هذا القسيم :

* الشِّعْرُ خُطَّةُ خَسْفٍ *

أُرتج عليه ، فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون صاحب الرائية التى أوّلها:

---

(١) فى ا « لايستقر ببلد » وكلاهما صحيح ، واستعملهما القرآن الكريم

(٢) فى ا « من الأدب المحسن » (٣) فى ا « صباغه »

(٤) فى ا « ولحم جزوره بين يديه » والمشهور أن الجزور خاص بالجمل

(٥) فى ا « يقول يا مشترين مه زولوا »

الدهر يفجع بعد العين بالأثَرَ

وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب ، وهو أحد وزراء دولته ، وخواص حضرته ، فاستجازه إياه ، فقال :

* لكل طالب عُرْف *

للشيخ عَيْبَةُ عيبٍ وللفتى ظَرْفُ ظَرْفِ

وذكر ابن بَسَّام فى الذخيرة أن قائل القسيم الأوّل الأستاذ أبو الوليد بن ضابط ، وأن عبد المجيد أجازه ارتجالا ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وقد ذكرنا ما يقرب من ذلك فى هذا الكتاب .

بين ابن الغليظ وابن السراج

وقال ابن الغليظ المالقى : قلت يوما للأديب أبى عبد الله بن السراج المالقى ، ونحن على جرية ماء : أجز :

* شربنا على ماء كأن خريره *

فقال بديها :

* بكاء مُحِبٍّ بَانَ عنه حبيبُ *

* فمن كان مشغوفا كئيباً بإلفه *

* فإنىَ مشغوفٌ به وكئيبُ *

بين ابن عبادة وابن القابلة

وذكر ابن بَسَّام فى الذخيرة أنه اجتمع ابن عبادة وابن القابلة السبتى بالْمَرِية ، فنظر إلى وسيم يسبح فى البحر ، وقد تعلق بسُكَّان[1] بعض المراكب ، فقال ابن عبادة : أجز :

أنظر إلى البَدْرِ الذى لاَحَ لك

---

(١) السكان – بضم السين وفتح الكاف مشددة ، بوزن الرمان – ذنب السفينة ، سمى بذلك لأن بها تقوم ، وأهل مصر يسمونه « الدفة »

فقال ابن القابلة :

* فى وسط اللجة تحت الحلك *

قد جعل المـاء سماء له   واتخذ الفلك مكان الفلَكْ

بين ابن شهيد وأبى جعفر وزير الصقلبي

وقال أبو عامر بن شُهَيد : لمـا قدم زُهَير الصقلبي(١) إلى حضرة قرطبة من المرية وجَّه وزيره أبو جعفر بن عباس إلى لُمة من أصحابنا منهـم ابن بُرْد وأبو بكر المروانى وابن الخياط والطبنى(٢)، فحضروا إليه ، فسألهم عنى ، وقال : وَجِّهُوا إليه ، فوافانى رسوله(٣) مع دابة بسَرْج مُحَلًّى ثقيل(٤) ، فسرت إليه ، ودخلت المجلس ، وأبو جعفر غائب ، فتحرك(٥) المجلسُ لدخولى ، وقاموا جميعاً لى ، حتى طلع أبو جعفر علينا ساحباً ذيلاً لم أر أحداً سَحَبه قبله ، وهو يترنم ، فسلمت عليه سلام مَنْ يعرف قدر الرجال ، فرد رداً لطيفاً ، فعلمت أن فى أنفه نُعَرة لاتخرج إلا بسعوط الكلام ولا تُرَاض(٦) إلا بمستحصد النظام ، ورأيت أصحابى يُصِيخون إلى ترنمه . فقال لى ابن الخياط ، وكان كثير الإنحاء على ، جالباً فى المحافل ما يسوء إلى : إن الوزير حضره قسيم ، وهو يسألنا إجازته ، فعلمت أنى المراد ، فاستنشدته ، فأنشد :

* مَرَضُ الجفون ولثغة فى المَنْطِقِ *

فقلت لمن حضر : لاتجهدوا أنفسكم ، فما المراد غيرى ، ثم أخذت الدواة فـكتبت :

* سَبَبَان جَرَّا عشقَ من لم يعشق *

مَنْ لى بألثغ لايزال حديثه   يذكى على الأحشاء جمرة محرق

يُنْبِي فينبو فى الكلام لسانه   فـكأنه من خمر عينيه سُقِى

لاينعش الألفاظ من عَثَراتها   ولوَ انها كتبت له فى مُهْرَقِ

---

(١) فى ب « الصقلي »

(٢) كذا فى ا نسخة وعند ب ، وفي أصل ب « والطيبى »

(٣) فى ا « فوافانى رسول ».   (٤) فى نسخة « بسرج حلى ثقيل »

(٥) فى ا « فتحفز »   (٦) فى ا « ولا ترام »

ثم قمت عنهم ، فلم ألبث أن وَرَدُوا على ، وأخبرونى أن أبا جعفر لم ترض بما جئت به من البديهة ، وسألونى أن أحمل مَكَاوِىَ الهجاء على حتاره[1] ، فقلت :

أبو جعفر كاتبٌ محسن مليح سنا الخَطِّ حلو الخطابه
تملَّأ شحما ولحما وما يليق تملُّؤه بالكتابه
له عَرَقٌ ليس ماء الحياء ولكنه رشح ماء الجنابه[2]
جرى الماء فى سفله لين فأحدث فى العلو منه صلابهْ

بين ابن عباد وابنه الرشيد

وذكر الوزير أبو بكر بن اللبَّانة الدانى فى كتابه « سقيط الدرر ، ولقيط الزهر » أن المعتمد بن عباد صنع قسيما فى القبة المعروفة بسعد السعود فوق المجلس المعروف بالزاهى ، وهو :

* سعد السعود يتيه فوق الزاهى *

ثم استجاز الحاضرين فعجزوا ، فصنع ولده عبد الله الرشيد :

* وكلاهما فى حسنه متناهى *

ومَنِ اغْتَدَى سكنا لمثل محمد قد جل فى العليا عن الأشباه
لا زال يبلغ فيهما ماشاءه ودهت عِدَاه من الخطوب دَوَاهى

بين الفقيه على بن القاسم وجماعة من أصحابه

وخرج القاضى الفقيه أبو الحسن على بن القاسم بن محمد بن عشرة أحدُ رؤساء المغرب الأوسط فى جماعة من أصحابه منهم محمد بن عيسى بن سوار الأشبونى ورجل يسمى بأبى موسى خفيف الروح ، ثقيل الجسم ، فجعل يعبث بالحاضرين بأبيات من الشعر يصنعها فيهم ، فصنع القاضى أبو الحسن معاتباً له :

* وشاعر أثقل من جسمه *

ثم استجاز ابن سوار ، فقال :

---

(١) فى ا « على جماره »
(٢) فى ب « ليس ماء الحياة »

* تأتى معانيه على حكمه *

يهجو فلا يُهْجَى فهل عندكم ظلامة تعْدِى على ظلمه

لسانه فى هجوه حيــــة منية الحيــــة فى سُمِّه

يصيب سرَّ المرء فى رميه كأنما العـــالم فى علمه

أما أبو موسى ففى كنه عصا ابنه والسحر فى نظمه

بين الأمير عبد الرحمن وعبد الله بن الشمر

وفى «المقتبس ، فى تاريخ الأندلس» أن الأمير عبدَ الرحمن خرج فى [بعض] أسفاره فطرقه خيال جارية طَروب أم ولده عبد الله ، وكانت أعظم حَظَاياه عنده ، وأرفعهن لديه ، لايزال كلِفاً بها ، هائماً بحبها ، فانتبه وهو يقول :

شاقك من قرطبة السارى فى الليل لم يدر به الدارى

ثم أنْبَهَ(١) عبدَ الله بن الشمر نديمَهُ فاستجازه كمالَ البيت ، فقال :

زار فحيَّا فى ظلام الدجا أحْبِبْ به من زائر سارى

بين الأمير عبد الرحمن ومحمد بن سعيد الزجالى

وصنع الأمير عبد الرحمن المذكور فى بعض غزواته قسيما ، وهو :

* نرى الشىْء مما يُتَّقَى فنهابه *(٢)

ثم أرتج عليه ، وكان عبد الله بن الشمر نديمه وشاعره غائباً عن حضرته ، فأراد مَنْ يجيزه ، فأحضر بعض قوّاده محمد بن سعيد الزجالى ، وكان يكتب له ، فأنشده القسيم ، فقال :

* وما لا نَرَى مما يَقِى اللهُ أكثرُ *

فاستحسنه وأجازه ، وحمله استحسانه على أن استوزره

بين ابن عباد ابن المرزبان

وذكر ابنُ بَسَّام أن المعتمد بن عباد أمر بصياغة غزال وهلال من ذهب ، فصيغا ، فجاء وزنهما سبعمائة مثقال ، فأهدى الغزال إلى السيدة ابنة مجاهد ، والهلال

---

(١) فى ب « ثم أتاه عبد الله — إلخ »

(٢) فى ا « نرى الشىء مما نتق فنهابه »

إلى ابنه الرشيد[١] ، فوقع له إلى أن قال :

بعثنا بالغزال إلى الغزال ولاشمس المنيرة بالهلال

ثم أصبح مصطبحا ، وجاء الرشيد فدخل عليه ، وجاء الندماء والجلساء ، وفيهم أبو القاسم بن المرزبان ، فحكى لهم المعتمد البيت ، وأمرهم بإجازته ، فبدر ابنُ المرزبان فقال :

فذا سكنى أُبوّئه فؤادى وذا نَجْلى أقلده المعالى

شَغَلْتُ بذا الطلا خلدى ونفسى ولكنى بذاك رَخِىُّ بال[٢]

دَفَعْتُ إلى يديه زِمام ملكى محلًّى بالصوارم والعوالى[٣]

فقام يقر عينى فى مضاء ويسلك مَسْلكى فى كل حال

فدمنا للعلاء ودام فينا فإنا للسماح وللنزال

ابن الصيرفى يزيد على بيت لابن السمط

ولما أنشد أبو القاسم بن الصيرفى قول عبد الله بن السمط :

حار طَرْفٌ تأملك مَلِكٌ أنت أم مَلَكْ

قال بديها :

بل تعاليت رتبة فلك الأرض والفلك

فى حضرة العالى بالله الإدريسى

وذكر ابن بسام فى الذخيرة أنه غُنِّىَ يوماً بين يدى العالى بالله الإدريسى بمالَقَةَ بيتٌ لعبد الله بن المعتز :

هل ترين البين يحتال أن غدت للحى أجمال

فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد المالقى بإجازته ، فقال بديها :

إنما العالى إمام هدى حَلِيَتْ فى عصره الحال

ملك أقيال دولته لذوى الأفهام إقبال

(١) فى ا « ابنة الرشيد » محرفا ، وبقية القصة شاهد على التحريف

(٢) فى ا « شغلت بذا وذا خلدى ونفسى »

(٣) فى ا « رفعت إلى يديه زمام ملكى » وفيها « معلى بالصوارم »

قل لمن أكْدَتْ مطالبه راحتاه الجـاهُ والمالُ

وغَنَّى أبو الحسن زرياب يوماً بين يدى الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ابن عبد الرحمن الداخل بهذين البيتين ، وهما لأبى العتاهية :

في حضرة عبد الرحمن بن الحكم

قالت ظلوم سَمِيَّةُ الظلم مالى رأيتك ناحِلَ الجسم

يامن رَمَي قلبى فأقصده أنت الخبير بموقع السهم

فقال عبدُ الرحمن : هذان البيتان منقطعان ، فلو كان بينهما ما يوصلهما لكان أبدع فصنع عبيدالله بن فرناس (١) بديهاً :

فأجبتها والدمع منحـدر مِثْلُ الجُمَان وَهَى من النظم

فاستحسنه ، وأمر له بجائزة

وذكر ابن بسام أيضا أن المعتمد بن عباد غُنِّىَ بين يديه بقول ابن المعتز :

في حضرة المعتمد بن عباد

وخَمَّارة من بنات المجوس ترى الزقَّ فى بيتها شائلا

وَزَنَّا لهـــا ذهبا جامدا فكالَتْ لنـا ذهباً سائلا

فقال بديهاً يُجيزه :

وقلت خُذِى جوهراً ثابتاً فقالت خذوا عَرَضاً زائلا (٢)

ورکب المعتمد فى بعض الأيام قاصداً الجامع ، والوزير أبو بكر بن عمار يسايره ، فسمع أذان مؤذن ، فقال المعتمد :

بين المعتمد والوزير ابن عمار

* هذا المؤذن قد بَدَا بأذانه *

فقال ابن عمار :

* يرجو بذاك العفو من رحمانِه *

---

(١) كذا فى ا ، وفى ب « بن قرناس »

(٢) فى ا « وقلنا خذى » وفيها « خذوا عوضاً زائلا » تحريف

فقال المعتمد :

* طوبى له من شاهد بحقيقة *

فقال ابن عمار :

* إن كان عقد ضميره كلسانه *

بين المعتمد ابن حمديس الصقلى

وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلى : أقمتُ بإشبيلية لما قدمتها على المعتمد بن عباد مدّة لا يلتفت إلىّ ولا يعبأ بى ، حتى قنطت لخيبتى مع فرط تعبى ، وهممت بالنكوص على عقبى ، فإنى لكذلك ليلة من الليالى فى منزلى إذا بغلام معه شمعة ومركوب ، فقال لى : أجب السلطان ، فركبت من فوْرِى ، ودخلت عليه ، فأجلسنى على مرتبة فَنَك ، وقال لى : افتح الطاق التى تليك ، ففتحتها فإذا بكور زجاج على بعد ، والنار تلوح من بابَيْه ، وواقدة تفتحهما تارة وتسدُّهما أخرى ، ثم دام سدّ أحدهما وفتح الآخر ، فحين تأملتهما قال لى : أجز :

* اُنظرهما فى الظلام قد نجما *

فقلت :

* كما رنا فى الدجُنَّةِ الأسدُ *

فقال :

* يفتح عينيه ثُمَّ يُطْبقها *

فقلت :

* فعلَ امرىءٍ فى جُفونه رمَدُ *

فقال :

* فابتزَّهُ الدهرُ نورَ واحدةٍ *

فقلت :

* وهل نجا من صُروفه أحدُ *

فاستحسن ذلك ، وأمر لى بجائزة سنية ، وألزمنى خدمته .

وقد ذكرنا هذه الحكاية فى هذا الكتاب ، ولكن ما هنا أتم مَسَاقا فلذلك نبهت عليه .

بين الناصر وجماعة من خواصه

وذكر صاحب « فرحة الأنفس ، فى أخبار أهل الأندلس » أن أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر جاس فى جماعة من خَوَاصه ، ومعهم أبو القاسم لب ، وكان يعدّه للمجون والتطايب ، فقال له : اُهْجُ عبد الملك بن جهور ، يعنى أحد وزرائه ، فقال : أخافه ، فقال لعبد الملك : فاهْجُه أنت ، فقال : أخاف على عِرْضى منه ، فقال : أهجوه أنا وأنت ، ثم صنع :

لبٌّ أبو القاسم ذو لحيـة　　　كبيرة فى طولها ميل[1]

فقال عبد الملك :

وعرضها ميلان إن كسرت　　　والعقـــل مأفون ومخبول[2]

فقال الناصر للب : اُهجه فقد هجاك ، فقال بديها :

قال أمين الله فى عصرنا　　　لى لحية أزرى بها الطول

وابن جهير قال قولَ الذى　　　مأ كَلُه القرضيل والفول[3]

لولا حيائى من إمام الهدى　　　نخست بالمنخس شـــو

ثم سكت ، فقال له الناصر : هات تمام البيت ، فامتنع ، فقال له « قولو » يعنى تمام البيت ، كلمة قالها الناصر مسترسلا غير متحفظ من زيادة الواو و إبدال الهاء واواً ، إذ صوابها «قله» على حكم المشى مع الطبع والراحة من التكلف ، فقال لب :

---

(١) عجز هذا البيت فى ا ＊ طويلة أزرى بها الطول ＊ وهى أدق ، ويدل لصحتها شعر لب الآتى

(٢) فى ب « مأبون ومخبول » تحريف

(٣) فى ا « مأكوله القرضيل والفول »

يا مولانا أنت هجوته ، ففطن الناصر والحاضرون ، وضحكوا ، وأمر له بجائزة .

والقرضيل : شوك له ورق عريض تأكله البقر ، وقوله « شو » اسم لذكر الرجل بالرومية ، و « قولو » اسم للاست بها ، فكأنه قال : لولا حيائى من إمام الهدى نخست بالمنخس الذى هو الذكر استه .

بين ابن صارة وابن القبطرنة

وقال ابن ظافر : أخبرنى مَنْ أثق به قال : اجتمع الوزير أبو بكر ابن القَبْطُرْنة والأستاذ أبو العباس بن صارة فى يوم جلا ذهب برقه ، وأذاب ورق وَدْقه ، والأرض قد ضحكت لتعبيس السماء ، واهتزت ورَبَتْ عند نزول الماء ، فترافدا فى صفتها ، فقال ابن صارة :

هذى البسيطة كاعب أبرادها ... حُلَلُ الربيع وحَلْيها النوّار

فقال ابن القبطرنه :

وكأن هذا الجوّ فيها عاشق ... قد شَفَّه التعذيب والإضرار

فقال ابن صارة :

فإذا شكا فالبرق قلبٌ خافقٌ ... وإذا بكى فدموعه الأمطار

فقال ابن القبطرنة :

فَمِنَ أُجل عزة ذا وذلَّةِ هذه ... تبكى الغمام وتضحك الأزهار(١)

بين أبى بكر الزبيدى وأبى الحسن المصحفى

وقال أبو بكر محمد بن الزبيدى النحوى صاحب الشُّرْطة يخاطب الوزير أبا الحسن جعفر بن عثمان المصحفى لما كتب كتاباً له فيه « فاضت نفسه » بالضاد ـ مبيناً له الخطأ دون تصريح :

قل للوزير السنى محتده ... لى ذمة منك أنت حافظها

عناية بالعلوم مُعْجزة ... قد بهظ الأوّلين باهظُها

(١) فى ا « فمن أجل غرة ذا وذلة هذه »

يُقِرُّ لى عَمْـرُها ومَعْمَرُها فيها ونظَّامها وجاحظُـها(١)

قد كان حقًّا قبولُ حرمتها لـكنّ صرف الزمان لافظها

وفى خطوب الزمان لى عظة لو كان يَذْنِى النفوس واعظُها

إن لم تحافظ عصابة نسبت إليك قدما فمن يحافظها

لا تدَعَنْ حاجـتى بمطرحة فإن نفسى قد فاظ فائظها(٢)

فأجابه المصحفىّ :

خفض فواقاً فأنت أوحـدُها علماً ونقَّابها وحافظـها

كيف تضيع العـلوم فى بلد أبناؤها كلهم يحافظهـا

ألفاظهم كلها مُعطَّـلة مالم يعـوِّل عليك لافظها

من ذا يساويك إن نطقت وقد أقر بالعجز عنك جاحظها

عـلم ثنى العالمين عنك كما ثنى عن الشمس مَنْ يلاحظها

وقد أتتنى فُديتَ شاغـلة للنفس أن قلت فاظ فائظها

فأوضحَـنْهَا تفُزْ بنادرة قد بهظ الأوّلين باهـظُهَا

فأجابه الزبيدى ، وضمن شعره الشاهد على ذلك :

أتانى كتاب من كريم مكرّم فنفَّس عن نَفْسٍ تكاد تفيظ

فسَرَّ جميعَ الأولياء وروده وسىء رجال آخرون وغيظوا

لقد حفظ العهد الذى قد أضاعه لدىَّ سواه والكريم حفيظ

وباحثت عن فاظت وقبلىَ قالها رجال لديهم فى العلوم حظوظ

روى ذاك عن كيسان سهلٌ وأنشدوا مقال أبى الغياظ وهو مغيظ

وسميت غياظا ولست بغائظ عدوا ولـكن للصديق تغيظ

---

(١) أراد بعمرها عمرو بن بحر الجاحظ ، وبمعمرها أبا عبيدة معمر بن المثنى ، وبنظامها إبراهيم النظام شيخ الجاحظ

(٢) فى ا « لاتدعن حاجتى مطرحة »

فلا رحم الرحمن روحك حيـة ولا هى فى الأرواح حين تفيظ

قلت : وفى خطاب الوزير بهذا البيت و إن حكى عن قائله ما لا يخفى أن اجتنا به المطلوب ، على أنه قد يقال « فاضت نفسه » بالضاد ، كما ذكره ابن السكيت فى خالل الألفاظ له[1] ، والله أعلم .

من شعر أبى بكر الزبيدى

وكتب الزبيدى المذكور إلى أبى مسلم بن فَهْد :

أبا مسلم إن الفـتى بجَنَانه ومِقْوَلِه ، لا بالمراكب واللبس

وليست ثيـاب المرء تغنى قُلَامة إذا كان مقصورا على قصر النفس

وليس يفيد العـلم والحلم والحجا أبا مسلم طول القعود على الـكرسى

وقال ، وقد استأذن الحـكم المستنصر فى الرجوع إلى أهله بإشبيلية ولم يأذن له ، فـكتب إلى جاريته سلمى :

ويحك ياسَلْمَ لا تُرَاعِى لابد للبين من زماع

لا تحسبينى صَبَرت إلا كصبر مَيْتٍ على النزاع

ما خاق الله من عذاب أشـدَّ من وقفة الوداع

ما بينهـا والحِمَام فرق لولا المناحات والنواعى

إن يفترق شملنا وَشِيكاً من بعد ما كان ذا اجتماع

فكل شَمْلٍ إلى افتراق وكل شعب إلى انصداع

وكل قرب إلى بعـاد وكل وصل إلى انقطاع

بين سهل بن مالك وجماعة من الأدباء

واجتمع جماعة من الأدباء فيهم أبو الحسن سَهْل بن مالك والمهر بن الفرس وغيرهما بمدينة سبتة سنة ٥٨١ ، فتذاكروا محبوبا لهم يسكن الجزيرة الخضراء أمامهم ، فقالوا : ليقل كل واحد منكم[2] شيئاً فيه ، فقال سهل بن مالك :

---

(١) كذا ، ولابن السكيت كتاب اسمه « الألفاظ » فلعل أصل العبـارة « فى كتاب الألفاظ له »

(٢) فى ا « كل واحد منا »

لما حططت بسبتة قتب النوى والقلب يرجو أن يحوّل حاله

والجوّ مصقول الأديم كأنما يبدى الخفىَّ من الأمور صقاله

عاينت من بَلَد الجزيرة مكنسا والبحر يمنع أن يُصَاد غزاله[1]

كالشكل فى المرآة تبصره وقد قربت مسافته وعز مناله

فقال الجماعة : والله لا يقول أحد منا بعد هذا شيئا .

بين ابن مطروح البلنسى وأبى الربيع الكلاعى

ولما قرأ أبو محمد عبد الله بن مطروح البَلَنْسِى[2] صداق إملاك ، وغير فيه حال القراءة لفظة غير برفع ما كان منصوبا أو بالعكس ، أنشد بديهها بعد الفراغ معتذرا عن لحنه :

غيرت غيرا فصرت عيرا وهكذا من يجد سَيْرًا[3]

فأجابه الحافظ أبو الربيع بن سالم الكُلاَعى ، وكان إلى جانبه ، بديهة :

ما أنت مما يظن فيه بذاك جهل فظن خيرا[4]

بين ابن حمدون والشلوبين

ووقف أبو أمية بن حَمْدُون بباب الأستاذ الشلوبين ، فكتب فى ورقة « أبو أمية بالباب » ودفع الورقة لخادم الأستاذ ، فلما نظر إليها الأستاذ نوّن تاء أمية ، ولم يزد على ذلك ، وأمر الخادم بدفع الورقة إليه ، فلما نظر فيها أبو أمية انصرف ، علماً منه أن الأستاذ صرفه ، فانظر إلى فِطْنَة الشيخ والتلميذ ، مع أن الشيخ منسوب إلى التغفل فى غير العلم .

من عفو المعتصم ابن صمادح

ومن حكايات أهل الأندلس فى العفو أن المعتصم بن صُمَادح كان قد أحسن للنَّحْلى البَطَلْيَوْسى ، ثم إن النَّحلى سار إلى إشبيلية ، فمدح المعتضد بن عباد بشعر قال فيه :

أباد ابن عباد البربرا وأفنى ابن معن دجاج القرى

---

(١) المكنس ، والكناس — بزنة الكتاب — مسكن الظباء

(٢) فى ا « البلنصي » (٣) فى ا « غيرت عيرا فصرت غيرا »

(٤) في ا « ما أنت ممن يظن منه »

ونسى ما قاله ، حتى حل بالْمَرِيَّة ، فأحضره ابن صُمَادح لمنادمته ، وأحضر للعشاء موائد ليس فيها غيردجاج ، فقال النَّحلى : يامولاى ، ماعندكم فى المرية [لحم] غير الدجاج ؟ فقال : إنما أردنا أن نكذبك[١] فى قولك :

* وأفنى ابنُ مَعْن دَجاج القرى *

فطار سكر النحلى ، وجعل يعتذر ، فقال له : خَفِّضْ عليك إنما ينفق مثلك بمثل هذا ، و إنما العتب على مَنْ سمعه فاحتمل[٢] منك فى حق مَنْ هو فى نِصَابه ، ثم أحسن إليه ، وخاف النَّحلى ، ففر من المرية ، ثم ندم فكتب إلى المعتصم :

رضا ابن صمادح فارقته ... فلم يرضنى بعده العالم

وكانت مَرِيَّته جنة ... فجئت بما جاءه آدم

فما زال يتفقده بالإحسان على بُعْد دياره ، وخروجه عن اختياره ، انتهى .

لأبى عبد الله الرصافى

وقال فى بلنسية أبو عبد الله الرصافى ، وقد خرج منها صغيرا :

بلادى التى رِيشَتْ قُويد متى بها ... فريخا وآوتنى قرارتها وكرا[٣]

مِهَادى ولين العيش فى رَيِّقِ الصبا ... أبى الله أن أنسى اعتيادى بها خيرا[٤]

لأبى بكر محمد ابن يحيى الشلطيشى

وقال أبو بكر محمد بن يحيى الشلطيشى :

وفاة المرء سِرٌّ لم يكاشف ... ولم تثبت حقيقته درايه

سيفنى كل ذى شَبَح ونفس ... وتلتحق النهاية بالبدايه

وينصدع الجميع إلى صدوع ... تعود به البرية كالبرايه[٥]

كأن مصائب الدنيا سهام ... لها الأيام أغراض الرمايه

فنَلْ ماشئت إن الفقر بَدْء ... وعش ماشئت إن الموت غايه[٦]

---

(١) فى ا « أردت أن أكذبك » (٢) فى ا « فاحتمله منك »
(٣) فى ا « ريشت قديديمتى بها » والقويدمة : مصغر القادمة
(٤) فى ا « مبادى لين العيش » وفيها « أنسى اعتذارى لها غيرا »
(٥) فى ا « تعود به البرية كالبداية » (٦) فى ا « إن الموت حد »

لأبى بكر ابن العطار اليابسى

وقال أبو بكر محمد بن العطار اليابسى ، وهو من رجال الذخيرة :

أمطيت عزمك منه متن سابحة   خِلْتَ الحباب على لَبَّاتهـا لببا
تبدو على الموج أحيانا و يُضْمِرها   كالعيس تعتسف الأهضاب والكُثُبا(١)

لمحمد بن الحسن الجيلى

وقال محمد بن [الحسن] الجيلى(٢) النحوى :

وما الانس بالناس الذين عهدتهم   بأنس ولـكن فقد رؤيتهم أنس
إذا سلمت نفسى ودينىَ منهمُ   فحسبىَ أن العرض منى لهم تُرْسُ

لمحمد بن حرب

وقال محمد بن حرب :

طوبى لروضة جنـة   لك قد نوَيْتَ ورودها
نظمت على لباتهـا   أيدى الغمام عقودها
وسقت بمـاء الورد والـــمسك الفَتيت صعيدَهاَ(٣)
والطير تشدو فى الغصو   ن المائدات قصيدَهاَ(٤)
وتعـــير سمع المستعـــير نظيمها ونَشـــيدها

لمحمد بن اليسع

وكان فى دار محمد بن اليَسَع شاعر الدولة العامرية وردة ، وكان يهدى وردها كلَّ عام إلى عارض الجيش أحمد بن سعيد ، فغاب العارض سنة ، فقال :

قال لى الورد وقد لا   حظته فى رَوْضَتَيْهِ
وَهْوَ قد أينـع طيباً   جمع الحسن لديه
أين مولاى الذى قد   كنت تهدينى إليه
قلت غاب العام فايأس   أن ترُىَ بين يديه
فبــدا يذبل حتى   ظهر الحـزن عليه

وقال محمد(٥) بن أفلح :

---

(١) فى ا « كالأيم يعتسف الأهضام والـكثبا »
(٢) فى ا « الجبلى »   (٣) فى ا « والمسك الفتيق »
(٤) فى ا « صعيدها » مكان «قصيدها» تحريف (٥) فى ا « أحمد بن أفلح »

لأحمد بن أفلح

ماأستريح إلى حال فأحمدها ... بالبين قلبى وقبل البين قد ذهبا

إن كان لى أرب فى العيش بعدكم ... فلا قضيت إذن من حبكم أربا

لأحمد بن تليد

وقال أحمد بن تليد[1] الكاتب :

لم أرض بالذل وإن قلا ... والحر لا يحتمل الذلا

يارُبَّ خِلٍّ كان لى خامل ... صار إلى العزة ماخلا

حَرَّمت إلمامى على بابه ... ووصله لم أره حلا

تأبى علىَّ النفس من أن أرى ... يوما على مستثقل كَلَّا

لإسحاق ابن المنادم

وقال إسحاق بن المنادم ، وقد أهدى له مَنْ يهواه تفاحة :

مجال العين فى ورد الخدود ... يُذَكِّر طيبَ جنات الخلود

وآرجة من التفاح تزهو ... بطيب النشر والحسن الفريد

أقول لها افَضَحْتِ المسك طيبا ... فقالت لى بطيب أبى الوليد

لغالب بن عبدالله الثغرى

وقال غالب بن عبدالله الثَّغْرى :

ياراحلا عن سَوَاد المقلتين إلى ... سواد قلبٍ عن الأضلاع قد رحلا

غدا لجسم وأنت الروح فيه فما ... ينفك مرتحلا ما دمت مرتحلا[2]

وللفراق جوى لو مَرَّ أبردُهُ ... من بعد فرقتكم بالماء لاشتعلا[3]

للوزير أبى الحسن الغرناطى

وقال الوزير أبو الحسن بن الإمام الغرْناطى يهجو مراكش المحروسة

ياحضرة الملك ما أشهاك لى وَطَنَا ... لولا ضروب بلاء فيك مَصْبُوب

ماء زُعَاق وجوٌّ كله كدر ... وأكلة من بذنجان ابن معيوب[4]

وابن معيوب هذا كان من خدام أبى العلاء بن زُهْر ، يزعم الناس أنه سَمَّ ابنَ باجة لعداوته لابن زهر فى باذنجان .

---

(١) فى ا « أحمد بن تلميذ »

(٢) فى ا « مادام مرتحلا » وليس بشىء

(٣) فى ا « بى للفراق جوى » (٤) فى ا « ماء زعاف »

ولما بنى الفقيهُ أبو العباس بن القاسم قصره بسَلاَ وشَيَّدَه وَصَفَتْهُ الشعراء ، وهَنَّتْه به ، ودعت له ، وكان بالحضرة حينئذ الوزير أبو عامر بن الحمارة ، ولم يكن أعدّ شيئا ، فأفكر قليلا ثم قال :

للوزير أبى عامر ابن الحمارة

يا أوْحَدَ الناس قد شَيَّدْتَ واحدة ... فحُلَّ فيها حلولَ الشمس فى الحمل[1]

فما كَدَارِكَ فى الدنيا لذى أمل ... ولا كدارك فى الأخرى لذى عمل

وفيهم يقول ابنُ بقى فى موشحته الشهيرة التى آخرها :

لابن بقى من موشحة

إن جئت أرض سَـلَا ... تلقاك بالمكارم فيـدان

هم سطور العـــلا ... و يوسف بن القاسم عنوان

وكان محمد بن عبادة بالمرية ، ومعه ابن القابلة السبتى ، فنظر إلى غلام وسيم يسبح ، وقد تعلق بسفينة[2] ، فقال ابن عبادة :

بين ابن عبادة وابن القابلة

* انظر إلى البدر الذى لاح لك *

فقال ابن القابلة :

* فى وَسَطِ اللجة تحت الحلك *

قد جعل الماء مكان السما ... واتخذ الفلك مكان الفلك

وقال ابن خروف ، و يروى لغيره :

لابن خروف

أيتها النفس إليه اذهبى ... فحبه المشهور من مذهبى

مُفَضَّض الثغر له شامة ... مسكية فى خده المذهب

أيأسنى التو بة من حبه ... طلوعُه شمساً من المغـرب

واجتمع فى بستان واحد ثلاثة من شعراء الأندلس ، وهم : ابن خفاجة ، وابن عائشة وابن الزقاق ، فقال ابن خفاجة يصف الحال هنالك :

بين ابن خفاجة وابن عائشة وابن الزقاق

---

(١) فى ا « يا واحد الناس » وفيها « محل الشمس فى الحمل »

(٢) تقدمت هذه القصة قريباً (ص ١٤٤ و ١٤٥) ببعض تغيير

لله نورية المحيا تحمل نارية الحُمَيَّا(١)
دُرْنَابها تحت ظل دَوْح قد راق مَرْأًى وطاب ريا
تجسَّمَ النور فيه نورا فكل غصن به ثريا

وقال ابن عائشة :

ودوحة قد علت سماء تطلع أزهارُهَا نُجُومَا
هفا نسيمُ الصَّبا علينا فخلتها أرسلت رجوما(٢)
كأنما الأفق غار لما بَدَتْ فأغرى بها النسيما

وقال ابن الزقاق :

ورياضٍ من الشقائق أضْحَتْ يَتهَادى بها نسيمُ الرياح
زرتها والغمام يجلدُ منها زهرات تَفُوقُ لون الراح(٣)
قلت ما ذنبها فقال مجيبا سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال الأديب أبو الحسن بن زنون(٤) : وقع بيدى ــ وأنا أسير بقيجاطة ، أعادها الله تعالى دار إسلام ! ــ كتابٌ ترجمته « كتاب التحف والظرف لابن عفيون » فوجدت فيه : قال الحسين بن الضحاك :

ما كان أحوجنى يوماً إلى رَجُلٍ فى وَسْطه ألفُ دينار على فرس
فى كفه حَرْبة يَفْرى الدروع بها وصارمٌ مُرْهَف الحدين كالقبس
فلو رجَعْتُ ولم أظفر بمهجته وقد خضبت ذباب الصارم الشكس
فلا اغتبطتُ بعيش وابتليت بما يحول بينى و بين الشادن الأنِسِ

ووقف على هذه القطعة أبو نواس فقال :

ما كان أحوجنى يوما إلى خَنِثٍ حُلْو الشمائل فى باقٍ من الغلس

---

(١) فى ا « تحمل نارية المحيا » وليس بذاك
(٢) فى ا « هفا نسيم الصبا عليها »
(٣) فى ب « زرتها والغمام يجلب منها » وفيها « تريك لون الراح »
(٤) فى نسخة عند ب « محمد بن ذنون »

فى كفه قهوة يَسْبى النفوسَ بها محكم الطرف للألباب مختلس
فلو رجعت ولم أظفر بتكته وقد رويتُ من الصهباء كالقبس
فلا هنيتُ بعيش وابتليت بما يكون منه صدود الشادن الأنسِ
هذا ألذ وأشهى من مُنَى رجل فى وَسْطه ألف دينار على فرس

ووقف على ذلك الوزير أبو عامر بن ينق (١) فقال :

ما كان أحوجنى يوماً إلى رجل يردِّدُ الذكر فى باق من الغلس
فى حَلْقه غُنَّة يشفى النفوس بها وفى الحشا زفرة مشبوبة القَبَسِ
فلو رجعت ولم أوثر تلاوته على سماع غناء الشادن الأنسِ
فلا حمدت إذن نفسى ولا اعتمدت بى النجائب قصد البيت ذى القُدُس (٢)
ولا أسلت لقبر المصطفى مُقَلًا تبكى عليه بهامى الدمع منبجس (٣)

قال ابن زنون : [فوقفت على ذلك] (٤) فقلت ، وكلٌّ ينفق مما عنده ، ومن عجائب صنعه تعالى أنه عند فراغى من كَتْب هذه القطعة وصل الفكاك إلى ، وحل قيودى ، وأخرجنى إلى بلاد المسلمين ، وهى :

ما كان أحوجنى يوماً إلى رجل يأتى فينبهنى فى فحمة الغَلَسِ
يفكُّ قيدى وغِلِّى غير مرتقب ولا مبالٍ من الحجَّاب والحَرَسِ
وقوله لى تأنيساً وتسلية هذا سلاحىَ فالبسه وذا فرسى
فلو جَبُنْتُ ولم أقبل مقالته وأمتطى الطِّرف وثباً فعلَ مفترس
إذن خَلَعت لباس المجد من عنقى وصار حظىَ منه حظ مختلس
وأخلفتنى أمانِىَّ التى طمحت نفسى إليها وإحسانى لكل مُسِى

وقال أبو بكر بن حبيش ، وقد زاره بعضُ أودائه فى يوم عيد فطر :

---

(١) فى ب « أبو عامر بن نيق » وانظر (ص ١٣٣) من هذا الجزء
(٢) النجائب : جمع نجيبة ، وهى الناقة السريعة ، وفى ا « البيت فى القدس » محرفا
(٣) فى ا « لا أسلت بغير المصطفى مقلا »
(٤) زيادة فى ا ، وليس فيها قوله « فقال ابن زنون »

لأبى بكر بن حبيش

أكل ذا الإجمال فى ذا الجمال — اللهَ أستحفظ ذاك الكمال
يا مالكا بالبر رِقِّى أما — يكفيك أن تملكنى بالوصال
سَرَتْ إلى ربعى زَوْرًا كما — سرى إلى المهجور طيف الخيال
العيد لى وحدى بين الورى — حقا لأنى قد رأيت الهلال
صَوْمِىَ مقبولٌ وبرهانه — أنىَ أُدْخِلْتُ جنان الوصال

لأبى بكر اللخمى

وقال أبو بكر بن يوسف اللخمى، وقد عاده فى شكاية فتى وَسِيم من الأعيان كان والده خطيب البلد :

يا عائدى وَهوَ أصلُ مَابِى — أفْدِيكَ من مُمْرِض طَبيبِ
أصْمَيْتَ لما رَمَيْتَ قلبى — بسَهْمِ ألحاظك المصيبِ[1]
وجئتنى مُنْكِرا لسقمى — وتلك من عادة الحبيب
ياساعة قد غفرت فيها — ما كان للدهر من ذنوب
ما كان فى فضلها مثال — لو لم تكن جلسة الخطيب[2]

بين أبى زيد ابن أبى العافية وابن العطار

وخاطب أبو زيد بن أبى العافية أبا عبد الله بن العطار القرطبي بقصيدة منها هذا البيت :

وكيف يُفِيقُ ذو صبر قصير — حليف وساوس حول طوال

يعرض له بطوله وحمقه، ولصاحبه [أبى] محمد بن بلال بقصره، فراجعه أبو عبد الله المذكور بهذه الأبيات يعرض له فيها بجربه، وكان أبو زيد أصابه جَرَبٌ كثير :

أجل يا نافث السحر الحلال — أتانى منك نظمُ كاللآلى
يروقك أوّلا لفظا ومعنى — ويلدغ آخراً لدغ الصِّلال[3]

---

(١) تقول : رمى فلان فأصمى، إذا كان قد أصاب برميه مقتلا

(٢) فى ا « ماكان في فضلها مقال »

(٣) الصلال : جمع صل، وهو الثعبان

تُعَرّض فيه أنك ذو مطال حليف وساوس حول طوال
كأنك لم تجرب قط خلقا ولم تعرف بتجربة الليالى
أأنسيت التجارب إذ تجارى بهن الجِرْبِياءَ مع الشمال
فلا تغفل عن التجريب يوماً ولو أعطيت فيه جِرَابَ مال
وجَرِّبْ جار بيتك واختبره وجر برجله إن كان قالى
وجار بنيك لا تستحى منه ومن نَجَّار بابك لا تبالى
وأجر بيالك الجرباء تبصر نجوم الأفق تجرى بانتقال
وجرب أهل جرْبَةَ تلف قوماً أبوا لبس الجوارب والنعال
تجارا باعة تَجَرُوا بزيتٍ تسموا بالتجار بغير مال
إذا سمعوا بتمر فى جريب جروا ببطالة التمر البوالى[1]
إذا جربت هذا الخلق أبدى لك التجريب أجْرِبَةً خوالى
ترى بالنجح دهراً جر بؤساً عليك وجار بالنوب الثقال

بين ثلاثة أدباء

وخرج ثلاثة أدباء لنزهة خارج مُرْسِية ، وصلوا خلف إمام بمسجد قرية ، فأخطأ فى قراءته ، وسها فى صلاته ، فلما خرج أحدهم كتب على حائط المسجد :

يا خَجْلتى لصلاة صليتها خلف جِلْفِ[2]

فلما خرج الثانى كتب تحته :

أُغضُّ عنها حياء من المهيمن طَرْفى

فلما خرج الثالث كتب تحته :

فليس تقبل منا لو أنها ألف ألف

لأبى إسحاق بن حنيف

وقال أبو إسحاق بن حنيف[3] فى أحْدَبَ أخذ مع صبى فى خلوة فضربا ، وطِيفَ بهما ، والأحدب على عنق الصبى :

(١) فى ا « جروا ببطاء ذى التمر البوالى »

(٢) فى ا « صليتها خلف خلف » (٣) فى ا « أبو إسحاق بن خفيف »

رأيت اليوم محمولا وأعجب منه مَنْ حمله
جِمالُ الناس تحملهم وهذا حاملٌ جَمَله

لأبي الصلت وقال أبو الصلت الأندلسي :

وقائلة ما بال مثلك خاملا أأنت ضعيف الرأى أم أنت عاجز
فقلت لها ذنبي إلى القوم أننى لما لم يحوزوه من المجد حائز

لبعض المغاربة وكتب بعض المغاربة لأبي العباس بن مَضاء[1] يذكره بحاله :

يا غارساً لى ثمار مجد سقيتها العذب من زلالك
أخافُ من زهرها سُقُوطاً إن لم يكن سَقيُها ببالك

لأبي عبد الله القرطبي وكتب الكاتب أبو عبد الله القرطبي مستنجزاً وعْدًا :

أبا عبد الإله وعدت وعداً فأنجز تربح الشكر الجزيلا
ولا تمطل فإن المطل يَمْحُو من الإحسان رونقهُ الصقيلا
إذا كان الجميل يُحَبُّ طبعاً فإنى أكره الصبر الجميلا

لابن هذيل الفزارى وكتب ابن هذيل الفزارى للغنى بالله سلطان لسان الدين بن الخطيب :

ليس يا مولاى لى من جابر إذ غدا قلبى من البلوى جُذَاذَا
غير صك أحمر تكتب لى فيه يمناك اعتناء صح هذا

لابن الزقاق وقال أبو الحسن بن الزقاق فى غلام يهودى كان يجلس معه وينادمه يوم سَبْت :

وحبَّبَ يوم السبت عندىَ أننى ينادمني فيه الذى أنا أحببت
ومن أعجب الأشياء أنى مسلم حنيف ولكنْ خيرُ أياميَ السبتُ

لأبي حيان وقال أبو حيان :

ويعجبنى رشف تلك الشفاهِ وعضُّ الخدود وهَصْرُ القوام
محاسِنُ فاقت قضيب الأراك وورد الرياض وكأس المدام[2]

---

(١) فى ب « لأبى العباس بن نصال »
(٢) فى ا « محاسن فاتت قضيب الأراك »

لأبي العباس ابن سعيد

وكتب أحد الأدباء بمُرْسِية إلى فتى وسيم من أعيانها كان يلازم حانوت بعض القضاة بها للتفقه عليه ، بأبيات فى غرض ، فراجعه عنه أبو العباس بن سعيد بقوله :

ما للمحب لدىَّ غير صبابة تقضى عليه ولَوْعَةٍ وغرامِ
فدع الطماعة واسترح باليأس من وصلٍ عليك إلى الممات حرامِ

للسميسر

وقال السميسر :

قرابة السوء شرُّ داء فاحمل أذاهم تعش حميدا
ومن تكن قُرْحَة بفيه يصبر على مصه الصديدا

لابن خفاجة

وقال ابن خفاجة :

إن للجنة بالأندلس مُجْتَلَى عين وريّاً نفس
فسَنا صُبْحَتِها من شَنَب ودُجَا ليلتها من لَعَس
فإذا ما هبت الريح صَباً صِحْتُ واشوقى إلى الأندلس

لبعض الأندلسيين

وقال بعض الأندلسيين ممن لم يحضرنى اسمه الآن :

إذا صال ذو ود بود صديقه فيا أيها الخل المصاحب لى صُلْ بِى
فإنىَ مثل الماء لينا لصاحبى وناهيك للأعداء من رَجُل صُلْب

لأبى يحى بن هشام القرطبى

وقال أبو يحيى بن هشام القرطبى :

وخائط رائع جمالا وصاله غاية اقتراحى
تنعم منه الخيوط فَتْلًا بين أقاح و بين راح
تراه فى السلم ذا طعان بنافذات بلا جراح
حُلَّته أشبهت فؤادى لكثرة الوخز فى النواحى (١)
تُقَطِّع الثوبَ راحتاه كصنع ألحاظه الملاح

---

(١) فى ا « حلقته أشبهت فؤادى »

فقبـله ما رأيت بدراً ممـزقا بردة الصباح

لأبى جعفر البلنسى

وقال أبو جعفر أحمد بن عبد الولى البَلَنْسى .

غصبت الثريا فى البعاد مكانها وأودَعْت فى عينىَّ صادق نوئها

وفى كل حال لم تزالى بخيـلة فكيف أعرت الشمس حلة ضوئها

قال ابن الأبار : أنشد مؤلف «قلائد العقيان» هذين البيتين لأبى جعفر البنى اليعمرى ، وأحدهما غالط من قبل اشتباه نسبهما والتفرقة بينهما مستوفاة فى تأليفى(١) المسمى « بهداية المعتسف ، فى المؤتلف والمختلف » انتهى .

وأبو جعفر بن عبد الولى المذكور أحرقه القنبيطور ـ لعنه الله تعالى ! ـ حين تغلبه بالروم على بَلَنْسية . قال ابن الأبار : وذلك فى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وقيل : إن إحراقه كان سنة تسعين وأربعمائة ، انتهى .

لأبى العباس القيجاطى

وقال أبو العباس القيجاطى فيما أنشده له ابن الطيلسان :

ليس الخمـول بعار على امرىء ذى جلال

فليلة القـدر تَخْفَى وتلك خير الليالى

وقال أبو محمد بن جحاف(٢) المعافرى البَلَنْسى :

أقول وقد خوّفونى القران وما هو من شره كائن

ذنوبى أخاف وأما القران فإنىَ من شره آمن

وأبوه أبو أحمد هو المحرق ببلنسية كما ذكرناه فى غير هذا الموضع .

لأبى العباس المالقى

وقال أبو العباس [المالقى] :

و بين ضلوعى للصبابة لوعـة بحكم الهوى تقضى على ولا أقضى

جنى ناظرى منها على القلب ماجنى فيا من رأى بعضاً يُعِينُ على بعض

---

(١) فى ب « مستوفاة من تأليفى »

(٢) فى ب « أبو محمد بن الحجاف »

إجازة بين أبى القاسم بن عبد المنعم وأبى عبد الله الشاطبى وأبى بكر بن طاهر

ودخل أبو القاسم بن عبد المنعم ، وكان أزرق وسيما ، ومعه أبو عبد الله الشاطبى وأبو عثمان سعيد بن قوشترة ، على صاحب كتاب « مشاحذ الأفكار ، فى مآخذ النظار » فقال ابن قوشترة :

عابوه بالزَّرَقِ الذى بجفونه ... والماء أزرق والسنان كذالكا

فقال الشاطبى :

والماء يهدى للنفوس حياتها ... والرمح يشرع للمنون مسالكا

فقال أبو بكر بن طاهر صاحب كتاب « المشاحذ » :

وكذاك فى أجفانه سبب الردى ... لكن أرى طيب الحياة هنالكا

وهذا من بارع الإجازة ، وكم لأهل الأندلس من مثل هذا الديباج الخُسْرُوانى ، رحمهم الله تعالى وسامحهم !

وكتب الشيخ الإمام العالم العلامة أبو عبد الله محمد بن الصائغ الأندلسى النحوى عند قول الحريرى « أمنا أن يُعزَزا[1] بثالث » ما نصه : قد جيء لهما بثالث ورابع فى قافيتهما ، وهو قول بعض الفضلاء :

ما الأمة اللَّكعاء بين الورى ... كمسلم حُرٍّ أتى مَلْأَمَهْ

فَمَهْ إذا استَجْدَيْتَ من قول لا ... فالحر لا يملأ منها فَمَهْ

ثم قال : و بخامس وسادس :

انقدَّ مَهْوَى أزْرِهِ فانثنى ... مَهْ ياعذولى فى الذى انقدّمه

مَنْدَمَةٌ قتلُ المعنَّى فلا ... تُرْسِلِ سهام اللحظ تأمَنْ دَمَهْ

قلت : رأيت فى « المغرب » فى هذا المعنى ما ينيف على سبعين بيتاً كلها مُسَاجلة لبيتى الحريرى ، رحمه الله تعالى !

---

(١) يعززا بثالث : يعضدا ويقويا ، وأراد أنه يعتقد أنه لايستطيع أحد أن يأتى لهما بنظير ، وبيتا الحريري هما قوله فى المقامة الحلبية :

سم سمة تحسن آثارها ... واشكر لمن أعطى ولو سمسمه

والمكر مهما اسطعت لا تأته ... لتقتنى السؤدد والمكرمه

لأبى بكر ابن عبادة

وقال أبو بكر بن عبادة [١] الشاعر فى أبى بكر والد الوزير أبى الوليد ابن زيدون :

أى ركن من الرياسة هِيضاَ وجُمومٍ من المكارم غيضا
حملوه من بلدة نحو أخرى كى يوافوا به ثراه الأرِيضاَ
مثل حمل السحاب ماء طبيبا لتداوى به مكانا مريضا

وكان المذكور توفى فى ضيعة له ، ونقل تابوته إلى قُرْطُبة فدفن فى الرَّبَض سنة ٤٠٥ ، وولد سنة ٣٠٤ .

لأبى بكر ابن قزمان

وقال أبو بكر بن قزمان صاحب الموشحات :

وعهدى بالشباب وحُسْنِ قدّى حكى ألِفَ ابن مُقْلة فى الكتاب
فصرت اليوم منحنيـاً كأنى أفَتِّشُ فى التراب على شبابى

وقال :

يا رب يوم زارنى فيه مَنْ أطلع من غُرَّته كوكباً
ذو شَفَةٍ لَمْيَاءَ معسولة ينشع من خدّيه ماء الصبا
قلت له هَبْ لى بها قبلة فقال لى مبتسماً مَرْحَباَ
فذقت شيئاً لم أذق مثله لله ما أحلى وما أعذبا
أسعدنى الله بإسعاده يا شقوتى يا شقوتى لو أبىٰ

ترجمة ابن قزمان

قال لسان الدين : كان ابن قزمان نسيجَ وَحْدِهِ أدبا وظَرْفا ولَوْذَعية وشهرة ، قال ابن عبدالملك : كان أديباً بارعا ، حلو الكلام ، مليح النثر [٢] ، مبرزاً فى نظم الزجل ، قال لسان الدين : وهذه الطريقة الزجلية بديعة تتحكم فيها ألقاب البديع وتنفسح لكثير مما يضيق على الشاعر سلوكه ، وبلغ فيها أبو بكر رحمه الله تعالى

---

(١) في ا « أبو بكر عبادة » بدون كلمة « بن »

(٢) فى ا « مليح التندير »

مبلغاً حَجَره الله عمن سواه ، فهو آيتها المعجزة ، وحجتها البالغة ، وفارسُها المُعْلِم ، والمبتدىء فيها والمتمِّم .

وقال الفتح فى حقه : مبرز فى البيان ، ومُحْرِز للسَّبْق عند تسابق الأعيان ، اشتمل عليه المتوكل على الله فرقاه إلى مجالس ، وكساه ملابس ، فامتطى أسْمى الرتب وتَبوَّأها ، ونال أسنى الخطط وماتملأها ، وقد أثبتُّ له ما يعلم به رفيع قدره ، ويعرف كيف أساءَ له الزمان بغَدْره ، كقوله :

ركبوا السيول من الخيول وركبوا فوق العوالى السمر زُرْقَ نطاف

وتجللوا الغدران من ماذِيِّهِمْ مرتجَّةً إلا على الأكتاف[1]

والماذى : العَسَل ، والنِّطاف : جمع النّطْفة ، وهى الماء الصافى قلَّ أو كثر .

لأبى بكر ابن القوطية

وقال الفقيه أبو بكر ابن القوطية صاحب « الأفعال » فى اللغة والغريب ، فى زمن الربيع :

ضحك الثرى وبَدَالك استبشاره فاخضر شاربه وطَرَّ عذاره

ورَنت حدائقه وزرر نبته وتعطرت أنواره وثماره[2]

واهتز ذابِلُ كل ماءِ قرارةٍ لما أتى متطلعاً آذاره

وتعممت صُلْعُ الرُّبا بنباته وترنمت من عُجْبها أطياره[3]

وقال فى المطمح فى حق ابن القوطية المذكور : إنه ممن له سَلَف ، وثَنِيَّة كلها شَرَف ، وهو أحد المجتهدين فى الطلب ، والمشتهرين بالعلم والأدب ، والمنتدبين للعلم والتصنيف ، والمرتبِّينَ له بحسن الترتيب والتأليف ، وكان له شعر نبيه ، وأكثره أوصاف وتشبيه ، انتهى .

للقاضى ابن مغيث

وقال القاضى الأجل يونس بن عبد الله بن مغيث :

---

(١) فى ا « إلا على الأكتاف »

(٢) فى ب « ودنت حدائقه »

(٣) في ا « وترنمت من عجمه أطياره »

أتواحسه إذ قيل جـــد نحوله فلم يبق من لحم عليه ولا عظم (١)

فعادوا قميصاً فى فراش فـلم يَرَوْا ولا لَمَسُوا شيئاً يدل على جسم (٢)

طواه الهوى فى ثوب سقم من الضنى وليس بمحسوس بعين ولا وهم

ترجمة القاضى ابن مغيث

وقال فى المطمح فيه : إنه قاضى الجماعة بقرطبة ، فاضل ، ورع ، مبرز فى النساك والزهاد ، دائم الأرق فى التخشع والسهاد ، مع التحقق بالعلم والتميز بحمله (٣) ، والتحيز إلى فئة الورع وأهله ، ، وله تآليف فى التصوّف والزهد ، منها كتاب « المنقطعين إلى الله » وكتاب « المجتهدين » وأشعار فى هذا المعنى ، منها قوله :

فررت إليك من ظلمى لنفسى وأوحَشَنى العباد وأنت أنسى

قصدت إليـك منقطعا غريبا لتؤنس وَحْدَتِى فى قعْر رمسى

وللعُظْمَى من الحاجات عندى قصدت وأنت تعلم سر نفسى

ولما أراد المستنصر بالله غزوَ الروم تقدم إلى أبى محمد والده بالـكَوْنِ فى صحبته ، ومسايرته فى غَزْوته ، فاعتذر بعذر يجده ، وألم لاينجده ، فقال له الحـكم : إن ضمن لى أن يؤلف فى أشعار خلفائنا بالمشرق والأندلس مثل كتاب الصولى فى أشعار خلفاء بنى العباس أعفيته من الغزَاة ، وجازيته أفضل المُجَازاة ، فأجابه إليه (٤) على أن يؤلفه بالقَصْر ، فزعم أنه رجل مَزُور ، وأن ذلك الموضع ممتنع على من يلم به ويزور ، فألفه بدار الملك المطلة على النهر ، وأكمله فيما دون شهر ، وتوفى المستنصر إذ ذاك ، انتهى .

لابن سيدة وترجمته

وقال ابن سِيدَه صاحب « المحكم » يخاطب إقبال الدولة :

ألا هل إلى تقبيل راحتك اليمنى سبيلٌ فإن الأمن فى ذاك واليمنا

قال فى المطمح : الفقيه أبو الحسن على بن أحمد المعروف بابن سيده إمام فى اللغة

---

(١) في ا « أتوا حسبة »

(٢) فى ب « فعادوا قميصاً فى فراش فلم يجد »

(٣) فى ا « والتمييز بفضله » (٤) فى ا « فأجابه إلى ذلك »

والعربية ، وهُمَام فى الفئة الأدبية ، وله فى ذلك أوضاع ، لأفهام أخْلاَفِهَا استدرار واسترضاع ، حَرَّرها تحريرا ، وأعاد طَرْف الذكاء بها قَرِيرًا ، وكان منقطعا إلى الموفَّق صاحب دَانِيَةَ ، وبها أدركَ أمانيه ، ووجد تجرده للعلم وفراغه ، وتفرد[١] بتلك الإراغة ، ولاسيما كتابه المسمى بالمحكم ، فإنه أبدع كتاب وأحكم ، ولما مات الموفق رائشُ جَنَاحِه ، ومثبت غُرَرِه وأوضاحه ، خاف من ابنه إقبال الدولة ، وأطاف به مكروها بعضُ مَنْ كان حَوْلَه ، إذ أهل الطلب لحيات مُسَاوِرة ، ففر إلى بعض الأعمال المجاورة ، وكتب إليه منها مستعطفا :

ألا هل إلى تقبيل راحتك اليمنى ... سبيلٌ فإن الأمن فى ذاك واليمنا

فتنضى هموم طَلَّحته خطوبها ... ولاغارباً يُبْقِينَ منه ولامتنا

غريب نأى أهلوه عنه وشَفَّه ... هواهم فأمسى لايقر ولا يهنا

فيا ملك الأملاك إنى مُحَلَّأٌ ... عن الورد لا عنه أُذَادُ ولا أُدْنى[٢]

تحققت مكروها فأقبلت شاكيا ... لعمرى أمأذون لعبدك أن يُغْنَى

وإن تتأكد فى دمى لك نية ... فإنى بسيف لا أحب له جفنا

إذا ما غدَا من حر سيفك باردا ... فقدماً غدا من برد نعماكم سخنا

وهل هىَ إلا ساعة ثم بعدها ... ستقرع ما عُمِّرْتَ من نَدَمٍ سنا

ومالىَ من دهرى حياة ألذها ... فتجعلهَا نُعْمَى على وتمتنَّا

إذا ميتة أرضتك عنا فهاتها ... حبيبٌ إلينا ما رضيت به عنا

وقال الفقيه أبو محمد غانم بن الوليد الأندلسى المخزومى المالقى :

لأبى محمد غانم بن الوليد المالقى

صَيِّر فؤادك للمحبوب منزلة ... سم الخياط مجال للمحبين

ولا تسامح بغيضا فى معاشرة ... فقلما تسع الدنيا بغيضين

---

(١) فى ا « وتفرده بتلك الإراغه »

(٢) فى ا « إنى مخلأ » بالمعجمة ، وتقول : حلأته عن ورود الماء تحليئا ، تريد أنك منعته أن يقربه

وله :

الصـــبر أولى بوَقَارِ الفـتى مِـن قَلَق يهتك سـتر الوقار
مَنْ لزم الصـــبر على حالة كان على أيامه بالخيـار

وقال فى المطمح فيه : إنه عالم مُتفرِّس ، وفقيه مُدرِّس ، وأستاذ متجرد[١] ، وإمام لأهل الأندلس مجوّد ، وأما الأدب فكان جُلَّ شِرْعَته ، وهو رأس بعيته ، مع فضل وحسن طريقه ، وجدٍّ فى جميع الأمور وحقيقه ، انتهى .

مقصورة لابن عبدالبر يوصى فيها ابنه

وقال المحدث الحافظ أبو عمر بن عبد البر يوصى ابنه بمقصورة :

تجَافَ عن الدنيا وهوّن لقدرها ووفِّ سبيل الدين بالعروة الوثقى[٢]
وسارع بتقوى الله سرا وجهرة فلا ذمة أقوى هُدِيتَ من التقوى
ولا تَنْسَ شكر الله فى كل نعمة يَمُنُّ بها فالشكر مستجلب النعمى
فَدَعْ عنك ما لا حَظَّ فيـه لعاقل فإن طريق الحق أبلجُ لا يخفى
وشحَّ بأيام بَقِينَ قلائل وعمر قصـــير لا يدوم ولا يبقى
ألم تر أن العمر يمضى مولِّياً فجدّته تَبْلَى ومدته تفـــنى
نخوض ونلهو غفْـلة وجهَالة وننشر أعمالا وأعمارنا تُطْوَى
تواصِلُنَا فيه الحوادث بالردى وتنتابنا فيـه النوائب بالبلوى
عجبتُ لنفسٍ تبصر الحق بَيِّناً لديها وتأبى أن تفارق ما تهوى
وتسعى لما فيه عليها مضرة وقد علمت أن سوف تجزى بما تَسْعَى
ذنوبىَ أخشاها ولست بآيس وربى أهلٌ أن يُخَافَ وأن يرجى
وإن كان ربى غافراً ذنب مَنْ يَشَا فإنىَ لا أدرى أأكرم أم أخزى

ترجمة ابن عبد البر

وقال فى المطمح : الفقيه الإمام العالم الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ،

---

(١) فى ا « وأستاذ مجود » فيتكرر لفظ الفاصلتين

(٢) فى ا « وخذ في سبيل الدين »

إمام الأندلس وعالمها ، الذى التاحت به معالمها ، صَحّحَ المتن والسند ، وميز المرسل من المسند ، وفرق بين الموصل(١) والقاطع ، وكسا المِلّةَ منه نورٌ ساطع ، حصر الرواة ، وأحصى الضعفاء منهم والثقاة ، وجَدَّ فى تصحيح السقيم ، وجدد منه ما كان كالكهف والرَّقيم ، مع مُعانَاة العلل(٢) ، و إرهاف ذلك العلل(٣) ، والتنبيه والتوقيف ، والإتقان والتثقيف ، وشرح المقفل ، واستدراك المغفل ، وله فنون هى للشريعة رِتاج ، وفى مَفْرِق المِلّةِ تاج ، أشهرت للحديث ظُبَاً ، وفرعت لمعرفته رُبَا ، وهبت لتفهمه شمال(٤) وصَبَا ، وشفت [منه] وصَبَا ، وكان ثقة ، والأنفس على تفضيله متفقة ، وأما أدبه فلا تُعْبَرُ لجته ، ولا تدحض حُجته ، وله شعر لم نجد منه إلا ما نفث به أنفة ، وأقصى فيه عن معرفة ، فمن ذلك قوله ــ وقد دخل إشبيلية فلم يلق فيها مبرة ، ولم يلق(٥) من أهلها تهللَ أسِرَّة ، فأقام بها حتى أخلقه مقامه ، وأطبقه اغتمامه ، فارتحل وقال :

تنكّرَ مَنْ كنا نسرُّ بقربه ... وعاد زعاقا بعدما كان سلسلا(٦)

وحُقَّ لجار لم يوافقه جاره ... ولا لاءمته الدار أن يتحوّلا

بليتُ بحمص والمقام ببلدة ... طويلا لعمرى مخلقٌ يورث البِلَى

إذا هان حر عند قوم أتاهم ... ولم ينأ عنهم كان أعمى وأجهلا

ولم تضرب الأمثال إلا لعالم ... وما عوتب الإنسان إلا ليعقلا

لأبى بكر بن أبى الدوس

وقال الفقيه أبو بكر بن أبى الدوس(٧) :

إليك أبا يحيي مددت يد المنى ... وقدمًا غدت عن جود غيرك تقبض

وكانت كنور العين يلمع بالدجا ... فلما دعاه الصبح لباه ينهض

وقال فى المطمح : إنه من أبدع الناس خطاً ، وأصحهم نقلا وضَبْطا ، اشتهر بالإقراء ، واقتصر بذلك على الأمراء ، ولم ينحط لسواهم ، ومَطَل الناس بذلك ولَوَاهم ،

---

(١) فى ا « بين الموصول والقاطع » (٢) فى ب « مع معلنات العلل »
(٣) فى ا « وإرهاف ذلك القلل » (٤) فى ا « شمالا وصبا »
(٥) فى ا « ولم ير من أهلها تهلل أسرة » (٦) فى ا « وصار زعافا »
(٧) في ب « بن أبى الدودس » وفى نسخة عندها « بن الدوس »

وكان كثير التحوّل ، عظيم التجوّل ، لا يستقر فى بلد ، ولا يستظهر على حرمانه بجَلَد ، فقذفته النوى ، وطردته عن كل ثَوًى(١) ، ثم استقر آخر عمره بأغمات ، وبها مات ، وكان له شعر بديع يصونه أبداً ، ولا يمدّ به يداً .

أخبرنى مَنْ دخل عليه بالمَرِيَّة فرآه فى غاية الإملاق ، وهو فى ثياب أخْلَاق(٢) ، وقد توارى فى منزله توارىَ المذنب ، وقعد عن الناس قعود مجتنب ، فلما علم ماهو فيه ، وترفعه عمن يَجْتَدِيه ، عاتبه فى ذلك الاعتزال ، وآخَذَه حتى استنزله بغَيْضِ الإنزال(٣) ، وقال له : هلا كتبت إلى المعتصم ، فما فى ذلك ما يَصِم(٤) ، فكتب إليه : إليك أبا يحيى مددت يَدَ المنى — البيتين ، انتهى .

لأبى الفضل ابن الأعلم

وقال الفقيه القاضى الفاضل أبو الفضل بن الأعلم ، حين أقلع وأناب ، وودع ذلك الجَناَب ، وتزهد وتنسّك ، وتمسك من طاعة الله بما تمسك ، وتذكر يوماً يتجرد من أمله ، وينفرد فيه بعمله :

الموتُ يشغل ذكرُهُ عن كل معلوم سواه(٥)
فاعمر له رَبْعَ ادكا رِكَ فى العشية والغداه
واكحل به طرفَ اعتبا رك طول أيام الحياه
قبل ارتكاضِ النفس ما بين الترائب واللَّهاه
فيقال هـــذا جعفر رَهْن بمـــا كسبت يداه
عصفت به ريحُ المنو ن فصيرته كما تراه
فضَعوه فى أكفانه ودَعُوه يجنى ما جناه
وتمتَّعُـوا بمتاعـه المـــخزون وَاحْوُوا ما حواه
يا منتظـــرا مستبشعا بلغ الكتاب به مداه

(١) الثوى : الإقامة ، وأصله المد (٢) ثياب أخلاق : باليات
(٣) فى ا « بفيض الاستنزال » (٤) يصم : يعيب
(٥) فى ا « عن كل مأمول سواه »

لُقِّيتُ فيـــه بشارة   تشفى فؤادى من جَوَاه
ولقيت بعدك خَيْرَ من   نبَّأه ربى واجتبـاه
فى دار خَفْضٍ ماشتهت   نفسُ المقيم بهـا أتاه

وقال فى المطمح : إنه كَهْلُ الطريقة ، وفَتَى الحقيقة ، تدرَّع الصيانة ، وبرع فى الورع والديانة ، وتماسك عن الدنيا عَفَافا ، وما تماسك التماسا بأهلها والتفافا ، فاعتقل النهى(١) ، وتنقَّل فى مراتبها حتى استقر فيها فى السُّهَا ، وعَطَّل أيام الشباب ، ومَطَل فيها سعاد وزينب والرَّباب ، إلا ساعات وقفها على المُدَام ، وعطفها إلى النِّدام ، حتى تخلَّى عن ذلك واترك ، وأدرك من المعلومات ما أدرك ، وتعرَّى من الشبهات ، وسرى إلى الرشد مستيقظا من تلك السِّنات(٢) ، وله تصرف فى شتى من الفنون ، وتقدم فى معرفة المفروض والمسنون ، وأما الأدب فلم يُجَاره فى مَيْدانه أحد ، ولا استولى على إحسانه فيه حَصْر ولا حَدّ ، وجَدُّهُ أبو الحجاج الأعلم هو خَلَّد منه ما خلد ، ومنه تقلّد ما تقلد ، وقد أثبتّ لأبى الفضل هذا ما يسقيك ماء الفضل(٣) زُلَالا ، ويُريك سحرَ البيانِ حَلالا ، فمن ذلك ما كتب به إلى ، وقد مررتُ على شنت مرية بعد مارحل عنها وانتقل ، واعتقل من نوَانا(٤) و بَيْنِنا ما اعتقل ، وشنت مرية هذه دارُه ، وبها كَمل هلالُه و إبداره ، وفيها استقضى ، وشيم مضاؤه وانتضى ، فالتقينا بها على ظَهْر ، وتعاطينا ذكر ذلك الدهر ، فجددتُ من شوقه ، ما كان قد شبّ على طَوْقِهِ ، فرامنى على الإقامة ، وسامنى على ذلك بكل كرامة ، فأبيت إلا النوى ، وانثنيت عن الثَّوَى ، فودعنى ، ودفع إلى تلك القطعة حين شيعنى :

بشراى أطلعت السعود على   آفاق أنسى بدرها كملا

(١) اعتقل النهى : أى ليس التعقل ، مجاز
(٢) السنات ـ بكسر السين ـ جمع سنة ، وهى النوم ، أو أوله خاصة
(٣) فى ا « ماء الإحسان زلالا »   (٤) فى ا « واعتقل من ثوانا »

وكسا أديم الأرض منه سَناً فكست بسائطها به حللا

إيهٍ أبا نصر ، وكم زمن قصر اد كارك عندى الأملا

هل تذكرَنْ والعهد يخجلنى هل تذكرن أيامنا الأوَلا

أيام نعـثر فى أعنتنـا ونجرُّ من أبرادنا خُيَـلَا

ونحلُّ روض الأنس مؤتنقا وتَحُل شمسُ مرادنا الحملا

ونرى ليالينـا مساعفة تدعو رفاقتنا لنـا الجَفَلَى [1]

زَمَنٌ نقول على تذكره ما تم حتى قيل قد رَحَـلَا

عرضت لزورتكم وماعرضت إلا لتمحَقَ كل ما فعـلا

ووافيتُه عشيةً من العشايا أيام ائتلافنا ، وعَوْدِنا إلى مجلس الطلب واختلافنا ، فرأيته مستشرفا متطلعا ، يرتاد موضعا يقيم به لثغور الأنس مرتشفاولثديه مرتضعا ، فحين مَقَلنى [2] ، تقلدنى إليه واعتقلنى ، وملنا إلى روضة قد سَنْدَسَ الربيعُ فى بساطها ، ودَبَّج الزهر دَرانك أوساطها ، وأشعرت النفوسَ فيها بسرورها وانبساطها ، فأقمنابها نتعاطى كؤوس أخبار ، ونتهادى أحاديثَ جهابذة وأحبار ، إلى أن نثر زعفران العشى ، وأذهب الأنس خوف العالم الوحشى ، فقمت وقام ، وعوّج الرعب من ألسنتنا ما كان استقام ، وقال :

وعشية كالسيف إلا حدّه بَسَطَ الربيع بها لنَعْلِي خَدَّهُ

عاطيت كأس الأنس فيهاواحدا ماضره إن كان جَمْعاً وَحْدَهُ

وتنزه يوما بحديقة من حدائق الحضرة قد اطَّرد نهرُها ، وتوقَّد زهرُها ، والريحُ يسقطه فينظم بِلَبَّة الماء ، ويتبسم به فتخاله كصفحة خضرة السماء ، فقال:

---

(١) فى ا « تدعو إلى رفيقنا الجفلى »

(٢) مقلني : نظرنى

أنظر إلى الأزهار كيف تطلعت ... بسماوة الروض الْمَجُودِ نجوماَ
وتساقطَتْ فكأن مسترقاً دنا ... للسَّمع فانقضَّت عليه رُجوماَ
وإلى مَسيل الماء قد رقَمت به ... صَنَعُ الرياح من الحباب رُقُوماَ
ترمى الرياحُ لها نَثِيرَ أزاهر ... فتمدّه فى شاطئيه رقيما[1]

وله يصف قلم يراعة ، وبرع فى صفته أعظم براعة :

ومهفهف ذَلِقٍ صليب المكسر ... سبب لنيل المطلب المتعذِّرِ
متألق تنبيك صُفرةُ لونه ... بقديم صحبته لآل الأصفر
ما ضره أن كان كَعْبَ يراعة ... وبحكمه اطَّردت كعوبُ السَّمْهَرِى

وله عند ما شارف الكهولة ، واستأنف قطع صَبْوَة[2] كانت موصولة :

أما أنا فقد ارعويتُ عن الصبا ... وعضضت من ندمٍ عليه بنانى
فأطعت نُصَّاحى ورب نصيحة ... جاؤا بها فلججت فى العصيان
أيام أسحَبُ من ذيول شبيبتى ... مَرحاً وأعثر فى فضول عنانى
وأجلُّ كأسى أن ترى موضوعة ... فعلى يدى أو فى يَدَىْ ندمانى
أيام أحْيـاَ بالغوانى والغنا ... وأموت بين الراح والريحان
فى فتية فرضوا اتصال هواهُمُ ... فمناهُمُ دَنٌّ من الأدنان
هزت علاهم أريحيَّاتُ الصبا ... فهى النسيم وهم غصون البان
من كل مخلوع الأعنة لم يُبَلْ ... فى غيه بمصارف الأزمان[3]

إلى أن قال : ومن نثره يصف فرساً : اُنظر إليه سايمَ الأديم ، كريمَ القديم ، كأنما نشأ بين الغبراء واليَحْمُوم[4] ، نجم إذا بدَا ، ووَهْم إذا عدا ، يستقبل بغزال ، ويستدبر برال ، ويتحلَّى بشِيَات[5] تقسيمات الجمال .

---

(١) فى ا « ترمى الرياح لها نثيرا زهره »
(٢) فى ب « واستألف قطع صرة » محرفا فى موضعين
(٣) لم يبل : أى لم يبال ولم يكترث ، وكثر استعمال هذا اللفظ بحذف الألف
(٤) فى ب « بين الغبراء والنجوم » (٥) فى ا « ويتحلى بشتات تقسيمات الجمال »

وله يصف سَرْجاً : بزة جياد ، ومَرْكب أجواد ، جميل الظاهر ، رحيب ما بين القادمة والآخر ، كأنما قُدَّ من الخدود أديمه ، واختص بإتقان الحُبُك تقويمه.

وله فى وصف لجام : متناسب الأشلاء ، صريح الانتماء ، إلى ثُرَيَّا السماء ، فكله نكال ، وسائره جمال .

وله فى وصف رمح : مُطَّرد الكعوب ، صحيح اتصال الغالب والمغلوب ، أخ ينوب كلما استنيب و يصيب .

وله فى وصف قميص : كافوريُّ الأديم ، بابليُّ الرسوم ، تباشر منه الجسوم ، ما يباشر[1] الروض من النسيم .

وله فى وصف بغل : مُتْرف النسب ، مستخبر الشرف ، آمن الكبب ، إن ركب امتنع اعتماله ، أو وكب[2] استقل به أخواله .

وله فى وصف حمار : وثيق المفاصل ، عتيقُ النهضة إذا وَنَتْ المراسل ، انتهى ببعض اختصار .

لأبى عمر الرمادى

وقال الأديب الشاعر أبو عمر[3] يوسف بن هرون الكندى ، المعروف بالرمادى :

أومَي لتقبيل البِساط خُنُوعا ... فوضعت خَدِّى فى التراب خضوعا[4]

ما كان مذهبه الخنوعَ لعبده ... إلا زيادةُ قلبه تقطيعا

قولوا لمن أخذ الفؤاد مُسَلَّما ... يمنن على بردِّه مصدوعا

العبد قد يعصى ، وأحلف أننى ... ما كنت إلا سامعاً ومطيعا

مولاى يحيي فى حياة كاسمه ... وأنا أموت صبابة ووُلوعَا

لاتنكروا غيث الدموع فكلُّ ما ... ينحلُّ من جسمى يكون دموعا

والرمادى المذكور عَرَّف به غير واحد ، منهم الحافظ أبو عبد الله الحميدى فى كتابه

---

(١) فى ا « على ما يباشر الروض من النسيم »

(٢) فى ا « أو ركب استقل - إلخ » (٣) فى ب « أبو عمرو »

(٤) أومى : أراد « أومأ »

ترجمة الرمادى

« جذوة المقتبس » وقال : أظن أن أحد آبائه كان من أهل الرمادة[١]، وهى موضع بالمغرب ، وهو قُرْطُبى ، كثير الشعر ، سريع القول ، مشهور عند الخاصة والعامة هنالك ، لسلوكه فى فنون من المنظوم والمنثور مَسالك ، حتى كان كثير من شيوخ الأدب فى وقته يقولون : فُتح الشعر بِكِنْدَة ، وختم بكندة ، يعنون امرأ القيس والمتنبى ويوسف بن هرون ، على أن فى كون المتنبى من كِنْدَة القبيلة كلاما مشهورا .

وأخذ أبو عمر بن عبد البر عن الرمادى هذا قطعة من شعره ، وضمنها بعض تآليفه .

قال ابن حيان : توفى الرمادى سنة ٤٠٣[٢] ، وذكر ابن سعيد فى « المغرب » أن الرمادى اكتسب صناعة الأدب من شيخه أبى بكر [يحيى] بن هذيل الكفيف عالم أدباء الأندلس ، وهو القائل رحمه الله تعالى :

لا تلمنى على الوقوف بدارٍ ... أهلُها صيَّروا السقام ضجيعى

جعلوا لى إلى هواهم سبيلا ... ثم سدُّوا على باب الرجوع

وروى الرمادى عن أبى على كتاب « النوادر » ومدح أبا على بقصيدة كما أشرنا إليه فى غير هذا الموضع .

وقال فى المطمح : إنه شاعر مُفلق ، انفرج له من الصناعة المُغْلَق ، وومَضَ له برقها المؤتلق ، وسال بها طبعه كالماء المندفق ، فأجمع على تفضيله المختلف والمتفق ، فتارة يُحْزِن وأخرى يسهل ، وفى كلتاهما بالبديع يعلُّ ويَنْهل ، فاشتهر عند الخاصة والعامة بانطباعه فى الفريقين ، وإبداعه فى الطريقين ، وكان هو وأبو الطيب متعاصرين ، وعلى الصناعة متغايرين ، وكلاهما من كِنْدَة ، وما منهما إلا من اقتدح فى الإحسان زَنْدَه ، وتمادى بأبى عمر[٣] طَلَقُ العمر ، حتى أفرده

---

(١) فى ا « من أهل رمادة »

(٢) فى ا « سنة ٤١٣ »

(٣) فى ب « بأبى عمرو »

صاحبه ونديمه ، وهُريقَ شبابه واستشن أديمُه ، ففارق تلك الأيام وبهجتها ، وأدرك الفتنة فخاض لجتها ، وأقام فرقا من هيجانها ، شرقا بأشجانها ، ولحقته فيها فاقة نهكته ، و بعدت عنه الإفاقة حتى أهلكته ، وقد أثبتُّ من محاسنه مايعجبك سَرْدُه ، ولايمكنك نقْدُهُ ، فمن ذلك قوله :

شطت نوَاهم بشمس فى هَوَادجهم ... لولا تلألؤها فى ليلهن عَشُوا

شكت محاسنها عينى وقد غدرت ... لأنها بضمير القلب تنخمش[1]

شَعْر ووَجْه تبارى فى اختلافهما ... بحسن هذا وذاك الرومُ والحَبَشُ

شككت فى سَقَمى منها أفى فرُشِي ... منها تنكست إلا الطيف والفرش

إلى أن قال : وكان كلفاً بفتًى نصرانى استسهل لباس زُنّاره ، والخلود معه فى ناره ، وخلع بروده لمسُوحه ، وتشرع من صَبيحه[2] ، وراح فى بيعَتِهِ ، وغدا من شِيعَتِهِ ، ولم يشرب نصيبه ، حتى حط عليه صليبه ، فقال :

أدرها مثل ريقك ثم صَلِّبْ ... كعادتهم على وهمى وكاسى[3]

فيقضى ما أمرت به اجتلابا ... لمسرورى وزاد خضوع راسى[4]

وله فى مثله :

ورأيت فوق النحر دِرْ ... عا فاقعاً من زعفران[5]

فزجرته لونا سقا ... مى بالنوى والزُّجْرُ شانى

يامن نأى عنى كما ... تنأى العيون الفرقدان

فأرى بعينى الفرقديـ ... ـن ولا أراه ولا يرانى

لا قدّرت لك أوبة ... حتى يؤب القارظان

هل ثم إلا الموت فر ... داً لا تكون منيتان

---

(١) فى ا « وقد عذرت » (٢) مكان هذه الفاصلة فى ا « وتسوغ دين مسيحه »

(٣) فى ا « كعادتكم على وجهي وكاسى »

(٤) فى ا « فقضى ما أمرت به احتلافا » وفيها « وزاد خنوع »

(٥) فى ا « ورأيت فوق البحر »

وله أيضا :

اشرب الكاس يانصير وهات إن هذا النهار من حسناتى
بأبى غُرَّةٌ ترى الشخص فيها فى صفاء أصفى من المرآةِ
تنزح الناس نحوها بازدحام كازدحام الحجيج فى عرفات
هاتها يا نصير إنا اجتمعنا بقلوب فى الدين مختلفات
إنما نحن فى مجالس لهو نشرب الراح ثم أنت مُوَاتِى
فإذا ما انقضت ديانة ذا اللهـو اعتمدنا مواضِعَ الصلوات
لو مضى الدهر دون راح وقَصْفٍ لعددنا هذا من السيئات

وشاعت عنه أشعار فى دوله الخلافة وأهلها ، سدّد إليهم صائبات نَبْلها ، وسقاهم كؤوس نهلها ، أوغَرَتْ عليه الصُّدور ، ونعرت[1] عليه المنايا ولكن لم يساعدها المقدور ، فسجَنه الخليفة دهراً ، وأسكنه من النكبة وعراً ، فاستعطفه أثناء ذلك واستلطفه ، وأجناه كل زهر من الإحسان وأقطفه ، فما أصغى إليه ، ولا ألغى مَوْجِدَتَه عليه ، وله فى السجن أشعار صَرَّح فيها ببَثِّه ، وأفصح فيها عن جُلِّ الخطب لفقد صبره ونكثه ، فمن ذلك قوله :

* لك الأمن من شجو يزيد تشوقى *

ومنها :

فوافوا ابنا الزهراء فى حال خالع الأئمـــة لاستيفائهم فى التوثقِ
وحولىَ من أهل التأدب مأتم ولا جؤذر إلا بثوب مشقق
فلو أن فى عينى الحمام كروضها وإن كان فى ألوانه غير مشفق
ونادى حمامى مهجتى لتقلقلت فهلا أجابت وَهْوَ عندى بمخنق[2]

(١) فى ا « وتعرت عليه »

(٢) فى ا « وهو عندى لمحنق »

أعينى إن كانت لدمْعِكِ فضـلة تثبت صـــبرى ساعة فتدفقى[١]

فلو ساعدت قالت أمن قِلَّة الأسى تنقت دموعى أم من البحر تستقى[٢]

ومنها :

وقالت تظن الدهر يجمع بيننا فقلت لهـا مَنْ لى بظن محقَّقِ

ولـكننى فيما زجرت بمقلـتى زجرت اجتماع الشمل بعد التفرق

فقد كانت الأشعار فى مثل بعدنا فلما التقت بالطيف قالت سنلتقى

أبا كية يوماً ولم يأت وقتــه سينفد قبل اليوم دمعك فارفقى[٣]

إلى أن قال : وله أيضاً :

على كَمَدِى تهمى السحاب وتذرف ومن جزعى تبكى الحمام وتهتف[٤]

كأن السحاب الوا كفات غواسلى وتلك على فقدى نوائح هُتَّفُ

ألا ظعنت ليلى وبان قطينهـا ولـكننى باق فلُومُوا وعَنِّفُوا

وآنست فى وجه الصباح لبينها نحولا كأن الصبح مثلىَ مُدْنَفُ

وأقرب عهدٍ رشـفة بَلَّتِ الحشا فعاد شـتاء بارداً وهو صيف

وكانت على خوف فولت كأنها من الرِّدف فى قيد الخلاخل ترسُفُ

وله :

قبلته قـــدام قسِّيسِهِ شربت كاسات بتقديسه

يقرع قلبى عند ذكرى له من فرط شوقى قرع ناقوسه[٥]

وسجن معه غلام من أولاد العُبَيْدِى[٦] فيه مَجَال ، وفى نفس متأمله من لوعته أوجال ، فـكتب يخاطب الموكل بالسجن بقطعة منها :

حَبِيسُكَ ممن أتلف الحب عَقْلَهُ ويلذع قلبى حرقة دونها الجمر[٧]

---

(١) فى ب « لدمعى فضلة » (٢) فى ب « أمن عدة الأسى » وفيها « تنفث دمعى »

(٣) فى ا « ولم يأن وقته » (٤) فى ب « على كبري » وفى ا فى العجز « وعن جزعى »

(٥) فى ب « يفزع قلبى » والعجز يدل على ما أثبتناه موافقا لما فى ا

(٦) فى ا « من أولاد العبيد » (٧) فى ب « جليسك ممن أتلف الحب قلبه »

هلال وفى غير السماء طلوعه ... وريم ولكن ليس مسكنَهُ القفرُ
تأملت عينيه فخامرنى السكر ... ولاشك فى أن العيون هى الخمر
أناطقه كيما يقول ، وإنما ... أناطقه عمدا لينتثر الدر
أنا عبده وهو المليك كما اسمُه ... فلى منه شطر كامل وله شطر

انتهى باختصار .

لابن هانى

وقال محمد بن هانى :

قد مررنا على مغانيك تِلْكِ ... فرأينا بها مَشابه منك
عارضَتْنَا المهَا الخرائد سربا ... عند أجراعها فلم نسل عنكِ[1]
لايُرَعْ للمها بذكرك سرب ... أشبهتك فى الوصف إن لم تكُنْكِ
كن عذيرى لقد رأيت مَعَاجى ... يوم تبكى بالجزع وَلْهَى وأبكى[2]
بحنين مرجَّع وتشك ... وأنين موجع كتشكى

ترجمة ابن هانى عن المطمح

وقال صاحب المطمح فى حقه : الأديب أبو القاسم محمد بن هانى ، ذخر خطير ، وروضُ أدب مَطير ، غاص فى طلب الغريب حتى أخرج دره المكنون ، وَبَهْرَج بافتنانه[3] فيه كلَّ الفنون ، وله نظم تتمنَّى الثريا أن تتوّج به وتتقلّد ، ويودُّ البدرُ أن يكتب ما اخترع فيه وولّد ، زهت به الأندلس وتاهت ، وحاسنت ببدائعه الأشمس[4] وباهت ، فحسد المغربَ فيه المشرقُ ، وغص به مَنْ بالعراق وشرق ، غير أنه نبت به أكنافُها ، وشمخت عليه آنافُهَا ، وبرئت منه ، وزُوِيَتْ الخيرات[5] فيها عنه ، لأنه سلك مسلك المعرّى ، وتجرد من التدين وعَرِى ، وأبدى الغلوّ ، وتعدّى الحق المجلوّ ، فمجَّتْه الأنفس ، وأزعجته الأندلس ، فخرج على غير اختيار ، وما عرَّجَ على هذه الديار ، إلى أن وصل الزاب واتصل بجعفر

(١) فى ب « عارضتها المها الجوادل » وفى العجز « أسرابا بأجراعها »
(٢) فى ا « مسعدى عج فقد رأيت معاجى * يوم أبكى على الديار وتبكى »
(٣) فى ا « وبهر باقتنائه في كل فنون » تحريف (٤) فى ا « الشموس »
(٥) فى ا «وزويت الحظوة فيها عنه»

ابن الأندلسية ، مأوى تلك الجنسية ، فناهيك من سعد ورد عليه فـكَرَع ، ومن باب ولج فيه وما قَرَع ، فاسترجع عنده شبابه ، وانتجع وَبْلَه ورَبَابه ، وتلقاه بتأهيل ورُحْب ، وسقاه صَوْب تلك السحب ، فأفرط فى مدحه فيه فى الغلوّ وزاد ، وفرّغ[1] عنده تلك المزاد ، ولم يتورع ، ولا ثناه ذو وَرَع ، وله بدائع يتحير فيها ويُحار ، ويخال لرقتها أنها أسحار ، فإنه اعتمد التهذيب والتحرير ، واتبع فى أغراضه الفرزدق مع جرير ، وأما تشبيهاتُه فخَرَق فيها المعتاد ، وما شاء منها اقتاد ، وقد أثبتّ له ما تحِنُّ له الأسماع ، ولا تتمكن منه الأطماع ، فمن ذلك قوله :

أليلتنا إذ أرسلَتْ واردا وَحْفاَ ... وبتنا نرى الجوزاء فى أذنها شَنْفاَ
وبات لنا ساقٍ يقوم على الدجا ... بشمعة صبح لاتُقَط ولا تُطْفاَ
أغنّ غضيض خفَّف اللين قدّه ... وثقَّلتِ الصهباء أجفانه الوُطْفاَ
ولم يُبق إرعاش المدام له يدا ... ولم يبق إعنات التثنى له عِطفاَ
نزيف نَضاَه السكر إلا ارتجاجة ... إذا كلّ عنها الخصر حملها الردفا
يقولون حِقْفٌ فوقه خيزرانة ... أما يعرفون الخيزرانة والحِقْفاَ
جعلنا حشايانا ثياب مدامنا ... وقدّتْ لنا الأزهار من جلدها لُحفاَ[2]
فمن كبد توحى إلى كبد هوى ... ومن شفة تؤوى إلى شفة رَشْفاَ[3]

ومنها :

كأن السماكين اللّذين تراهما ... على لبدتيـه ضامنان له حَتْفاَ[4]
فذا رامح يهْوِى إليـه سنانه ... وذا أعزل قد عض أنمله لهفا
كأن سهيلا فى مطالع أفقـه ... مُفاَرِق إلفٍ لم يجد بعـده إلفا
كأنّ بنى نعش ونعشا مطافل ... بوَجْرَةَ قد أضللن فى مَهْمَهٍ خِشْفاَ

---

(١) فى ب « وقرع عنده تلك المزاد » (٢) فى ا « وقدت لنا الظلماء »
(٣) في ا « فمن كبد تدنى » وفيها « ومن شفة تدنى »
(٤) فى ا « ضامنان له هتفا »

كأن سُهاها عاشق بين عوّد فآونة يبـــدو وآونة يخـفى
كأن قُدامَى النسر والنسرُ واقع قصصن فلم تسم الخوافى له ضعفا(١)
كأن أخاه حين حــوّم طائر أتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كأن ظلام الليـــل إذ مال ميلة صريعُ مدامٍ بات يشربها صِرْفَا
كأن عمود الصبح خاقانُ معشرٍ من الترك نادى بالنجاشى فاستخفى(٢)
كأن لواء الشمس غـرة جعفر رأى القِرْنَ فازدادت طَلَاقته ضعفا

وله أيضا :

فُتِقَتْ لـكم ريحُ الجِلَاد بعنبر وأمدَّكم فلق الصـباح المسفر
وجنيتمُ ثمــر الوقائع يانِعـا بالنصر من وَرَقِ الحديد الأَخْضَرِ(٣)
أبنى العوالى السمهرية والسيو ف المشرفيَّة والعديد الأكثر
مَن منكم الملك المطاع كأنه تحت السوابغ تُبَّعٌ فى حمـير
جيش تعـــدله الليوث وفَوْقَها كالغِيل من قصب الوشيج الأخضر(٤)
وكأنما سلب القشاعم ريشهـا مما يشق من العجاج الأكدر
لحق القبول مع الدبور وسار فى جمع الهرقل وعزمة الإسكندر(٥)
فى فتية صـــدأ الحديد لباسُهم فى عبقرىٍّ البيض جنـة عَبْقَرِ
وكفاه من حب السماحة أنه منهـا بموضع مقلة من محجر

ومنها :

نعماؤه من رحمـة ، ولباسه من جنـــة ، وعطاؤه من كوثر

وله أيضاً من قصيدة فى جعفر بن على :

ألا أيها الوادى المقدس بالندى وأهل الندى قلبى إليك مَشُوقُ(٦)

---

(١) فى ا « نهضن فلم تسم الخوافى » وفى الديوان « به ضعفا »
(٢) فى ا « خاقان عسكر » (٣) فى ب « من علو الحديد الأحمر »
(٤) فى ا « جيش تقدمه الليوث » (٥) فى ا والديوان « نحر القبول من الدبور »
(٦) فى الديوان « المقدس بالطوى »

ويا أيها القصر المنيف قِبابُهُ على الزاب لايُسْدَدْ إليك طَرِيقُ
ويا ملك الزاب الرفيع عمادُهُ بقيتَ لجمع المجد وهو فريق
فما أنسَ لا أنْسَ الأمير إذا غدا يروع بحور ملكه ويَرُوق (١)
فللجود مجرى من صفيحة وجهه إذا كان من ذاك الجبين شروق
وهزته للمجد حتى كأنما جرت في سجاياه العِذابِ رحيقُ
أما وأبى تلك الشمائل إنها دليل على أن النِّجار عَتيقُ
فكيف بصبر النفس عنه ودونه من الأرض مغبرُّ الفجاج عميق
فكن كيف شاء الناس أوشئت دائماً فليس لهذا الملك غيرك فوق
ولا تشكر الدنيا على نيل رتبة فما نلتَهَا إلا وأنت حَقيقُ

وله من أخرى :

خليلى أين الزاب منى وجعفر وجنات عدن بِنْتُ عنها وكوثر
فقبلى نأى عن جنة الخلد آدم فما راقه من جانب الأرض منظر
لقد سرنى أنى أمر بباله فيخبرنِي عَنْهُ بذلك مخبر (٢)
وقد ساءنى أنى أراه ببلدة بها مَنْسَك منه عظيم ومَشْعَرُ
وقد كان لى منه شفيع مشفَّع به يَمْحَصُ الله الذنوب ويغفر
أتى الناس أفواجا إليك كأنما من الزاب بيت أومن الزاب محشر
فأنت لمن قد مزق الله شمله ومعشرُهُ والأهلَ أهلٌ ومعشر

وله أيضاً :

ألا طرقَتْنَا والنجومُ ركودُ وفى الحى أيقاظ ونحنُ هجود (٣)
وقد أعجل الفجر الملمع خطوها وفى أُخْرَيَاتِ الليل منه عمود

---

(١) فى المطمح «يروع بحرى» وفى نسخة عندا « يروع نحوى »
(٢) فى ب « فيخبره عنى بذلك مخبر »
(٣) فى ب « وهن هجود »

سرت عاطلا غَضبَى على الدرِّ وحده ... ولم يدر نحر مادهاه وجيد[1]
فما برحت إلا ومن سلك أدمعى ... قلائد فى لَبَّاتها وعُقُودُ
ويا حسنها فى يوم نَضَّتْ سوالفا ... تَرُوغُ إلى إترابها وتحيد
ألم يأتها أنا كبرنا عن الصبا ... وأنا بَلِينا والزمان جديد
ولا كالليالى ما لهن مَواثق ... ولا كالغوانى مالهن عهود
ولا كالمعزِّ ابن النبى خليفة ... له الله بالفخر المبين شهيد

وله من قصيدة يمدح بها يحيى بن على بن رمان :

قفا بى فلا مَسْرًى سَرَيْنا ولا نَسْرِى ... و إلا نرى مَشْيَ القطا الوارد الكُدْرِ[2]
قفا نتبين أين ذا البرق منهمُ ... ومن أيْنَ تأتى الريح طيبةَ النشر
لعل نرى الوادى الذى كنت مرة ... أزورهُمُ فيه تضوَّعَ للسفر
وإلا فما واد يسيل بعنبر ... و إلا فما تدرى الركاب ولا ندرى[3]
أ كل كِناسٍ بالصريم تظنه ... كناس الظباء الدُّعْج والشدن العفر
وهل عجبوا أنى أسائل عنهم ... وهم بين أحناء الجوانح والصدر
وهل علموا أنى أيمم أرضهم ... ومالى بها غير التعسف من خبر[4]
ولى سكن تأتى الحوادث دونه ... فيبعد عن عينى و يقرب من فكرى
إذا ذكرته النفسُ جاشت بذكره ... كما عثر الساقى بجام من الخمر
فلا تسألانى عن زمانى الذى خَلَا ... فو العصر إنى قبل يحيى لفى خُسْرِ
وآليت لا أعطى الزمان مَقَادتى ... على مثل يحيى ثم أغضى على الوتر
حنينى إليه ظاعناً ومخيما ... وليس حنين الطير إلا إلى الوكر

وله من قصيدة :

---

(١) فى ب « على الدهر وحده »
(٢) ورد هذا البيت فى ا والديوان هكذا :
قفا فلأمر ما سرينا وما نسرى ... وإلا فمشيا فوق مشى القطا الكدري
(٣) فى ا « وإلا فذا واد يسيل بعنبر »
(٤) فى ا « وهل علموا أنى أسير بأرضهم »

فتكات طرفك أم سيوف أبيك وكؤوس خمرك أم مراشف فيك
أجلاد مرهفة وفتك محاجر لا أنت راحمة ولا أهلوك
يا بنت ذى السيف الطويل نجاده أكذا يجوز الحكم فى ناديك
عيناكِ أم مغناك موعدنا ، وَفى وادى الكرى ألقاك أم واديك(١)

وله أيضاً :

أحبب بهاتيك القباب قبابا لا بالحُداة ولا الركاب ركابا(٢)
فيها قلوب العاشقين تخالها عَنَما بأيدى البيض أو عُنَّابا
والله لولا أن يعنفنى الهوى ويقول بعض العاذلين تصابى(٣)
لكسرت دُملجها بضيق عناقها ورشفت من فيها البَرود رُضَابَا
بنتم فلولا أن أغير لمتى عبثاً وألقاكم على غِضَابَا
لَخَضَبْتُ شيباً فى مفارق لمتى ومحوت محو النقس عنه شباباً(٤)
وخضبت مبيضّ الحداد عليكم لو أننى أجد البياض خضابا
وإذا أردت على المشيب وفادة فاحثث مطيك دونه الأحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة ولَتَدْفَعَنّ إلى الزمان غرابا

ومنها :

قد طيب الأقطارَ طيبُ ثنائه من أجل ذا نجد الثغور عذابا(٥)
لم تُدْنِنِى أرض إليك وإنما جئت السماء ففتحت أبوابا
ورأيت حولى وَفْدَ كل قبيلة حَتَّى توهمت العراق الزابا
أرض وطئت الدرَّ من رضراضها والمسك تربا والرياض جنابا(٦)
ورأيت أجبل أرضِهَا منقادة فحسبتها مدت إليك رقابا

---

(١) فى ب « عيناى أم مغناك موعدنا على وادى الكرى - إلخ »
(٢) فى ا « أحبب بتيك القباب قبابا » (٣) فى ا « يسفهنى الهوى »
(٤) في ا « لخططت شيبا فى عذارى كاذبا » وفيها وفى ب « محو النفس »
(٥) فى ا «قد طيب الأفواه طيب ثنائه»
(٦) فى ا والديوان « وطئت الدر رضراضا بها » وفيها « الرياض حبابا »

سـد الإمام بِكَ الثغور وقبلَهُ　　هـزم النبيُّ بقومك الأحزابا(١)

وقال ابن هانئ يصف الأسطول :

مُعطَّفة الأعناق نحو متونهـا　　كما نَبَّهَتْ أيدى الُحوَاةِ الأفاعيا

إذا ما وردن الماء شوقا لبَرْدِهِ　　صدرن ولم يشربن غرفاً صواديا(٢)

إذا أعملوا فيها المجاذيف سرعة　　ترى عقربا منها على الماء ماشيا

وقال الأديب أبو عمر أحمد بن فرج الجَيَّانى رحمه الله تعالى :

لأبى عمر أحمد بن فرج الجيانى

وطائعة الوصال غدوت عنهـا　　وما الشيطان فيهـا بالمطاع

بدت فى الليل ساترة ظلام الـ　　ـدَّياجى منه سافرة القناع(٣)

وما من لحظة إلا وفيها　　إلى فتن القلوب لهـا دَوَاعى

فملكت النهى حجاج شوقى　　لأجرى بالعفاف على طباعى

وبتُّ بهـا مبيتَ الطفل يظما　　فيمنعه الفطام عن الرضـاع

كذاك الروض ليس به لمثلى　　سوى نظر وشَمٍّ من متاع

ولست من السوائم مهملات　　فأتخذ الرياض من المراعى

وقال :

للروض حسن فقِفْ عليه　　واصرِفْ عنانَ الهوى إليه

أما ترى نرجساً نضيراً　　يرنو إليـه بمُقْلَتَيـه

نَشْرُ حبيبى على رباه　　وصفرتى فوق وجنتيه(٤)

وقال :

بمهلكة يستهلك الحمد عفوها　　ويترك شمل العزم وهو مُبَدَّدُ

ترى عاصف الأرواح فيها كأنها　　من الأين تمشى ظالع أو مقيد(٥)

---

(١) فى ب « سد الإمام بها الثغور ، وقبلها » محرفا

(٢) فى ب « صدرن ولم يشربن غرقى صواديا » وفى الديوان « عزفا »

(٣) فى ا « ساترة ظلام الليالى وهى سافرة القناع »

(٤) فى ا « بشر حبيبى على رباه »　　(٥) الأين : التعب والإعياء

ترجمة أحمد ابن فرج عن المطمح

وقال فيه فى المطمح : مُحْرِز الخصل ، مُبَرِّز فى كل معنى وفَصْل ، متميز بالإحسان ، مُنْتَمٍ إلى فئة البيَان ، ذكى الخَلَد مع قوة العارضة ، والمنة الناهضة ، حضر مجلس بعض القضاة وكان مشتهرَ[1] الضَّبْط ، مُنْتَصِرًا[2] لمن انبسط فيه بعضَ البَسْط ، حتى إن أهله لا يتكلمون فيه إلا رمزا ، ولا يخاطبون إلا إيماء فلا تسمع لهم رِكْزًا ، فكلم فيه خَصْمًا له كلاما استطال به عليه لفضل بيَانه ، وطلاقة لسانه ، ففارق عادة المجلس فى رفض الأنَفَه ، وخفض الحجة المؤتنفه ، وهز عطفه وحَسَر عن ساعده ، وأشار بيده ، مادا بها لوجه خَصْمه ، خارجا عن حـد المجلس ورَسْمه ، فهم الأعوان بتَقْويمه وتَثْقيفه ، ووَزَعَهم رهبة منه وخشية ، حتى تناوله القاضى بنفسه ، وقال له : مهلا عافاك الله اخْفِضْ صَوْتَك ، واقبض يدَك ، ولا تفارق مركزك ، ولا تَعْدُ حقك ، وأقصر عن إدلالك ، فقال له : مهلا ياقاضى ، أمن المخدَّرات أنا فأخفض صوتى وأستر يدى[3] ، وأغطى معاصمى لديك ؟ أم من الأنبياء أنت فلا يُجْهَر بالقول عندك ؟ وذلك لم يجعله الله تعالى إلا لرسوله عليه الصلاة والسلام ، لقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تَرْفعُوا أصواتكم فوق صوت النبى — إلى قوله : لا تشعرون) ولستَ به ولا كرامة ، وقد ذكر الله تعالى أن النفوس تُجَادِل فى القيامة فى موقف الهَوْل الذى لا يَعْدِله مَقَام ، ولا يشبه انتقامَه انتقام ، فقال تعالى (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها — إلى قوله تعالى : وهم لا يظلمون) لقد تعديت طَوْرَك ، وعَلَوْت فى منزلك ، وإنما البيان ، بعبارة اللسان ، وبالنطق يستبين الحق من الباطل ، ولابد فى الخصام ، من إفصاح الكلام ، وقام وانصرف . فبُهِتَ القاضى ، ولم يُحِرْ[4] جوابا ، وكان فى الدولة صدراً من أعيانها ، وناسق درر تبيانها ، نفَق فى سوقها وصنف ، وقرَّطَ محاسنهَا وشَنَّف ، وله الكتاب الرائق ،

---

(١) فى ا « مشهور الضبط » (٢) فى ب « مشهراً لمن انبسط »
(٣) فى ا « ولا أشير بيدى » (٤) فى ا « ولم يجد جوابا »

المسمى بالحدائق ، وأدركه فى الدولة سَعْى ، ورُفض له فيها الرَّعْى[١] ، واعتقله الخليفة وأوثقه فى مكان أخيه فلم يومض له عَفْو ، ولم يشب كدر حاله صَفْو ، حتى قضى معتقلا ، ونعى للنائبات نَعْياً مشكلا[٢] ، وله فى السجن أشعار كثيرة ، وأقوال مُبْدَعات منيرة ، فمن ذلك ما أنشده ابن حزم يصف خيالا طرقه ، بعد ما أسهره الوجد وأرَّقه :

بأيِّهما أنا فى الشُّكْر بادِى ... بُشكْر الطَّيْفِ أم شكر الرقاد[٣]

سَرَى وازداد فى أمَلِى ولكن ... عَفِفْتُ فلم أجِدْ منه مُرَادِى

وما فى النوم من حرج ولكن ... جريت من العفاف على اعتيادى

لأبى عبد الله محمد بن الحداد

وقال الشاعر المشهور أبو عبد الله محمد بن الحدّاد :

ياغائبا خطرات القلب مَحْضَرُهُ ... الصبر بعدك شىء لست أقدره

تركت قلبى وأشواقى تفطره ... ودَمْعُ عَيْنى وأحْدَاقى تُحَدِّره

لو كنت تبصر فى تدبير حالتنا ... إذَنْ لأشفقت مما كنت تبصره

فالعين دونك لا تحلو بلذتها ... والدهر بعدك لا يصفو تَكَدُّرُهُ

أخفى اشتياقى وما أطويه من أسف ... عن البرية والأنفاس تظهره

ترجمة ابن الحداد عن المطمح

قال فى المطمح : هو شاعر مادح ، وعلى أَيْك الندى صَادح ، لم ينطقه إلا مَعْن أو صُمَادح ، فلم يَرِمْ مَثْواهما ، ولم ينتجِعْ سواهما ، واقتصر على المَرِية ، واختصر قطع المَهَامه وخوض البَرِّية ، فعكف فيها ينثر درره فى ذلك المُنْتَدَى ، ويرشف أبداً ثغورَ ذلك النَّدَى ، مع تميزه بالعلم ، وتحيُّزه إلى فئة الوقار والحلم ، وانتمائه إلى آية سلف ، ومذهبه مذاهب أهل الشرف ، وكان له لَسَنٌ ورُوَاء يشهدان له له بالنباهة ، و يقلدان كاهلَه ماشاء من الوَجَاهة ، وقد أثبتٌّ له بعض ما قذفه من درره ، وفاَه به من محاسن غرره ؛ فمن ذلك قوله :

---

(١) فى ب « وفض له فيها رمى »

(٢) فى ا « نعيا مشكلا »

(٣) فى ا « بأيهما أنا فى الشكر نادى »

إلى الموت رُجْعِى بعد حين فإن أمت فقد خُلِّدَتْ خُلْدَ الزمان مناقبى
وذكراى فى الآفاق طيباً كأنها بكل لسان طِيبُ عذراء كاعِبِ (١)
ففى أى علم لم تبرِّزْ سوابقى وفى أى فن لم تبرِّزْ كتائبى

وحضر مجلسَ المعتصم بحضور ابن اللبَّانة فأنشد فيه قصيدا أبرز به من عُرا الإحسان ما لم ينفصم واستمر فيها يكمل (٢) بدائعها وقوافيها ، فإذا هو قد أغار على قصيد ابن الحداد الذى أوَّله :

* عُجْ بالحمى حيثُ الظباء العِينُ *

فقال ابن الحداد مرتجلا :

حاشا لعدلك يا ابن مَعْنٍ أن يُرَى فى سلك غيرى درىَ المكنونُ
وإليكها تشكو استلابَ مطيها عُجْ بالحمى حيثُ الظباء العِينُ
فاحكم لها واقطع لسانا لا يداً فلسانُ من سَرَقَ القريضَ يمينُ

وله :

إن المدامع والزفير قد أعْلَنَا ما فى الضمير
فعلام أخفى ظاهراً سَقَمِى على به ظهير
هب لى الرضا من ساخط قلبى بساحته الأسير (٣)

وله أيضا :

أيها الواصل هجرى أنا فى هجران صبرى
ليت شعرى أىُّ نفع لك فى إدمان ضرى

وله أيضا :

يا مُشْبه الملك الجَعْدِىّ تسمية ومُخْجِلَ القمر البدرى أنوارا

---

(١) فى ا « وذكرى فى الآفاق طار كأنه »
(٢) فى ا « يستكمل بدائعها »
(٣) فى ا « قلبى براحته الأسير »

وله :

تطالبنى نفسى بما فيه صَوْنُهَا فأعصى ويسطو شوقها فأطيعها

ووالله ما يَخْفَى علىَّ ضلالُها ولكنها تهوى فلا أستطيعها (١)

وقال :

بخافِقَةِ القرطين قلبُكَ خافق وعن خَرَسِ القُلْبَيْنِ دمعك ناطق

وفى مشرق الصدغين للبدر مغرب وللفكر إظْلَامٌ وللعين شارق (٢)

وبين حصا الياقوت ماء وَسَامَة مُحَلَّأة عنه الظباء السوابق

وحشو قباب الرقم أحوى مُقَرْطَقٌ كما آس روض عطفه والقراطق

انتهى باختصار

وقال الأسعد بن بليطة :

للأسعد بن بليطة

برامة ريم زارنى بعدما شَطَّا تَقَنَّصته بالحلم فى الشط فاشتطا

رعى من أفانين الهوى ثمر الحشا جنيًّا ولم يرع العهود ولا الشرطا

خيال لمرقوم غرير برامة تأوبنى بالرقمتين لدى الأرْطَى

فألْثَمنِى من خدها روضة الجنى وألدغنى من صدغها حية رَقْطَا (٣)

وباتت ذراعاها نِجَادًا لعاتقى إذا التقتا بالحلى غنى لها لغطا (٤)

وسَلَّ اهتصارى غُصْنَهَا من مخصَّر طواه الضنى طىَّ الطوامير فامتطا

وقد غاب كحل الليل فى دمع فجره إلى أن تبدى الصبح فى اللِّمَّةِ الشمطا (٥)

ومنها فى وصف الديك :

وقام لها ينعى الدجى ذو شقيقة يدير لنا من عين أجفانه سقطا (٦)

إذا صاح أصْغَى سمعه لأذانه وبادر ضربا من قوادمه الإبطا

---

(١) فى ا «ولكنها تأبى فلا أستطيعها» (٢) فى ب «وللفكر حالات وللعين سارق»

(٣) فى ب «فأكسبنى من خدها»

(٤) فى ا «إذا ما التقاها الحى غنى بها لفطا» تحريف قبيح

(٥) فى ب «فى الليلة الشمطا» (٦) فى ب «من عين أجفانه نطقا» تحريف

كأن أنو شروان أعلاه تَاجَهُ ... وناطت عليه كفُّ مارية القُرْطَا

سبى حلة الطاوس حسن لباسها ... ولم يكفه حتى سبى المشية البطَّا

ومن غزلها :

غُلَامية جاءت وقد جعل الدجى ... لخاتم فيها فص غاليـــة خطا

فقلت أحاجيها بما فى جفونهـا ... وما فى الشفاهِ اللُّعْسِ من حسنها المُعْطَى

مخمرة العينين من غير سكرة ... متى شربت ألحاظ عينيك إسفنطا[١]

أرى نَكْهَةَ المسواك فى حُمْرة اللَّمَى ... وشاربك المخضر بالمسك قد خطا[٢]

عسى قُزَح قبلتـــــه فإخاله ... على الشفة اللمياء قد جاء مختطا

ترجمة الأسعد ابن بليطة

وقال فى المطمح فى تحلية الأسعد : إنه سَرَدَ البدائع أحسن السَّرْدَ ، وافترس المعانى كالأسد الْوَرْد ، وأبْرَز درر المحاسن من صدفها ، وحاز من فخر الإجادة وشرفها[٣] ، ومدح ملوكا طوّقهم من مدائحه قلائد ، وزفّ إليهم منها خرائد ، وجَلاها عليهم كواعب ، بالألباب لواعب ، فأسالت العوَارف ، وماتقلَّصَ له من الحظوة ظِلّ وارف ، وقد أثبتّ له ما يعترف بحقه ، ويعرف به مقدار سَبْقِهِ ، فمن ذلك قوله :

لو كنت شاهدنا عشية أمسنا ... والمُزْنُ يبكينا بعينى مذنب

والشمس قد مدّت أديم شعاعها ... فى الأرض تجنح غير أن لم تغرب

وقوله :

وتلذ تعذيبى كأنك خلتنى ... عوداً فليس يطيب مالم يُحْرَقِ

وهو مأخوذ من قول ابن زيدون :

تظنوننى كالعُودِ حقا وإنما ... تطيب لكم أنفاسه حين يحرق

انتهى ببعض اختصار

---

(١) فى ا « مخمرة العينين من غير سكرة »

(٢) فى ب « خمرة اللمى »

(٣) فى ا « وحاز من بحر الإجادة وشرفها »

لأبى بكر عبادة بن ماء السماء

وقال الأديب أبو بكر عبادة بن ماء السماء ، وهو كما فى المطمح : من فحول الشعراء ، وأئمتهم الكبراء ، وكان منتجعاً بشعره ، مسترجعاً من صرف(١) دهره ، وكانت له همه أطالت هَمَّه ، وأكثرت كمده وغَمَّه :

يؤرقنى الليـــل الذى أنا نائمه فتجهل ما ألقى وطرفك عالمـه(٢)

وفى الهودج المرقوم وَجْه طوى الغشا عن الحسن فيه الحسن قد حار راقمه(٣)

إذا شاء وقفا أرسل الحسن فرعه يُضِلُّهم عَن منهج القصد فاحمه

أظلمـا رأوا تقليده الدر أم زرَوْا بتلك اللآلى أنهن تمائمـه

لأبى عبد الله ابن عائشة

وقال الأديب أبو عبد الله بن عائشة فى فتى طرزت غلالة خده ، وركب من عارضه سنانا على صَعْدة قده :

إذا كنت تهوى خده وهو روضة به الورد غَضٌّ والأقاحُ مفلج

فزد كَلَفاً فيـــه وفَرْطَ صبابة فقد زيد فيـه من عذار بنفسج

ترجمة ابن عائشة عن المطمح

وحَلَّاه فى المطمح بأن قال : اشتهر صَوْناً وعفافا ، ولم يخطب بعقيلة حُظْوَةٍ زفافا(٤) ، فآثر انقباضا وسكونا ، واعتمد إليها ركونا ، إلى أن أنهضه أميرُ المسلمين إلى بساطه فهب من مرقد خموله ، وشَبَّ لبلوغ [جدوة] مأموله ، فبدا منه فى الحال انزواء ، فى تسنم تلك الرسوم والتواء ، وقعود عن مراتب الأعلام ، وجمود لا يُحْمد فيه ولا يُلام ، إلا أن أمير المسلمين ألقى عليه منه مَحَبَّه ، جلبت إليه مَسرّى الظهور ومَهَبَّهُ ، وكان له أدب واسع المَدَى ، يانع كالزهر بلَّله الندى ، ونظم مشرق الصفحة ، عَبِق النفْحَة ، إلا أنه قليلا ما كان يحل ربعه ، ويذيل له طبعه ، وقد أثبتُّ له منه مايدع الألباب حائرة ، والقلوب إليـه طائرة ، فمن ذلك قولُه فى ليلة سمحت له بفتى كان يهواه ، ونفحت له هَبَّة وصْلٍ أبدت جواه(٥) :

---

(١) فى ا « من صروف دهره » (٢) فى ا « وطرفى عالمه »
(٣) فى ا « طوى الحشا * علي الحزن فيه الحسن – إلخ »
(٤) فى ب « ولم بعقيلة حضره زفافا » (٥) فى ا « بردت جواه »

لله ليــــل بات عندى به طوعَ يدى مَنْ مُهْجَتى فى يديه
وبت أسقيه كؤسَ الطـلا ولم أزل أسهر شوقا إليــه
عاطيته حمــراء ممزوجة كأنها تُعْصَر من وجنتيه

وخرج من بَلَنْسية يوما إلى منيـة الوزير الأجل أبى بكر بن عبد العزيز ، وهى من أبدع منازل الدنيا ، وقد مدت عليها أدواحُها الأفيا ، وأهدت إليها أزهارُها العَرْفَ والرَّيا ، والنهر قد غص بمائه ، والروض قد خص بمثل أنجم سمائه ، وكانت لبنى عبد العزيز فيها أطراب ، تهيأ لهم فيها من الأيام آراب ، فلبسوا فيها الأنس حتى أبلوه ، ونشروا فيها الحظ(١) وطَوَوْه ، أيام كانوا بذلك الأفق طلوعا ، لم تضم عليهم النوب ضلوعا ، فقعد أبو عبد الله مع لُمَّة من الأدباء تحت دَوْحَة من أدواحها ، فهبت ريح أنس من أرواحها ، سطت بإعصارها ، وأسقطت لؤلؤها على باسم أزهارها، فقال:

ودوحة قد علت سماء تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها فأرسلت فوقنا رجوما
كأنما الجوّ غار لما بَدَتْ فأغرى بها النسيما

وكان فى زمان عطلته ، ووقت اصفراره وعلته ، ومُقَاساته من العيش أنكده ، ومن التخوّف أجهده ، كثيرا ما ينشرح بجزيرة شُقْر ويستريح ، ويستطيب [هبوب] تلك الريح ، ويَجُول فى أجارع واديها ، وينتقل من نواديها إلى بَوَاديها ، فإنها صحيحة الهواء ، قليلة الأدواء ، خَضِلة العُشْب والأزاهر ، قد أحاط بها نهرها كما تحيط بالمعاصم الأساور ، والأيْكُ قد نشرت ذوائبها على صفيحه ، والروض قد عَطَّر جوانبه بريحه ، وأبو إسحاق بن خفاجة هو كان منزع نفسه ، ومصرع أنسه ، نفح له بالمنى عَبَق وشذا ، ومسح عن عيون مَسَرَّاته القَذَى ، وغدا على ما كان وراح ، وجرى متهافتا فى ميدان ذلك المراح ، قريب عهدٍ بالفِطام ، ودهره ينقاد فى خطام ، فلما اشتعل

---

(١) فى ا « ونشروا فيها السرور وطووه »

رأسه شيباً ، وزرّتْ عليه الكهولة جيْبا ، أقصر عن تلك الهنات ، واستيقظ من تلك السِّنات ، وشب عن ذلك الطّوْق ، وأقصر عن الهوى والشوق ، وقنع بأدنى تحية ، وما يستشعره فى وصف تلك العهاد من أرْيَحِيَّه ، فقال :

ألا خليانى والأسى والقوافيا — أردِّدُها شجوا وأجهش باكيا[1]

أآمن شخصا للمسرة باديا — وأندب رسما للشبيبة باليا

تولَّى الصبا إلا توالىَ فكرة — قدحت بها زندا ومازلت واريا

وقد بان حلو العيش إلا تعلة — تحدثنى عنها الأمانىُّ خاليا

ويابرد هذا الماء هل منك قطرة — تهلُّ فأستسقى غمامك صاديا[2]

وهيهات حالت دون حُزْوَى وأهلها — ليالٍ وأيام تحاكى اللياليا

فقلْ فى كبير عاده صائد الظبا — إليهن مُهْتَاجا وقد كان ساليا

فيارا كباً يستعمل الخطو قاصدا — ألا عُجْ بشُقْرٍ رائحا أو مغاديا

وقف حيث سال النهر ينساب أرقما — وهَبَّ نسيم الأيك ينفث راقيا

وقل لأُثيلات هناك وأجرع — سُقيتِ أثيلاتٍ وحييتَ واديا

انتهى ببعض اختصار

وابن عائشة أشهر من أن يطال فى أمره ، وليس الخبر كالعيان

لأبى عمرو يزيد بن عبدالله اللخمي الإشبيلي

وقال أبو عمرو يزيد بن عبد الله بن أبى خالد اللخمى الإشبيلى الكاتب فى فتح المهدية سنة ٦٠٢ :

كم غادر الشعراء من مُتَرَدّم — ذُخِرَتْ عظائمه لخير مُعَظَّم

تبعاً لمذخور الفتوح فإنه — جاءت له بخوارق لم تعلم

من كل سامية المَنَال إذا انتمت — رَفَعَتْ إلى اليرموك صوت المنتمى

---

(١) فى ب « أرددها شجوى وأجهش باكيا »

(٢) فى ا « فيستسقى غمامك صاديا »

(٣) فى ا « وأم تخال اللياليا »

وتوسطت فى النهروان بنسبة ... كرمت ففازت بالمحل الأكرم[١]

قال ابن الأبار فى « تحفة القادم » : هو صدر فى نبهائها وأدبائها ، يعنى إشبيلية ، وممن له قدر فى منجبيها ونجبائها ، وإلى سلفه يُنسب المعقل المعروف بحجر أبى خالد. وتوفى بها سنة ٦١٢ ، وأورد له قوله :

ويا للجوارى المنشآت وحسنها ... طوائر بين الماء والجوّ عُوَّما
إذا نشرت فى الجو أجنحة لها ... رأيت به روضا ونَوْرًا مكمما
وإن لم تهجه الريح جاء مصافحا ... فمدت له كفا خضيبا ومعصما
مجاذف كالحيَّات مدت رؤسها ... على وَجَل فى الماء كى تروىَ الظما
كما أسرعت عَدًّا أنامل حاسب ... بقبض وبسط يسبق العين والفما
هى الهُدْبُ فى أجفان أَكْحَلَ أوْطَفٍ ... فهل صنعت من عَنْدَمٍ أو بكت دما[٢]

لابن الحداد يصف أسطولا

قال ابن الأبار : أجاد ما أراد فى هذا الوصف ، وإن نظر إلى قول أبى عبد الله ابن الحداد يصف أسطول المعتصم بن صُمَادح :

هام صَرْفُ الردى بهام الأعادى ... إن سَمَتْ نحوهم لها أجياد
وتراءت بشرعها كعيون ... دأبها مثل خائفيها سهاد
ذات هدب من المجاذيف حاكٍ ... هُدْبَ باكٍ لدمعه إسعادُ[٣]
حُمَم فوقها من البيض نار ... كل من أرسلت عليه رماد
ومن الخط فى يدى كل در ... ألفٌ خَطُّها على البحر صادُ

لأبى الحسن ابن حريق

قال : وما أحسن قول شيخنا أبى الحسن بن حريق فى هذا المعنى من قصيدة أنشدنيه :

وكأنما سكن الأراقم جوفها ... من عهد نوح خشية الطوفان
فإذا رأين الماء يطفح نضنضت ... من كل خرق حية بلسان

---

(١) فى ا « كرمت فغارت بالمحل الأكرم » تحريف
(٢) فى ا « فهل صبغت من عندم »
(٣) فى ا « ذات هدب من المجاذيف حال » تحريف

لعلى بن محمد التونسي الإيادى

قال : ولم يسبقهم إلى الإحسان ، وإنما سبقهم بالزمان ، على بن محمد الإيادى التونسى فى قوله :

شرعوا جوانبها مجاذف أتعبت   شادى الرياح لها ولما تتعب
تنصاع من كَثَب كما نفر القَطَا   طوراً وتجتمع اجتماع الرَّبْرَبِ
والبحر يجمع بينها فكأنه   ليل يقرب عقربا من عقرب
وعلى جوانبها أسودُ خلافةٍ   تختال فى عدد السلاح المذهب
وكأنما البحر استعار بزيهم   ثوب الجمال من الربيع المعجب

ومن هذه القصيدة الفريدة فى ذكر الشراع :

ولها جَنَاح يستعار يُطيرها   طوعَ الرياح وراحةِ المتطرب
يعلو بها حدب العباب مطاره   فى كل لج زاخر مغلولب
يسمو بآخر ذى الهواء منصب   عريان منسرح الذؤابة شوذب
يتنزل الملاح منه ذؤابة   لو رام يركبها القطا لم يركب
وكأنما رَامَ استراقَةَ مقعد   للسمع إلا أنه لم يُشْهَبِ (١)
وكأنما جنٌّ ابنِ داودٍ هُمُ   ركبوا جوانبها بأعنف مركب
سجروا جواهم بينهم فتقاذفوا   منها بألسن مارج متلهب
من كل مسجون الحريق إذا انبرى
من سجنه انْصَلَتَ انصلاتَ الكوكب
عريان يقدمه الدخان كأنه   صبح يكرُّ على ظلام غيهب

ومن أولها :

---

(١) لم يشهب : أى لم يقذف بشهاب من نار ، وقد لحظ فى هذا البيت قول الله تعالى فى شأن الجن الذين يسترقون السمع (إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب)

أعجِبْ بأسطول الإمام محمد وبحسنه وزمانه المستغرب

لبست به الأمواج أحسن منظر يبدو لعين الناظر المتعجب

من كل مشرفة على ما قابلت إشراف صدر الأجدل المتنصب

ومنها :

جوفاء تحمل موكباً فى جوفها يوم الرهان وتستقلُّ بموكب

وهى طويلة من غرر القصائد ، وقد سَرَد جملة منها صاحب « المناهج » وغيره .

لأبى عمر القسطلى

وقال أبو عمر القسطلى :

وحال الموج بين بنى سبيل يطير بهم إلى القول ابنُ ماء(١)

أغر له جناح من صباح يرفرف فوق جنح من سماء

لابن خفاجة

وأخذه أبو إسحاق بن خفاجة فقال :

وجارية ركبت بها ظلاما يطير من الصباح بها جناح

إذا الماء اطمأنَّ ورقَّ خصرا علا من موجه رِدْفٌ رَدَاحُ

وقد فغر الحمام هناك فاه وأتلع جيده الأجلُ المُتَاحُ

ولا يخفاك حسن هذه العبارة الصقيلة المرآة ، فالله تعالى يرحم قائلها !

لابن الأبار

وقال ابن الأبار : وقد قلت أنا فى ذلك :

يا حبذا من بنات الماء سابحة تطفُو لما شبَّ أهل النار تطفئه

تطيرها الريح غِرْبَاناً بأجنحة الـ حمائم البيض للاشراك ترزؤه

من كل أدهم لا يلفى به جَرَبٌ فما الراكبه بالقار يهنؤه

يدعى غُرَابا وللفَتْخَاء سرعته وهو ابن ماء وللشاهين جُؤْجُؤه

واجتمع ابن أبى خالد وأبو الحسن بن الفضل الأديب عند أبى الحجاج بن مرطير

---

(١) في ب « يطير بهم إلى الصواب ابن ماء »

الطبيب بحضرة مراكش ، وجرى ذكر قاضيها حينئذ أبى عمران موسى بن عمران بينهم ، وما كان عليه من القصور والبعد عما أتيح له[١] ، وأوثر به ، فقال أبو الحجاج :

* ليس فيه من أبى مُوسَى شبه *

فقال أبو الحسن :

* فأبوه فِضَّة وهو شَبَهْ *

فقال ابن أبى خالد :

كم دعاه إذ رآه عرة ... وأباه إذ دعاه يا أبه[٢] انتهى

لأبى العباس الأعمى

وقال أبو العباس الأعمى :

بهيمة لو جرى فى الخيل أكبرها ... لغابت الريح فى الأحجال والغرر[٣]

تجرى فللماء ساقا عائمٍ دربٍ ... وللرياح جناحا طائرٍ حذِرِ

قد قسمتها يد التقدير بينهما ... على السواء فلم تسبح ولم تَطِرِ

لعبد الجليل بن وهبون

وقال عبد الجليل بن وَهْبون يصف الأسطول :

يا حسنها يوما شهدتُ زفافها ... بنت الغضاء إلى الخليج الأزرق[٤]

ورقاء كانت أيكة فتصوّرت ... لك كيف شئت من الحمام الأورق

حيث الغرابُ يجر شملة مُعجبهِ ... وكأنه من غِرَّة لم ينعق[٥]

من كل لابسة الشباب مُلاَءَة ... حسب اقتدار الصانع المتأنق

شهدت لها الأعيان أن شوَاهنا ... أسماؤها فتصحفت فى المنطق

من كل ناشرة قوادمَ أجنح ... وعلى معاطفها وهادة سودق[٦]

زأرت زئير الأسْدِ وهى صوامت ... وزحفن زحف مواكب فى مأزق

ومَجاذف تحكى أراقم ربوة ... نزلت لتكرع من غدير متأق

(١) فى ا « عما أشح له » تحريف (٢) فى ا « كم رعاه إذ رآه غرة »
(٣) فى ا « بهيمة لو سرى » (٤) فى ب « بنت الفضاء » وفى نسخة « القضاء »
(٥) فى ا « وكأنه من عزه لم ينعق » (٦) فى ا « قوادم أمنج »

لابن خفاجة

وقال ابن خَفَاجة :

سقيا لها من بطاح خز … ودَوْح نهر بها مُطِلِّ(١)

فما ترى غير وجه شمس … أظل فيـــه عذار ظل(٢)

وهو من بديع الشعر ، وكم لابن خفاجة من مثله .

لعبيد الله بن جعفر الإشبيلي

وقال عبيد الله بن جعفر الإشبيلى ، وقد زار صاحبا له مرات ولم يزره هو ، فكتب على بابه :

يامن يُزَارُ على بعـد المحل ولا … يزورنا مرة من بين مرات

زُرْ من يزورك واحذر قول عاذلة … تقول عنك فتى يؤتى ولا ياتى

ومن مجونياته سامحه الله تعالى :

وأغيد ليس تعدوه الأمانى … ولو حكمت عليـه باشتطاط

سقيت الراح حتى مال سكرا … ونام على النمارق والبساط

وأسلم لى على طول التجنى … وأمكننى على فرط التعاطى

فأولجت المقادر جيد بَكْرٍ … ولا كفران فى سم الخياط

وغنانى بصوت من حشاه … فأطربنى وبالغ فى نشاطى

فما نَقْرُ المثـالث والمثانى … بأطرب من تلاحين الضراط

ولولا الريق لم أظفر بشىء … على عدم اهتبالى واحتياطى

فلا تسخر بريق بعـد هذا … فإن الريق مفتاح اللواط

لأبى الحسن على بن جحدر الزجال

وقال أبو الحسن على بن جحدر الزجال :

كيف أصبحت أيهذا الحبيب … نحن مَرْضَى الهوى وأنت الطبيب

كل قلب إليـك يهفو غراما … وتجانى على منـك القلوب(٣)

---

(١) فى نسخة عند ا « من نطاح أنس » (٢) فى ا « أطل فيه عذار ظل »

(٣) فى ا « كل قلب عليك يهفو غراما »

إن تلحْ حوّمت عليك هُيامًا ... أو تغب حَنّهَا عليك الوجيب(١)

غير أنى من بينهم مستريب ... حين تبدو وليس لى ما يريب

كل ما قد ألقاه منك ومنى ... دون هذا له تُشَقُّ الجيوب

لأحمد المعروف بالكساد

وقال أحمد المعروف بالكساد ، فى موسى الذى كان يتغزل فيه شعراء إشبيلية :

ما لموسى قد خر لله لما ... فاض نورا غشاه ضوء سناه

وأنا قد صُعِقتُ من نور موسى ... لا أطيق الوقوف حين أراه

ولله دره فى رثاء موسى المذكور إذ قال :

فر إلى الجنة حوريُّهَا ... وارتفع الحسن من الأرض

وأصبح العشاق فى مأتم ... بعضهمُ يبكى إلى بعض

وقوله فيه :

هَتَفَ الناعى بشجو الأبدِ ... إذ نعى موسى بن عبد الصمد

ما عليهم ويحهم لو دفنوا ... فى فؤادى قطعة من كبدى

ولقب بالكساد لقوله :

* و بيع الشعرُ فى سوق الكَسَادِ *

لأبى القاسم الحضرمى المنيشى

وقال أبو القاسم بن أبى طالب الحضرمى المنيشى :

صاغت يمين الرياح محكمة ... فى نَهَرٍ واضح الأسارير

فكلما ضاعفت به حلقا ... قام لها القَطْرُ بالمسامير

لابى زيد العثمانى

وقال أبو زيد عبد الرحمن العثمانى ، وهو من بيت إمارة :

لا تسلْنِى عن حالتى فهى هٰذِى ... مثل حالى لا كنت يا من يرانى

مَلّنِى الأهلُ والأخلاء لما ... أن جفانى بعد الوصال زمانى

---

(١) فى نسخة عند ا « حنها عليك الوجيب »

فاعتـــبر بى ولا يغرَّك دهر ليس منه ذو غبطة فى أمان

لأبى زكريا يحيى بن محمد الأوكشى

وقال أبو زكريا يحيى بن محمد الأوكشى :

لا حبذا المال والإفضال يتلفه والبخل يحميـه والأقدار تعطيه

وقال :

لا تبكينَّ لإخوان تفارقهم فإننى قبلك استخبرت إخوانى

فما حمدتهم فى حال قربهـم فكيف فى حال إبعاد وهجران

لأبى عمران الطريانى

وقال أبو عمران موسى الطريانى لما دخل يومَ نيروز إلى بعض الأكابر ، وعادتهم أن يصنعوا فى مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صُوَر مستحسنة ، فنظر إلى صورة مدينة ، فأعجبته ، فقال له صاحب المجلس : صفها وخُذْها :

مدينـــة مسوّره تحار فيهـا السَّحَرَهْ

لم تبنهـا إلاَّ يَدًا عذراء أو مخـدَّره

بدت عروسا تجتـلى من دَرْمَكٍ مزعفره

وما لهـا مفـاتح إلا البنان العشره

لأبى عمرو بن حكم

وقال أبو عمرو بن حكم :

حاشا لمن أمَّلَكمُ أن يخيب وينثنى نحو العدا مستريب

هـــذا وكم أقرأنى بِشْركم (نصر من الله وفتح قريب)

لأبى الحسن القرمونى

وقال أبو الحسن على بن الجعدى القرمونى :

إياك من زلل اللسان فإنه قدر الفتى من لفظه المسموع[1]

فالمرء يختـــبر الأناء بنقْرِهِ ليرى الصحيح به من المصدوع

---

(١) فى ا « قدر الفتى فى لفظه المسموع »

لأبى الحسن بن لبال فى محبرة

وقال الفقيه أبو الحسن على بن لبال فى محبرة عناب محلاة بفضة :

مُنْعلَةَ بالهــلال ملجمة بالنسر مجدولة من الشَّـفَقِ
كأنما حبرها تميَّع فى فرضتها سائلا من الغسق[١]
فأنت مهما ترد تشبهها فى كل حال فانظر إلى الأفق

وقال فى محبرة أبنوس[٢] :

وخديمــة للعلم فى أحشائها كَلَفٌ بجمع حرامه وحلاله
لبست رداء الليل ثم توشحت بنجومه وتتوجت بهلاله

لأبى العباس الشريشى

وقال أبو العباس أحمد بن شكيل الشَّريشى :

تفاحة بت بهـا ليلتى أبثها سرِّىَ والشكوى
أضمهــا معتنقاً لاثما إذا ذكرْتُ خَدَّ من أهوى

وقال :

تفاحة حامضة عضهــا فى ثمل مَنْ قَطَّبَ الوجها
ولم أخَلْ من قبلها محسنا يجزى عليه العض والنجها

لأبي جعفر الشريشى

وقال أبو جعفر أحمد الشريشى[٣] :

على حسن نور الباقلاء أدرها على الصب كاسَىْ خمرة وجفون
يذكرنى بلق الحمام وتارة يؤكد للأشجان شهل عيون

لعمرو بن غياث

وقال عمرو[٤] بن غياث :

وقالوا مشيب قلت واعجبا لكم أينكر صبح قد تَخَلَّلَ غيهبا
وليس مشيباً ما ترون وإنما كميت الصبا لماجرى عادأشهبا

---

(١) فى ب « كأنما حبرها يمتع فى » (٢) فى ا « محبرة أنبوس »
(٣) فى ا تقدم هذان البيتان على المختار من شعر أبى العباس أحمد بن شكيل الشريشى
(٤) فى ا « أبو عمرو بن غيات »

للوزير أبي بكر بن أبي مروان

وقال الوزير أبو بكر محمد بن ذى الوزارتين أبى مروان عبد الملك بن عبد العزيز يخاطب ابن عبدون :

في ذمة الفضل والعلياء مرتحل فارقت صبرى إذا فارقت موضعه
ضاءت به برهةً أرجاءُ قرطبة ثم استقلَّ فسدَّ البينُ مطلعَهُ
عذرا إلى المجد عنى حين فارقنى ذاك الجلال فأعيا أن أشيعه
قد كنت أصحبته قلبى وأقعدنى ما كان أودعنى عن أن أودعه

وفيهم يقول ابن عبدون :

بحور بلاغة ونجوم عز وأطواد رَوَاسٍ من جَلَالِ (١)

لأبي القاسم بن أبي بكر

وقال الوزير الكاتب أبو القاسم بن أبى بكر بن عبد العزيز :

نديمى لا عدمتك من نديم أدِرْها فى دجى الليل البهيم
فخير الأنس أنس تحت ستر يصان عن السفيه أو الحليم

لأبي عبد الله الجزيري

وقال الثائر أبو عبد الله الجزيرى :

فى أم رأسى سر يبدو لكم بعد حين
لأبْلُغَنَّ مرادى إن كان سعدى مُعِينِى
أولا فأكتب ممن سعى لإظهار دين

وسبب قوله هذا أن بنى عبد المؤمن لما غيروا رَسْم مَهْديهم ، وصيروا الخلافة مُلْكا ، وتوسَّعوا فى الرفاهية ، وأهملوا حق الرعية ، جعل يتستر ، وقال هذه الأبيات ، وشاع سره فى مدة ناصر بنى عبد المؤمن ، فطلبه ، ففر ، ولم يزل يتنقل مستخفيا مع أصحابه إلى أن حصل فى حصن قولية(٢) من عمل مدينة بسطة ، فبينما هو ذاتَ يومٍ فى جامعها مع أصحابه وهم يأكلون بطيخاً ويرمون قشره فى صحن الجامع ،

(١) الأطواد : الجبال ، واحدها طود ، والرواسى : جمع راس اسم فاعل فعله رسا يرسو ، ومعناه ثبت ، استعارة

(٢) فى نسخة عند ا « تولية » والذى وجدته «قورية» حصن من أحصن المعاقل بالأندلس قرب ماردة .

إذ أنكر ذلك رجل من العامة ، وقال لهم : ما تتقون الله تعالى ؟! تتهاونون ببيت من بيوته ؟ فضحكوا منه ، واستهزؤا به ، وأهلُ تلك الجهة لا تحتمل شيئاً من ذلك ، فصاح بفتية من العامة ، فاجتمع جمع وحُملوا إلى الوالى فكان عند الوالى مَنْ عرفه ، فقتلوا جميعاً ، وأمر الناصر أن يرفع عن جميع أرض قولية جميع تكاليف السلطان .

لعبد الملك الجزيرى

ولما عَتَبَ المنصور بن أبى عامر على الكاتب عبد الملك الجزيرى ، وسجنه فى الزاهرة ، ثم صفح عنه ، قال وكتب به إليه

عجبت من عفو أبى عامر ... لا بد أن تتبعه مِنَّهْ

كذلك الله إذا ما عفا ... عن عبده أدخله الجنهْ

فاستحسن ذلك ، وأعاده إلى حاله .

وقال على لسان بَهَار العامرية ، وهو النرجس :

حَدَقُ الحسانِ تَقِرُّ لى وتَغار ... وتضل فى وصفى النهى وتحار

طلعت على قضبى عيونُ تمائمى ... مثل العيون تحفها الأشفار

وأخصُّ شىء بى إذا شبهته ... در تمنطق سلكه دينار

أنا نرجس ، حقاً بهرت عقولهم ... ببديع تركيبى فقيل بهار

وقال فى بنفسجها :

شهدَتْ لنوّار البنفسج ألسن ... من لونه الأحوى ومن إيناعه (1)

بمشابه الشَّعْرِ الأحمِّ أعاره الـ ... ـقمر المنير الطلق نور شعاعه

ولربما جمد النجيعُ من الطلى ... فى صارم المنصور يوم قِرَاعِهِ

فحكاه غير مخالف فى لونه ... لا فى روائحه وطيب طباعه

---

(1) فى ا « من لونه الأحوى ومن أتباعه » محرف ، والأحوى : الأسود ، ويراد به الشديد الخضرة

وقال فى القمر حين جعل(١) يختفى بالسحاب و يبدو أمام المنصور :

أرى بدر السماء يلوح حينا فيظهر ثم يلتحف السحابا

وذلك أنه لما تبدَّى وأبصر وجهك استحيا وغابا

لأبى الحسن الجزيرى

وقال الحِجارى فى « المسهب » : سألت أبا الحسن على بن حَفْص الجزيرى أن ينشدنى شيئاً من شعره ، فقال : يا أبا محمد ، إذا لم ينظم الإنسان مثل قول شرف :

لم يبق للجور فى أيامكم أثر إلا الذى فى عيون الغِيدِ من حَوَرِ

فالأولى له أن يترك نظم الشعر ، إلى أن خرجتُ معه يوما إلى سِيفِ الجزيرة الخضراء ، فلقى غلاما قد كدر رونَقَ حسنِهِ السفر ، وأثر فى وجهه كآثار الكلف فى القمر ، فصافحه ، ثم قال :

بأبى الذى صافحته فتوردت وجناته وأناء نحوى قده

قمر بدا كَلَفُ السرى فى خده لما توالى فى الترحل جَهْدَهُ

لكن معالم حسنه تمت كما قد تم فى صدإ الحسام فِرِنْده(٢)

فحفظتها من سمعه ، ثم قلت له : قد أخذت عنك من نظمك ، بغير شكرك ، فضحك وقال : فاحفظ هذا ، وأنشد :

لا تقولَنَّ فلانٌ صاحبٌ قبل اختبار

وانتظر ويحك نقد الليل فيه والنهار

. أنا جرَّبْتُ فلم أُلْفِ صديقاً باختيارى(٣)

وأنشد :

كم قد بكرت إلى الرياض وقُضْبها قد ذكرتنى موقف العشاق

يا حسنها والريح يلحف بعضها بعضا كأعناق إلى أعناق

(١) كلمة «جعل» ثابتة فى ب وحدها

(٢) فى ا « قدتم عن صدإ الحسام »

(٣) فى ا « أنا قد جربت فلم ألف » ولا يستقيم بذكر « قد » وزن البيت

والورد خد والأقاحى مبسم وغدا البهار ينوب عن أحداق
لم أنفصل عنها بكأس مدامة حتى حملت محاسن الأخلاق

من أبى الحسن ابن سعيد للقائد أحمد بن بلال

ولما كتب أبو الحسن بن سعيد إلى الأديب القائد أبى العباس أحمد بن بلال يستدعيه ليوم أنس بقوله :

أبا العباس لو أبصرت حولى ندامى بادَرُوا العيش الهنِيَّا
يُبيحون المدام ولا انتقاد وقارهُمُ ويزدادون غيا
وهم مع ما بدالك من عفاف يحبون الصبية والصبيا
ويَهْوَوْنَ المثالث والمثانى وشرب الراح صبحاً أو عشيا
على الروض الذى يُهْدِى لطَرْف وأنف منظراً بهجاً وريَّا
فلا تلم السرىَّ على ارتياح حكى طرباً بجانبه سريا
وبادر نحو نادٍ ماخلا من نداك فقد عهدتك لَوْذَعِيًّا

أجابه بقوله :

من القائد أحمد ابن بلال إلى أبى الحسن ابن سعيد

أبَيْتَ سوى المعالى يا عليا فما تنفك دهرَكَ أريحيًّا
تميل إذا النسيم سَرَى كغصن وتسرى المكارم مَشْرَفيا
وترتاح ارتياحا بالمثانى وتفتض الصبية والصبيا(١)
وتهوى الروض قلده نداه وألبسه مع الحلل الحليا
وإن غَنَّى الحمام فلا اصطبار وإن خفق الخليج فَنِيتَ حَيًّا
تذكرنى الشباب فلست أدرى أصبحاً حين تذكر أم عشيا
فلو أدركتنى والغصن غَضٌّ لأدركت الذى تهوى لَدَيَّا
ولم أترك وحقك قدر لحظ وقد ناديتنى ذاك النديا

---

(١) فى ا « وترتاح ارتياحا للمثانى * وتقتنص ـ إلخ »

وقال بعض أهل الأندلس :

وفرع كان يوعدنى بأسر وكان القلب ليس له قرار
فنادى وجهه لاخوف فاسكن «كلام الليل يمحوه النهار»

ولستُ على يقين أن قائلهما أندلسى ، غير أنى رأيت فى كلام بعض الأفاضل نسبتهما لأهل الأندلس ، والله تعالى أعلم .

لأبي الوليد القسطلى

وقال أبو الوليد القسطلى :

وفوق الدوحة الغَنَّا غدير تلألأ صفحةً وسَجَا قرارا
إذا ما انصب أزرق مستقيما تدوّر فى البحيرة فاستدارا
يُجرده فم الأنبوب صَلْتاً حساما ثم يُفْلته سوارا

لأبى كثير الطريفى

ولأبى كثير الطريفى (١) يمدح الناصر بن المنصور :

فتُوحٌ لها يهتز شرق ومغرب كما اطَّردت فى السمهرية أكْعُبُ
تجلت على الدنيا شموس منيرة فلم يبق فى ليل الكآبة غَيْهَبُ
أقام بها الإسلام شَدْوَ مغـرد (٢) وظلت بأرض الشرك بالخطب تَخْطُبُ
فلا سمع إلا وهو قد مال نحوها ولا قلب إلا فى مُنَاها يقلب

لابي عامر ابن الجد

وقال أبو عامر بن الجد :

لله ليلة مشتاق ظفرت بها قَطَعْتُها بوصال اللثم والقبل
نعمت فيها بأوتارٍ تعللنى أحلى من المنِّ أو أمنية الغزل
أحْببْ إلىَّ بها إذ كلها سَحَرٌ أراحتِ الصب من عذر ومن عذل

وقال الكاتب أبو عبد الله محمد الشِّلْبى (٣) كاتب ملك إفريقية عبد الواحد بن أبى حَفْص :

---

(١) فى ا « لأبى كثير الطريقى »

(٢) فى ا « أقام بها الإسلام شدو مفرد »

(٣) فى ب « الشبلي »

لأبى عبد الله الشلبي

مَدَّ إلىَّ الكاس من لحظه لايحوج الشرب إلى الكاس
ومنذ حيانى بآسٍ فلم أيأس ولكن كان لى آسى (١)
وقال لولا الناس قبلته ما أشأم الناسَ على الناس

لأبى بكر محمد بن المليح

وقال أبو بكر محمد بن المليح (٢)، وهو من رجال الذخيرة ، على لسان حال سوار مذهب:

أنا من الفضة البيضاء خالصة لكن دهتنى خطوب غيرت جسدى
علقت غصنا على أحْوَى فأجسدنى جرى الوشاح وهذى صفرة الجسد (٣)

وما أحسن قوله من قصيدة فى المعتضد والد المعتمد :

غرته الشمس والحَيَا يَدُهُ بينهما للنجيع قوسُ قُزَحْ

وأما ابنه أبو القاسم فهو من رجال «المسهب» وكان اشتغل أوّل أمره بالزهد وكتب التصوّف ، فقال له أبوه : يابنى ، هذا الأمر ينبغى أن يكون آخر العمر ، وأما الآن فينبغى أن تعاشر الأدباء والظرفاء ، وتأخذ نفسك بقول الشعر ، ومطالعة كتب الأدب ، فلما عاشرهم زيَّنُوا له الراح ، فتهتك فى الخلاعة ، وفر إلى إشبيلية ، وتزوّج بامرأة لاتليق بحاله ، وصار يضرب معها بالدف ، فكتب إليه أبوه :

يا سخنة العين يابنيا ليتك ما كنت لى بنيا
أبكيت عينى أطلت حزنى أَمَتَّ ذكرى وكان حيا
حططت قدرى وكان أعلى فى كل حال من الثريَّا
أما كفاك الزنا ارتكابا وشرب مشمولة الحميا
حتى ضربت الدفوف جهراً وقلت للشر جىء إليَّا
فاليوم أبكيك ملء عينى إن كان يغنى البكاء شيَّا

فأجاب أباه بقوله :

يالائم الصب فى التصابى ما عنك يغنى البكاء شيا

---

(١) فى ا « شمت حياني بآس » محرفا
(٢) فى ا « محمد بن الملح »
(٣) فى ا « عملت عضى بما أهوى فأحسدنى » وفيها « صفرة الحسد » .

أوجَفْتَ خيلَ العتاب نحوى ... وقبلُ أوثبتها إليا
وقلت هــذا قصير عمر ... فاربَحْ من الدهر ما تَهَيَّا
قد كنت أرجو المتابَ مما ... فتنت جهلا به وغيَّا
لولا ثلاث شيوخ سوء ... أنت وإبليس والحميا

لأبى بكر محمد بن عبد القادر الشلبى

وقال أبو بكر محمد بن عبد القادر الشِّلبى [1] يستدعى :

فديتك باكر نحوقُبَّةِ روضة ... تسيح بها الأمواه والطير تهتف
وقد طلعت شمس الدنان بأفقها ... ونحن لديها فى انتظارك وُقَّفُ
فلا تتخلَّفْ ساعة عن محلة ... صدودك عمن حل فيها تخلُّفُ [2]

لأبى الحسن على بن السيد البطليوسى

وقال أخو إمام نحاة الأندلس أبى محمد عبد الله بن السيد البَطَلْيَوْسى ، وهو أبو الحسن على بن السيد :

يا رُبَّ ليل قد هتكتُ حجابه ... بزجاجة وقَّادة كالكوكب
يسعى بها ساقٍ أغنُّ كأنها ... من خده ورُضاب فيه الأشْنَبِ [3]
بدران بدر قد أُمنت غروبه ... يسعى ببدر جانح للمغرب
فإذا نعمت برَشْف بدر طالع ... فانعم ببدر آخر لم يغرب
حتى ترى زُهْرَ النجوم كأنها ... حول المجرة رَبْرَبٌ فى مشرب
والليل منحفز يطير غرابه ... والصبح يطرده بباز أشهب [4]

لأبى بكر محمد ابن الروح الشلبى

ولما مدح أبو بكر محمد بن الروح الشلبى الأميرَ إبراهيمَ الذى خطب به الفتح فى القلائد ، وهو ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وكان يُدِلُّ عليه وينادمه ، بقصيدته التى أوَّلها :

أنا شاعر الدنيا وأنت أميرها ... فمالى لايَسْرِى إلى سرورها

(١) فى ب « الشبلى » (٢) فى ا « صدورك عمن حل فيها تخلف » محرفا
(٣) الأشنب : الوصف من الشنب ـ بفتح النون والشين ـ وهو رقة الأسنان
(٤) فى ا « والليل منحصر يطير غرابه »

أشار الأمير إلى مضحك له كان حاضرا أن يحبق له لقوله « أنا شاعر الدنيا » فقال له ابن الروح : على من حبقت ؟ يعنى أنه يحتمل أن يكون ذلك الفعل لقوله « أنا شاعر الدنيا » أو لقوله « وأنت أميرها » ففطن الأمير لما قصده ، وضحك وتغافل .

لأبى بكر بن المنخل

وقال أبو بكر بن المنخل الشلبى :

كم ليلة دارت علىَّ كواكبٌ ... للخمر تطلع ثم تغرب فى فَمِى
قبلتها فى كف مَنْ يسعى بها ... وخلطت قبلتها بقبلة معصم
وكأنَّ حسن بنانه مع كأسه ... غيم يشير لنا ببعض الأنجم

لأبى بكر بن عمار

وقال ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار :

قرأت كتابك مستشفعا ... بوجه أبى الحُسْنُ من رده
ومن قبْلِ فضِّ ختام الكتاب ... قرأت الشفاعة فى خده

وقال :

غزا القلوب غزال ... حجَّتْ إليه العيون
قد خط فى الخد نوناً ... وآخرُ الحسنِ نونُ

قال الحجارى : وإكثار ابن عمار فى المعذَّرين وإحسانه فيهم يدلك على أنه كما قيل عنه ، كان مشغوفاً بالكاس ، والاستلقاء من غير نُعاس .

وكان أبو الفضل بن الأعلم [من] أجمل الناس وأذكاهم فى علم الأدب والنحو ، وأقرأ علم النحو قبل أن يلتحى ، فقال ابن صارة فيه :

لابن صارة فى ابن الأعلم

أكْرِمْ بجعفرِ اللبيبِ فإنه ... مازال يوضح مشكل «الإيضاح» (١)
ماء الجمال بخده مترقرق ... فالعين منه تجول فى ضحضاح (٢)

---

(١) الإيضاح : اسم الكتاب فى النحو صنفه أبو على الفارسى

(٢) مترقرق : سيال ، والضحضاح : القليل من الماء

ما خدُّه جرحَتْه عينى ، إنما صبغتْ غِلَالَتَه دماءُ جِراحِى
لله زاى زبرجد فى عسجد فى جوهر فى كوثر فى راح[1]
ذى طرة سَبَجِية ذى غُرَّة عاجِية كالليــل والإصباح
رشأ له خـد البرىء ولحظه أبدا شريك الموت فى الأرواح

للرمادى

وقال الرمادى :

ونور غيث مسـبل وقهـوة تَسَلْسَل[2]
تدور بين فتيـة بخلقهـم تمثـل
والأفق من سحابه طَلٌّ ضعيف ينزل
كأنه من فضة بُرَادة تغـربل

وقال :

بدر بدا يحمل شمساً بدت وخَدُّها فى الحسن من خده
تَغْرُبُ فى فيـه ولـكنها من بعد ذا تطلع فى خده

لأبى الفضل بن الأعلم

ومن نظم أبى الفضل بن الأعلم السابق الذكر :

وعشية كالسيف إلّا حده بَسَط الربيع بهـا لنعلى خَدَّه
عاطيت كأس الأنس فيها واحدا ماضره أن كان جمعا وحده

ترجمة ابن الأعلم وأبيه الأعلم النحوى

وهو جعفر ابن الوزير أبى بكر محمد ابن الأستاذ الأعلم، من رجال «القلائد» و«المسهب» و«سمط الجُمَان» ، وكان قاضى شَنْتَمرية ، والأستاذ الأعلم هو إمام نحاة زمانه أبو الحجاج يوسف بن عيسى[3] من رجال «الصلة» و «المسهب» و «السمط» ، وهو شارح الأشعار الست ، ومن نظمه يخاطب المعتمد بن عباد :

يا من تملـكنى بالقول والعمل ومُبْلغِى فى الذى أمَّلْتُـه أملى
كيف الثناء وقد أعجزتنى نعما مالى بشكرى عليها الدهرَ من قِبَلِ
رفعتَ للجود أعلاما مُشَهَّرة فبابك الدهرَ منها عامرُ السبلِ

---

(١) فى ا « لله رأى زبرجد » محرفا (٢) فى ا « نور وغيث مسبل »
(٣) سيذكره (ص ٢١٦) باسم « يوسف بن سليمان بن عيسى »

لأبى على إدريس بن اليمانى العبدرى

وقال أبو على إدريس بن اليمانى العَبْدَرِى :

قبــلة كانت على دَهَشٍ أذهبت مابى من العطش
ولهـا فى القلب منزلة لو عَـدَتْهَا النفس لم تعش (١)
طرقتــنى والدجا لبست خلعاً من جلدة الحبش (٢)
وكأن النَّجْمَ حين بدا درهم فى كف مرتعش

وسأله المعتضد أن يمدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته السينية التى مدح بها ابن حَمُّود فقال له : أشعارى مشهورة ، و بنات صدرى كريمة ، فمن أراد أن ينكح بِكْرَها ، فقد عرف مَهْرَهَا ، وكانت جائزته مائة دينار .

ومن مشهور شعره بالمغرب والمشرق قوله :

ثقلت زجاجاتٌ أتتنا فُرَّغًا حتى إذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بماحَوَتْ وكذا الجسوم تخف بالأرواح (٣)

مهاجاة بين ابن طيفور والهيثم الحافظ

وكانت بين الأديب الحسيب أبى عمرو بن طَيْفُور والحافظ (٤) الهيثم مُهَاجاة ، فقال فيه الحافظ :

لابن طيفور قريضُ فيـه شوك وغموض
عدمت فيـه القوافى والمعـانى والعروض

وقال فيه ابن طَيْفُور :

إنمـا الهيـثم سفر من كلام الناس ضخم
لا تطالبـــه بفهم ليس للديوان فهـم

وقال أبو عمران بن سعيد : أخبرنى والدى أنه زار ابن حمدين بقرطبة فى مدة يحيى ابن غانية ، فوجدته فى هالة من العلماء والأدباء ، فقام وتلقانى ، ثم قال :

---

(١) فى ا «لو عدتها النفس لم تطش» (٢) فى ب « من جلدة الحنش » محرفا
(٣) فى ا «خفت فـكادت تستطير بما حوت * إن الجسوم ـ إلخ»
(٤) فى ب «والحافظ أبى الهيثم» وشعر أبى عمرو بن طيفور يدل على أنه «الهيثم»

يا أبا عبد الله ، ما هذا الجفاء ؟ فاعتذرت بأنى أخشى التثقيل ، وأعلم أن سيدى مشغول بما هو مُكِبٌّ عليه ، فأطرق قليلا ثم قال :

لو كنت تهوانا طلبت لقاءنا ليس المحِبُّ عن الحبيب بصابر

فدع المعاذر إنما هى جُنَّة لمخادع فيها ولستُ بعاذر[(١)]

فقلت : تصديق سيدى عندى أحبُّ إلى و إن ترتبت على فيه المَلاَمة من منازعته منتصراً لحقى ، فاستحسن جوابى ، وقال لى : كرره فإنه والله ماح لكل ذنب ، ثم سألته كَتْبَ البيتين عنه ، فقال لى : وما تكتب فيهما ؟ فقلت : [أليس فى[(٢)] الإنعام ذلك] لأجد ما أخبر به والدى إذا أبْتُ إليه ، فأملاهما على ، فقلت : مَنْ قائلهما ؟ قال : قائلهما ، فعلمت أنهما له ، وقنعت بذلك .

للحجارى صاحب المسهب

وقال الحِجَارى صاحب « المسهب ، فى أخبار المغرب » :

كم بت من أسر السهاد بليلة ناديت فيها هل لجُنْحِكَ آخِرُ

إذ قام هذا الصبح يظهر ملَّة حكمت بأن ذُبِحَ الظلامُ الكافرُ[(٣)]

بحث فى ضبط كلمة المسهب

وعلى ذكر « المسهب » فقد كنت كثيراً ما أستشكل هذه التسمية ، لما قال غير واحد : إن المسهب إنما هو بفتح الهاء ، كقولهم سَيْل مُنْعَم ـ بفتح العين ـ والفقرة الثانية وهى « المغرب » تقتضى أن يكون بكسر الهاء ، ولم يزل ذلك يتردد فى خاطرى إلى أن وقفت على سؤال فى ذلك رفعه المعتمد ابن عَبَّاد سلطان الأندلس إلى الفقيه الأستاذ أبى الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوى الشَنْتَمَرِى المشهور بالأعلم ، ونص السؤال :

سألك ـ أبقاك الله! ـ الوزيرُ الكاتبُ أبو عمرو بن غطمش[(٤)] سلمه الله عن « المسهب » وزعم أنك تقول بالفتح والكسر ، والذى ذكر ابن قتيبة فى أدب

---

(١) فى ا « ولست بغادر » وتقرأ بتاء المخاطب

(٢) لاتوجد هذا العبارة فى ب ، وليست بذاك

(٣) فى ا « أوقام هذا الصبح يظهر ملة » (٤) فى ا « غمطش »

الكاتب والزبيدى فى مختصر العين أسْهَبَ الرجلُ فهو مُسْهَب إذا أكثر الكلام ، بالفتح خاصة ، فبين لى ـ أبقاك الله تعالى! ـ ماتعتقدفيه ، وإلى أى كتاب تسند القولين ، لأقف على صحة من ذلك .

فأجابه : وصل إلى ـ أدام الله تعالى توفيك! ـ هذا السؤال العزيز ، ووقفت على ما تضمنه ، والذى ذكرته من قول ابن قتيبة والزبيدى فى الكتابين موضوع كما ذكرته ، والذى أحفظه وأعتقده أن المسهب بالفتح المكثر فى غيرصواب ، وأن المسهب بالكسر البليغ المكثر فى الصواب(١) ، إلا أنى لا أسند ذلك إلى كتاب بعينه ، ولكنى أذكره عن أبى على البغدادى عن كتاب(٢) البارع أو غيره ، معلقا فى عدة نسخ من كتاب « البيان والتبيين » على بيت فى صدره لمكى بن سوادة وهو:

حَصِر مُسْهَب جَرِىء جَبَان خير عِيِّ الرجالِ عِيُّ السكوتِ

والمعلقة : « تقول العرب : أسهب الرجل فهو مُسْهَب وأحصن فهو مُحْصَن وألفج فهو مُلْفَج ، إذا افتقر ، قال الخليل : يقال رجل مُسْهَب ومُسْهِب ، قال أبوعلى : أسهب الرجل فهو مُسْهَب بالفتح إذا أكثر فى غير صواب ، وأسهب فهو مُسْهِب بالكسر إذا أكثر وأصاب ، قال أبوعبيدة : أسهب الرجل فهو مُسْهَب إذا أكثر من خرف وتلف ذهن ، وقال أبوعبيد(٣) عن الأصمعى : أسهب الرجل فهو مُسْهَب بالفتح إذا خرف وأهتر ، فإن أكثر من الخطأ قيل : أفند فهو مُفند» انتهت المعلقة

فرأىُ مملوكك ـ أيدك الله تعالى! ـ واعتقاده أن المُسْهَب بالفتح لايوصف به البليغ المحسن ، ولا المكثر المصيب ، ألا ترى إلى قول الشاعر « حصر مسهب » أنه قرن فيه المسهب بالحصِر وذمه بالصفتين ، وجعل المسهب أحق بالعى من الساكت والحصِر فقال :

* خير عِيِّ الرجال عى السكوت *

---

(١) فى ا « من الصواب » (٢) فى ا « من كتاب البارع »

(٣) فى ا هنا أيضاً « وقال أبو عبيدة عن الأصمعى »

والدليل على أن المُسْهِب بالكسر يقال للبليغ المكثر من الصواب أنهم يقولون للجواد من الخيل مُسْهِب بالكسر خاصة لأنها بمعنى الإجادة والإحسان ، وليس قول ابن قتيبة والزبيدى فى المُسْهَب بالفتح هو المكثر من الكلام بموجب أن المكثر هو البليغ المصيب ، لأن الإكثار من الكلام داخل فى معنى الذم ، لأنه من الثرثرة والهذر ، ألا تراهم قالوا : رجل مِكْثار ، كما قالوا : ثرثار ، ومهذار ، وقال الشاعر :

* فلا تُمَارُونَ إن ماروا بإكثار *

فهذا ماعندى ، والله تعالى الموفق للصواب

قال الأعلم : ثم نظمت السؤال العزيز والجواب المذكور ، فقلت :

سلام الإله ورَيْحَانُهُ ... على الملك المجتبى المنتخل[1]

سلام امرئ ظلَّ من سَيْبه ... خصيبَ الجناب رحيب المحل[2]

أتانى سؤالك أعْزِزْ به ... سؤال مبر على من سأل

يسائل عن حالتى مُسْهِب ... ومُسْهَب المبتلى بالعلل

لما اختلفا فى بناءيهما ... وحكمهما واحدٌ فى فعل

أتى ذا على مُفْعِل لم يعل ... وذاك على مفعل قد أعل

فقلت مقالاً على صدقه ... شهيد من العقل لا يستزل

بناء البليغ أتى سالما ... سلامَتَهُ من فضول الخَطَلْ

وأسهب ذاك مسيئاً فزل ... ذليلا ثنى متنه فانخذل

وأحسن ذا فَجَرى وصفه ... على سَنَنِ المحسن المستقل

فهذا مقالىَ مستبصرا ... ولست كمن قال حَدْساً فضل

---

(١) المنتخل ــ بالخاء المعجمة ــ المختار

(٢) فى ا « خصيب الجنان » تحريف

تقلدت فى رأيه مذهبا يخصك بين الظبا والأسل
سموك فى الروع مستشرفًا إلى مهجة المستميت البطل
كأنك فيها هلال السما يزيد بهاء إذا ما أهَـلّ
بَلَ أنت مطل كبدر السما ء يمضى الظلام إذا ما أطل

قلت : رأيت فى بعض الحواشى الأندلسية : أن ابن السكيت ذكر فى بعض كتبه فى بعض ما جعله بعضُ العرب فاعلا و بعضهم مفعولا : رجل مُسْهِب ومُسْهَب ، لـلكثير الـكلام ، وهذا يدل على أنهما بمعنى واحد ، انتهى .

ذكر المسألة الزنبورية التى جـرت بين سيبـويه والكسـائى وأمور أخرى تتعلق بسيبويه وكتابه فى النحو

وسأل بعضُ الأدباء الأستاذَ الأعلم المذكور عن المسألة الزنبورية ، المقترنة بالشهادة الزورية ، الجارية بين سيبويه والـكسائى أو الفراء ، والقضاء بنهم فيها ، وهى « ظننت أن العَقْرَبَ أشدُّ لسعةً من الزنبور ، فإذا هو هى ، أو إياها » وعن نسب سيبويه : هل هو صريح أو مَوْلًى(١) ؟ وعن سبب لزومه الخليل بعد أن كان يطلب الحديث والتفسير ، وعن علة تعرضه لمناظرة الـكسائى والفراء ، وعن كتابه الجارى بين الناس : هل هو أولُ كتاب أو أنشأهُ بعد كتاب أولَ ضاع كما زعم بعض الناس .

فأجاب : أما المسألة الزنبورية المأثورة بين سيبويه والـكسائى ، أو بينه و بين الفراء على حسب الاختلاف فى ذلك ، بحضرة الرشيد ، أو بحضرة يحيى بن خالد البرمكى فيما يروى ، فقد اختلفت الرواة فيها : فمنهم من زعم أن الـكسائى أو الفراء قال لسيبويه : كيف تقول « ظننت أن العقربَ أشدُّ لسعةً من الزنبور ، فإذا هو هى ، أو إياها » فأجاب سيبويه ـ بعد أن أطْرَقَ شيئًا ـ «فإذا هو إياها» فى بعض الأقاويل ، وزعم آخرون أنه قال « فإذا هو هى » ففيهـا من الاختلاف عنهم

---

(١) فى ا « هل هو صريح أو مؤول » تحريف بشع ، والصريح : الخالص النسب ، والمولى : الرجل من العجم يستظل بحماية الرجل من العرب ، هذا بعض معانيه

ما ترى ، فإن كان أجاب بإذا هو هى ، فقد أصاب لفظا ومعنى ، ولم تدخل عليه فى جوابه شُبْهة ، ولا علقة لمعترض ، لأن « إذا » فى المسألة من حروف الابتداء المتضمنة للتعليق بالخبر ، فإذ اعتبرت المضمرين بعدها بالاسمين المظهرين لزمك أن تقول «فإذا الزنبورُ العقربُ» أو «اللسعة اللسعة(١)» أى مثلها سواء ، فلو قلت «فإذا هو إياها» بنصب الضمير الأخير(٢) للزمك أن تقول : فإذا الزنبورُ العقربَ ، بالنصب ، وهذا لا وجه له ، فإذا لم يجز نصب الخبر المظهر فكيف يجوز نصب الخبر المضمر الواقع موقعه ؟ ويروى فى المسألة أن الكسائى أو الفراء قال لسيبويه بعد أن أجاب برفع الضميرين على ما يوجبه القياس : كيف تقول يابصرى « خرجت فإذا زيد قائم ، أو قائماً ؟» فقال سيبويه : أقول « قائم » ولا يجوز النصب ، فقال الكسائى : أقول قائم وقائما ، والقائمُ والقائمَ ، بالرفع والنصب فى الخبر مع النكرة والمعرفة ، فتأول الكسائى والفراء فى اختيارهما « فإذا هو إياها » حمل الخبر المضمر فى النصب على الخبر المظهر [المعرفة] مع الإعراب بوجه النصب ، فكأنه قال : فإذا الزنبور العقربَ ، كما تقول : فإذا زيد القائمَ ، فيجرى المعرفة فى النصب مجرى النكرة ، وقولُهما فى هذا خطأ من جهتين : إحداهما : أن نصب الخبر بعد إذا لا يكون إلا بعد تمام الكلام الأول فى الاسم مع حرف المفاجأة ، ومع كون الخبر نكرة ، كقولك : خرجت فإذا زيد قائما ؟ لأنك لو قلت « خرجت فإذا زيد » تمَّ الكلام ، لتعلق المفاجأة بزيد على معنى حضوره ، ثم تُبَيِّن حاله فى المفاجأة المتعلقة به فتقول « قائما » أى : خرجت ففاجأنى زيد فى هذا الحال ، وقوله فى المسألة « إياها » لا يتم الكلام فى الاسم الأول دونها ، ألا ترى أنك لو قلت « ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو » وسكتَّ ، لم يتم الكلام

(١) فى ا « أو الشدة اللسعة»

(٢) فى ا « الآخر »

أولا ، ولاأفدت بذكر المفاجأة وتعليقها بالزنبور فائدة ، و إنما المفاجأة للضمير الآخر ، فلا بد من ذكره والاعتماد عليه ، وهذا يوجب الرفع فى الخبر ؛ لأن الظرف له ، لا للمخبر عنه ، فهذا بيِّن واضح ، والجهة الأخرى فى غلطهما أن « إياها » معرفة ، والحال لا تكون إلا نكرة ، فقد اجتمع فى قولهما أن أتيَا بحالٍ لم يتم الكلام دونها ، معرفة ، والحال لا تكون إلا بعد تمام الكلام ومع التنكير ، فقد تبين خطؤهما و إصابة سيبويه فى لزوم الرفع فى الخبر فقط .

وأما من زعم عن سيبويه أنه قال « خرجت فإذا زيد قائم » بالرفع لا غير فباطل ، وكيف ينسب إليه وهو علَّمنا أن الظرف إذا كان مستقراً للاسم المخبر عنه نصب الخبر ، و إذا كان مستقراً للخبر رفع الخبر ، ونحن نقول « خرجت فإذا زيد » فيتم الكلام ، و « نظرت فإذا الهلال طالع » فيتبعه الخبر رفعاً ، كما تقول « فى الدار زيد قائم ، وقائما » و « اليوم سيرك سريع ، وسريعا » ولكن الخبر إذا كان الظرف له ولم يتعلق إلا به لم يكن إلا رفعاً ، كقولك « اليوم زيد منطلق ، وغداً عمرو خارج » لأن الظرف لا يكون مستقراً للاسم المخبر عنه إذا كان زمانا ، والمخبرُ عنه جُثَّة ، وكذلك المفاجأة إذا كانت للخبر لم يكن إلاَّ مرفوعا ، معرفة كان أونكرة ، فإذا كانت للمخبرعنه والخبر نكرة انتصب على الحال ، فجرى قولُك « ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هى ، وظننت زيداً عالماً فإذا هو جاهل » فى لزوم الرفع فى الخبر مجرى « اليوم زيد منطلق ، وغداً عمرو خارج » كما جرى « خرجت فإذا زيد قائم ، وقائما » فى جواز الرفع والنصب مجرى « فى الدار زيد جالس ، وجالسا » فتأمل الفرق بينهما وحَصِّله ، فإن النحويين المتقدمين والمتأخرين قد أغفلوا الفرق بين المفاجأتين .

وأما نصب الخبر المعرفة بعد إذا ، تم الكلام أو لم يتم ، فباطل لا تقوله العرب ، ولا يجيزه إلا الكوفيون .

وإن كان سيبويه رحمه الله تعالى أجاب بقوله « فإذا هو إياها » كما روى بعضهم فظاهر جوابه مدخول ؛ لما قدمت ، والخطأ فيه بيِّن من جهة القياس كما ذكرنا ، فإن كان قاله والتزمه دون الرفع فقد أخطأ خطأ لا مخرج له منه ، وإن كان قد قاله وهو يرى أن الرفع أولى وأحق ، إلا أنه آثر النصب للاعراب حملا على المعنى الخفى ، دون ما يوجبه القياس واللفظ الجلى ، فلجوابه عندى وجهان حسنان :

أحدهما : أن يكون الضميرُ المنصوب وهو « إياها » كنايةً عن اللسعة ، لا عن العقرب ، والضمير المرفوع كناية عن الزنبور ، فكأنه قال « ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا الزنبور لسعَةَ العقرب » أى فإذ الزنبور يلسع لسعة العقرب ، فاختزل الفعل لما تقدم من الدليل عليه ، بعد أن أضمر اللسعة متصلة بالفعل ، فكأنه قال « فإذا الزنبور يلسعها » فاتصل الضمير بالفعل لوجوده ، فلما اختزل الفعل انفصل الضمير ، لعدم الفعل .

ونظير هذا من كلام العرب قولهم « إنما أنت شُرْبَ الإبل » أى : إنما أنت تشرب شرب الإبل ، فاختزل الفعل ، وبقى عمله فى المصدر ، ولم يرفع ؛ لأنه غير الاسم الأول ، فلو أضمرت شرب الإبل بعد ما جرى ذكره فقلت « ما يشرب زيد شرب الإبل ، إنما أنت تشربه » لاتصل الضمير بالفعل ، فلو حذفته لانفصل الضمير فقلت « إنما أنت إياه » فتدبره تجده منقاداً صحيحاً

والوجه الآخر أن يكون قوله « فإذا هو إياها » محمولا على المعنى الذى اشتمل عليه أصل الكلام من ذكر الظن أولا وآخراً ، لأن الأصل فى تأليف المسألة « ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فلما لسعنى الزنبور ظننته هو إياها » فاختصر الكلام لعلم

المخاطب ، وحذف الظن آخرا لما جرى من ذكره أولا ، ودلت « إذا » لما فيها من المفاجأة على الفعل الواقع بعد لما الدالة على وقوع الشىء لوقوع غيره ، فإذا جاز حذف الكلام إيثاراً للاختصار مع وجود الدليل على المحذوف كان قولنا « فإذا هو إياها » بمنزلة قولنا « فلما لسعنى الزنبور ظننته هو إياها » فحذف الظن مع مفعوله الأول ، و بقى الضمير الذى هو العماد والفصل مؤكدا للضمير المحذوف مع الفعل ودالا على ما يأتى بعده من الخبر المحتاج إليه ، فيكون فى حذف المخبر عنه لما تقدم من الدليل عليه مع الإتيان بالعماد والفصل المؤكد له المثبت لما بعده من الخبر المحتاج إليه مثل قوله (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم) فحذف البخل الذى هو المفعول الأول لقوله « تحسبن » و بقى الضمير مؤكداً له مثبتاً لما بعده من الخبر ، وجاز حذفه لدلالة « يبخلون » عليه ، والمعنى : لا يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيراً لهم ، فهو فى المسألة عماد مؤكد لضمير الزنبور المحمول على الظن المضمر ومُثْبِت لما يجىء بعده من الخبر الذى هو « إياها » فتفهَّمه فإنه متمكن من جهة المعنى ، وجارٍ من الاختصار لعلم المخاطب على قياس وأصل ، وشاهدهُ القرآنُ فى الحذف واستعمالُ العرب النظائرَ ، وهى أكثر من أن تحصى ، فمنها قولهم « ما أغفله عنك شيئاً » أى تثبَّتْ شيئاً ودع الشك وقولهم لمن أنكر عليه ذكر إنسان ذكره « مَنْ أنت زيدا » أى : من أنت تذكر زيداً ، وربما قالوا « من أنت زيد » بالرفع على تقدير : من أنت ذكرك زيد[1] ، فحذفوا الفعل مرة وأبقوا عمله ، وحذفوا المبتدأ أخرى وأبقوا خبره ، وكل ذلك اختصار ؛ لعلم المخاطب بالمعنى ، وكذلك قولهم « هذا ولازَعَمَاتِك » أى هذا القول والزعم الحق ولا أتوهَّمُ زعماتك ، فحذف هذا لعلم السامع مع تحصل المعنى وقيامه

---

(١) قدره ابن هشام « من أنت مذكورك زيد » وعليه يكون « ذكرك » فى كلام الأعلم مصدرا بمعنى اسم المفعول ، كالخلق بمعنى المخلوق

عند المخاطب ، والحملُ فى كلامهم على المعنى أ كثر من أن يحصى .

فإن كان الضمير الأول فى المسألة للزنبور والضمير الآخر للعقرب لم يجز البتة إلا رفع الضميرين بالابتداء والخبر ، على حد قولك «ظننت زيداعاقلا فإذا هوأحمق ، وحسبت عبد الله قاعدا فإذا هوقائم» ولو تقدم ذكر الخبر والمخبر عنه لقلت « فإذا هو هو » ولم يجز فإذاهو إياه البتة . ويجوز[1] فى المسألة أن تقول « فإذا هى هو » على التقديم والتأخير على حد قولك « فإذا العقربُ الزنبورُ » أى سواء فى شدة اللسعة كما تقول « خرجت فإذا قائم زيد » على تقدير فإذا زيد قائم ، ويجوز أن يكون « هو » كناية عن اللسع بدلالة اللسعة عليه ، وتكون « هى » كناية عن اللسعة على تقدير : فإذا لسع الزنبور لسعة العقرب ، ويجوز « فإذا هى هو » على إضمار اللسعة واللسع ، والتقدير : فإذا لسعة الزنبور لسع العقرب ، وهذا كله لايجوز فيه إلا الرفع عند البصريين ؛ لأن الآخر هو الأول ، والخبر معرفة متعلق بالمفاجأة فلا يجوز فيه الحال ، والكوفيون يجيزون النصب كما تقدم ، وهو غلط بين ، وخطأ فاحش ، لاتقوله العرب ، ولا تعلق له بقياس ، فاعلمه .

ويجوز فى المسألة « فإذا هو هو » على تقدير : فإذا اللسع اللسع ، ويجوز « فإذا هى هى » على تقدير : فإذا اللسعة اللسعة ، وفى هذا كفاية إن شاء الله تعالى .

نسب سيبويه وتفسير لقبه

وأما نسب سيبويه ففارسى مولى لبنى الحارث بن كعب بن علة بن خلدة بن مالك ، وهو مَذْحج ، واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر ، وكنيته أبو بشر ، ولقبه الذى شهر به سيبويه ، ومعناها بالفارسية رائحة التفاح ، وكان من أطيب الناس رائحة ، وأجملهم وجهاً ، وقيل : معنى « سى » ثلاثون ، ومعنى « بويه » رائحة ، فكأن معناها : الذى ضوعف طيب رائحته ثلاثين مرّة .

---

(١) فى ا « ويجوز فى المسألة إذا قلت : فإذا هو ، لأبي أن يكون الضمير للزنبور والعقرب ، على حد قولك : الزنبور العقرب ، أى مثلها ، ويجوز : فإذا هى هو ، على التقديم والتأخير ـ إلخ » والكلام الزائد عما فى ب لااستقامة له

وأما سبب تعويله على الخليل فى طلب النحو ـ مع ما كان عليه من الميل إلى التفسير والحديث ـ فإنه سأل يوماً حماد بن سلمة فقال له : أحَدَّثَكَ هشام بن عروة عن أبيه فى رجل رَعُفَ فى الصلاة ، بضم العين ، فقال له حماد : أخطأت ، إنما هو رَعَفَ بفتح العين ، فانصرف إلى الخليل ، فشكا إليه مالقيه من حماد ، فقال له الخليل : صدق حماد ، ومثل حماد يقول هذا ، ورعف بضم العين لغة ضعيفة ، وقيل : إنه قَدِمَ البصرة من البَيْدَاء من قرى شيراز من عمل فارس ، وكان مولده ومنشؤه بها ، ليكتب الحديث ويرويه ، فلزم حلقة حماد بن سَلَمَة ، فبينما هو يستملى على حماد قولَ النبى صلى الله عليه وسلم « ليس مِنْ أصحابى إلا من لو شئتُ لأخذت(١) عليه ، ليس أبا الدرداء » فقال سيبويه « ليس أبو الدرداء » بالرفع ، وظنه(٢) اسم ليس ، فقال [له] حماد لحنت ياسيبويه(٣) ، فقال سيبويه : سأطلب علما لاتلحننى فيه ، فلزم الخليل ، و برع فى العلم .

وأما سبب وفوده على الرشيد ببغداد وتعرضه لمناظرة الكسائى والفراء ، فلما كانا عليه من تمكن الحال ، والقرب من السلطان ، وعلوّ همته ، وطلبه للظهور مع ثقته بعلمه ؛ لأنه كان أعلم أهل زمانه ، وكان بينه و بين البرامكة أقوى سبب ، فوفد على يحيى بن خالدبن بَرْمَك وابنيه جعفر والفضل ، فعرض عليهم ماذهب إليه من مناظرة الكسائى [وأصحابه] فسعَوْا له فى ذلك ، وأوصلوه إلى الرشيد ، فجرى بينه و بين الكسائى والفراء ماذكر واشتهر ، وكان آخر أمره أن الكسائى وأصحابه لما ظهروا عليه بشهادة الأعراب على حسب مالُقِّنُوا أنْ قال يحيى بن خالد أو الكسائى للرشيد : ياأمير المؤمنين ، إن رأيت أن لايرجع خائبا فعلت ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وانصرف إلى الأهواز ، ولم يُعَرِّج على البصرة ، وأقام هنالك

(١) فى ا « لأقدت عليه » وأحسبه محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب
(٢) فى ا « وخمنه » من التخمين ، وهو الظن
(٣) فى ا هنا زيادة « ليس هذا حيث ذهبت ، إنما ليس ههنا استثناء »

مدّة(١) إلى أن مات كمداً ، ويروى أنه ذَرِبَتْ(٢) معدته فمات ، فيرون أنه مات غما ، ويُرْوَى أن الكسائى لما بلغه موتُه قال للرشيد : دِهْ(٣) ياأمير المؤمنين فإنى أخاف أن أكون شاركتُ فى دمه ، ولما احتضر وضع رأسه فى حجر أخيه فقطرت دمعة من دموعه على خده ، فرفع عينيه وقال :

أُخَيَّيْنِ كنا فرّقَ الدهرُ بيننا إلى الأمد الأقصى ، ومن يأمن الدهرا ؟

ومات على السنة والجماعة ، رحمه الله تعالى !

وأما كتابه الجارى بين الناس فلم يصح أنه أنشأه بعد كتاب آخر قبله ، على أن ذلك قد ذُكر

فهذا ما حضر فيما سألت عنه فمن قرأه وأشرف فيه على تقصير فليبسط العذر فإنه لساعتين من نهار ، إملاء يوم الثلاثاء عشى النهار لثمان خلون لصفر سنة ٤٧٦ انتهى .

للالبيرى

وقال الإلبيرى ، رحمه الله تعالى :

لاشىء أخسر صَفْقَةً من عالم لعبت به الدنيا مع الجهال

فغدا يفرق دينه أيدى سَبا ويذيله حرصا بجمع المال

لاخير فى كسب الحرام ، وقلما يُرْجَى الخلاصُ لكاسبٍ لحلال

فخذ الكفاف ولاتكن ذافضلة فالفضل تسألُ عنه أى سؤال

لابن صارة يمدح ابن الأعلم

وكان أبو الفضل بن الأعلم من أحسن الناس وجهاً ، وأذكاهم(٤) فى علم النحو والأدب ، وأقرأ النحو فى صباه ، وفيه يقول ابن صارة الأندلسى رحمه الله تعالى :

أكرم بجعفرٍ اللبيب فإنه مازال يوضح مشكل الإيضاح

ماء الجمال بوجهه مترقرق فالعين منه تجولُ فى ضحْضاح

ماخده جرَحْته عينى ، إنما صبغت غلالتَهُ دماءُ جراحى

لله زاى زبرجد فى عسجد فى جوهر فى كوثر فى راح

(١) فى ا « وأقام هناك مديدة »

(٢) ذربت معدته : فسدت ، وقد يطلق على معنى صلحت ، وليس بمراد هنا

(٣) ده : أمر من « وداه يديه » مثل وقاه يقيه ــ إذا غرم ديته

(٤) « وأذكرهم فى علم النحو »

ذى طرة سَبَجية ذى غرة عاجية ، كالليل والإصباح
رشأ له خدّ البرىء ، ولحظه أبداً شريك الموت فى الأرواح

لابن هانئ

وقال محمد بن هانئ الأندلسى من قصيدة :

السافرات كأنهن كواكب والناعمات كأنهن غصون
ماذا على حُلَل الشقيق لوَانُها عن لابسيها فى الخدود تبين
لأعطشنّ الروض بعدهم ولا يرويه لى دمع عليه هَتُونُ
أأعير لحظ العين بهجة منظر وأخونهم ؟ إنى إذن لخؤن
لاالجوّجوّ مشرق وإن اكتسى زهواً ، ولا الماء المعين معين(١)
لا يبعدنَّ إذ العبير له ثرى والبان روح ، والشموس قطين(٢)
الظل لا متنقّل، والحوض لا متكدر ، والأمن لا ممنون(٣)

للقسطلى يصف أسطول ابن أبي عامر

وقال القَسْطَلِّى فى أسطول أنشأه المنصور بن أبى عامر من قصيدة :

تحمل منه البحر بحراً من الْقنَا يروع بهـا أمواجه ويهول
بكل ممالات الشراع كأنها وقد حملت أسد الحقائق غيل(٤)
إذا سابقت شأو الرياح تخيلت خيولا مدى فرسانهن خُيولُ
سحائب تُزْجيها الرياح فإن وفت أطافت بأجياد النعام فيول(٥)
ظبـاء شمام مالهن مَفَاحص وورق حمام مالهن هديل(٦)
سوا كن فى أوطانهنَّ كأنْ سَمَا بها الموجُ حيث الراسيات نزول
كما رفع الآل الهوادج بالضحى غداة استقلَّتْ بالخليط حُمُولُ
أراقم تحوى ناقع السم مالهـا بما حملت دون العـداة مقيل(٧)

وقد أطنب الناس فى وصف السفن وأطابوا ، وقَرْطَسُوا القريضَ وأصابوا ،

(١) فى ا « وإن اكتسى * زهرا » (٢) فى ا « والبان دوح »
(٣) لاممنون : أي غير مقطوع (٤) فى ا « بكل معالاة الشراع »
(٥) فى ا « أنافت بأجيادالنعام » (٦) فى ا « ظباء سمام » وفيها « وزرق حمام »
(٧) فى ا « تفرى ناقع السم » وفيها « دون الغداة »

وقد ذكرنا نبذة من ذلك فى هذا الكتاب .

وقال أبو بحر صَفْوان بن إدريس التُّجِيبى : حدثنى بعض الطلبة بمراكش أن أبا العباس الجراوى كان فى حانوت وَرَّاق بتونس ، وهناك فتى يميل إليه ، فتناول الفتى سَوْسَنة صفراء ، وأومأ بها إلى خديه مشيراً ، وقال : أين الشعراء ؟ تحريكا للجراوى ، فقال ارتجالا :

لأبى العباس الجراوى

وعُلْوِىِّ الجمال إذا تبدَّى ... أراك جبينه بدراً أنارا

أشار بسَوْسَن يحكيه عَرْفاً ... ويحكى لونَ عاشقه اصفرارا

قال أبو بحر : ثم سألنى أن أقول فى هذا المعنى ، فقلت بديها :

لأبى بحر صفوان بن إدريس

أومىٰ إلى خده بسَوْسَنة ... صفراء صيغت من وجنتى عبده

لم تر عينى من قبله غُصُناً ... سوسنُهُ نابتٌ إزاوَرْدِهْ[1]

أعملتُ زَجْرى فقلت رُبَّما ... قرب خد المشوق من خده

فحدثنى المذكور أنه اجتمع مع أبى بكر بن يحيى بن مجير[2] ـ رحمه الله تعالى ! ـ قبل اجتماعه بى فى ذلك الموضع الذى اجتمع فيه بى بعينه ، فحدثه بالحكاية كما حدثنى ، وسأله أن يقول فى تلك الحال ، فقال بديها :

لأبى بكر ابن مجير

بى رشأ وَسْنَانُ مهما انثنى ... حار قضيب البان فى قده

مُذْوَلِىَ الحسن وسلطانه ... صارت قلوب الناس من جنده

أودع فى وجنته زهرة ... كأنها تجزع من صده

وقد تفاءلْتُ على فعله ... أنى أرى خدى على خده

فتعجبت من توارد خاطرينا على معنى هذا البيت الأخير .

قال أبو بحر : ثم قلت فى تلك الحال :

---

(١) فى ا « سوسنة باتت إزاء ورده » ولا يتم عليه الوزن ، وأصل الذى أثبتناه « إزاء ورده » فقصره لإقامة الوزن (٢) فى ا « بن مجبر »

أبرز من وجنته وردةً ... أودعها سوسنة صفرا

وإنما صورته آية ... ضمنها من سوسن عشرا

وقال بعضهم فى الباذنجان :

لبعضهم فى الباذنجان

ومستحسن عند الطعام مُدَحْرَج ... غذاه نميرُ الماء فى كل بستان

تطلَّعَ فى أقماعه فكأنه ... قلوب نعاج فى مخاليب عقبان (١)

وقال ابن خروف ، ويقال : إنها فى وصف دمشق :

لابن خروف فى وصف دمشق

إذا رحلت عروبة عن حماها ... تأوّه كل أوّاه حليم

إلى سَبْتٍ حكى فرعون موسى ... يجمع كل سحار عليم

فتبصر كل أمْلُودٍ قويم ... يميس بكل ثعبان عظيم

إذا انسابَتْ أراقمها عليها ... تذكرنا بها ليلَ السليم (٢)

وشاهدنا بها فى كل حين ... حبالا ألقيت نحو الكليم (٣)

وقال أبو القاسم بن هشام ارتجالا فى وسيم عض وردة ثم رمى بها ، وسئل ذلك منه امتحانا :

لأبى القاسم ابن هشام

ومعجز الأوصاف والوصاف فى ... بُرْدَىْ جمال طرزا بالتيه

سوسان أنمله تناوَلَ وردةً ... فغدا يمزقها أقاحى فيه

فكأننى شبهت وجنته بها ... فرمى بها غضباً على التشبيه

وقال أيضاً فيمن عض كابٌ وَجْنَتَه :

وأغيد وضاح المحاسن باسم ... إذا قام الأسياف ناظره قَمَرْ

تعمد كلبٌ عضَّ وجنته التى ... هى الورد إيناعا وأبقى بها أثر

---

(١) كذا فى ب ، بزيادة ياء ناشئة عن إشباع كسرة اللام فى « مخالب » ووقع فى « مخالب عقبان » على القياس

(٢) السليم : الذى لدغته الأفعي ، سموه بذلك تفاؤلا له بالسلامة

(٣) يشير إلى قوله تعالى فى قصة موسى (فألقوا حبالهم وعصيهم) ووقع فى ا « خيالا ألقيت » وهو تحريف ، والكليم : موسى عليه السلام

فقلت لشهب الأفق كيف صماتكم ... وقد أثر العوّاء فى صفحة القمر

لآخر يصف شجة فى خد وسيم

وقال آخر يصف شَجَّة فى خد وسيم :

عذيرى من ذى صفحة يُوسُفية ... بها شَجَّة جلت عن اللثم واللمس

يقولون من عُجْبٍ أتحسن وصفها ... فقلت هلال لاح فى شَفَق الشمس

لأبى الوليد الوقشى

وقال القاضى أبو الوليد الوقشى فيمن طَرَّ شاربُه :

قد بينت فيه الطبيعة أنها ... لبديع أفعال المهندس باهره

عُنِيَتْ بمبسمه فخطت فوقه ... بالمسك خطا من محيط الدائره

لأبى الحسن ابن عيسى

وقال أبو الحسن بن عيسى :

عابوه أسْمرَ ناحلا ذا زرقة ... رمدا وظنوا أن ذاك يَشِينهُ

جهلوا بأن السمهرىَّ شبيهُهُ ... وخضابه بدم القلوب يزينه

لأبى ذر الخشنى

وقال الأستاذ أبو ذر الخشنى :

أنكر صحبى إذ رَأَوْا طرفه ... ذا حمرة يشفى بها المغرم

لا تنكروا ما احمرّ من طرفه ... فالسيف لا ينكر فيه الدم

لمحمد بن أبى خالص الرندى

وقال أبو عبد الله محمد بن أبى خالص الرندى :

يا شادنا برز العذارُ بخده ... وازداد حسناً ليته لم يبرز

الآن أعلم حين جد بى الهوى ... كم بين مختصر و بين مطرز

لعبد الملك بن مفوز

وقال أبو الحسين عبد الملك بن مفوز المَعافرى :

ومعذر من خده ورقيبه ... شغلان حَلَّا عقد كل عزيمة

خدوخبٌّ عيل صبرى منهما ... هذا بنمنمة وذا بنميمة

لابن زيدون

وقال أبو الوليد بن زيدون فيمن أصابه جُدَرِى :

قال لى اعتلّ من هَوِيتَ حسودٌ ... قلت أنت العليل ويحك لا هو

ما الذى قد أنكرت من بَثَرَات ضاعفت حسنهُ وزانت حُـلاهُ(١)
جسمه فى الصفاء والرقة الما ء فلا غرو أن حباب علاه

وقال الهيثم : للهيثم فيمن أصابه جرب

قالوا به جَرَبٌ فقلت لهم قِفُوا تلك الندوب مواقع الأبصار
هو روضة والقدُّ غصن ناعم أرأيتم غصنا بلا نوار

وقال أبو بكر محمد بن عياض القرطبى فى مخضوبة الأنامل : لأبى بكر محمد ابن عياض القرطبى

وعُلقتها فتانة أعطافها تزرى بغصن البانة المياد
من للغزالة والغزال بحسنها فى الخد أو فى العين أو فى الهادى
خضبت أناملها السواد وقلما أبصرت أقلاما بغير مداد

وقال أبو الحسين النفزى(٢) : لأبى الحسين النفزى

بدا يوسفا وشَدَا معبداً فللعين ما تشتهى والأذن
كأن بأعلاه قُمْرِية تغرد من قده فى غُصْنْ

وقال ابنُ صارة : لابن صارة

مقام حُرٍّ بأرض هون عجز لعَمْرى من المقيم
سافر فإن لم تجد كريما فمن لئيم إلى لئيم

وقال المعتمد بن عباد رحمه الله تعالى : للمعتمد بن عباد

مولاى أشكو إليك دَاءً أصبح قلبى به قريحا
سخطك قد زادنى سقاما فابعث إلىَّ الرضا مسيحا(٣)

قال بعضهم : وقوله « مسيحا » من القوافى التى يتحدى بها .

وكتب إلى أبيه جواباً عن تحفة :

---

(١) فى ا « ماالذى أنكرته من بثرات » ولا يستقيم عليه الوزن
(٢) كذا فى ا ونسخة عند ب ، وفى أصل ب « النقرى » تحريف
(٣) أراد بالمسيح طبيبا يمسح بيده على العلة فتبرأ

يا مالكا قد أصبحت كفه ساخرة بالعارض الهاطل

قد أفحمتني مِنَّـة مثلها يُضَيِّقُ القولَ على القائل

وإن أكن قصرت فى وصفها فحُسنُها عن وصفها شاغلى

وكتب إلى وزيره ابن عمار :

لما نأيْتَ نأى الكرى عن ناظرى وردته لما انصرفت عليه(١)

طلب البشير بشارة يُجْزَى بها فوهبت قلبى واعتذرت إليه(٢)

وقال فى جارية له كان يحبها ، وبينما هى تسقيه إذ لمع البرق فارتاعت :

يَرُوعُهَا البرق وفى كفها برق من القهوة لماع

ياليت شعرى وَهْيَ شمس الضحى كيف من الأنوار ترتاع

ومن تَوَارُد الخواطر أن ابن عَبَّاد أنشد عبدَ الجليل بن وهبون البيت الأول ، وأمره أن يذيله ، فقال :

ولن ترى أعجب من آنس من مثل ما يمسك يرتاع

وقال المعتمد رحمه الله تعالى :

داوى ثَلاَثته بلطف ثلاثة فثنى بذاك رقيبه لم يشعر

أسراره بتستر ، وأُواره بتصبر ، وخباله بتوقر

وكانت له جارية اسمها « جوهرة » وكان يحبها ، فجرى بينهما عتاب ، ورأى أن يكتب إليها يسترضيها ، فأجابته برقعة لم تعنونها باسمها ، فقال :

لم تصف لى بعد وإلا فلم لم أر فى عنوانها جوهره

دَرَتْ بأنى عاشق لاسمها فلم ترد للغيظ أن تذكره(٣)

قالت إذا أبصره ثابتاً قَبَّله ، والله لا أبْصَرَهْ

---

(١) في ا « وودته لما انصرفت عليه » محرفا

(٢) فى ا « يجرى بها » (٣) فى ا « أنى عاشق باسمها »

وقال فى هذه الجارية :

سرورنا بعــد كم ناقص والعيشُ لاصافٍ ولاخالص

والسعــد إن طالَعنا نجمُه وغِبْتِ فهو الآفل الناكص (١)

سَمَّوْكِ بالجــوهر مظلومة مثلك لايدركه غائص

وقال فيها أيضاً :

جوهــرة عذبنى منك تمادى الغضب

فزفرتى فى صَعَــدٍ وعــبرتى فى صَبَبِ

ياكوكب الحسن الذى أزْرى بزهر الشهب

مسكنك القلب فلا ترضَىْ له بالوَصَبِ

وقال فى جارية اسمها وِداد :

أُشربِ الكأس فى وِدادِ ودادكْ وتأنس بذكرها فى انفــرادك (٢)

قمر غاب عن جفونك مرآ ه وسكناه فى سواد فؤادك

وقال :

لك الله كم أودعْتَ قلبى من أسى وكم لك ما بين الجوانح من كَلْمْ

لحاظُكَ طولَ الدهر حرب لمهجتى ألا رحمة تثنيك يوما إلى سِلْمِ

وقال :

قلت متى ترحمــنى قال ولا طول الأبد

قلت فقــد أيأستنى من الحياة قال قد

لابن زيدون مع هــدية أرسلهـا للمعتضد

وأهدى أبو الوليد بن زيدون باكورة تفاحٍ إلى المعتضد والد المعتمد، وكتب له معها :

يا من تزينت الريا سةُ حين أُلبس ثوبهَا

جاءتك جامدةُ المدا م فخذ عليها ذوْبهَا

---

(١) فى ا « وغيث فهو الآفل الناكص » تحريف

(٢) فى ب « اشرب الكأس من وداد ودادك »

للمعتمد يصف مجنا

وقال المعتمد وقد أمره أبوه المعتضد أن يصف مجنًّا فيه كواكب فضة :

مجنٌّ حكى صانعوه السما   لتقصر عنه طوال الرماح

وقد صوّروا فيه شِبْهَ الثريا   كواكب تقضى له بالنجاح

من تطير الرشيد بن المعتمد

وقال ابن اللَّبَّانة : كنت بين يدى الرشيد بن المعتمد فى مجلس أنسه ، فورد الخبر بأخذ يوسف بن تاشفين غرناطة سنة ٤٨٣[١] ، فتفجع وتلهف ، واسترجع وتأسَّف ، وذكر قصر غَرْناطة ، فدعونا لقصره بالدوام ، ولملكه بتَرَاخى الأيام ، وأمر عند ذلك أبا بكر الإشبيلى بالغناء ، فغنى :

يادار مَيَّةَ بالْعَلْيَاء فالسـند   أقْوَت وطال عليها سالفُ الأمد[٢]

فاستحالت مَسَرَّته ، وتجهمت أسِرِّته ، وأمر بالغناء من ستارته ، فغنى :

إن شئت أن لاترى صبراً لمصْطَبر   فانظر على أى حال أصبح الطَّلَلُ

فتأكد تطيره ، واشتد ارْبِدَادُ وجهه وتغيره ، وأمر مغنية أخرى [من سراريه] بالغناء ، فغنت :

يالهْفَ نفسى على مالٍ أفرقه   على المقلين من أهل المروآت

إن اعتذارى إلى مَنْ جاء يسألنى   ما لست أملك من إحدى المصيبات

قال : فتلافيتُ الحال بأن قلت :

محلٌّ مكرمة لا هُـدَّ مبناه   وَشَمْلُ مأثرةٍ لا شَـتَّتَ الله[٣]

البيت كالبيت لـكن زاد ذا شرفا   أن الرشـيد مع المعتدِّ ركناه

ثاوٍ على أنجم الجـوزاء مقعده   وراحل فى سبيل السعد مَسْرَاه

حتم على الملك أن يقوى وقد وصلت   بالشرق والغـرب يمناه ويسراه

---

(١) كذا في ا ونسخة عند ب ، وفى أصل ب « ٤٩٣ »

(٢) في ا « سالف الأبد » والبيت مطلع للنابغة الذبيانى

(٣) فى ا « لاشته الله »

بأس توقد فاحمرت لواحظه ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلعمرى لقد بسطت من نفسه ، وأعادت عليه بعض أنسه ، على أنى وقعت فيما وقع فيه الكل لقولى « البيت كالبيت » وأمر إثر ذلك أبا بكر بالغناء ، فغنى :

ولما قضينا من مِنًى كل حاجة ولم يَبْقَ إلا أن تُزَمَّ الركائب

فأيقنا أن هذا التطير ، يعقبه التغير

وقد كان المعتضد بن عباد — حين تصرمت أيامه ، وتدانى حمامه — استحضر مغنيا يغنيه ليجعل مايبدأ به فألا ، وكان المغنى السوسى ، فأول شعر قاله :

نَطْوى المنازلَ علما أن سَتَطْوينا فشَعْشِعِيهَا بماء المُزْن واسقينا

فمات بعد خمسة أيام ، وكان الغناء من هذا الشعر فى خمسة أبيات

للمعتمد بعد خلعه وسجنه

وقال المعتمد بعدما خلع وسجن :

قبح الدهر فماذا صنعا كلما أعطى نفيساً نزعا

قد هوى ظلما بمن عاداته أن ينادى كل من يهوى لعا

من إذاقيل الخناصمّ ، وإن نطق العافون همساً سمعا

قل لمن يطمع فى نائله قد أزال اليأسُ ذاك الطمعا

راح لا يملكُ إلا دعوة جَبَرَ الله العفاة الضيعا

بين المعتمد وابن اللبانة

وقال ابن اللبانة : كنت مع المعتمد بأغمات ، فلما قاربت الصَّدَر ، وأزمعت السفر ، صرف حِيَلَه(١) ، واستنفد ماقبله ، و بعث إلى مع شرف الدولة ولده — وهذا من بنيه أحسنُ الناس سَمْتاً ، وأكثرهم صَمْتاً ، تخجله اللفظة ، وتجرحه اللحظة ، حريص على طاب الأدب ، مسارع فى اقتناء الكتب ، مثابر على نسخ الدواوين ، مفتح فيها من خطه زهر الرياحين — بعشرين مثقالا مرابطية وثوبين ، غير مخيطين ، وكتب معها أبياتا منها :

(١) فى ب « صرف حبله » وليس بشىء

إليك النَّزْرَ من كف الأسير وإن تقنع تكن عَيْنَ الشكور
تقبل ما يذوب له حياء وإن عذرته حالات الفقير

فامتنعت من ذلك عليه ، وأجبته بأبيات منها :

تركت هواك وهو شقيق ديني لئن شقت بُرودى عن غَدُور(١)
ولا كنت الطليقَ من الرزايا إذا أصبحت أجحف بالأسير
جُذَيْمة أنت والزباء خانت وما أنا من يقصر عن قَصِير
تصرف فى الندى حيل المعالى فتسمح من قليل بالكثير(٢)
وأعجب منك أنك فى ظلام وترفع للعُفَاة مَنَارَ نور
رويدك سوف توسعنى سروراً إذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلُّنِى رتب المعالى غداة تحل فى تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء بها وأزيد ثَمَّ على جَرِيرِ
تأهب أن تعود إلى طلوع فليس الخسْف ملتزم البدور

وأتبعتها أبياتا منها :

حَاشَ لله أن أجيح كريما يتشكَّى فقراً وقد سَدَّ فقرا
وكفانى كلامك الرطب نيلا كيف ألغى دراً وأطلب تبراً
لم تَمُتْ إنما المكارم ماتت لاسقى الله بعدك الأرض قَطْرَا

لابن اللبانة فى أحد أبناء المعتمد بعد زوال ملكه

ورأى ابن اللبانة أحد أبناء المعتمد ، وهو غلام وَسِيم ، وقد اتخذ الصياغة صناعة ، وكان يلقب أيام سلطانهم من الألقاب السلطانية بفخر الدولة فنظر إليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ ، وقد جلس فى السوق يتعلم الصياغة ، فقال :

شكاتنا لك يا فخر العلا عَظُمَتْ والرزء يعظم ممن قدره عظما

---

(١) فى ب « شقت برودى عن عذورى » وليس بشىء
(٢) فى ب « حبل المعالى » محرفا

طُوِّقْتَ من نائبات الدهر مخنقة ضاقت عليكَ وكم طَوَّقْتنا نعما
وعاد طَوْقُكَ فى دكان قارعة من بعدما كنت فى قصر حكى إرَمَا
صرفت فى آلة الصوّاغ أنملة لم تدْرِ إلا الندى والسيف والقلما
يَدٌ عهدتك للتقبيل تبسطها فتستقلُّ الثريا أن تكون فما
يا صائغا كانت العليا تُصَاغ له حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ فى الصور هَوْلٌ ما حكاه سوى هول رأيتك فيه تنفخ الفحَمَا
وددت إذ نظرت عينى إليك به لو أن عينىَ تشكو قبل ذاك عَمى
ما حَطَّكَ الدهر لما حط عن شرف ولا تَحَيَّفَ من أخلاقك الكرما
لُحْ فى العلا كوكبا إن لم تلح قمرا وقم بها ربوة إن لم تقم عَلَمَا
واصبر فربتما أحمدت عاقبة من يلزم الصبر يحمد غب ما لزما
والله لو أنصفتك الشهب لانكسفت ولو وَفَى لك دمعُ الغيْثِ لانسجما[1]
أبكى حديثك حتى الدرحين غدا يحكيك رهطا وألفاظا ومبتسما

وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى : وقفتُ على قبر المعتمد بن عباد بمدينة أغمات فى حركة راحة أعملتها إلى الجهات المراكشية ، باعثُها لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار سنة ٧٦١ ، وهو بمقبرة أغمات فى نَشَزٍ[2] من الأرض ، وقد حفت به سِدْرَة ، و إلى جانبه قبر اعتماد حَظِيته مولاة رُمَيْك ، وعليهما هيئة التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك ، فلا تملك العين دمعها عند رؤيتها ، فأنشدت فى الحال :

للسان الدين وقدوقف على قبر المعتمد بأغمات

قد زرتُ قبرك عن طَوْع بأغمات رأيتُ ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يداً ويا سراجَ الليالى المدلهمّاتِ

---

(١) فى ب « دمع العين » وما أثبتناه موافقا لما فى ا أتم ملاءمة لصدر البيت
(٢) النشز : العالى المرتفع

وأنت من لو تخطَّى الدهر مصرعه إلى حياتى لجادت فيه أبياتى

أناف قبرك فى هضب يميزه فتنتحيه حفيَّاتُ التحيات

كرمْتَ حياً وميْتاً واشتهرت علا فأنت سلطان أحياء وأموات

ما رِئ مثلُك فى ماضٍ، ومعتقدى أن لا يرى الدَّهْرَ فى حال وفى آتى (١)

وقد زرت أنا قبر المعتمد بن عباد بمدينة أغمات سنة ١٠١٠ ، ورأيت فيه مثل ما ذكره لسان الدين رحمه الله تعالى ، فسبحان من لا يَبِيدُ ملكه! لا إله إلا هو .

وأخبار المعتمد كثيرة

لابن زيدون يمدح المعتمد

وقال وزيره أبو الوليد بن زيدون :

متى أخفِ الغرامَ يَصِفْهُ جسمى بألسنة الضنى الخرس الفصاح

فلو أن الثياب نزعن عنى خفيت خفاء خصرك فى الوشاح

وقال يخاطب المعتمد :

وطاعةُ أمرك فرضٌ أرا ه من كل مُفْتَرَضٍ أوْكَدَا

هى الشرع أصبح دين الضمير فلو قد عصاك لقد ألْحَدَا

وقال فيه :

يا نَدَى يمنى أبى القاسم عمّ يا سنا بشر المحيَّا أشمس (٢)

وارتشف معسول ثغر أشنب لحبيب من عجاج ألعسِ

وقال :

مهما امتدحْتُ سواك قبل فإنما مَدْحى إلى مَدْحِى لك استطراد

تغشى الميادينَ الفوارسُ حقبةً كيما يعلمها النزال طراد

وقال :

---

(١) رىء : رئى ، مجهول رأى ، أخرت عينه إلى مكان اللام ، وفى ا « فى حال ولاآت »

(٢) فى ب « ياندى يمنى أبى القاسم غم » وكأنه حسبه أمرا من « غام الجو » إذا تلفع بالغمام

يحيينى بريحان التجنى ويصحبنى مُعتَّقة السماح

فهاأنا قد ثملت من الأيادى إذا اتصل اغتباقى باصطباحى

وكتب إلى أبى عامر يستدعيه :

أبا المعالى نحن فى روضة فانْقُلْ إلينا القَدَمَ العاليه

أنت الذى لو نشترى ساعةً منه بدهر لم تكن غاليه

وتذكرت هنا قولَ بعض المشارقة فيما أظنّ :

لله أيام مضت مأنوسة ما كان أحْسَنَها وأنْضَرَهامعاً

لو ساعة منها تُباع شَرَيْتُها ولَوَ اُنها بيعت بعمرى أجْمَعَا

رجع ـ وقال أبو القاسم أسعد من قصيدة فى المعتصم بن صُمَادح :

لأبى القاسم أسعد يمدح المعتصم

وقد ذاب كحل الليل فى دمع فجره إلى أن تبَدَّى الليلُ كاللمة الشمطا

كأن الدجا جيش من الزنج نافذ وقد أرسل الإصباح فى أثره القبطا

ومنها :

إذا سار سار الجُودُ تحت لوائه فليس يحط المجد إلا إذا حطا(١)

لابن خلصة المكفوف

وقال ابن خلصة المكفوف(٢) النحوى من قصيدة :

ملك تملك حرّ المجد ، لايده نالت بظلم ولامالت إلى البْخَلِ(٣)

مهذب الجدماضى الحد مضطلع لما تُحمِّله العلياء من ثقل

أغر لاوعده يخشى له أبدا خُلْفٌ ولارأيه يؤتى من الزلل

قد جاوزت نطق الجوزاء همته به ، ومازحلت عن مرتقى زُحَلِ

يأبى له أن يحلَّ الذمُّ ساحته ماصد من جلل أو سد من خلل

ومنها :

---

(١) هذا البيت من قول أبى نواس يمدح الخصيب

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير

(٢) فى ب « ابن خلعة المكفوف » (٣) فى ا « تملك حر الحمد »

إن لم تكن بكم حالى مُبَــدَّلَةً فما انتفاعى بعـلم الحال والبدل

لابن الحداد في المعتصم ابن صمادح

وقال ابن الحداد يمدح المعتصم بن صُمَادح :

عُجْ بالحمى حيث الغياض العِينُ فعسى تعنُّ لنــا المهاة العين(١)

واستقبلَنْ أرجَ النسيم فدارهم ندِّية الأرجاء لا دَارِينُ(٢)

أفق إذا ما رمت لحظ شموسه صدتك للنقـــع المثار دُجُونُ

أنَّى أراعُ لهم و بين جـوانحى شوقٌ يهوِّن ُ خطبهم فيهون

أنى يصاب ضِرابهم وطِعانهم صَبٌّ بألحاظ العيون طعين

فكأنما بيضُ الصفاح جداول وكأنما سمر الرماح غصــون

ذرنى أسر بين الأسنةِ والظبا فالقلب فى تلك القباب رهين(٣)

يا ربة القرط المعـــير خفوقَهُ قلبى ، أما لحراكه تسكين ؟

توريد خـــدك للصبابة مورد وفتور طرفك للنفوس فُتُونُ

فإذا رمقت فوحى حبك منزل و إذا نطقت فإنه تلقين

ومنها فى وصف قصر :

رأس بظهر النون إلا أنه سامٍ ، فقُبّته بحيث النون

هو جنة الدنيا تبوَّأ نُزْلَهَا ملك تملكه التُّقَى والدين(٤)

فكأنما الرحمن عجَّلَهَا له ليرى بما قد كان ماسيكون

وكأنَّ بانيَــه سِنِمَّارٌ فما يعدوه تحسين ولا تحصين(٥)

وجزاؤه فيه نقيضُ جزائه شتان ما الإحياء والتحيين

ومنها فى المديح :

لا تلقح الأحكام حَيْفاً عنده فكأنما الأفعال والتنوين

---

(١) فى ا « فعسى تعن لنا مهاه العين » وهى أدق وأحسن

(٢) دارين : موضع ينسب إليه المسك (٣) فى ب « بين الأسرة والظبا »

(٤) فى ا « بتواتر لها ملك يملكه التقى والدين » محرفا

(٥) فى ا « بانيه غوفيه » محرفا ، وسنمار : رجل بنى لبعض الملوك بيتا أعجبه ، فجازاه بأن ألقاه من أعلاه فتردى ميتا مخافة أن يصنع مثل لغيره

ومنها :

وبدا هلال الأفق أحنى ناسخا   عهد الصيام كأنه العُرْجُونُ
فكأنَّ بَيْنَ الصوم خطط نحوه   خطا خفيا بَانَ منه النونُ

لابن وهبون

وقال عبد الجليل بن وَهْبون :

زعموا الغزال حكاه قات لهم نعم   فى صَدِّهِ عن عاشقيه وهجره (١)
وكذا يقولون المدَامُ كريقِهِ   يارب ماعلموا مذاقة ثغرِهِ

لابن أبى وهب

وقال أبو الحسن على بن أحمد بن أبى وهب الأندلسى :

قالوا تدانيت من وداعهمُ   ولم نَرَ الصبر عنك مغلوبا (٢)
فقلت للعلم أننى بغد   أسمع لفظ الوداع مقلوبا (٣)

وهذا كقول بعض شعراء اليتيمة :

إذا دهك الوداع فاصبر   ولا يروعَنَّكَ البعادُ
وانتظر العَوْدَ عن قريب   فإن قَلْبَ الوداع عادوا

لابن اللبانة

وقال ابن اللَّبَّانة :

إن تكن تبتغى القتال فدعنى   عنك فى حَوْمَة القتال أحامى (٤)
خذ جنانى عن جُنة ، ولسانى   عن سنان ، وخاطرى عن حسام

للقزاز يمدح ابن صمادح

وقال القزاز يمدح ابن صُمادح ، وخاط النسيب بالمديح :

نفى الحب عن مقلتى الكرى   كما قد نفى عن يدىَّ العدم
فقد قرَّ حبك فى خاطرى   كما قر فى راحتيك الكرم
وفر سلوك عن فكرتى   كما فر عن عرضه كل ذمّ
فحُبِّى ومفخره باقيا   ن لايذهبان بطول القدم

---

(١) فى ا «فى صده من عاشقيه وهجره»   (٢) فى ا « الصبر منك مغلوبا »
(٣) فى ا « أنى لغد * أسمع - إلخ » ومقلوب لفظ الوداع « عادوا »
(٤) فى ب «إن تكن تبتغى الوداع» وماأثبتناه موافقا لما فى ا هو المناسب لعجز البيت

فأبقى لى الحبَّ خالٌ وجد وأبقى له الفخر خال وعم

لأبى الحسن ابن الحاج

وقال أبو الحسن بن الحاج :

أذوب اشتياقاً يوم يحجب شخصه وإنى على رَيْبِ الزمان لقاسى

وأذْعَرُ منه هيبة وَهُوَ المُـنَى كما يذعر المخمور أول كاس

وقال :

من لى بطرف كأننى أبدا منه بغـير المدام مخمور

ماأصدق القائلين حين بدا عاشق هذا الجمال معذور

وقال :

أبا جـعفر ، مات فيك الجمال فأظهر خـدك لبس الحداد

وقد كان ينبت نَوْرَ الربيع فقـد صار ينبت شوكَ القَتَادِ

فهل كنت من عبد شمس فأخشى عليك ظهور شـعار السواد

وقال ، وما أحكمه :

ما عجبى من بائعٍ دِينَـهُ بلذة يبلغ فيها هواه

وإنما أعجب من خاسر يبيع أخراه بدنيا سواه

وقال من مُخَمسة يرثى فيها ابن صمادح ، و يندب الأندلس زمن الفتنة :

من لى بمجبول على ظلم البشر صحف فى أحكامه حاء الحَوَرْ[1]

مر بنا يسحب أذيال الخَفَرْ ما أحْسَدَ الظبىَ له إذا نفر

وأشـبه الغُصْنَ به إذا خَطَرْ

كافورة قد طرزت بمسك جوهرة لم تمتهن بسلك

---

(١) أراد بقوله « صحف فى أحكامه حاء الحور » أنه صيرها « الجور » فـكان جائرا فى حـكمه لاعدل عنده

نبذت فيها وَرَعِى ونُسْكِى بعد لجاجى فى التقى ومحكى

فاليوم قد صح رجوعى واشتهر

نهيت قدما ناظرى عن نظر علما بما يجنى ركوبُ الغررِ

وقلت عَرِّجْ عن سبيل الخطر فاليوم قد عاين صدق الخبر

إذ بات وقفاً بين دمع وسهر

سقى الحيا عهداً لنا بالطاق معترك الألباب والأحداق

وملتقى الأنفس والأشواق أيأس فيه الدهر عن تلاقى

وربما ساءك دهر ثم سَرّْ

أحْسِنْ به مُطَّلعاً ما أغربا قابل من دجلة مرأى معجبا

إن طلعت شمس وقد هبَّتْ صَبَا حسبته ينشر برداً مُذْهَبَا

بمنظر فيه جلاء للبصر

يارُبَّ أرض قد خلت قصورها وأصبحت آهلَةً قبورُهَا

يُشغل عن زائرها مَزُورُهَا لا يأمل العودة من يزورها

هيهات ذاك الورد ممنوع الصَّدَرْ

تنتحب الدنيا على ابن مَعْنِ كأنها ثَكْلَى أصيبت بابن[1]

أكرم مأمول ولا أستثنى أثنى بنُعْمَاهُ ولا أُثَنِّى

والروض لا ينكر معروف المطر

عهدى به والملك فى ذِماره والنصر فيما شاء من أنصاره

يطلع بَدْرُ التِّمِّ من أزراره وتكمن العفة فى إزاره[2]

ويحضر السودد أيان حضر

---

(١) الثكلى ــ بفتح فسكون ــ المرأة التى فقدت ابنها

(٢) فى ب « تكمن العفة فى ازوراره » وما أثبتناه موافقا لما فى ا أظرف وأدق ، وهى كناية عن ثبوت صفة العفة للممدوح

قل للنوى جدّ بنا انطلاق ما بعدت مصر ولا العراق
إذا حدا نحوهما اشتياق ومن دواء الملل الفراق
ومن نأى عن وطن نال وَطَرْ

سار بذى برد من الإصباح راكب نَشْوَى ذات قصد صاح
مسودة مبيضة الجناح تسبح بين الماء والرياح
يزورها عن طافح المرج زَوَرْ

يقتحم الهول بها اغترارا فى فتية تحسبها سُكارَى
قد افترشْنَ الْمَسَدَ الْمُغارَا حتى إذا شارفت المنارا
هب كما بَلَّ العليل المحتضر

يؤم عدل الملك الرضى الهاشمى الطاهر النقى
والمجتبى من ضئضئ النبى من ولد السفاح والمهدى[1]
فخر معد ونزار ومُضَرْ

حيث ترى العباس يستسقى به والشرف الأعظم فى نِصابه
والأمر موقوفا على أربابه والدين لا تختلط الدنيا به
وسيرة الصِّدِّيقِ تمضى وعُمَرْ

لابن خفاجة فى صفة قوس

وقال ابن خفاجة فى صفة قَوْس

عوجاء تعطف ثم ترسل تارة فكأنما هى حية تنساب[2]
وإذا انتحتْ والسهم منها خارج فهى الهلال انقضَّ منه شِهابُ

وقال :

---

(١) فى ا « صئصىء » بصادين مهملتين — تحريف ، والضئضىء — بكسر فسكون فكسر — الأصل ، والمعدن ، وقالوا « فلان من ضئضىء معد » يريدون أنه من أصلهم

(٢) فى ب « عرجاء تعطف — إلخ » تحريف

وعسى الليالى أن تمنّ بنظمنا عقدا كما كنا عليه وأكملا
فلربما نُثر الجُمانُ تعمدا ليعادأحسن فى النظام وأجملا

وهو من قول مهيار :

عسى الله يجعلها فُرْقَةً تعود بأكمل مستجمع

وقول المتنبى :

سألت الله يجعله رحيلا يعين على الإقامة فى ذَرَا كَا(١)

لابن خفاجة أيضا

وقال :

اقض على خلك أو ساعدِ عشت بجد فى العلا صاعد
فقد بكى جفنى دماً سائلا حتى لقد ساعده ساعدى

وقال :

وأسود يسبح فى بركة لاتكتم الحصباء غُدْرَانُهَا
كأنها فى صفوها مقلة زرقاء والأسود إنسانُهَا

وقال :

حَيَّابِهَا ونسيمُهَا كنسيمه فشربته من كفه فى وده
منساغة فكأنها من ريقه محمّرة فكأنها من خدّه

وقال :

لعمرىَ لو أوضعت فى منهج التقى لكان لنا فى كل صالحة نَهْجُ
فما يستقيم الأمر والملك جائر وهل يستقيم الظل والعود مُعْوَجُّ

وقال يرثى صديقا من أبيات :

تيقن أن الله أكرم جيرة فأزمع عن دار الحياة رَحِيلَا
فإن أقفرت منه العيون فإنه تعوّض منها بالقلوب بديلا

---

(١) ذرا كا ـ بفتح الذال ـ ناحيتك وجانبك، وجوارك

ولم أرَ أنساً قبله عاد وحشة ... وبرداً على الأكباد عاد غليلا
ومن تك أيام السرور قصيرةً ... به كان ليلُ الحزن فيه طويلا

وقال :

تفاوت نجلا أبى جعفر ... فمن متعال ومن مُنْسَفِلْ(١)
فهذا يمين بهـا أكله ... وهذا شمال بها يغتسل

لابن الرفاء

وقال ابن الرفاء :

ولما رأيت الغرب قد غص بالدجا ... وفى الشرق من ضوء الصباح دلائل
توهمت أن الغرب بحر أخوضه ... وأن الذى يبدو من الشرق ساحل

لأبى محمد بن عبد البر

وقال أبو محمد بن عبد البر الكاتب :

لا تكثرن تأملا ... وامسك عليك عِنانَ طَرْفِكْ
فلربمـا أرسلته ... فرماك فى ميدان حَتْفِكْ(٢)

لأبى القاسم السميسر

وقال أبو القاسم السميسر :

يا آكلا كُلَّ ما اشتهاه ... وشاتم الطب والطبيب
ثمار ما قد غرست تجنى ... فانتظر السقم عن قريب
يجتمع الداء كل يوم ... أغذية السوء كالذنوب

وكان كثير الهجاء ، وله كتاب سماه بـ « شفاء الأمراض ، فى أخذ الأعراض » والعياذ بالله تعالى

ومن قوله :

خنتم فهنتم وكم أهنتم ... زَمَانَ كنتم بلا عيون
فأنتمُ تحت كل تحت ... وأنتمُ دون كل دون
سكنتمُ يا رياحَ عادٍ ... وكل ريح إلى سكون

---

(١) فى ا « تفاوت نجلا أبا جعفر » وليس بمستقيم
(٢) الحتف ـ بالفتح ـ الموت ، والهلكة .

وقال :

يا مشفقاً من خُمُولِ قوم ليس لهم عندنا خَلَاقُ
ذَلوا ويا طالما أذلوا دعهم يذقوا الذى أذاقوا(١)

وقال :

وليتم فما أحسنتم مذ وليتم ولا صنتم عمن يصونكم عِرْضَا
وكنتم سماء لا يُنَالُ منالها فصرتم لدى مَنْ لا يسائلكم أرضا(٢)
ستسترجع الأيام ما أقرضتكم ألا أنها تسترجع الدَّيْنَ والقرضا

لابن شاطر السرقسطى

وقال ابن شاطر السَّرَقُسْطى :

قد كنت لا أدرى لأية علة صار البياض لباس كل مصاب
حتى كسانى الدهر سَحْقَ ملاءة بيضاء من شيبى لفقد شبابى
فبذا تبين لى إصابة مَنْ رأى لبسَ البياض على نَوَى الأحباب

للحصرى

وهذه عادة أهل الأندلس ، ولهذا قال الحُصْرى :

إذا كان البياض لباسَ حُزْنٍ بأندلس فذاك من الصواب
ألم تَرَنِى لبست بياض شيبى لأنى قد حزنت على الشباب

وما أحسن قوله رحمه الله تعالى :

لو كنتِ زائرتى لراعك منظرى ورأيتِ بى ما يصنع التفريق
والحال من دمعى وحَرِّ تنفسى بينى و بينك لُجَّة وحريق

لابن عبد الصمد يصف فرسا

وقال ابن عبد الصمد يصف فرساً :

على سابح فَرْدٍ يفوت بأربع له أربعاً منها الصَّبَا والشمائل
من الفتح خوان العنان كأنه مع البرق سارٍ أو مع السيل سائل(٣)

---

(١) فى ا « ذلوا وكم طالما أذلوا »
(٢) فى ا « فصرتم إلى من رام يسألكم أرضا » ولعلها أحسن مما أثبتناه عن ب
(٣) فى ا « خوار العنان »

لابن عبد الحميد البرجي

وقال ابن عبد الحميد البرجي :

أرح متن المهنـد والجواد فقد تعِبا بجدك فى الجهاد
قضيت بعزمةٍ حق العوالى فقضِّ براحة حق الهوادى

لعبادة

وقال عبادة :

إنمـا الفتح هـلال طالع لاح من أزراره فى فلك
خده شمس ، وليل شعره مَنْ رأى الشمس بدت فى حَلَكِ

لابن المطرف المنجم

وقال ابن المطرف المنجم :

يرى العواقب فى أثناء فكرته كأن أفكاره بالغيب كُهَّانُ
لا طرفة منـه إلا تحتها عمل كالدهر لا دورة إلا لها شان

لأبى الحسن ابن اليسع

وقال أبو الحسن بن اليسع :

راموا ملامى وكان إغرا وذم حـبى وكان إطرا[1]
لو عـلم العاذلون مابى لانقلبت فيـه لامهم را

وقال :

لمـا قدمت وعنـدى شطر من الشوق وَافِى
قدَّمت قلبى قبـلى فصُـنْهُ حتى أوافى

بين المستنصر وابن سيد الناس

ولمـا خاطب المستنصر ملك إفريقية ابن سيد الناس بقوله :

ما حالُ عينيك ياعينَ الزمان فقد أورثتنى حَزَناً من أجـل عينيكا
وليس لى حيلة غـير الدعاء فيا رب براوى الصحيحين حنانيكا

أجابه الحافظ أبو المطرف بن عميرة المخزومى خدمة عن الحافظ أبى بكر بن سيد الناس :

مولاى حالهما والله صالحـة لمـا سألت فأعلى الله حاليـكا

---

(١) فى ا « لاموا ملامى وكان إغرا » والبيت يشير إلى قول أبي نواس :
دع عنك لومى فإن اللوم إغراء وداونى بالتى كانت هى الداء
وأصل « إغرا » إغراء ، وأصل « إطرا » إطراء ، والإطراء : المدح

ما كان من سَفَرٍ أو كان من حضر حتى تكون الثريّا دون نعليكا

لأبى العباس الرصافى

وقال الأديب أبو العباس الرصافى ، وهو من أصحاب أبى حيان :

هذا هِلال الحسن أطلع بيننا وجميعُنا بحلى محاسنه شُغِفْ (١)

لما رأى صِلُّ العذار بخده ماء النعيم أتى إليه ليرتشف (٢)

فكأنَّ ذاك الخد أنكر أمره فاحمر من حَنَقٍ عليه وقال قِفْ

وقال :

وعشية نعمت بها أرواحنا والخمر قد أخذت هنالك حقها

وكأنما إبريقنا لما جثا ألقى حديثاً للكؤس وقهقها

وقال الإمام الحافظ أبو الربيع بن سالم :

للامام أبى الربيع ابن سالم

كأنما إبريقنا عاشق كَلَّ عن الخطو فما أعمله

غازل من كأسى حبيباً له فكلما قبله أخجله

لأبى القاسم ابن الأبرش

وقال أبو القاسم بن الأبرش :

رأيت ثلاثة تحكى ثلاثا إذا ما كنت فى التشبيه تُنْصِفْ

فتنجو والنيل منفعة وحسنا وشنترين مصر ، وأنت يوسف

وقال فى غريق ، وقيل : إنه مما تمثل به :

الحمد لله على كل حال قد أطفأ الماء سراج الجمال

أطفأه ما كان مُحْيِياً له قد يطفئ الزيتُ ضياء الذبال

وهو القائل أيضا :

لو لم يكن لىَ آباء أسود بهم ولم يؤسس رجال الغرب لى شرفا

ولم أنل عند مَلْكِ العصر منزلَةَ لكان فى سيبويه الفخر لى وكفى

---

(١) فى ا «وجميعنا بسنا محاسنه شغف»

(٢) فى ب « لما رأى طل العذار » والصل : الثعبان ، شبه به العذار

فكيف علم ومجد قد جمعتهما وكل مختلق فى مثل ذا وقفا

لأبى الحسن بن حريق

وقال أبو الحسن بن حريق :

أصبحت تدمير مصراً كاسمها وأبو يوسف فيها يوسفا

لأبى القاسم ابن العطار الإشبيلى

وقال أبو القاسم بن العطار الإشبيلى فى بعض الْهَوْزَنيين وقد غرق فى نهر طلبيرة عند فتحها :

ولما رأوا أن لامفر لسيفه سوى هامهم لاذوا بأجرأ منهمُ

فكان من النهر المعين معينهم ومن ثلم السد الحسام المثلم (١)

فياعجباً للبحر غالته نُطْفَة وللأسد الضرغام أرداهُ أرقم

لأبى العباس اللص

وقال أبو العباس اللص :

وقائلة والضَّنا شاملى عَلامَ سهرت ولم ترقد

وقد ذاب جسمُكَ فوق الفرا ش حتى خفيت على العوّد

فقلت وكيف أرى نائما ورأى المنية بالمرصد

ولما قرئ عليه ديوان أبى تمام ، ومر فيه وصف سيف ، قال : أنا أشعر منه حيث أقول :

تراه فى غداة الغيم شمساً وفى الظلماء نجماً أو ذبالا

يروعهمُ معاينة ووَهْماً ولو ناموا لَرَوّعهم خيالا

لأبى إسحاق الإلبيرى

وقال أبو إسحاق الإلبيرى :

تمر لِدَاتِى واحداً بعد واحد وأعلم أنى بعدهم غير خالد

وأحمل موتاهم وأشهد دفنهم كأنى بعيد عنهُم غير شاهد

فهاأنا فى علمى لهم وجهالتى كمستيقظ يرنو بمقلة راقد (٢)

قيل : ولو قال فى البيت الثانى :

---

(١) فى ا « ومن قلم السد الحسام المثلم »

(٢) فى ا « فها أنافى علمى بهم » ويرنو : ينظر ، والمقلة ــ بالضم ــ العين

* كأنى عنهم غائب غير شاهد *

لكان أحسن وأبدع وأبرع فى الصناعة الشعرية ، قاله ابن الأبار[١] رحمه الله تعالى

للوزير أبى الوليد ابن مسلمة

وقال الوزير أبو الوليد بن مسلمة :

إذا خانك الرزق فى بلدة ... ووافاك من همها ما كَثُرْ

فمفتاح رزقك فى بلدة ... سواها فرِدْهَا تَنَلْ مايسر

كذا المبهمات بوسط الكتا ... ب مفتاحها أبداً فى الطُّرَرْ

لأبى الطاهر إسماعيل الخشنى

وقال أبو الطاهر إسماعيل الخشنى الجيانى المعروف بابن أبى راكب[٢]، وقيل : إن أخاه الأستاذ أبا بكر هو المعروف بذلك :

يقول الناس فى مَثَلٍ ... تَذَكَّر غائباً تَرَهُ

فمالى لا أرى سكنى ... ولا أنسى تَذَكُّرَهُ

لأبى المعالى الإشبيلى

وأنشد أبو المعالى الإشبيلى الواعظ بمسجد رحبة القاضى من بَلَنْسِية أبياتاً منها :

أنا فى الغربة أبكى ... ما بكت عين غريب[٣]

لم أكن يوم خروجى ... من بلادى بمصيب

عجبا لى ولِتَرْكِى ... وَطَناً فيه حبيبى

لأبى القاسم ابن الأنقر السرقسطي

وقال أبو القاسم بن الأنقر السَّرَقُسْطى :

احفظ لسانك والجوارح كلها ... فلكل جارحة عليك لسان

واخزن لسانك ما استطعت فإنه ... ليث هَصُورٌ والكلام سِنان

لأبي وهب الزاهد

وقال أبو القاسم خلف[٤] بن يحيى بن خطاب الزاهد ، مما نسبه لأبى وهب الزاهد :

قد تخيرت أن أكون مخفا ... ليس لى من مطيهم غير رجلى[٥]

---

(١) فى ا « وقال ابن الأبار — إلخ »

(٢) فى ا « المعروف بابن أبي ركب »

(٣) فى « ما بكت عين الغريب »

(٤) فى ا « القاسم بن خلف »

(٥) فى ا « ليس لى من مطية غير رجلى »

فإذا كنت بين ركب فقالوا قدّموا للرحيل قدّمت نعلى

حيثما كنت لا أخلِّفُ رحلا من رآنى فقد رآنى ورحلى

لأبى عبد الله بن محمد بن فتح

وقال أبو عبد الله بن محمد بن فتح الأنصارى الثَّغْرى :

كم من قوىٍّ قوىٍّ فى تقلبه مهذب الرأى عنه الرزق ينحرف

ومن ضعيف ضعيف الرأى مختبل كأنه من خليج البحر يغترف

لأبى القاسم محمد بن نصير

وقال أبو القاسم محمد بن نصير الكاتب :

مضت أعمارنا ومضت سِنُونَا فلم تظفر بذى ثقة يدَانِ

وجربْنا الزمان فلم يفدنا سوى التخويف من أهل الزمان

بين محمد بن ميمون وأبيه فى جارية

وحكى عن الفقيه الأديب النحوى أبى عبد الله محمد بن ميمون الحسينى ، قال : كانت لى فى صَبْوَتى جارية ، وكنت مُغْرًى بها ، وكان أبى رحمه الله يَعْذِلنى ويعرض لى ببيعها ، لأنها كانت تشغلنى عن الطلب والبحث عليه ، فكان عَذْلُهُ يزيدنى إغراء بها ، فرأيت ليلة فى المنام كأن رجلا يأتينى فى زى أهل المشرق كلُّ ثيابه بيض ، وكان يُلْقَى فى نفسى أنه الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما ، وكان ينشدنى :

تصبو إلى مىٍّ ، ومَىٌّ لاتنى تزْهُو ببلواك التى لا تنقضى

وفخارك القوم الألى مامهم إلا إمام أو وصىٌّ أو نبى

فاثن عنانك للهدى عن ذى الهوى وخَفِ الإله عليك ويحك وارْعَوِى

قال : فانتبهت فزعاً مفكراً فيما رأيته ، فسألت الجارية : هل كان لها اسم قبل أن تتسمى بالاسم الذى أعرفه ، فقالت : لا ، ثم عاودتها حتى ذكرت أنها كانت تسمى مية ، فبعتها حينئذ ، وعلمت أنه وعظ وعظنى الله به عز وجل وبشرى

لابن الحداد

وقال ابن الحداد أوّل قصيدته « حديقة الحقيقة » :

ذهب الناس فانفرادى أنيسى وكتابى محدِّثى وجليسى

صاحب قد أمنت منه مَلاَلاً واختلالا وكل خَلْقٍ بئيس
ليس فى نوعه بحىٍّ ولكن يلتقى الحى منه بالمرموس[١]

لبعض أهل الجزيرة الخضراء

وقال بعض أهل الجزيرة الخضراء :

ألحاظكم تجرحنا فى الْحَشَا ولحظُنَا يجرحُكم فى الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا فما الذى أوجب جرح الصدود

وقال ابن النعمة : إنهما لابن شرف[٢] ، وقد ذكرناهما مع جوابهما فى غير هذا الموضع

للمعتمد ابن عباد

وقال المعتمد بن عباد :

اقنع بحظك فى دنياك ما كانا وعَزِّ نفسك إن فارقت أوطانا
فى الله من كل مفقود مضى عِوَضٌ فأشْعِرِ القلبَ سلواناً و إيماناً
أكلما سنحت ذكرى طربت لها مجت دموعك فى خدّيك طوفانا
أما سمعت بسلطان شبيهك قد بزَّتْهُ سود خطوب الدهر سلطانا
وَطِّنْ على الكره وارقب إثره فرجا واستغفر الله تغنم منه غفرانا[٣]

لأبى عامر البريانى فى صنم شاطبة

وقال أبو عامر البريانى فى الصنم الذى بشاطبة :

بقية من بقايا الروم معجبة أبْدَى البُنَاةُ بها من علمهم حكما
لم أدر ما أضمروا فيه سوى أمم تتابعت بعد سموه لنا صنما
كالمبرد الفرد ما أخطا مشبهه حقاً لقد برد الأيام والأمما
كأنه واعظ طال الوقوف به مما يحدِّث عن عاد وعن إرما
فانظر إلى حَجَر صَلْد يكلمنا أسمى وأوعظ من قُسٍّ لمن فهما

قيل : لو قال مكان حكما علما لأحسن .

وقال السميسر :

---

(١) فى ب « ليس فى نوعه مجىء » محرفا ، يريد أن الكتاب ليس حيا
(٢) وينسبان لولادة بنت المستكفى بالله صاحبة ابن زيدون
(٣) فى ب « واستغنم الله تغنم منه غفرانا »

إذا شئت إبقاء أحوالكا فلا تُجْرِ جاهاً على بالكا

للسميسر

وكن كالطريق لمجتازها يمر وأنت على حالكا

وقال :

هُنْ إذا مانلت حظاً فأخو العقل يهون

فمتى حطك دهر فكما كنت تكون

لأبى بكر بن منخل

وقال أبو الربيع بن سالم الكلاعى : أنشدنى أبو محمد الشلبى ، أنشدنى أبو بكر ابن منخل ، لنفسه :

مضت لى ست بعد سبعين حجة ولى حركات بعدها وسكون

فياليت شعرى أين أو كيف أو متى يكون الذى لابد أن سيكون

لأبى محمد عبد الحق الإشبيلي

وقال أبو محمد عبد الحق الإشبيلى :

لا يخدعَنَّكَ عن دين الهدى نفر لم يُرْزَقُوا فى التماس الحق تأييداً

عُمْىُ القلوبِ عَرُوا عن كل فائدة لأنهم كفروا بالله تقليدا

لأبى محمد ابن صارة

وقال أبو محمد بن صارة :

بنو الدنيا بجَهْلٍ عَظَّموها فَعَزَّتْ عندهم وهى الحقيره

يهارش بعضهم بعضا عليها مُهَارَشَةَ الكلاب على العقيره

وقال :

اسعد بمالك فى الحياة ولا تكن تُبْقِى عليه حِذَارَ فقرٍ حادث

فالبخل بين الحادثين ، وإنما مال البخيل لحادث أو وارث

لأبى محمد الطائى

ودخل أبو محمد الطائى القرطبى على القاضى أبى الوليد بن رشد ، فأنشده ارتجالا :

قد قام لى السيد الهمام قاضى قضاة الورى الإمام (١)

---

(١) في ا « قام لى السيد الهمام » ويستقيم معه الوزن إذا فتحت الياء من « لى » وهو أمر لاغبار عليه من جهة العربية

فقلت قم بى ولا تقم لى فقلما يؤكل القيام(١)

وقال الحافظ أبو محمد ابن حزم :

للحافظ ابن حزم

لا تلمنى لأن سبقَتْ لحظٍ فَاتَ إدْرَاكُهُ ذَوِى الألباب

يسبق الكلب وثبة الليث فى العَدْ وِ ويعلو النُّخَالُ فوق اللباب

وقال أبوعبدالله الجبلى الطبيب القرطبى :

لأبى عبد الله الجبلى الطبيب

أشدد يديك على كلب ظفرت به ولا تدعه فإن الناس قد ماتوا

قلت : تذكرت بهذا قول الآخر :

اشدديديك بكلب إن ظفرت به فأكثر الناس قد صاروا خنازيرا

وقال محمد بن عبد الله الحضرمى مولى بنى أمية :

لمحمد ابن عبد الله الحضرمى

عاشر النـاس بالجميـل وسـدِّد وقارِب

واحترس من أذى الكرا م وَجُـدْ بالمواهب

لا يسود الجميعَ من لم يقـم بالنوائب

ويحـوط الأذى وير عى ذِمام الأقارب

لا تواصل إلا الشريـف الكريم المناصب

من له خـير شاهد وله خـير غائب

واجتنب وَصْل كل وَغْـد دنىء المكاسب

وقال الكاتب الحافظ أبو عبد الله بن الأبَّار :

لأبى عبد الله ابن الأبار

لله نهـر كالحباب ترْقِيشُهُ سامى الحباب

يصف السماء صفاؤه فحصاه ليس بذى احتجاب

وكأنما هو رقة من خالص الذهب المُذَاب

---

(١) قم بى : أراد به تكفل بشؤوني واضمن لى معاشى

غارت على شطيه أبـــكار المنى عصر الشباب
والظل يبـــدو فوقه كالخال فى خد الـكعاب (١)
لا بل أدار عليـه خو ف الشمس منه كالنقاب
مثل المجرة جر فيـــها ذيله جَوْنُ السحاب

وقال :

شَتَّى محاسنُه ، فمن زهر على نهر تسلسل كالحُبَاب تَسَلْسُلاَ
غربت به شمس الظهيرة لا تَنِي إحراق صفحته لهيباً مشعلا
حتى كساه الدوح من أفنانه بردا بمزنٍ فى الأصيل مسلسلا (٢)
وكأنما لمع الظلال بمتنـه قطع الدماء جمدن حين تحللا

وقال يمدح المستنصر صاحب إفريقية :

إن البشائر كلها جمعت للدين والدنيا وللأمم
فى نعمتين جسيمتين هما برء الإمام و بيعة الحرم (٣)

قال ابن الأبار : وأخبرنى بعض أصحابنا — يعنى أباعمرو بن عبدالغنى — أنه أنشدهما الخليفة فسبقه إلى عجز البيت الثانى ، فقلت له على البديهة :

فخر لشعرى على الأشعار يَحْفَظُهُ خليفة الله كان الله حافظه

وأشار بقوله « و بيعة الحرم » إلى ماذكره ابن خلدون وغير واحد من المؤرخين أن أهل مكة خطبوا للمستنصر صاحب تونس بعـرفة ، وكتبوا له بيعة من إنشاء ابن سَبْعين المتصوف ، وقد ذكر ابن خلدون نصَّ البيعة فى ترجمة المستنصر ، فليراجعها مَنْ أرادها .

وقال ابن الأبار :

---

(١) فى ب « والطل يبدو فوقه »
(٢) فى ا « بردا بمزن فى الأصائل سلسلا »
(٣) فى ا « بر الإمام وبيعة الحرم »

ألا اسمع فى الأمير مَقَالَ صدقٍ وخذه عن امرئ خدم الأميرا
متى يكتب ترد وشلا أُجاجا وإن يركب ترد عذبا نميرا

لابن الأبار جوابا على استدعاء للتجانى

وقال مجيبا للتجانى :

أيها الصاحب الصفى ، مُبَاحُ لك عنى فيما نصصت الروايه
إنْ عَنَانى إسعاف قصدك فيها فلكم لم تزل بها ذا عنايه(١)
ولها شَرْطُها فحافظ عليه ثم كافئ وصيتى بالكفايه
وتحام الإخلال جهدك ، لاقيت من الله عصمة وحمايه

استدعاء التجانى

ونص استدعاء التجانى :

إن رأى سيدى الذى حاز فى العلم مع الحلم والعلا كل غايه
وحوى المجد عن جدود كرام كلهم فى السماح والفضل آيه
أن أُرَى عنه بالإجازة أرْوِى كُلَّ ما فيه لى تصحُّ الروايه
من حديث وكل نظم ونثر وفنون له بهنَّ دِرَايه(٢)
فله فى ذاك الثواب من الله ومنا الثناء دون نهايه
دام فى رفعة وعز وسعد وأمان ومُكْنَة وحمايه
ما تولَّى جيش الظلام هزيما وعلت للصباح فى الأفق رايه

ولابن الأبار ترجمة واسعة ذكرتها فى «أزهار الرياض ، فى أخبار عياض ، وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض» فلتراجع فيه .

وأما التجانى أبو عبد الله هذا المذكور فقد وصفه قريبه أبو الفضل محمد حفيد عمه فى كتابه «الحلى التيجانية ، والحلل التجانية» قال ابن رشيد : وجمعه باسمنا حفظه الله تعالى وشكره ، وقال فى موضع آخر : إنه باسمه واسم صاحبه الوزير ابن الحكيم ، رحمهما الله تعالى ! انتهى

(١) فى ا « فلأن لم تزل بهاذا عناية » وفى نسخة عندها « فلئن لم تزل »
(٢) فى ا « من حديث ومن نظام ونثر »

لأبى الحسين ابن مفوز

وقال ابن مفوز(١) أبو الحسين :

إذا عَرَتْكَ عَيْـلة يعجز عنها ما تجـد
فلتقتصـد فإنه ما عال قطُّ مقتصد

وقال [أيضا] :

حاز دنياه كلها مُحْرِزًا أكْبَرَ المِنَنْ
مَنْ حَوَى قُوتَ يومه آمنا سالم البدن

وقال :

أعِنْ أخاك فى الذى يأمله ويرتجيـه
فالله فى عون الفتى ما كان فى عون أخيه

وقال :

أنْفَسُ ما أودعته قَلْبَكَ ذكرى مُوقِظَهْ
وخـير ما أتلفته مالٌ أفاد موعظه

لأبى العباس ابن مكنون

وقال أبو البركات القميحى : أنشدنا أبو العباس بن مكنون ، وقد رأى اهتزاز الثمار وتمايلها ، مرتجلا :

حارت عقول الناس فى إبداعها أَلسكرها أم شكرها تتأوّد
فيقول أرباب البطالة : تنثنى ويقول أرباب الحقيقة : تسجد

قال الشيخ أبو البركات القميحى : قلت لابن مكنون : ما الذى يدل على أنهما فى وصف الثمار ؟ فقال : وَطِّىءْ أنت لهما ، فقلت :

يا من أتى متنزها فى روضة أزهارها من حسنها تتوقَّدُ
انظر إلى الأشجار فى دَوْحَاتها والريح تنسف والطيور تغرد

(١) كذا فى ب ونسخة عند ا ، وفى أصل ا « ابن مغور » وفى نسخة عندها « الحسين ابن مفوز »

فترى الغصون تمايلت أطرافها وترى الطيور على الغصون تُغَرْبِدُ(١)

قال ابن رشيد : غلط المذكور فى نسبته البيتين لابن مكنون ، و إنما هما لأبى زيد الفازازى من قصيدة أولها :

نِعَمَ الإله بشكره تتقيد فالله يشكر فى النوال ويحمد

مدّت إليه أكفنا محتاجة فأنالها من جوده ماتعهد

والبيتان فى أثنائها ، غير أن أولهما فى ديوانه هكذا :

* تاهت عقول الناس فى حركاتها * انتهى

ورأيت فى « روضة التعريف » للسان الدين بعدهما بيتا ثالثا ، وهو :

و إذا أردت الجمع بينهما فقل فى شكر خالقها تقوم وتقعد

أول اتصال الحجارى بابن سعيد

وحكى أن حافظ الأندلس إمام الأدباء ، ورئيس المؤلفين ، حسنة الزمان ، نادرة الإحسان ، أبا محمد عبد الله بن إبراهيم الصنهاجى الحِجَارِى صاحب كتاب « المسهب » كان سبب اتصاله بعبد الملك بن سعيد جد على بن موسى صاحب « المغرب » أنه وفد عليه فى قَلْعته ، فلما وقف ببابه (٢) وهو بزىِّ بَدَاوة ازدراه البوابون ، فقال لهم : استأذنوا لى على القائد ، فضحكوا به ، وقالوا له : ما كان وَجَدَ القائد مَنْ يدخل عليه فى هـذه الساعة إلا أنت ؟ فمدَّ يده إلى دواة فى حزامه وسحاءة ، وكتب بها : بباب القائد الأعلى — لازال آهلا بأهل الفضيلة — ! رجلٌ وفد عليه من شِلْبَ بقصيدة مطلعها :

* عليك أحالنى الذكر الجميل *

فإن رأى سيدى أن يحجب مَنْ بلدُه شِلْب ومَنْ قصيدُه هذا فهو أعلم بما يأتى ويَذَرُ ، ولا عتب على القدر ، ورغب إلى أحد غلمانه ، فأوصل الورقة ، فلما

---

(١) كذا فى ب ونسخة عندنا ، وفى أصل ا « وترى الطيور على الغصون تغرد »

(٢) فى ا « وقف على بابه »

وقف عليها القائدُ قال : من شِلْبَ[١] ، وهذا مطلع قصيدته ، ما لهذا إلا شأن، ولعله الوزير ابن عمار ، وقد نُشِر إلى الدنيا ، عجلوا بالإذن له ، فدخل[٢] و بقى واقفا لم يسلم ولا كلم أحداً ، فاستثقله الحاضرون ، واستبردوا مقصده ، ونسبوه للجهل وسوء الأدب ، فقال له أحدهم : مالك لا تسلم على القائد ، وتدخل مداخل الأدباء والشعراء ؟ فقال : حتى أخجل جميعكم قَدْرَ ما أخجلتمونى على الباب مع أقوام أنذال ، وأعلم أيضاً مَنْ هو الكثير الفضول من أصحاب القائد أعزه الله تعالى فأكون أتقيه إن قُدرلى خدمته ، فقال له عبد الملك : أتأخذنا بمافعل السفهاء منا؟ قال : لا ، والله ، بل أغفر لك ذنوب الدهر أجمع ، و إنما هى أسباب نقصدها لنحاور بها مثلك أعزك الله تعالى ، و يتمكن التأنيس ، و ينحلّ قيد الهيبة ، ثم أنشد من رأسه ولا ورقة فى يده :

عَلَيْكَ أحالنى الذكْرُ الجميل ... فصحَّ العزمُ واقتصر الرحيل[٣]

وودعت الحبيب بغير صبر ... ولم أسمع لما قال العذول

وأسبلْتُ الظلام على سترا ... ونجمُ الأفق ناظره كَليلُ

ولم أشك الهجير وقد دعانى ... إلى أرجائك الظل الظليل

وهى طويلة ، فأكرمه وقربه ، رحم الله تعالى الجميع! .

لابن مرزقان فى وصف شمعة أهديت للمعتمد ابن عباد

وأهديت للمعتمد بن عباد شمعة ، فقال فى وصفها أبو القاسم بن مرزقان الإشبيلى وهو ممن قتل فى فتنة المعتمد :

مدينة فى شمعة صورت ... قامت حُماة فوق أسوارها

وما رأينا قبلها روضة ... تَتَّقِدُ النار بنوّارها

تُصَيِّرُ الليل نهاراً إذا ... ما أقبلت ترفل فى نارها

---

(١) فى ب « من شلب بلده »

(٢) فى ا « فأذنوا له ودخل وبقى واقفا ــ إلخ »

(٣) فى أصل ا « واقتضى الرحيل » وفى نسخة عندها « واقتصى الرحيل » وفى ثالثة « وافتض الرحيل »

كأنها بعض الأيادى التى تحت الدجى تسرى بأنوارها

من ملك معتمد ماجد بلاده أوطان زوّارها

لأبى الأصبغ الإشبيلى

وقال أبو الإصبغ بن رشيد الإشبيلى : لما هطلت بإشبيلية سحابة بقَطْر أحمر يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة :

لقد آن للناس أن يقلعوا ويمشوا على السَّنَنِ الأقوم

متى عُهِدَ الغيث يا غافلا كلون العقيق أو العندم

أظن الغمائم فى جوها بكت رحمة للورى بالدم

وفيها أيضاً :

لا تكن دائم الكآبة مما قد غدا فى الثرى نميرا نجيعا

لَطَم البرقُ صفحة المزن حتى سال منه على الرياض نجيعا

وله فى دولاب :

ومَنْجَنُون إذا دارت سمعت لها صوتا أجش وظلَّ الماء ينهملُ(١)

كان أقداسها رَكْبٌ إذا سمعوا منها حُدَاء بَكَوْا للبين وارتحلوا

وله فيمن اسمه مالك :

غزالىُّ الجفون شقيق بدر تبسم عن عقيق فوق در

له نفحات مسك أى مسك له نفثات سحر أى سحر

شكوت له الهوى والهجر منه فقال : عليك باسمى سوف تدرى

تعلمت القساوة من سَمِيِّ وأحرقت القلوب بنار هجرى

لابن حجاج الغافقى

وقال أبو بكر بن حجاج الغافقى فى موسى وسيم إشبيلية الذى كان شعراؤها يتغزلون فيه :

---

(١) المنجنون : دولاب الماء الذى تسقى به الأرضون (الناعورة ، الساقية) ووقع فى ب ونسخة عند ا «وطل الماء ينهمل» بالطاء مهملة ، والطل ـ بالفتح ـ المطر الخفيف

من مبلغ موسى المليح رسالة بعثت له من كافرى عشاقه
ما كان خَلْقٌ راغباً عن دينه لو لم تكن توراته من ساقه

وقال :

إن الزويلى فتى شاعر قد أعجب العالم من نظمه
وأنت ياموسى قد اخترته واختار موسى قبل من قومه

وقال :

على معاذ قُرُونٌ لو يُعَاينها فرعون ماقال أوقد لى على الطين
قالت له عِرْسُه إذ جاء ينكحها ماذا دهيت به من كل عنين
هلا استعنت بميمون ، فقال لها إنى استعنت على نفسى بميمون

لأبى وهب النحوى

وقال أبو وهب[1] عبد الرؤف النحوى ، وكان له حظ فى قرض الشعر ، وكان سقاطا[2] :

ليس لمن ليست له لحية بأس إذا حصلته ، ليسا
وصاحب اللحية مستقبح يشبه فى طلعته التيسا
إن هبت الريح تلاهت به وماسَتِ الريح به ميسا

لمحمد بن يحيى القلفاط

وقال أبو عبد الله محمد بن يحيى القلفاط :

يا غزالا عَنَّ لى فابـــتزَّ قلبى ثم وَلَّى
أنت منى بفؤادى يا مُنَى نفسىَ أولى

لأحمد بن المبارك الحبيبى

وقال أحمد بن المبارك الحبيبى فى الناصر قبل أن يلى عهد جدّه :

يا عابد الرحمن فقت الورى بهذه العليا وهذا الكرم
ماجعل الله الندى فى امرئ إلا وقد جنبه كل ذم

واستدعى الوزير عبيد الله بن إدريس أبا بكر أحمد بن عثمان المروانى ،

(١) فى ا « أبو وهب بن عبد الرءوف »
(٢) كذا فى ب ، وفى ا « وكان سفاطا » بالفاء مكان القاف

ونادمه ليلة ، فلما قرب الصباح قال له : أين ما يحدث عنك من حسن الشعر ؟ فهذا موضعه ، فقال : الدواة والقرطاس ، فأمر له بإحضارهما ، فجعل يفكر ويكتب إلى أن أنشده هذه الأبيات :

بتنا نَدَامىَ صفاء يستحث لنا ... فى جامد الفضة التبر الذى سُبِكَا
كُلٌّ مصيخ إلى ما قال صاحبه ... ولا يبالى أصدقا قال أم إفكا
موقرون خفاف عند شربهم ... ولا يخافون فيما أحدثوا دركا
لا تعدمَنَّ إذا أبصرتهم فرحا ... أما ترى الصبح من بشر بهم ضحكا

لأبى محمد المروانى

وقال أبو محمد عبد الله المروانى فى الخيرى (١) :

عجبت من الخيرى يكتم عَرْفَه ... نهاراً ويَسْرِى بالظلام فيعرب
فتجنى عروس الطيب منه يد الدجا ... ويبدو له وجه الصباح فيحجب

لإبراهيم بن إدريس العلوى

وقال إبراهيم بن إدريس العلوى :

للبين فى تعذيب نفسى مذهب ... ولنائبات الدهر عندى مطلب
أماديون الحادثات فإنها ... تأتى لوقت صادق لا يكذب

وخرج الأديب النحوى هذيل الإشبيلى يوماً من مجلسه ، فنظر إلى سائل عارى الجسم ، وهو يُرْعَد ويصيح : الجوع والبرد ، فأخذ بيده ، ونقله إلى موضع بَلَغته الشمس ، وقال له : صِحِ الجوع ، فقد كفاك الله مؤنة البرد .

ومر المعتمد بن عباد ليلة مع وزيره ابن عمار بباب شيخ كثير التندير (٢) والتهكم ، يمزج ذلك بانحراف يُضْحِك الثكلى ، فقال لابن عمار : تعال نضرب على هذا الشيخ الساقط بابه حتى نضحك معه ، فضربا عليه الباب ، فقال : مَنْ هذا ؟ فقال ابن عباد : إنسان يرغب أن تَقِدَله هذه الفتيلة ، فقال : والله لو ضرب ابنُ عباد

---

(١) الخيرى : نوع من الورد

(٢) التندير : الأخذ فى النوادر والفكاهات

بابى فى هذا الوقت ما فتحته له ، فقال : فإنى ابنُ عباد ، فقال : مصفوع ألف صفعة ، فضحك ابن عباد حتى سقط إلى الأرض ، وقال لوزيره : امض بنا قبل أن يتعدى الصفع من القول إلى الفعل ، فهذا شيخ ركيك ، ولما كان من غد تلك الليلة وجَّه له ألفَ درهم ، وقال لموصلها : قل له هذه[1] حَقُّ الألف صفعة التى كانت البارحة .

البازى الأشهب أحد اللصوص فى عصر المعتمد ابن عباد

وكان فى زمان المعتمد السارق المشهور بالبازى الأشهب ، وكان له فى السرقة كل غريبة ، وكان مسلطا على أهل البادية ، و بلغ من سرقته أنه سرق وهو مصلوب ؛ لأن ابن عباد أمر بصلبه على ممر أهل البادية لينظروا إليه ، فبينما هو على خشبته على تلك الحال إذ جاءت إليه زوجته و بناته ؛ وجَعَلْن يبكين حوله ويقلن : لمن تتركنا نضيع بعدك ؟ و إذا ببدوى على بغل وتحته حمل ثياب وأسباب ، فصاح عليه : يا سيدى ، انظر فى أى حالة أنا ، ولى عندك حاجة فيها فائدة لى ولك ؛ قال : وما هى ؟ قال : انظر إلى تلك البئر ، لما أرهقنى الشرط رميت فيها مائة دينار ، فعسى تحتال فى إخراجها ، وهذه زوجتى و بناتى يُمْسِكن بَغْلَكَ خلالَ ما تخرجها ، فعمد البدوى إلى حَبْل ودلى نفسه فى البئر بعد ما اتفق معه على أن يأخذ النصف منها ، فلما حصل أسفل البئر قطعت زوجة السارق الحبلَ ، و بقى حائراً يصيح ، وأخذت ما كان على البغل مع بناتها ، وفرَّتْ به ، وكان ذلك فى شدة حر ، وما سَبَّب الله شخصاً يغيثه إلا وقد غِبْنَ عن العين وخلصن ، فتحيل ذلك الشخص مع غيره على إخراجه ، وسألوه عن حاله ، فقال : هذا الفاعل الصانع احتال على حتى مضت زوجته و بناته بثيابى وأسبابى ، ورُفِعت هذه القصة[2] إلى ابن عباد ، فتعجب منها ، وأمر بإحضار البازى الأشهب ،

---

(١) فى ا « هذا حق الألف صفعة »

(٢) فى ا « ورفعت هذه القضية »

وقال له : كيف فعلت هـذا مع أنك فى قبضة الهلـكة ؟ فقال له : يا سيدى لو علمت قدر لذتى فى السرقة خليت ملكك واشتغلت بها ، فلعنه وضحك منه ، ثم قال له : إن سَرَّحْتك وأحسنت إليك وأجريت عليك رزقاً يقلك أتتوب من هذه الصنعة الذميمة ؟ فقال : يا مولاى كيف لا أقبل التوبة وهى [التى] تخلصنى من القتل ؟ فعاهده وقدمه على رجال أنجادٍ ، وصار من جملة حراس أحواز المدينة

منصور بنى عبد المؤمن وشيخ مغفل بناء

ويحكى أن منصور بنى عبد المؤمن لما أراد بناء صَوْمَعة إشبيلية العظيمة القدر أحضر لها العُرَفَاء والصُّنَّاع من مظانهم ، فعرِّف بشيخ مُغَفَّل صحيح المذهب عارف بالبناء الذى يجهله كثير من الصناع ، فأحضر ، فقال له المنصور : كم تقدّر أن ينفق على هذه الصومعة ؟ فضحك وقال : يا سيدى ، البنيان إنما هو مثل ذكر ليس يُقَدَّر حتى يقوم ، فكاد المنصـور يفتضح من الضحك ، وصرف وجهه عنه ، وبقيت حكايته يضحك عليها زماناً .

أحمد المقرينى المعـروف بالـكساد

وكان أحمد المقرينى المعروف بالـكساد شاعراً وشاحاً زجالا إشبيليا ، وقال فى موسى الذى تغزل فيه ابنُ سَهْل :

ما لموسى قد خر لله لما فاض نور أغشاه ضوء سناه
وأنا قد صُعِقتُ من نور موسى لا أطيق الوقوف حين أراه[1]

وقال فى رثائه :

فَرَّ إلى الجـنة حُورِيُّهَا وارتفع الحسن من الأرض
وأصبح العشاقُ فى مأتم بعضهمُ يبكى على بعض

وقال فيه :

هتف الناعى بشَجْوِ الأبد إذ نعى موسى بن عبد الصمد

---

(١) كذا فى ب ونسخة عند ا ، وفى أصل ا « وأنا قد ضعفت من نور موسى »

ما عليهم وحدهم لو دفنوا في فؤادي قطعة من كبدي(١)

ولابن سَهْل الإسرائيلي في موسى هذا ما هو مثبت في ديوانه

محمد بن أحمد القرموطي المرسي

وكان محمد بن أحمد بن أبي بكر القرموطي المرسي من أعرف أهل الأندلس بالعلوم القديمة المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب ، فيلسوفاً طبيباً ماهراً ، آية الله في المعرفة بالأندلس ، يقرئ الأمم بألسنتهم فنونَهم التي يرغبون فيها وفي تعلمها ، ولما تغلب طاغية الروم على مُرْسِية عرف له حقه ، فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود ، وقال له يوماً وقد أدنى منزلته : لو تنصرت وحصلت الكمال كان لك عندي كذا ، وكنت كذا ، فأجابه بما أقنعه ؛ ولما خرج من عنده قال لأصحابه : أنا عمري كله أعبد إلهاً واحداً ، وقد عجزت عما يجب له ، فكيف حالي لو كنت أعبد ثلاثة كما طلب الملك مني ؟ انتهى .

لأبي عبد الله محمد بن سالم القيسي

وقال أبو عبد الله محمد بن سالم القَيْسِي الغَرْنَاطي يخاطب السلطان على ألسنة أصحابه الأطباء الذين ببابه مُوَرِّيا بأسمائهم :

قد جَمَعْنَا ببابكم سطر علم لبلوغ المنى ونيل الإراده

ومِنَ اسمائنا لَكُمْ حسنُ فالٍ سالم ثم غالب وسعاده

لأبي عبد الله الإشبيلي الخطيب

وقال أبو عبد الله بن عمر الإشبيلي الخطيب :

وكل إلى طبعه عائد وإن صدَّه المنع عن قصده

كذا الماء من بعد إسخانه يعود سريعاً إلى برده

لأبي زيد العثماني

وقال الكاتب أبو زيد عبد الرحمن العثماني لما تغير حاله بإشبيلية :

لا تسلني عن حالتي فهي هذى مثل حالي لا كنت يا من يراني

مَلَّنِي الأهل والأخلاء لما أن جفاني بعد الوصال زماني

---

(١) كذا في ا ، ب ، ولعله « ماعليهم – ويحهم ! – لو دفنوا »

فاعتـــبر بى ولا يغرك دهر   ايس منـه ذو غبطة فى أمان

ودخل الأديب النحوى أبو عمران موسى الطريانى(١) إلى بعض الأكابر يوم نَـيْرُوز ، وعادتهم أن يصنعوا فى مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صـور مستحسنة ، فنظر إلى مدينة أعجبته، فقال له صاحب المجلس صفها وخذها، فقال :

مدينة مســوّره   تحار فيها السحره

لم تبنها إلا يدا   عـــذراء أو مُخَدَّره

بدت عروساً تجتلى   من درمك مزعفره

وما لها مـــفاتح   إلا البنان العشره

ورفع إلى القائد أبى السرور صاحب ديوان سَبْتَة قصيدة يعرض له فيها بزاد ، وقد عزم على سفر ، فأنعم عليه بذلك ، ثم أتبعه بتُحَف مما يكون فى الديوان مما يجلبـه الإفرنج إلى سبتة ، ولم يكن اُلتمس منه ذلك ولا خطر بخاطره ، فكتب إليه :

أيا سابقاً بالذى لم يَجُلْ   بفكرى ولم يَبْدُلى فى خطاب

ويا غائصاً فى بحار الندى   ويا فاتحا للعـلا كل باب

كذا فلتكن نِعَمُ الأكرمين   تفاجى بنيل المنى والطِّلاب

ولم أر أعظم من نعمة   أتتنى ولم تك لى فى حساب

سأشكرها شكرعهد الرضى   وأذكرها ذكر غَضّ الشباب

من صاحب دانيـة إلى المنصور بن أبى عامر الأصغر

وكتب مجاهد صاحب دَانِيَةَ إلى المنصور بن أبى عامر الأصغر ملك بَلَنْسِية رقعة ، ولم يضمنها غير بيت الحطيئة :

دَعِ المـكارم لا تَرْحَلْ لبغيتها   واقْعُدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسى

---

(١) كذا فى ا ، وفي ب « الطبرانى »

فأحرجت[1] المنصور ، وأقامته وأقعدته ، فأحضر وزيره أبا عامر بن التاكرنى فكتب عنه :

شتمتْ مَوَالِيَهَا عبيدُ نزار شِيَمُ العبيد شتيمة الأحرار

فسلا المنصور عما كان فيه .

ومن شعر المذكور فى المنصور :

انهض على اسمك إنه منصور وارم العـــدوّ فإنه مقهور
ولو اغتنيت عن النهوض كفيتهم فبذكر بأسك كلُّهم مَذْعُورُ
ولتبلغن مدى مرادك فيهم ويكون يوم فى العدا مشهور

وقال له المنصور يوماً : والله لقد سئمت من هؤلاء الجند ، ووددت الراحة منهم ، فقال له : يصبر مولاى فلا بدّ من السآمة ، فهى على حالتين : إما ممن يكون أمرك إليه ، أو يكون أمره إليك ، والحمد لله الذى رفعه عن الحالة الأولى ! .

لبعض الهجائين فى رندة

وقال بعض الهجائين فى رندة :

قبحا لرندة مثل ما قَبُحَتْ مُطَالعة الذنوب
بلد عليـه وحشة ما إن يفارقه القُطُوب
ما حَلَّهَا أحـد فينــوى بعد بَيْنٍ أن يؤوب
لم آتها عند الضحى إلا وخيل لى الغروب
أفق أغم وســاحة تملا القلوبَ من الكروب

لحبلاص الشاعر الرندى

وقال حبلاص الشاعر الرندى :

لا تفرَحَنْ بولاية سُوِّغْتَهَا فالثور يعلف أشهرا كى يذبحا

---

(١) فى أصل ا « فأخرجت المنصور» محرفا ، وفى نسخة عندها « فأحرجته »

طيبَ أنفاسِهِ وطعم ثنايا ه وسُكْرَ العقول من لَحَظَاته

وسنا وجهه وتوريد خديـه ولطف الديباج من بشراته

والتداوى منها بها كالتداوى برضا من هويت من سطواته (١)

وهى من بعد ذا علىَّ حرامٌ مثل تحريمه جَنَى رَشَفَاتِهْ

ومن تآليفه نكت الكامل للمبرد ، وقد مر ذكر هذا الرجل الفرد قبل هذا .

وحضر يوما مجلس ابن ذى النون ، فقدّم نوع من الحلوى يعرف بآذان القاضى فتهافت جماعة من خواصّه عليها يقصدون التندير فيه ، وجعلوا يكثرون من أكلها وكان فيما قدم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمى عيون البقر ، فقال له المأمون : ياقاضى أرى هؤلاء يأكلون أذنيك ، فقال : وأنا أيضاً آكل عيونهم ، وكشف عن الطبق ، وجعل يأكل منه ، وكان هذا من الاتفاق الغريب .

أبو الحسين ابن أبى جعفر الوزير

وكان الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبى جعفر الوقشى آيَةَ الله فى الظرف، وكيف لا ووالده الوزير أبو جعفر ، وصهره أبو الحسين بن جبير ، وشيخه فى علم الموسيقى والتهذيب والظرف والتدريب أبو الحسين (٢) بن الحسن بن الحاسب شيخ هذه الطريقة ، وقد رزق أبو الحسين المذكور فيها ذوقا مع صوت بديع ، أشهى من الكأس للخليع ، قال أبو عمران بن سعيد : ما سمعته إلا تذكرت قول الرصافى :

ومُطَارِحٍ مما تجسُّ بنانه لحنا أفاض عليه ماء وقاره

يَثْنِي الحمام فلا يروح لوكره طربا ورزق بنيه فى منقاره

وكنت أرتاح إلى لقائه ، ارتياح العليل إلى شفائه ، ولم أزل أقرع بابا (٣) بابا ، وأخرق للاتصال حجابا حجابا ، حتى هجمت مع شفيع لا يرد عليه ، وجلست بين يديه ، فحينئذ حَرَّضَه حسبه على الإكرام ، وتلقى بما أوسع من البشر والسلام ، وقال :

---

(١) فى ب « والتداوى منها بهالا التداوى » وما أثبتناه موافقا لما فى ا أحسن

(٢) فى ا ونسخة عند ب « أبو الحسن بن الحسن بن الحاسب »

(٣) فى ا « ولم أزل أقرع بابا فبابا » وفيها « حجابا فحجابا »

ليعلم سيدى أنى كنت أود الناس فى لقائه ، وأحبهم فى إخائه ، والحمد لله الذى جعلنى أنشد :

وليس الذى يستتبع الوَبْلَ رائداً كمن جاءه فى داره رائدُ الوَبْلِ [١]

ثم قام إلى خزانة ، فأخرج منها عود غناء يطرب دون أن تجس أوتاره ، وتلحن أشعاره ، واندفعَ يغنى دون أن أسأله ذلك ، ولا أتجشم تكليفه الدخول فى تلك المسالك :

وما زلت أرجو فى الزمان لقاءكم فقد يَسَّرَ الرحمن ما كنت أرتجى

فذكرُكمُ ما زلت أتلوه دائبا إذا ذكروا ما بين سَلْمَى ومُنْعَجِ [٢]

فلما فرغ من استهلاله وعمله قبلت رأسه ، وقلت له : لا أدرى علام أشكرك قبل هل على تعجيلك بما لم تَدَعْنى أسألك فى شأنه أم على ما تفردت بإحسانه ؟ فما هذا الصوت ؟ قال : هذا نشيد خسروانىٌّ مِنْ تَلْحينى ، قال : وأنشدنى لنفسه :

حننت إلى صوت النواعير سُحْرَةً فأضحى فؤادى لا يقر ولا يهدا

وفاضت دموعى مثل فَيْضِ دموعها أطارحها تلك الصبابة والوجدا

وزاد غرامى حين أكثر عاذلى فقلت له أقصر ولا تقدح الزندا

أهيم بهم فى كل واد صبابة وأزداد مع طول البعاد لهم ودا

وأنشدنى لنفسه :

ولقد مررت على المنازل بعدهم أبكى وأسأل عنهمُ وأنوحُ

وأقول إن سألوا بحالى فى النوى ما حالُ جِسْمٍ فارقته الروح

قال : وكتب إلى :

---

(١) فى ا « وليس الذى يتبع » وهو بتشديد التاء والباء ، وأصله « يتتبع » والبيت لأبي الطيب المتنبى ، وورد فى الديوان (٣ / ٢٩٤) كما فى ا

(٢) يشير إلى قول الشاعر :

أحب بلاد الله مابين منعج إلى وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها حل الشباب تمائمى وأول أرض مس جلدى ترابها

يا حسرة ما قَضَتْ من لذة وطرا ... أين الزمان الذى يرجى به الخَلَفُ ؟
أبكيك مِلْءَ جفونى ثم يَرْجِعُنِى ... إلى التصبّر أنى سوف أنصرف

قال أبوعمران : وكنت فى أيام الفتنة إذا كنت إلى الآمال ، هونت[1] على نفسى ما ألقى من أهوالها بقولى مع خاطرى قوله :

* أين الزمان الذى يرجى به الخلف *

انتهى

أبو الحسين على بن الحمارة

وكان أبو الحسين على بن الحمارة ممن برع فى الألحان وعلمها ، وهو من أهل غَرْنَاطة ، واشتهر عنه أنه كان يعمد إلى الشعراء[2] ، فيقطع العود بيده ، ثم يصنع منه عوداً للغناء ، وينظم الشعر ويلحنه ، ويغنى به ، فيطرب سامعيه ، ومن شعره قوله :

إذا ظن وَكْراً مُقْلَتِى طائرُ الكرى ... رأى هُدْبَهَا فارتاع خوف الحبائل

وقال بعض العلماء فى حقه : إنه آخر فلاسفة الأندلس ، قال : وأعجب ما وقع له فى الشعر أنه دخل سَلاَ وقد فرغ ابن عشرة من بناء قصره ، والشعراء تنشده فى ذلك فارتجل ابن الحمارة هذين البيتين ، وأنشدهما بعدهم :

يا واحد الناس قد شَيَّدْتَ واحدةً ... فَحَلَّ فيها محلَّ الشمس فى الحَمَلِ
فما كَدارِكَ فى الدنيا لذى أمل ... ولا كدارك فى الأخرى لذى عمل

وسيأتى ذكر هذين البيتين .

تبحر أهل الأندلس واستحضارهم

وكان أهل الأندلس فى غاية الاستحضار للمسائل العلمية على البديهة ، قال ابن مسدى : أملى علينا ابن المناصف النحوى بدانِيَة على قول سيبويه « هذا باب ما الكلم من العربية » عشرين كراساً ، بسط القول فيها فى مائة وثلاثين وجها ، انتهى وهذا وأشباهه يكفيك فى تبحُّر أهل الأندلس فى العلم ، وربما سئل العالم منهم عن المسألة التى يحتاج فى جوابها إلى مطالعة ونَظَر ، فلم يحتج إلى ذلك ، ويذكر من فكره ما لا يحتاج معه إلى زيادة .

---

(١) فى ب ونسخة عند ا «هولت على نفسى» (٢) فى ا «يعمد إلى الشعرى»

بين ابن حبيش واليفرنى ، فى استعمال « ماذا »

ومن الحكايات فى مثل ذلك أن الأديب البليغ الحافظ أبا بكر بن حبيش لما قال فى تخميسه المشهور * بماذا على كل من الحق أوجبت * اعترض عليه أبوزكريا اليفرنى بما نصه : استعمل المخمِّسُ « ماذا » فى البيت تكثيرا وخبرا ، والمعروف من كلام العرب استعمالها استفهاما ، فجاوبه بقوله : أما استعمالها استفهاما كما قال فكثير ، لا يحتاج إلى شاهد ، وأما استعمالها فى ألسن فصحاء العرب للكثرة فكثير لا يحتاج إلى شاهد لو وصل بحث ، واستعمل مكث ، فلم يعترض على ولى ، ولا تشكك فى جلى

وليس يصح فى الأفهام شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

قال الله تعالى فى سورة يونس (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ، وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) ووقع فى صحيح البخارى فى رثاء المقتولين من المشركين يوم بدر :

وماذا بالقَلِيبِ قليب بَدْرٍ من الفتيان والشَّرْبِ الكرام [1]
وماذا بالقليب قليب بدر من الشِّيزى تُكَلَّلُ بالسنام

وفى السِّيَرِ فى رثاء المذكورين أيضاً :

ماذا ببدر فالْعَقَنْقَلِ من مَرَازِبة جَحَاجِح

وهذا الشعر لأُمَيَّة بن أبى الصَّلت الثقفى ، ووقع فى الأغانى للوليد بن يزيد يرثى نديما له يعرف بابن الطويل :

لله قبر ضُمِّنَتْ فيه عظام ابن الطويل
ماذا تَضَمَّنَ إذ ثوى فيه من الرأى الأصيل

والخبر طويل ، وأجلى من هذا وأعلى ، وأحق بكل تقديم وأولى ، ولكن الواو لا تفيد رتبة ، ولا تتضمن نسبة ، قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماذا أنزل

---

(١) فى ا « من القينات والشرب الكرام »

الليلة من الفتن » وهو فى الصحاح ، ووقع فى الحماسة ، وقد أجمعوا على الاستشهاد بكل ما فيها :

ماذا أجَالَ وثيرةُ بنُ سِماكِ　　من دمع باكية عليه وباكِ[1]

وفى الحماسة أيضاً وأظنها لأبى دهبل :

ماذا رزئنا غداة الحل من زَمَعٍ　　عند التفرق من خيمٍ ومن كرمِ[2]

ووقع فى نوادر القالى لكعب بن سعد الغنوى يرثى أخاه أبا المغوار :

هَوَتْ أمُّه ما يبعث الصبح غاديا　　وماذا يردُّ الليلُ حين يؤوب

ووقع فى شعر الخنساء ترثى أخاها صخرا :

ألا ثكلت أمُّ الذين غدَوْا به　　إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر

وماذا يُوَارِى القبر تحت ترابه　　من الجودفى بؤسى الحوادث والدهر[3]

ولجرير وهو فى الحماسة :

إن الذين غدَوْا بلبكَ غادروا　　وَشَلاً بعينك لا يزال مَعِينا

غيَّضْنَ من عبراتهن وقلن لى　　ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وفى الحماسة أيضاً :

* ماذا من البعد بين البخل والجود *

ووقع فى الحماسة أيضاً ، وهو لا مرأة :

هَوَتْ أمُّهم ماذا بهم يومَ صرعوا　　بجيشان من أسباب مجد تَصَرَّمَا[4]

أرادت ماذا تصرم لهم يوم صرعوا بجيشان من أسباب مجد تصرما

---

(١) فى ا « ماذا أحال وتيرة بن سماك » وما أثبتناه موافقا لما فى ب هو الوارد فى الحماسة ، وقال التبريزى «قال أبو العلاء : يروى وثيرة — بالثاء — وهو من قولهم : فراش وثير ، ويروى وتيرة — بالتاء » (انظر شرح التبريزى ٢/٣٩٣ بتحقيقنا)

(٢) فى ا « غداة الخل » بالخاء معجمة .

(٣) فى ا « من بؤسى الحوادث والدهر »　　(٤) فى نسخة « بجبشان »

ومما يستظهر به قول أبى الطيب المتنبى :

ماذا لقيتُ من الدنيا وأعجَبُهَا أنّى بما أنا باكٍ منه محسودُ

وقوله أيضاً :

وماذا بمصر من المضحكات ولـكنه ضحك كالبكا

ومن ملح المتأخرين : كان بمُرْسِيَةَ أبو جعفر المذكور فى المطمح ، وكان يلقب بالبقيرة ، فقال فيه بعض أهل عصره :

قالوا البقيرة يهجونا فقلت لهم ماذا دهيت به حتى من البقر

هذا وليس بثور بل هو ابنته وأين منزلة الأنثى من الذكر

وأنشد صاحب الزهر ، ولا أذكر قائله :

ماذا لقيت من المستعربين ومن قياس قولهم هـذا الذى ابتدعوا

إن قلت قافية بكرا يكون لها معنى يخالف ما قالوا وما وضعوا

قالوا لحنت وهذا الحرف منتصب وذاك خفض وهذا ليس يرتفع

وضَرَّبُوا بين عبد الله واجتهدوا وبين زيد فطال الضرب والوجع

وقال صاحب الزهر : أنشد أبو حاتم ولم يُسَم قائله :

ألا فى سبيل الله ماذا تَضَمَّنَتْ بطونُ الثرى واستودِعَ البَلَدُ القفْرُ

هـذا ما حضر بفضل الله من الاستشهاد على أن « ماذا » تستعمل بمعنى الخبر والتكثير ، ووالله الذى لا إله غيره ما طَالَعْتُ عليـه كتابا ، ولا فتحت فيه بابا ، وإنما هو ثُمالة[1] من حوض التذكار ، وصُبابة مما علق به شَرَكَ الأفـكار ، وأثر مماسَدِكَ[2] به السمع ، أيام خلوّ الذَّرْع ، وعُقدت عليه الحُبَى ، فى عصر الصِّبَى ، ورحم الله من تصفح ، وتلمح فتسمح ، وصحح ما وقع إليه من الاعتلال ، وأصلح

---

(١) الثمالة — بضم المثلثة — البقية ، وكذا الصبابة

(٢) فى ب « سلك به السمع » وفى نسخة عند ا « سبك السمع » وسدك به : معناه أولع به ، وبابه فرح

ما وضع لديه من الاختلال ، فخير الناس ، من أخذ بالبر والإيناس ، فبصر من جهله ، وأدَّكر عن وهله ، و إنما المؤمنون إخوة ، وتحابهم فى الله رفعة وحُظوة ، ولهم فى السلف الكريم ، ومحافظتهم على الود القديم ، أسوة كريمة وقدْوَة .

قال ابن الطراح : انظر إلى تحصيل هذا الإمام الرئيس والأسمى النفيس ، واستحضاره كلام الأدباء ، وسير النقاد والبلغاء ، ومُسَاجلته مع فرسان المعانى ، ووصفه تلك المغانى ، وقد كان حامل لواء الأدب ، وفائق أبناء جنسه فى مراقب[1] الطلب ، وهذه الكلمة — أعنى « ماذا » — جرت بسببها مناظرة بين الأستاذ أبى الحسين بن أبى الربيع النحوى المشهور و بين مالك بن المرحَّل بسبتة ، حتى ألف مالك كتاب « الرمى بالحصا ، والضرب بالعصا » وفيه هَنَات لا ينبغى لعاقل أن يذكرها ، ولا لذى طى فى البيان أن ينشرها ، وفى ذلك قال الأستاذ أبو الحسين رحمه الله تعالى :

كان ماذا ليتها عَدَمُ ... جنبوها قربُهَا نَدَمُ
ليتنى يا مال لم أرها ... إنها كالنار تضطرم

وقوله « يا مال » ترخيم مالك

وحكى الأستاذ ابن غازى أنهم اختلفوا : هل يقال : كان ماذا أم لا ؟ وقال : إن الأستاذ ابن أبى الربيع تطفَّل على مالك بن المرحل فى الشعر ، كما أن ابن المرحل تطفل عليه فى النحو ، قال : ومن نظم مالك بن المرحل فى هذه القضية :

عاب قوم كان ماذا ... ليت شعرى كان ماذا
إن يكن ذلك جهلا ... منهم فكان ماذا

من نظم ابن حبيش

ومن نظم ابن حبيش المذكور قوله :

---

(١) فى ا « فى مرقب الطلب »

إذا ما شئت أن تحيا هَنِيًّا رفيع القدر ذا نفس كريمه
فلا تشفع إلى رجل كبير ولا تشهد ولا تحضر وليمه

وله أيضاً :

لَأُعملن إلى لقياكم قدمى ولو تجشمت بين الطين والماء
لَأَن يبل ثيابى الغيث أهون بى من أن تحرق نار الشوق أحشائى

أبو زكريا اليفرنى

وأبو زكريا المعترض على ابن حبيش هو الفقيه النحوى الأديب أبو زكريا يحيى ابن على بن سلطان اليفرنى ، وله سنة ٦٤١ ، وبرع فى العربية ، وكان يلقب فى المشرق «جبل النحو» وكان عند نفسه مجتهدا ، وكان لا يجيز نكاح الكتابيات، خلافا للامام مالك ، وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، ويتمسك بقوله تعالى (وجعل بينكم مودة ورحمة) وكان يرى أن الطلاق لا يكون إلا مرتين : مرة للاستبراء ، ومرة للانفصال ، ولا يقول بالثلاث ، وهو خلاف الإجماع ، وكان يقول فى نهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل ذى ناب من السباع : أى مأكول كل ذى ناب ، وتبقى هى على الإباحة ، ويدل عليه قوله تعالى : (وما أكل السبع) وكان يقول فى قوله تعالى (إن هذان لساحران) : [إن] الهاء اسم إن ، وذان لساحران جملة خبر لإن ، ولا تحتاج لرابط لأنها تفسيرية ، والمعنى عنده وأسروا النجوى قالوا إنها أى نجوانا هذان لساحران ، أى قولنا هذان لساحران ، تثبيطا للناس عن اتباعهما ، وخَطُّ المصحف يرده ، لكن فى المصحف أشياء كتبت على غير المصطلح ، مثل (مال هذا) و (لا أوضعوا) و (لا أذبحه) . قال ابن الطراح : ورأيت هذا المعنى لغيره ، وأظنه ابن النحاس ، وتوفى اليفرنى المذكور سنة ٧٠٠ ، ومن شعره :

ماذا على الغصُنِ المياَّس لو عَطفَا على صبابة صب حالف الدنفا
يا رحمةً لفؤادى من مُعَذِّبه كم ذا يحمله أن يحمل الكلفا

ويارعى الله دهرا ظل يجمعنا فى ظل عيش صفا من طيبه وضَفَا(١)

مودة بيننا فى الحب كاملة ونحن لانعرف الإعراض والصَّلَفَا

رجع إلى كلام الأندلسيين

لصالح ابن شريف الرندى

قال صالح بن شريف الرُّنْدِى رحمه الله تعالى فى سكين الكتابة :

أنا صمصامة الكتابة ، مالى من شبيه فى المُرْهَفَات الرِّقاق

فكأنى فى الحسن يوم وصال وكأنى فى القطع يوم فراق

وقال فى المقصّ :

ومصطحبين ما اتُّهِما بعشق وإن وُصفا بضم واعتناق

لعمر أبيك ما اجتمعا لشىء سوى معنى القطيعة والفراق

ولبعض الأندلسيين :

هلا اقْتَدَى ذو خُلَّة بفعالنا فيكون واصلَ خلِّهِ كوصالنا

مهما يجئْ أحد ليقطع بيننا نقطعه ثم نعد لأحْسَنِ حالنا

وجرح بعض الكتاب يده بالمقص ، فأنشده أحد جلسائه ، وغالب ظنى أنه أندلسى :

عداوة «لا» لكفك من قديم فلا تعجب لمقراض لئيم

لئن أدماك فهو للاشبيه وقد يعدو اللئيم على الكريم(٢)

نقد جماعة لكتاب المقرب لابن عصفور

ولما ألف ابنُ عصفور كتابه « المقرب » فى النحو انتقده جماعة من أهل قطره الأندلسيين وغيرهم ، منهم ابن الصائغ(٣) وابن هشام والجزيرى ، وله عليه « المنهج المعرب ، فى الرد على المقرب » وفيه تخليط كثير وتَعَسُّف :

وفى تَعَب من يحسد الشمس نورها ويأمل أن يأتى لها بضَرِيبِ

---

(١) ضفا — بالضاد المعجمة — أى طال ، ووقع فى ا « صفا من طيبه وصفا » بالصاد المهملة فى الموضعين .

(٢) فى ا « لئن أدماك فهو بلا شبيه » (٣) فى ا « منهم ابن الضائع »

ومنهم ابن الحاج وأبو الحسن حازم القرطاجنى الخزرجى ، وسماه « شدالزيار[١] على جَحْفَلة الِحمار » وابن مؤمن القابسى ، وبهاء الدين بن النحاس

ومن شعر حازم الأندلسى المذكور قوله :

لم تدر إذ سألتك ما أسْلاَ كَهاَ أبكت أسى أم قطعت أسلا كها

وعارضه التجانى بقوله :

يا ساحر الألحاظ يا فتا كها فُتْيَاَ جواز الصد مَنْ أفْتاَ كَهاَ

ومن حكاياتهم فى المجُون وما يجرى مجراه أن الوزير أبا بكر بن الملح[٢] كان له ابن شاب[٣] ، فاسترسل مع الأدب إلى أن خرج من القول إلى الفعل ، وأتى بأشياء لا تليق بمثله ، فكتب إليه أبوه :

يا سخنة العين يا بُنَيًّا ليتك ما كنت لى بنيا
أبكيت عينى ،أطلت حزنى أمتَّ صيتى وكان حيا
حططت قدرى وكان أعلى فى كل حال من الثريا
أما كفاك الزنا ارتكابا وشرب مشمولة الحميا
حتى ضربت الدفوف جهراً وقلت للشر جىء إليًّا
فاليوم أبكيك ملء عينى لو كان يغنى البكاء شَيًّا

فأجابه ابنه بقوله :

يالأئم الصبِّ فى التصابى ما عنك يغنى البكاء شيا
أوْجَفْتَ خيل العتاب نحوى وقبل وثبتها إليا
وقلت عُمْرُ الهنا قصير فاربح من العيش ما تَهيًّا
قد كنت أرجو المتاب مما فتنت جهلا به وغيا

---

(١) فى ا « شذو الزيار » (٢) فى ب « أبا بكر بن المليح »

(٣) فى ا « ابن متأدب »

لولا ثلاث شيوخ سوء أنت وإبليس والحميا

لأبى جعفر بن صفوان المالقى

وقال أبو جعفر بن صَفْوان المالقى رحمه الله تعالى :

سألته الإتيان نحوى مُقْبِلاً فقال سل نحوى كى تحصلا
قرأت باب الجمع من شوقى له وهو بالاشتغال عنى قد سلا
للاستغاثة ابتدأت تاليا وهو لأفعال التعدى قد تلا
وكلما طلبت منه فى الهوى عطفا غدا يطلب منى بدلا
وإن أرم محض إضافة له أعمل فى قطعى عنه الحيلا
فى ألف الوصل ظَلَلْتُ باحثا وهو بباب الفصل قد تكفلا
فلست موصولا وليس عائداً وليس حالى عن أسى منتقلا
فيامُنَى نفسى ومن لفهمه دانت فهوم الأذكياء النُّبَلاَ
وجدى موقوف عليك لا أرى عنك مدى الدهر له تَنَقُّلاَ(١)
فما الذى يمنع من تسكينه والوقف بالتسكين حكم أعملا
والحب مرفوع إليك مفرد فلم ترى لضمتى مستثقلا
فالضم للرفع غَدَا علامةً فى مفرد مثلى فأوضح مشكلا
لا زلت للهيام عنى رافعا للوصل ناصبا لقولى معملا
للشوق مسكنا لهجرى صارفا بالقرب من حال البعاد مبدلا
تجزم أمرا فى الأمانى ماضيا وتبتدى بما تشا مستقبلا

محمد ابن إدريس الأصطبونى

وقال محمد بن إدريس القُضَاعى الأصطبونى :

عُلاَهُ رياض أورقت بمحامد تنور بالجَدْوَى وتثمر بالأمل
تسحُّ عليها من نداه غمامة تروى ثرى المعروف بالعَلِّ والنَّهَلْ

(١) فى ب « عنك مدى الدهر له منتقلا » فتتكرر القافية ، وهو عيب معدود فى عيوب القافية .

وهل هو إلا الشمس نفسا ورفعة فيقرب بالجدوى و يبعد بالأمل
تعم أياديه البرية كلها فدانٍ وقاصٍ جود كفيه قد شمل

لمحمد التطيلي الهذلي

وقال محمد التطيلى الهذلى ، من أعيان غرْناطة :

جارت على لواحظ الآرام لما رمت أجفانُهَا بسهام
حكمت على بحكمها فتبسمت فغدا الضنى منها لدى أحكام(١)
يا قاتلى عمداً بسيف لحاظه أُغمد ظباه قبل وقع حمام(٢)
كم رمت وصلك والصدود يصدنى و يفل عزمى أمره ومرامى
إنى عدمت النفس يوم فراقكم والبين أسلمها إلى الإعدام
كيف المقام وأصل جسمى ناحل إن النفوس مقيمة الأجسام
صعب العلاج فليس يمكن برؤها حتى يعود الشهر مثل العام
قد كنت أفرح بالسلوّ فها أنا قد زُمَّ قلبى فى الهوى بزمام
مالت به نحو الفتون بدائع من شادِنٍ يحكيه بدرُ تمام
فقوام أنفسنا بلذة وصله وجميع أعيننا عليه سَوَامِ
قد أبرزت خداه روض محاسن عظمت على الأفكار والأوهام
تندى بماء شبيبة وتنعم فتروق روق الزهر فى الأكمام(٣)
فكأنما وَجَنَاتها فى لونها وردُ الرياض رَبَا بصَوْب غمام
وكأنما درع الدجى من شعره قد حاكه منها يد الإظلام
وكأنما ريق حواه ثغره مسك أذيف بعنبر ومدام
وكأنما سيف نضت ألحاظه سيف الأمير ممهد الإسلام
ذاك الأمير محمد بن محمد ناهيك من ملك أغرَّ هُمَامِ

(١) سقطت كلمة « فغدا » من ب ، فتحيرنا شرها لنقص البيت ، وكتب بهامش النسخة بيتا بمعناه كله من عنده

(٢) في ا « اغمد ظباها » (٣) فى ا « فيروق منها الزهر فى الأكمام »

ملك علا فوق السماك علاؤه ... وسما فأدرك غاية الإعظام
لو كان يعتقل السها لأتاه فى ... شكل الفتاة ملثما بلثام (١)
أو كان يرضى بالمجرة أجردا ... لجرت إلى الإسراج والإلجام
فالسعد يفعل للأمانى قولها ... والنصر يخدمه مع الأيام
واليوم يعشقه ويحسد ليله ... فيه كعشق سيوفه لِلْهَامِ
نامت عيون الشرك خوف سنانه ... لولاه ما اكتحلت بطيف منام
بَهَرَ الأنام بسيفه وببأسه ... فسبى وأنعم أيما إنعام
فالمعتفى يجنى جزيل هباته ... والمعتدى يَصْلَى الردى بحسام
مهما استعنت به فَضَيْغَم معرك ... وإذا استجرت به فطَوْدُ شمام
أجرى مياه العدل بعد جفوفها ... وأزال نار الظلم بعد ضِرام
كم من كتيبة جَحْفَل قد هدّها ... فى معرك بمهند صمصام
المقتنى الجُرْدِ المَذَاكِى عُدَّةً ... للكر فى الأعداء والإقدام
من كل مبيض كأن أديمه ... لون الصباح أتى عقيبَ ظلام

ومنها :

يا خير من ركب الجياد وقادها ... تحت اللواء ، وعمدة الأقوام
لا زلتمُ والسعد يخدم أمركم ... فى غبطة موصولة بدوام
حتى يصير الأمن فى أرجائنا ... عبدا يقوم لنا على الأقدام
والله ينصركم ويعلى مجدكم ... ما سَحَّ إثر الصحو ماء غمام (٢)

بين يحيى السرقسطى وابن حسداى الوزير

وكان يحيى السَّرَقُسْطى أديبا ، فرجع إلى الجزارين ، فأمر الحاجبُ ابنُ هود أبا الفضل ابن حسداى أن يوبخه على ذلك ، فكتب إليه :

---

(١) فى ا « لأتاه فى شكل القناة ملثما بلثام »
(٢) فى ا « والله ينصركم ويعلى ملككم »

تركت الشعر من عدم الإصابه ... وملت إلى التجارة والقصابه

فأجابه يحيى :

تعيب عليَّ مألوف القصابه ... ومَنْ لم يَدْرِ قَدْر الشيء عابه

ولو أحكمت منها بعض شيء ... لما استبدلت منها بالحِجَابَهْ

ولو تدرى بها كلفى ووجدى ... علمت علام أحتمل الصبابه[(١)]

وإنك لو طلعت على يوما ... وحولى من بنى كلب عصابه

لهالك ما رأيت وقلت هـذا ... هِزَبْر صير الأوضام غابه[(٢)]

وكم شهدت لنا كلب وهر ... بأن المجد قد حُزْنَا لُبَابه

فتكنا فى بنى العنزى فتكا ... أقر الذعر فيهم والمهابه

ولم نقلع عن الثورى حتى ... مزجنا بالدم القانى لُعَابه

ومن يغتر منهم بامتناع ... فإن إلى صوارمنا إيابه

ويبرز واحد منا لألف ... فيغلبهم وذاك من الغرابه

ومنها :

أبا الفضل الوزير أجِبْ ندائى ... وفضلُكَ ضامن عنك الإجابه

وإصغاء إلى شكوى شكور ... أطلت على صناعته عتابه

وحقك ما تركت الشعر حتى ... رأيت البخل فد أوصى صحابه[(٣)]

وحتى زرت مشتاقا خليلى ... فأبدى لى التحيُّلَ والكآبه[(٤)]

وظن زيارتى لطِلَابِ شيء ... فنافرنى وغَلَّظَ لى حجابه

لأبى الحسن ابن الحداد

وقال الأديب أبو الحسن بن الحداد :

قالت وأبدت صفحة ... كالشمس من تحت القناع

---

(١) فى ا « علمت على محتمل الصبابة » تحريف

(٢) الهزبر : الأسد ، والأوضام : جمع وضم ، وهو الخشبة التى يقطع عليها اللحم (القرمة) والغابة : مسكن السباع

(٣) فى ا « قد أوصى شحابه » (٤) فى ا « فأبدي لى التخيل والكآبه »

بعت الدفاتر وهى آ خر ما يباع من المتاع
فأجبتهـا ويدى على كبدى وهَمَّتْ بانصداع
لا تعجبى ممـا رأيـتِ فنحن فى زمَنِ الضياع

لأبى زكريا ابن مطروح فى عزل وال غير مرضى

وقال الأديب أبو زكريا بن مطروح من أهل مدينة باغة ، وقد عُزل والٍ فنزل المطر على إثره ، وهو من أحسن شعر قاله ، وكان الوالى غير مَرْضى :

ورُبَّ والٍ سَرَّنا عَزْلُه فبعضنا هنأه البعض
قدواصلتنا السحْبُ من بعده ولَذَّ فى أجفاننا الغَمْضُ
لو لم يكن من نجس شخصه ما طهرت من بعده الأرض

لأبى البركات ابن الحاج البلغيقى

وقال القاضى أبو البركات بن الحاج البلغيقى[1] ، رحمه الله تعالى :

وعشية حكمت على من تاب من أهل الخلاعة أن يعود لما مضى
جمعت لنا شمل السرور بفتية جمعوا اللذات شَمْلاً مرتضى
ما عاقنى عن أن أسير بسيرهم إلا الرياء مع الخطابة والقضا

لأبى الحجاج يوسف الفهرى الداني

وقال أبو الحجَّاج يوسف الفهرى من أهل دانية :

أبى الله إلا أن أفارق منزلا يطالعنى وَجْهُ المنى فيه سافرا
كأنَّ على الأيام أن لا أحله رويداً فما أغشاه إلا مسافرا

لبعضهم يرثى

وقال بعضهم فى الرثاء :

عَبَرَاتٌ تفيض حزنا وثكلا وشجون تعم بعضا وكلا
ليس إلا صُبَابَة أضرمتهـا حسرة تبعث الأسى ليس إلا

لأبى جعفر البغيل

ولأبى جعفر البغيل أحد شعراء الْمَرِيَّةِ وكتابها :

عزاء على هذا المصاب الذى دهى وشتت شمل الأنس من بعدما انتهى

---

(١) فى ب ونسخة عند ا « البلفيق »

بفرع علاء فى منابت سُؤْدُدٍ تسامى رُقِيًّا فى المعالى إلى السها[١]

أصِبْتَ به من بعد ماتم مجده وقد شمخت منه الشماريخ وازدهى

فأية شمس فيه للمجد كورت وأى بناء للمكارم قد وهى

فصبرا عليه لاَ رُزِئْتَ بمثله فمثلك من يُعْزَى إلى الحلم والنهى[٢]

لأبى جعفر أحمد بن أيوب المالقى

وقال الكاتب الماهر أبو جعفر أحمد بن أيوب اللماى[٣] المالقى :

طلعت طلائع للربيع فأطلعت فى الروض وَرْدًا قبل حين أوانه

حيا أمير المؤمنين مبشرا ومؤملا للنيل من إحسانه

ضنت سحائبه عليه بمائه فأتاه يستسقيه ماء بنانه

دامت لنا أيامه موصولة بالعز والتمكين فى سلطانه

لأبى جعفر أحمد بن طلحة

وقال أبو جعفر أحمد بن طَلْحة من جزيرة شُقْر :

يا هل ترى أظرف من يومنا قَلَّدَ جِيدَ الأفق طوق العقيق

وأنْطَقَ الوُرْقَ بعيدانها مطربة كل قضيب وريق

والشمس لا تشرب خمر الندى فى الروض إلا بكؤوس الشقيق

لأبى جعفر الغسانى

وقال أبو جعفر الغَسَّانى من أهل وادى آش ، واستوطن غرْناطة ، ثم مات بالْمَرِية ، فكتب على حمالة قراب لموطأ الإمام مالك ، بعد ما استنجد قرائح أدباء عصره ، واستصرخ اختراعاتهم لنَصْره ، فكلُّهم قَصَّرَ عن غرضه ، وأداء مفترضه ، فقال هو :

يا طالبا لكمالك حفظى أتم كمالك[٤]

فما تَقَلَّدْتَ مثلى إذ لم تقلد كمالك

---

(١) فى ا « لفرع علاء » وفى نسخة عندها كما فى ب

(٢) يعزى – بالبناء للمجهول – ينسب

(٣) فى ب « اللمائى » (٤) فى ا « ياطالبا لكمال »

لأبى بكر يحيى ابن بقى

وقال أبو بكر يحيى بن بقى :

خذها على وجه الربيع المُخْصِبِ ... لم يقض حَقَّ الروض من لم يشرب

هممى سماء عُلاً وهَمِّى مارد ... فارجمه من تلك الكؤس بكوكب

وهو رحمه الله تعالى صاحب الأبيات المشهورة :

زَحْزَحْتُه عن أضلع تشتاقه ... كيلا ينام على فراش خافق (١)

وانتقد عليه بعض اللطفاء فقال : إنه كان جافى الطبع حيث قال « زحزحته » ولو قال * باعدت عنه أضلعا تشتاقه * لكان أحسن .

للمتوكل ابن الأفطس

وقال السلطان المتوكل بن الأفطس صاحب بَطَلْيَوْسَ يستدعى :

انهض أبا طالب إلينا ... واسْقُطْ سقوطَ الندى علينا

فنحن عِقْد بغير وُسْطَى ... ما لم تكن حاضرا لدينا

وتذكرت هنا قول بعضَ المشارقة فيما أظن والله تعالى أعلم :

نحن فى مجلس أنس ... ما به غير محبك

فتصدق بحضور ... وأجمع الوقت بقربك

وخَفِ الآن عتابى ... مثل خوفى عند عتبك

لأبى عبد الله ابن خلصة

رجع — وقال أبو عبد الله بن خلصة الضرير :

ولو جاد بالدنيا وثَنَّى بمثلها ... لظنَّ من استصغارها أنه ضَنَّا

ولا عيب فى إنعامه غير أنه ... إذا مَنَّ لم يُتْبع مواهبه منا

وله أيضاً :

يا مالكا حسدَتْ عليه زمانه ... أمم خَلَتْ من قبله وقُرُونُ

مالى أرى الآمال بيضا وُضَّحاً ... ووُجُوه آمالى حوالك جُونُ (٢)

---

(١) كذا فى ب ونسخة عند ا ، وفى أصل ا « على وساد خافق »

(٢) جون : أراد هنا سوداء

أنا آمن فَرِقٌ وراج آيس ورَوٍ صَدٍ ومُسَرَّحٌ مسجون

لا تَعْدُنِي أنواءُ سَيْبك لاعـدا ك النصر والتأييد والتمـكين

لابن اللبانة وقال ابن اللَّبَّانة :

كرمْتَ فلا بحر حكاك ولا حَياً وفيت فلا عجم شَأَتْكَ ولا عرب

وأوليتنى منك الجميل فَوَالِهِ عسى السحُّ من نعماك يتبعه السكب

لأبى على بن اليمانى وقال أبو على بن اليمانى :

أبنات الهديل أسعدن أوعد ن قليل العزاء بالإسعاد[1]

بيد أنى لا أرتضى ما فعلتنَّ فأطواقُـكُنَّ فى الأجيـاد

لأبى جعفر ابن الدود وقال أبو جعفر أحمد بن الدود من كلمة :

فغدت غوادى الحى عنك مجائبا وأسلن ألحاظ الرباب ربابا[2]

لابن أبى الخصال وقال ابن أبى الخصال فى مليحة لها أربع جوارٍ قبيحات :

وليلة طولها على سـنة بات بها الجفن نادبا وَسَنَهْ

بأربع بينهن واحـدة كسيئات وبينها حسنه

لغالب الحجام وقال غالب بن تمام الملقب بالحجَّام :

صغار الناس أكثرهم قبيحاً وليس لهم بصالحة نُهُوض

ألم تر فى سباع الطير نسراً يسالمنا ويؤذينا البعوض

لابن عائشة وقال ابن عائشة :

وروضة قد علت سماء تطلع أزهارها نجوما

هفا نسيم الصبا عليها فخلتها أرسلت رجوما

كأنما الجوُّ غار لما بدت فأغرى بها النسيما

---

(١) هذا البيت لأبى العلاء المعرى

(٢) فى ا « قعدت غوادى الحى »

وله يصف فرسا ، وهو من بدائعه :

قَصُرَتْ له تسع وطالت أربع وزكت ثلاث منها للمتأمل
وكأنما سال الظلام بمتنه وبدا الصباح بوجهه المتهلل
وكأن راكبه على ظهر الصَّبا من سرعة أو فوق ظهر الشمائل

وقال :

تربة مسك وجوّ عنبرة وغيم ندّ وطَشّ ماوَرْدِ
كأنما جائل الحباب به يلعب فى جانبيه بالنرد

وتروى هذه الأبيات لغيره

وقال :

هم سلبونى حسن صبرىَ إذ بانوا بأقمار أطواق مطالعها بَانُ
لئن غادرونى باللوى إن مهجتى مسايرة أظعانهم حيثما كانوا

لأبى محمد بن سفيان

وقال أبو محمد بن سفيان ، وهو من أبدع التخلص :

فقلت وجفنى قد تداعت شؤنه وحر ضلوعى مُقْعِد ومقيم
لئن دَهَمَتْ دهم الخطوب وآلمت فإن أبا عيسى أغر كريم[1]

لابن الزقاق

وقال ابن الزقاق :

بأبى وغير أبى أغَنُّ مهفهف مهضوم ما تحت الوشاح خميصُهُ
لبس الفؤاد ومزقته جفونه فأتى كيُوسُفَ حين قُدَّ قميصُهُ

وقال :

سلام على أيامكم ما بكى الحْيَا وسَقْياً لذاك العهد ما ابتسم الزهر
كأن لم نَبِتْ فى ظل أمنٍ تضمنا من الليلة الظلماء أردية خضر

(١) كذا فى ب ونسخة عند ا ، وفى أصل ا « أعز كريم »

ولم تغتبق تلك الأحاديث قهوة وكم مجلس طيبُ الحديث به خمرُ
ألا فى ضمان الله فى كل ساعة يجدد لى فيها بشوقى له ذكر(١)
يذكرنيه البرقُ جذلانَ باسما ويذكرنى إسفارَ غُرَّته الفجر
وما رق زهر الروض إلا تمثلت لناظر عينى منه آدابه الزهر

ليحيى السرقسطى

وقال يحيى السَّرَقُسْطِى :

هاتها عسجدية كوثريهْ بنت كرم رحيقة عطريه
كلما شفَّهَا النحولُ تقوّت فاعجبوا من ضعيفة وقويه
رب خمارة سريت إليها والدجا فى ثيابه الزنجيه

ومنها :

كم عقار بدّنته بعقار وثيـاب صبغتها خمريه
إن خير البيوع ما كان نقداً ليس ما كان آجلا بنَسِيَّهْ

وله :

نسبتم الظلم لعمالـكم ونمتم عن قبح أعمالـكم
والله لو حكمتم ساعة ماخطر العدل على بالكم

للرصافى فى الدولاب

وقال الرصافى فى الدولاب :

وذى حَنِينٍ يكاد شجوا يختلس الأنفس اختلاسا
إذا غدا للرياض جارا قال لهـا الْمَحْلُ لا مساسا
يبتسم الروض حين يبكى بأدمع ما رأين باسا
من كل جفن يسل سيفا صار له عقده رياسا

وخرج أبو بكر الصابونى لنزهة بوادى إشبيلية ، وكان يهوى فتًى اسمُه على ، فقال :

---

(١) فى ا « من كل ساعة »

لأبى بكر الصابوني

أبا حسن أبا حسن بعادك قد نفى وسنى
وما أنسى تذكره فهل أنسى فيذكرنى

لابن أبى ركب

ويشبه هذا قول الطاهر بن أبى ركب :

يقول الناس فى مثل تذكر غائبا تَرَهُ
فمالى لا أرى سكنى وما أنسى تذكره[1]

بين ابن حزم وبعض الادباء

وكتب بعض الأدباء إلى ابن حزم الأندلسى بقوله :

سألت الوزير الفقيه الأجل سؤال مُدِلٍّ على من سأل
فقلت أيا خير مسترشد ويا خير من عن إمام نقل
أيحرم أن نالنى قبلة غزال ترشف فيه الغزل
وعانَقَنِى والدجا خاضب فبتنا ضجيعين حتى نَصَلْ
وجئتك أسأل مسترشدا فبين فُدِيتَ لمن قد سأل

فأجابه ابنُ حزم بقوله :

إذا كان ما قلته صادقا وكنت تحرَّيتَ جهد المقل
وكان ضجيعك طاوى الحشا أعار المهاة أُحمرار المقل
قريب الرضا وله غُنَّةٌ تميت الهموم وتحيي الجذل
ففى أخْذِ أشهب عن مالك عن ابن شهاب عن الغير قل
بترك الخلاف على جمعهم على أن ذلك حِلٌّ وبل

للرصافي

ونظر الرصافى يوما إلى صبى يبكى ، ويأخذ من ريقه ويبل عينيه ، كى يحكى[2] أثر البكاء ، فارتجل الرصافى :

عذيرىَ من جذلان يبدى كآبة وأضلعه ممـا يحاوله صفر

(١) فى ا « ولا أنسى تذكره »

(٢) فى ا « كى يخفى أثر البكاء » وفى الشعر الآتى مايصحح ماأثبتناه موافقا لمافى ب

أمَيْلِدُ مياس إذا قاده الصبـــا إلى ملح الإدلال أيده السحر
يبل مآقى مقلتيه بريقـــه ليحكى البكا عمدا كما ابتسم الزهر [(١)]
أيوهم أن الدمع بل جفونه وهل عُصِرَتْ يومامن النرجس الخمرُ

وكان المذكور - أعنى الرصافى - يميل فى شبيبته لبعض فتيان الطلبة ، وأجمع [(٢)] الطلبة على أن يصنعوا نزهة بالوادى الـكبير بمالَقَة ، فركبوا زورقا للمسير إلى الوادى ، فوافق أن اجتمع فى الزورق شملُ الرصافى بمحبوبه ، ثم إن الريح الغربية عَصَفت وهاج البحر ، ونزل المطر ، فنزلوا من الزورق ، وافترق شمل الرصافى من محبوبه ، فارتجل فى ذلك ، ويقال : إنها من أول شعره :

غَارَبى الغرب إذ رآنى مجتمِعَ الشمل بالحبيب
فأرْسَلَ الماء عن فراق وأرسل الريح عن رقيب

فلما سمع ذلك أستاذه استنبله ، وقال له : إنك ستكون شاعر زمانك .

لأبى بكر ابن مجير

وحكى أن أبا بكر بن مجير [(٣)] قال فى ابن لأبى الحسن بن القطان بمحضر والده :

جاء وفى يســـاره قوسٌ وفى اليمنى قَدَحْ
كأنه شَمْسٌ بدت وحولها قَوْسُ قزح
يا لائمى فى حبــه ما كل مَنْ لام نَصَحْ

فقال ابن عياش الـكاتب : هـذه أبيات لأندلسى استوطن المشرق فى تركى ، فأقسم أبو بكر أنه لم يسمع شيئاً من ذلك ، وإنما ارتجلها ، وقيل : إنها لأبى الفتح محمد بن عبيد الله من أهل بغداد ، وأوّلها :

* جَدّ بقلبى ومَزَحْ *

فالله أعلم بحقيقة الأمر .

---

(١) فى ا « يبل مآقى زهرتيه بريقه »
(٢) فى ا « واجتمع الطلبة »
(٣) فى ا « أبا بكر بن مجبر »

وخرج أبو بكر بن طاهر وأبو ذر الُخشَنى والقاضى أبوحفص بن عمر [١] ، وهو إذ ذاك وَسِيم ، فأثرت الشمس فى وجهه ، فقال أبو ذر :

وسمتك الشمس يا قمر سِمَــةً فى القلب تنتثر [٢]

فقال الآخر :

عَلِمَتْ قَدْرَ الذى صنعت فأنت صفراء تعتــذر

وقال أبو الحسين [٣] البلنسى الصوفى : كان لى صديق أمى لا يقرأ ولا يكتب ، فعلق فتًى ، وكان خرج لنزهة فأثرت الشمس فى وجهه ، فأعجبه ذلك ، وأنشد :

رأيت أحمد لما جاء من سفر والشمس قد أثرت فى وجهه أثرا

فانظر لما أثَّرته الشمس فى قمر والشمس لاينبغى أن تدرك القمرا

بين الوقشى وابن سراج

واجتمع أبو الوليد الوقشى وأبو مروان عبد الملك بن سراج القرطبى ، وكانا فريدى عصرهما حفظا وتقدّما ، فتعارفا ، وتسالما [٤] ، ثم بادر أبو الوليد بالسؤال ، وقال : كيف يكون قول القائل :

ولو أن مابى بالَحصَا فَعل الحصا وبالريح لم يسمع لهن هبوب [٥]

ما ينبغى أن يكون مكان فعل الحصا فقال أبو مروان « فلق الحصا » فقال : وهمت إنما يكون « قلق [٦] الحصا » ليكون مطابقا لقوله « لم يسمع لهن هبوب » يريد أن ما به يحرك ما شأنه السكون ويسكن ما شأنه الحركة ، فقال أبومروان : ما يريد الشاعر بقوله :

وراكعة فى ظل غصن مَنُوطَة بلؤلؤة نيطت بمنقار طائر

وكان اجتماعهما فى مسجد ، فأقيمت الصلاة أثر فراغ ابن سراج من إنشاد البيت ، فلما انقضت الصلاة قال له الوقشى : ألغز الشاعر باسم أحمد ، فالراكعة الحاء ،

---

(١) فى ا « أبوحفص بن عمرو » (٢) فى ا « وسمتك الشمس ياعمر »

(٣) فى ا « أبو الحسن البلنسى » (٤) فى ا « وتساءلا »

(٥) كذا فى ا ، ب ، و حفظى « ولوأن مابى بالحصى فلق الحصى » كما فى تصحيح أبى مروان (٦) فى ا هنا أيضا « فلق » بالفاء ولا يتم مع بعده

والغصن كناية عن الألف ، واللؤلؤة الميم ، ومنقار الطائر الدال ، فقال له ابن سراج : ينبغى أن تعيد الصلاة لشغل خاطرك بهـذا اللغز ، فقال له الوقشى : بين الإقامة وتكبيرة الإحرام فككته .

والبيت الأول لعبد الله بن الدمَينة ، و بعده :

ولو أننى أستغفر الله كلما ذكرتُكِ لم تكتب على ذنوب

لأبى الحسن ابن أضحى الوزير

وقال الوزير أبو الحسن بن أضحى :

ومستشفع عندى بخير الورى عندى وأولاهُمُ بالشكر منى و بالحمد

وصلت فلمـــا لم أقم بجزائه لففت له رأسى حياء من المجد

وكان سبب قوله هذين البيتين أنه كتب إليه أحد[1] الوزراء شافعا لأحد الأعيان ، فلما وصل إليه بره وأنزله وأعطاه عطاء استعظمه واستجزله ، وخلع عليه خلعا ، وأطلعه من الأجمال بدرا لم يكن مطلعا[2] ، ثم اعتقد أنه قد جاء مُقَصِّرا ، فكتب إليه معتذرا بالبيتين ، هكذا حكاه الفتح[3] ، وقال بعد ذلك ما صورته : ومن باهر جَلاله ، وطاهر خِلاله ، أنه أعَفُّ الناس بواطن ، وأشرفهم فى التقى مواطن ، ما عُلمت له صَبْوَه ، ولاحلت له إلى مستنكر[4] حُبْوَه ، مع عدل لاشىء يعدله ، وتحجُّب عمايتقى ممايرسل عليه حجابه و يُسْدِله ، وكان لصاحب البلد الذى كان يتولى القضاء به ابن من أحسن الناس صورة ، وكانت محاسن الأقوال والأفعال عليه مقصورة ، مع ما شئت من لَسَن ، وصوت حَسَن ، وعفاف ، واختلاط بالبهاء والتفاف ، قال الفتح : وحَمَلَنا لإحدى[5] ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللنا قرية على ضفة نهر ، أحسن من شادن مهر ، تشقُّها جداول كالصِّلاَل ؛ ولا ترمقها الشمس من تكاثف الظِّلال ، ومَعَنا جمله من أعيانها فأحضرنا من أنواع الطعام ،

---

(١) فى ا « بعض الوزراء » (٢) فى أصل ا « لم يكن له متطلعا »

(٣) فى ب «هكذا حكاه فى الفتح» وأراد الفتح بن خاقان صاحب القلائد والمطمح

(٤) فى أصل ا « إلى مستفزة حبوة » (٥) فى ا « إلى إحدى ضياعه »

وأرانا من فرط الإكرام والإنعام ، مالا يُطَاق ولا يحدّ ، ويقصر عن بعضه العدّ ، وفى أثناء مقامنا بدا لى من ذلك الفتى المذكور ما أنكرته ، فقابلته بكلام أعتقده ، وملام أحقده ، فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه ، ولم أرَ منه ما عهدته من الإنابة ، فكتبت إليه مُدَاعبا له ، فراجعنى بهذه القطعة :

أتتنى أبا نصر نتيجةُ خاطرٍ ... سريعٍ كرَجْع الطرف فى الخطرات
فأعربت عن وجد كمين طويته ... بأهْيَفَ طاو فاتر اللحظات[1]
غزال أحَمُّ المقتلين عرفته ... بخيف مِنًى للحَيْن أو عرفات[2]
رماك فأصمى والقلوب رمية ... لكل كحيل الطرف ذى فتكات
وظن بأن القلب منك مُحَصَّبٌ ... فلباك من عينيه بالجمرات
تقرب بالنساك فى كل منسك ... وضَحَّى غداة النحر بالمُهَجَات
وكانت له جَيَّانُ مثوى فأصبحت ... ضلوعك مثواه بكل فلاة
يعز علينا أن تهيم فتنطوى ... كئيباً على الأشجان والزفرات
فلو قُبِلَتْ للناس فى الحب فدية ... فديناك بالأموال والبشرات

ومن إيثار ديانته ، وعلامة حفظه للشرع وصيانته ، وقصده مقصد المتورعين ، وجَرْيه جَرْىَ المتشرعين ، أن أحد أعيان بلده كان متصلا به اتصال الناظر بسَوَاده ، محتلا فى عينه وفؤاده[3] ، لا يُسْلِمه إلى مكروه ، ولا يفرده فى حادث يَعْرُوه ، وكان من الأدب فى منزلة تقتضى إسعافه ، ولا تورده[4] من تشفيعه فى مورد قد عافه ، فكتب إليه ضارعاً فى رجلٍ من خواصه اختلط بمرأة طلقها ، ثم تعلقها ، وخاطبه فى ذلك بشعر ، فلم يسعفه ، وكتب إليه مُرَاجعاً :

أيا أيها السيد المجتبى ... ويا أيها الألمعىُّ العلم[5]

---

(١) فى ا « فأغربت عن وجد »

(٢) كذا فى ا ، وفى ب « للحسن أو عرفات » وليس بشىء

(٣) فى ب ونسخة عند ا « محتفلا فى عينه وفؤاده »

(٤) فى ا « وتورده » (٥) فى أصل ا « ألا أيها السيد المجتبى »

أتتنىَ أبيـاتك المحكمات بما قد حوت من بديع الحكم
ولم أر من قبلهـا مثلهـا وقد نَفَثَتْ سحرها فى الـكلم (١)
ولـكنه الدين لا يُشْتَرَى بنـثر ولا بنظام نظم
وكيف أبيح حِمًى مانعاً وكيف أحالل ما قد حرم
ألست أخاف عقاب الإله ونارا مؤججة تضطرم
أأصرفها طالقاً بتـة على أنْوَكٍ قد طغى واجترم
ولو أن ذاك الغوىَّ الذوى تثبت فى أمره ما ندم (٢)
ولـكنه طاش مستعجلا فكان أحق الورى بالندم

انتهى كلام الفتح الذى أردت جَلْبه [هنا] .

ولا خفاء أن هذه الحـكاية مما يدخل فى حكايات عَدْل قضاة الأندلس .

من نظم ابن أضحى أيضا

ومن نظم ابن أضحى المذكور ما كتب به إلى بعض مَنْ يعز عليه :

يا ساكن القلب رفقاً كم تُقَطِّعه اللهَ فى منزل قد ظل مثواكا
يشيد الناس للتحصين منزلهم وأنت تهدمه بالعنف عيناكا
والله والله ماحُبِّى لفاحشـة أعاذنى الله من هذا وعافاكا

وله فى مثل ذلك :

روحى إليك فرديه إلى جسدى من لى على فقده بالصبر والجلد (٣)
بالله زورى كئيباً لا عزاء له وشَرِّفيه ومَثْواه غداة غـد
لو تعلمين بما ألقـاه يا أملى بايعتنى الود تُصْفيه يدا بيـد
عليك منى سلام الله ما بقيت آثار عينيك فى قلبى وفى كبدى

وإذ وصلت إلى هذا الموضع من كلام أهل الأندلس ، فقد رأيت أن

---

(١) فى أصل ا « ولم أرمن قبلها بابلا »
(٢) فى أصل ا « ولو أن ذاك الغبى الجهول »
(٣) فى أصل ا « روحى لديك فرديه » وفى نسخة عندها « بالصبر والـكمد »

أذكر جملة من نساء أهل الأندلس اللاتى[1] لهنَّ اليدُ الطولىٰ فى البلاغة ، كى يعلم أن البراعة فى أهل الأندلس كالغريزة لهم ؛ حتى فى نسائهم وصبيانهم .

أم السعد بنت عصام الحميرى (سعدونة)

فمن النساء المشهورات بالأندلس : أم السعد بنت عصام الحميرى .

من أهل قرطبة ، وتعرف بسعدونة ، ولها رواية عن أبيها وجدّها وغيرهما ، كما حكاه ابن الأبار فى ترجمتها من « التكملة » .

وأنشدَتْ لنفسها فى تمثال نعل النبى صلى الله عليه وسلم تكملة لقول غيرها : ما صورته :

سألثم التمثال إذ لم أجد ... للثم نعل المصطفى من سبيل

لعلنى أحظى بتقبيله ... فى جنة الفردوس أسنى مقيل

فى ظل طُوبىٰ ساكناً آمناً ... أسقى بأكواس من السلسبيل

وأمسح القلب به عَلَّهُ ... يسكن ما جاش به من غليل

فطالما استشفى بأطلال مَنْ ... يهواه أهلُ الحب فى كل جيل

وأنشدنى ابن جابر الوادى آشى عن شيخه المحدث أبى محمد بن هرون القرطبى لجدته سعدونة ، وأظنها هذه :

آخِ الرجال من الأبا ... عِدِ والأقارِبَ لا تُقَارب

إن الأقارب كالعَقَا ... رب أو أشدّ من العقارب

هكذا نقله الخطيب ابن مرزوق ، ورأيت نسبة البيتين لابن العميد[2] ، فالله أعلم .

حسانة التميمية

ومنهن حسانة التميمية بنت أبى الحسين الشاعر .

---

(١) فى أصل ا « التى لهن اليد الطولى »

(٢) هما فى « يتيمة الدهر » للثعالبى منسوبان لابن العميد

تأدبت وتعلمت الشعر ، فلما مات أبوها كتبت إلى الحكم ، وهى إذ ذاك بكر لم تتزوج :

إنى إليك أبا العاصى موجعة أبا الحسين سقته الواكف الدِّيَمُ
قد كنت أرتع فى نعماه عاكفة فاليوم آوى إلى نعماك يا حَكَمُ
أنت الإمام الذى انقاد الأنام له وملكته مقاليدَ النهى الأممُ
لا شىء أخشى إذا ما كنت لى كنفا آوى إليه ولا يعرونِىَ العدم
لا زلْتَ بالعزة القعساء مرتدياً حتى تذل إليك العرب والعجم

فلما وقف الحَكَمَ على شعرها استحسنه ، وأمر لها بإجراء مرتب ، وكتب إلى عامله على الْبِيرَةَ فجهزها بجهاز حَسَن .

ويحكى أنها وفدت على ابنه عبد الرحمن بشكية من عامله جابر بن لبيد وَالِى الْبِيرَةَ ، وكان الحكم قد وقع لها بخط يده تحرير أملاكها ، وحملها فى ذلك على البر والإكرام ، فتوسلت إلى جابر بخط الحكم ، فلم يفدها ، فدخلت إلى الإمام عبد الرحمن ، فأقامت بفِنائه ، وتلطفت مع بعض نسائه ، حتى أوصلتها إليه ، وهو فى حال طرب وسرور ، فانتسبت إليه[1] ، فعرفها وعرف أباها ثم أنشدته :

إلى ذى الندى والمجد سارت ركائبى على شَحَطٍ تَصْلَى بنار الهواجر
ليجبر صَدْعى إنه خير جابر ويمنعنى من ذى الظلامة جابر
فإنى وأيتامى بقَبْضَة كفه كذى ريشٍ أُضحى فى مخالب كاسر
جدير لمثلى أن يقال مَرُوعَةٌ لموت أبى العاصى الذى كان ناصرى
سقاه الحيا لو كان حيا لما اعتدى على زمان باطش بَطْشَ قادر
أيمحو الذى خطته يمناه جابر لقد سام بالأملاك إحدى الكبائر

(١) فى ا « فانتسبت له »

ولما فرغت رفعت(١) إليه خط والده ، وحكت جميع أمرها ، فرقّ لها ، وأخذ خط أبيه فقبّله ووضعه على عينيه ، وقال: تعدَّى ابن لُبيد(٢) طَوْره ، حتى رام(٣) نقض رأى الحكم ، وحسبنا أن نسلك سبيله بعده ، ونحفظ بعد موته عهده ، انصرفى يا حَسَّانة فقد عزلته لك ، ووقع لها بمثل توقيع أبيه الحكم ، فقبلت يده ، وأمر لها بجائزة ، فانصرفت و بعثت إليه بقصيدة منها :

ابن الهشامين خير الناس مأثرة ... وخير مُنْتَجَعٍ يوماً لروّاد

إن هَزَّ يومَ الوغى أثناء صعدته ... روّى أنابيبها من صرف فِرْصَادِ

قل للإمام أيا خير الورى نسباً ... مقابلا بين آباء وأجداد

جوّدت طبعى ولم ترض الظلامة لى ... فهاك فضل ثناء رائح غاد(٤)

فإن أقمت ففى نعماك عاطفة ... وإن رحلت فقد زوَّدتنى زادى

أم العلاء بنت يوسف الحجارية

ومنهن أم العلاء بنت يوسف الحِجَارية .

ذكرها صاحب « المغرب » وقال : إنها من أهل المائة الخامسة ، ومن شعرها:

كل ما يصدر منكم حسن ... وبعلياكم تحلَّى الزمن

تعطف العين على منظركم ... وبذكراكم تلَذُّ الأذن

من يعش دونكم فى عمره ... فهو فى نيل الأمانى يغبن

وعَشِقَهَا رجلٌ أشيب ، فكتبت إليه :

الشيب لا يُخْدَعُ فيه الصبى ... بحيلة فاسمع إلى نصحى

فلا تكن أجْهَلَ من فى الورى ... يبيت فى الجهل كما يُضْحِى

ولها أيضاً :

افهم مطارح أحوالى وما حكمت ... به الشواهد واعذرنى ولا تَلُمِ

---

(١) فى ا « دفعت إليه » (٢) فى ا هنا « تعدى ابن لبيب » محرفا

(٣) فى ا « حين رام » (٤) فى ا « فهاك فصل ثناء »

ولا تكلنى إلى عذر أبينه شر المعاذير ما يحتاج للكلم(١)

وكل ما جئته من زلة فبما أصبحت فى ثقة من ذلك الكرم

والحجارية — بالراء المهملة — نسبة إلى وادى الحِجَارة .

أمة العزيز

ومنهن أمَةُ العزيز

قال الحافظ أبو الخطاب ابنُ دَحْيَة فى كتاب «المطرب ، من أشعار المغرب» :
أنشدتنى أخت جدى الشريفة الفاضلة أمة العزيز الشريفة الحسينية لنفسها :

لحاظُكم تجرحنا فى الحَشَا ولحظُنَا يجرحكم فى الخدود(٢)

جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا فما الذى أوجب جرح الصدود

قلت : هذا السؤال يحتاج إلى جواب ، وقد رأيت لبلدينا القاضى الإمام الفاضل أبى الفضل قاسم العقبانى التلمسانى رحمه الله تعالى جوابَه ؛ والغالبُ أنه من نظمه ، وهو قوله :

أوجبه مِنِّىَ يا سيدى جَرْحُ بخد ليس فيه الجحود

وأنت فيما قلته مُدَّعٍ فأين ما قلت وأين الشهود

أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح

ومنهن أم الكرام بنت المعتصم بن صُمَادح ملك الْمَرِيَّة :

قال ابن سعيد فى « المغرب » : كانت تنظم الشعر ، وعشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف بالسمار ، وعملت فيه الموشحات ، ومن شعرها فيه :

يا معشر الناس ألا فاعجبوا مما جَنَتْهُ لوعَةُ الحبِّ

لولاه لم ينزل ببدر الدجا من أفقه العلوى للترب

حسبى بمن أهواه لو أنه فارقنى تابَعَهُ قلبى

الشاعرة الغسانية البجانية

ومنهن الشاعرة الغسانية البجانية — بالنون — نسبة إلى بجانة ، وهى كورة

(١) فى ا « ولا تكلنى إلى عذر أنبئه »
(٢) ورد هذا البيت فى ا هكذا :

ألحاظنا تجرحكم فى الحشا ولحظكم يجرحنا فى الخدود

عظيمة ، وتشتهر بإقليم المرية ، وهى من أهل المائة الرابعة ، فمن نظمها من أبيات :

عهدْتُهُمُ والعيشُ فى ظل وَصْلهم   أنيق وروضُ الوَصْل أخْضَرُ فيْنَانُ

ليالى سعد لا يخاف على الهوى   عتاب ولا يخشى على الوصل هجران

العروضية مــولاة أبى المطرف عبد الرحمن ابن غلبون

ومنهم العروضية مولاة أبى المطرف عبدالرحمن بن غلبون الكاتب .

سكنت بَلَنْسِيَةَ ، وكانت قد أخذت عن مولاها النحو واللغة ، لكنها فاقته فى ذلك ، وبرعت فى العروض ، وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر للقالى وتشرحهما ، قال أبو داود سليمان بن نجاح : قرأت عليها الكتابين ، وأخذت عنها العروض ، وتوفيت بدانِيَةَ بعد سيدها فى حدود الخمسين والأربعمائة ، رحمها الله تعالى !

حفصة الركونية

ومنهن حفصة بنت الحاج الركونية الشاعرة الأديبة المشهورة بالجمال ، والحسب والمال .

ذكرها الملاحى فى تاريخه ، وأنشد لها مما قالته فى أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على ارتجالا بين يديه :

يا سيد الناس يا من   يؤمِّلُ الناسُ رِفْدَهْ

أُمنن على بطِرْسٍ   يكون للدهر عُدَّهْ

تخط يمناك فيــه   الحمــــد لله وحده

وأشارت بذلك إلى العلامة السلطانية عند الموحّدين ، فإنها كانت أن يكتب السلطان بيده بخط غليظ فى رأس المنشور « الحمد لله وحده » .

وتذكرتُ بذلك ، والشىء بالشىء يذكر ، أنه لما قفَلَ السلطانُ الناصر أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين يعقوب المنصور ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن

ابن على سلطان المغرب والأندلس من إفريقية سنة ثلاث وستمائة بعد فتح المَهْدِية هنأته الشعراء بذلك ، ثم اجتمع أبو عبد الله بن مَرْج الكحل بالشعراء والكتاب، فتذكروا الفتح وعظمه ، فأنشدهم ابن مرج الكحل فى الوقت لنفسه :

ولما توالى الفتح من كل وجهة ولم تبلغ الأوهام فى الوصف حده

تركنا أمير المؤمنين لشكره بما أودع السر الإلٰهى عنده

فلا نعمة إلا تؤدى حقوقها علامته بالحمد لله وحده

فاستحسن الكتاب له ذلك ، ووقع أحسن موقع .

وحكى صاحب كتاب « روح الشعر ، ورَوْح السحر[1] » وهو الكاتب أبو عبد الله محمد بن الجلاب الفهرى أن أمير المؤمنين يعقوب المنصور لما قَفَلَ من غزوة الأراكة المشهورة ، وكانت يوم الأربعاء تاسع شعبان سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، ورد عليه الشعراء من كل قطر يهنئونه ، فلم يمكن لكثرتهم أن ينشد كل إنسان قصيدته ، بل كان يختصُّ منها بالإنشاد البيتين أو الثلاثة المختارة ، فدخل أحد الشعراء فأنشده :

ما أنت فى أمراء الناس كلِّهم إلا كصاحب هذا الدين فى الرسل

أحييت بالسيف دينَ الهاشمىِّ كما أحْياهُ جَدُّك عبد المؤمن بن على

فأمر له بألفى دينار ، ولم يصل أحداً غيره لكثرة الشعراء ، وأخذ بالمثل « مَنْعُ الجميع ، أرْضَى للجميع » قال : وانتهت رِقاعُ القصائد وغيرها إلى أن حالت بينه وبين مَنْ كان أمامه لكثرتها ، انتهى

رجع إلى أخبار حَفْصة :

وأنشد لها أبو الخطاب فى « المطرب » قولها :

---

(١) فى أصل ا « ودوح الشجر » وفى نسخة عندها « الشحر »

ثنائى على تلك الثَّنَايَا لأننى أقول على علم وأنطق عن خُبْرِ
وأنصفها لا أكذب الله إننى رشفت بها ريقا أرق من الخمر

وتولَّع بها السيدُ أبو سعيد(١) بن عبد المؤمن ملك غَرْنَاطة ، وتغير بسببها على أبى جعفر ابن سعيد ، حتى أدى تغيره عليه أن قتله ، وطلب أبو جعفر منها الاجتماع ، فمطلته قدر شهرين ، فكتب لها :

يا من أجانب ذكر اسمه وحُبِّى عَلَامَه(٢)
ما إن أرى الوعد يُقْضَى والعمر أخشى انصرامه
اليوم أرجوك لا أن تكون لى فى القيامه
لو قد بَصُرْتَ بحالى والليل أرخى ظلامه
أنوح شوقاً ووجدا إذ تستريح الْحَمَامَهْ(٣)
صب أطال هواه على الحبيب غرامه
لمن يتيه عليه ولا يردُّ سلامه
إن لم تُنيلِي أريحى فاليأسُ يثنى زِمَامَهْ

فأجابته :

يا مُدَّعى فى هَوَى الحسن والغرام الإمَامَهْ
أتى قريضُكَ ، لكن لم أرض منه نظامه
أمدعى الحب يَثْنِي يأسُ الحبيب زِمَامَهْ ؟
ضللتَ كلَّ ضلال ولم تُفِدْكَ الزعامة
مازلت تصحب مذ كنت فى السباق السلامه
حتى عثرت وأخجلت بافتضاح السآمه

---

(١) فى ب « أبو سعيد عبد المؤمن » وانظر ص ٣١٢ ، ٣١٥ الآتيتين
(٢) فى ا « وحسبى علامه » (٣) فى ا « أنوح وجدا وشوقا »

بالله فى كل وقت — يُبْدى السحاب انسجامه

والزهر فى كل حين — يشق عنــه كِمَامَهْ

لو كنت تعرف عذرى — كففت غَرْبَ الملامه

ووجهت هـذه الأبيات مع موصل أبياته ، بعد ما لعنته وَسَبَّتْهُ ، وقالت له : لعن الله المرسِل والمرسَل ! فما فى جميعكما خير ، ولا لى برؤيتكما حاجة ، وانصرف بغاية من الخِزْىِ ، ولما أطلَّ على أبى جعفر وهو فى قلق لانتظاره قال له : ما وراءك ياعصام ؟ قال : ما يكون وراء مَنْ وجْهُه خلف إلى فاعلة تاركة ، اقرأ الأبيات تعلم ، فلما قرأ الأبيات قال للرسول : ما أسخف عقلك وأجهلك ! إنها وعدتنى للقُبَّة التى فى جَنَّتى المعروفة بالكمامة ، سر بنا ، فبادروا إلى الكمامة(١) ، فما كان إلا قليلا ، و إذا بها قد وصلت ، وأراد عَتْبَها ، فأنشدت :

دعى عَدَّ الذنوب إذا التقينا — تعالَىْ لا نَعُدُّ ولا تَعُدِّى

وجلسا على أحسن حالة ، و إذا برقعة الكتندى الشاعر لأبى جعفر ، وفيها :

أبا جعفر يا ابن الكرام الأماجد — خَلَوْتَ بمن تهواه رَغْمًا لحاسد

فهل لك فى خِلٍّ قَنُوعٍ مهذب — كتوم عليم باختفاء المراصد

يبيت إذا يخلو المحبُّ بحِبِّــهِ — ممتَّعَ لذاتٍ بخمس ولأبد

فقرأها على حفصة ، فقالت : لعنه الله ! قد سمعنا بالوارش على الطعام والواغل على الشراب ، ولم نسمع اسما لمن يعلم باجتماع محبين فيروم الدخول عليهما ، فقال لها : بالله سميه لنكتب له بذلك ، فقالت : أسميه الحائل ؛ لأنه يَحُول بينى و بينك إن وقعت(٢) عينى عليه ، فكتب له فى ظهر رقعته :

يا من إذا ما أتانى — جَعَلْته نصب عينى

---

(١) فى ا « فبادروا للكمامه »

(٢) فى ا « ولولا وقعت عينى عليه » وليست بشىء

تراكَ تَرْضَى جلوساً بين الحبيب وبينى ؟
إن كان ذاك فماذا تبغى سوى قُرْبِ حَيْنِى
والآن قد حَصَلَتْ لى بعدَ المِطَال بدَيْنِى
فإن أتيت فَدَفْعاً منها بكلتا اليدين
أو ليس تبغى وحاشا ك أن تُرَى طَيْرَ بَيْنِ
وفى مبيتك بالخمس كل قبح وشين
فليس حقك إلا الخلوّ بالقمرين

وكتب له تحت ذلك ما كان منها من الكلام ، وذَيَّلَ ذلك بقوله :

سماك من أهواه حائل إن كنت بعد العتب واصل
مع أن لونك مزعج لو كنت تحبس بالسلاسل

فلما رجع إليه الرسول وجده قد وقع بمطمورة نجاسة ، وصار هتكة ، فلما قرأ الأبيات قال للرسول : أعلمهما بحالى ، فرجع الرسول ، وأخبرهما بذلك ، فكاد أن يُغْشَى عليهما من الضحك ، وكتبا إليه ارتجالا كل واحد بيتا بيتا(١) ، وابتدأ أبو جعفر فقال :

قل للذى خلصنا منه الوقوعُ فى الخرا(٢)
ارجع كما شاء الخرا يا ابن الخرا إلى وَرَا
وإن تَعُدْ يوماً إلى وصالنا سوف ترى
يا أسقط الناس ويا أنذلهم بلا مِرَا
هذا مدى الدهر تلا قى لو أتيت فى الكرا
يا لحية تشغف فى الخرء وتَشْنَا العنبرا(٣)

---

(١) فى ا « كل واحد منهما بيتا » بغير تكرار

(٢) فى ب « خلصنا * من الوقوع - إلخ » وما أثبتناه موافقا لما فى ا أتم

(٣) تشنا : تكره وتبغض ، وأصله تشنأ ، فسهل الهمزة بقلبها ألفا

لاقرب الله اجتماعاً بك حتى تقبرا

ومن شعرها :

سلام يفتح فى زهره الكمام وينطق ورق الغصون
على نازح قد ثوَى فى الحشا وإن كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبوا العبد ينساكم فذلك والله مالا يكون(١)

وقولها من أبيات :

ولو لم يكن نجما لما كان ناظرى وقد غبتُ عنه مظلماً بعد نوره
سلام على تلك المحاسن من شَجٍ تناءت بنعماه وطيب سروره

وقولها :

سلوا البارق الخفَّاق والليلُ ساكن أظل بأحبابى يذكرنى وَهْنَا
لعمرى لقد أهدى لقلبىَ خفقة وأمطرنى مُنْهَلُّه عارضه الجفنا

وتسب بعض إليها البيتين المشهورين(٢) :

أغار عليك من عَيْنَىْ رقيبى ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أنى خبأتك فى عيونى إلى يوم القيامة ما كفانى

والله تعالى أعلم

وكتبت إلى أبى جعفر :

رأست فما زال العداة بظُلْمِهِمْ وعِلْمِهِمُ النامى يقولون ما رأس(٣)
وهل منكر أنْ ساد أهل زمانه جَمُوحٌ إلى العليا حَرُونٌ عن الدنس

---

(١) فى ا ونسخة عند ب « فلا تحسبوا البعد ينسيكم » وقل ناشر ب بهامش النسخة « وكل صحيح ، كما لايخفى » (٢) فى ا « البيتين الشهيرين »

(٣) فى ب ونسخة عند ا « يقولون لم رأس »

وقال ابن دحية : حفصة من أشراف غَرْنَاطة ، رخيمة الشعر ، رقيقة النظم والنثر ، انتهى

ومن قولها فى السيد أبى سعيد ملك غَرْنَاطة تهنئة بيوم عيد ، وكتبت بذلك إليه :

يا ذا العلا وابنَ الخليـــفة والإمام المرتَضَى
يهنيك عيد قد جرى فيه بما تهوى القضا
وأتاك من تهواه فى قيد الإنابة والرضا
ليعيد من لذاته ما قد تَصَرَّمَ وانقضى

وذكر الملاحى فى تاريخه أنها سألتها امرأة من أعيان أهل غَرْنَاطة أن تكتب لها شيئا بخطها ، فكتبت إليها :

يا ربة الحسن ، بل يا ربة الكرم غُضِّى جفونك عما خَطَّهُ قلمى
تَصَفَّحيه بلحظِ الود منعمة لا تحفلى بردىء الخط والكلم

واتفق أن بات أبو جعفر بن سعيد معها فى بستان بحَوْز مُؤَمَّلٍ ، على ما يبيت به الروض والنسيم ، من طيب النفحة ونَضَارة النعيم ، فلما حان الانفصال ، قال أبو جعفر وكان يهواها كما سبق :

رعى الله ليلا لم يَرُحْ بمذمم عشية وارانا بحَوْزِ مؤمل
وقد خفقت من نحو نجد أريجة إذا نفحت هَبَّتْ بَرَيَّا القرنفل
وغرّد قُمرى على الدوح وانثنى قضيبٌ من الريحان من فوق جدول
يرى الروض مسرورا بما قد بدا له عناق وضم وارتشاف مُقَبَّلِ

وكتب بها إليها بعد الافتراق ، لتجيبه على عادتها فى مثل ذلك ، فكتبت إليه بقولها :

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا ولكنه أبدى لنا الغل والحسد

ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا ولا غرد القمرى إلا لما وجد[(١)]

فلا تحسن الظن الذى أنت أهله فما هو فى كل المواطن بالرَّشَدْ

فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه لأمر سوى كيما تـكون لنا رصد

وقال ابن سعيد فى « الطالع السعيد » : كتبت حفصة [الركونية] إلى بعض أصحابها :

أزورك أم تزور فإن قلبى إلى ما تشتهى أبدا يميل ؟

فثغرى مورد عذب زلال وفَرْعُ ذؤابتى ظل ظليل

وقد أملت أن تظما وتضحى إذا وافى إليك بىَ الْمقِيلُ

فعجل بالجواب فما جميل إباؤك عن بثينة يا جميل

قال التجانى : تشبه أبيات حفصة هذه أبيات أنشدها ابن أبى الحصين[(٢)] فى تاريخه لسلمى بنت القراطيسى من أهل بغداد ، وكانت مشهورة بالجمال ، وهى :

عيونُ مَهَا الصريم فداء عينى وأجياد الظباء فداء جيدى

أزين بالعقود وإن نحرى لَأَزين للعقود من العقود

ولا أشكو من الأوصاب ثقلا وتشكو قامتى ثقلَ النهود

وبلغت هذه الأبيات المقتفى أمير المؤمنين فقال : اُسألوا هل تصدق صفتها قولها ؟ فقالوا : ما يكون أجمل منها ، فقال : اُسألوا عن عفافها ، فقالوا [له] : هى أعف الناس ، فأرسل إليها مالا جزيلا ، وقال : تستعين به على صيانة جمالها ، ورونق بهجتها ، انتهى .

رجع إلى حفصة — وقال أبو جعفر بن سعيد : أقسم ما رأيت ولا سمعت بمثل حفصة ، ومن بعض ما أجعله دليلا على تصديق عزمى ، وبرقسمى ، أنى كنت يوما فى منزلى مع من يحب أن يخلى معه من الأجواد الـكرام على راحة سمحت

---

(١) فى ا « ولاصدح القمرى »

(٢) كذا في أصل ا ونسخة عند ب ، وفى أصل ب « ابن أبى الحسين »

بها غَفَلَات الأيام ، فلم نشعر إلا بالباب يضرب ، فخرجت جارية تنظر من الضارب ، فوجدت امرأة ، فقالت لها : ما تريدين ؟ فقالت : ادفعى لسيدك هذه الرقعة ، فجاءت برقعة فيها :

زائر قد أتى بجيد الغزال ... مطلع تحت جنحه للهلال
بلحاظ من سحر بابل صيغت ... ورضاب يفوق بنت الدَّوَالِي(١)
يفضح الورد ما حوى منه خدّ ... وكذا الثغر فاضح للآلى
ما ترى فى دخوله بعد إذن ... أو تراه لعارض فى انفصال

قال : فعلمت أنها حفصة ، وقمت مبادرا للباب ، وقابلتها بما يقابل به من يشفع له حُسْنُه وآدابه والغرام به وتفضُّله بالزيارة دون طلب فى وقت الرغبة فى الأنس به ، انتهى .

أبو جعفر أحمد ابن عبدالملك ابن سعيد العنسى

قلت : وإذ قد جرى ذكر أبى جعفر بن سعيد سابق الحَلْبة فلنلم ببعض أحواله فنقول : هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العَنْسى ، قال قريبه أبو الحسن على بن موسى بن سعيد فى « المغرب » سمعت أبى يقول : لا أعلم فى بنى سعيد أشعر منه ، بل لا أعلم فى بلده ، وعشق حفصة شاعرة الأندلس ، وكانا يتجاوبان تجاوب الحمام ، ولما استبد والده بأمر القلعة حين ثار أهل الأندلس بسبب دَوْلة بنى عبد المؤمن على الملثَّمين اُتخذه وزيراً ، واستنابه فى أموره ، فلم يصبر على ذلك ، واستعفى ، فلم يُعْفِهِ ، وقال : أفى مثل هذا الوقت الشديد تركن إلى الراحة ؟ فكتب إليه :

مولاى فى أى وقت ... أنال فى العيش راحهْ
إن لم أنلها وعمرى ... ما إن أنار صباحه

(١) بنت الدوالى : هى الخمر ، كما يقال لها : ابنة العنب ، وابنة الكرم

وللمـــلاح عيون تميل نحو الملاحـــه
وكأس راحيَ ما إن تملُّ منى راحـــه
والخطب عَنّيَ أعمى لم يقترب لى ساحه
وأنت دونيَ سُورٌ من العلا والرجاحه
فأعفـــنى وأقلنى مما رأيت صلاحه
ما فى الوزارة حظ لمن يريد ٱرتياحه
كل وقال وقيل مما يطيل نباحـــه[1]
أنسى أتى مستغيثا فاترك فُديت سَرَاحَهْ

فلما قرأ الأبيات قال : لا ينفع الله بما لا يكون مركبا فى الطبع مائلة له النفس، ثم وقع على ظهر ورقته : قد تركنا سَرَاح أنسك ، وألحتنا يومك بأمْسِك ، ولمارجع ثوار الأندلس إلى عبد المؤمن وبايعه عبدُ الملك بن سعيد فغمره إحساناً وبراً ، وولى السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن غَرْنَاطة طاب كاتباً من أهلها ، فوصف له فضل أبي جعفر وحسبه وأدبه ، فاستكتبه ، فطلب أن يعفيه ، فأبى إلى أن شرب أبو جعفر يوماً مع [بعض] خواصه ، وخرج ثانى يوم إلى الصيد وكان اليوم ذا غيم وبرد ، ولما اشتد البرد مالوا إلى خيمة ناطور[2] ، وجعلوا يصطلون ويشربون على ما اصطادوا ، فحمل أبا جعفر بقية السكر على أن قال يصف يومه ، ويستطرد بما فى نفسه :

ويوم تجَـلَّى الأفق فيه بعنبر من الغيم لُذْنَا فيه باللهو والقنص
وقد بقيت فينا من الأمس فضلة من السكر تغرينا بمنتهب الفرص
ركبنا له صبحاً وليلا وبعضنا أصيدٌ وكل إن شداجلجل رقص

---

(١) في ا « ممن يطيل نباحه »
(٢) الناطور : حارس البستان والقيم عليه

وشهب بزاة قد رجمنا بشُهْبها طيوراً يساغ اللهو إن شكت الغصص
وعن شفق تغرى الصباح أو الدجا إذا أوثقت ماقد تحرّك أوقمص
وملنا وقد نلنا من الصيد سؤلنا على قنص اللذات والبرد قد قرص
بخيمة ناطور توسط عذبها جحيم به من كان عذب قد خلص
أدرنا عليه مثله ذهبية دعته إلى الكبرى فلم يجب الرخص
فقل لحريص أن يرانى مقيداً بخدمته لا يُجْمل الباز فى القفص
وما كنت إلا طوع نفسى فهل أرى مطيعاً لمن عن شأو فخرى قد نقص

فكان[1] من أصحابه من حفظ هذين البيتين ، ووشى بهما للسيد ، فعزله أسوأ عزل ، ثم بلغه بعد ذلك أنه قال لحفصة الشاعرة : ما تحبين فى ذلك الأسود وأنا أقدر أن أشترى لك من سوق العبيد عشرة خيراً منه[2]؟ وكان لونه مائلا إلى السواد، فأسرّها فى نفسه إلى أن فر عبدُ الرحمن بن عبد الملك بن سعيد إلى ملك شرق الأندلس محمد بن مردنيش ، فوجد له بذلك سبباً ، فقتله صبراً بمالَقَةَ .

وكان عبد الملك بن سعيد يذكر ابنه أبا جعفر لعبد المؤمن ، وينشده من شعره رغبة فى تشريفه بالحضور بين يديه وإنشاده فى مجلسه ، فأمره بحضوره ، فعند ما دخل عليه قبل يده وأنشد قصيدة منها قوله :

عليك أحالَنِي داعى النجاح ونَحْوَكَ حَثَّنِي حادى الفلاح[3]
وكنت كساهرٍ ليلا طويلا ترنح حين بُشِّرَ بالصباح
وذى جهل تَغَلْغَلَ فى قفار شكا ظمأ فدل على القراح
دعانا نحو وجهك طيبُ ذكر ويُذْكَر للرياض شذا الرياح

(١) فى ا « فكان فى أصحابه »
(٢) كذا فى ب ونسخة عندا ، وفى أصل ا « أحسن منه »
(٣) فى ا « هادى الفلاح »

وله فى غلام أسْوَدَ ساقٍ ، ارتجالا :

أدار علينا الكأس ظبى مهفهف   غدا نَشْره واللون للعنبر الشحرى
وزاد لنا حسناً بزهر كؤسه   وحسن ظلام الليل بالأنجم الزهر (١)

وقوله فيه وقد لبس أبيض :

وغصن من الآبنوس ارتدى   بعاج كليلٍ عَلاه فلَق
يُحاكى لنا الكأسَ فى كفه   صباحُ بجنح علاه شفق (٢)

وقوله مما كتب به إلى أخيه محمد وقد ورد منه كتاب بإنعام :

وافى كتابك يُنْبِى   عن سابغ الإنعام
فقلت در ودر   من زاخر وغمام

وقوله يذم حَمَّاماً :

يارب حمام لعنابما   أبدى إلينا كل حمام
أفقُ له قَطْرُ حميم كما   أصمت سهامٌ من يَدَىْ رامى
يخرق سحباً للدخان الذى   لاح كغيم العارض الهامى (٣)
وقيم يجذبنى جذبة   وتارة يكسر إبهامى
ويجمع الأوساخ من لؤمه   فى عضدى قصدا لإعلامى
وازدحم الأنذال فيه وقد   ضجوا ضجيجاً دون إفهام
وجملة الأمر دخلنا بنى   سامٍ وعدنا كبنى حام

وله فى ضد ذلك ، والنصف الأخير لابن بقى :

لا أنس ما عشت حَمَّاماً ظفرت به   وكان عندىَ أحلى من جَنَى الظَّفرِ

---

(١) فى أصل ا « بزهو كؤوسه »
(٢) فى ا « تحاكى لنا الكأس فى كفه * صباحا »
(٣) فى أصل ا « لاح لغيم العارض الهامى »

نعمت جسمى فى ضـــدين مغتنما تنعم الغصن بين الشمس والمطر[1]

وقال له السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن صاحب غَرْناطة : ما أنت إلا حَسَنُ الفراسة ، وافر العقل ، فقال :

نسبتم لمن هَذَّ بتموه فراسة وعقلا ولولا كم لَلازَمَهُ الجهل
وما هو أهل للثناء و إنما علا كم لتقليد الأيادِى له أهْلُ
وما أنا إلا منكم و إليكم وما فىَّ من خير فأنتم له أصل

وقال :

ولما رأيت السعد فى صفح وجهه منيراً دعانى ما رأيت إلى الشكر
وأقبل يُبْدى لى غرائب نطقه وما كنت أدرى قبله منزع السحر
فأصغيت إصغاء الجديب إلى الْحَيَا وكان ثنائى كالرياض على الْقَطْرْ

وله :

لا تكثرنَّ عتابى إن طال عنك فراقى
فما يضر بعـــاد يطول والودُّ باقى

وله :

ما خدمنا كم لأن تشفعـوا فيـــنا بدار الجزاء يوم الحساب
ذاك يوم أنا وأنت سَــوَاء فيه ، كلٌّ يخاف سـوء العقاب
إنما الشأن الذب فى هــذه الدنـــيا بساطانكم عن الأصحاب
وإذا ماخذلتموهم بشكوى وبخلتم عنهم بردِّ الجواب
فاعذروهم أن يطلبوا من سوا كم نصرة وارفعوا حجال العتاب
و إذا أرض مجـــدِبٍ لَفَظَته فله العــذر فى اتباع السحاب

---

(١) فى أصل ا « نعمت جسمى فى ضديه »

وله وقد تقدم أمامه فى ليلة مظلمة أحدُ أصحابه ، فطفئ السراج فى يده ، فقال لوقته :

لى من جبينك هادى ... فى الليل نحو مرادى
فما أريد سراجا ... يدلنى لرشاد
أنى وكفك سُحْب ... يبدو بها ذا اتقاد

وله فى قوّادة :

قوّادة تفخر بالعار ... أقْوَدُ من ليل على سار
وَلّاجة فى كل دار وما ... يدرى بها من حذقها دارى
ظريفة مقبولة الملتقى ... خفيفة الوطء على الجار
لحافها لا ينطوى دائما ... أقْلَقُ من راية بيكار
قد ربيت مذ عرفت نفعها ... ما بين فَتّاك وشَطّار
جاهلة حيث ثوى مسجد ... عارفة حانة خَمّار
بسامة مكثرة برها ... ذات فكاهاتٍ وأخبار
علم الرياضات حوتهُ وسا ... ستهُ بتقويم وأسحار(١)
مَنّاعَةٌ للنعل من كيسها ... موسرة فى حال إعسار(٢)
تكاد من لطف أحاديثها ... تجمع بين الماء والنار

وما سمعنا فى هذا الباب أحسن من هذا ، والبيت السائر :

تقود من السياسة ألف بغل ... إذا حرنت بخيط العنكبوت

وشربَ ليلةً مع أصحاب له وفيهم وَسيم ، فأعرض بجانبه وقَطَّب ، فتكدر المجلس ، فقال أبو جعفر :

---

(١) فى ا « وساسان بتقويم وأسحار » محرفا

(٢) كذا فى أصل ا ، وفى أصل ب « مبتاعة للنعل » وفى نسخة عندها « مناعة للفعل »

يا من نأى عنا إلى جانب صدا كميل الشمس عند الغروب
لا تَزْوِعَنَّا وجهك المجتلى فالشمس لا يعهد منها قطوب
إن دام هذا الحال ما بيننا فإننا عما قليل نتوب(١)
ما نشتكى الدهر ولا خَطْبَه لولاك ما دارت علينا خطوب

وله [أيضا] :

أيا لائمى فى حمل صحبة جاهل قطوب المحيا سيىء اللحظ والسمع
لمنفعة ترجى لديه صحبتُه وإن كان ذا طبع يخالفه طبعى
كما احتَمَلَ الإنسان شرب مرارة الـدواء لما يرجو لديه من النفع

وله ، وقد أحسن ما شاء :

تركتكم لا كارها فى جنابكم ولكن أبى رَدِّى إلى بابكم دهرى
وطاحت بى الأطماع فى كل وجهة تنقلنى من كل سَهْلٍ إلى وَعْر
وما باختيارٍ فارقَ الخلدَ آدمٌ وما عن مراد لاذ أيوب بالصبر
ولكنها الأيام ليست مقيمة على ما اشتهاه مُشْتَهٍ أمد العمر
وإنك إن فكرت فيما أتيته تيقنت أن الترك لم يك عن غدر
ولكن لجَاجٌ فى النفوس إذا انقضى رَجَعْتُ كما قد عاد طير إلى وكر
وإنى لمنسوب إليكم وإن نأت بىَ الدار عنكم والغدير إلى القطر
وإنى لُمثْنٍ بالذى نلت منكم مقيم على ما تعلمون من البر
وإن خُنْتكم يوما فخاننى المنى وساء لديكم بعد إحماده ذكرى
على أننى أفررت أنىَ مذنب وذو المجد من يُغْنِى المقرَّ عن العذر

(١) فى ا « فإننا عما قريب نتوب »

وله يصف نارا :

نظرت إلى نار تصول على الدجا إذا ما حسبناها تدانت تَبَعَّدُ
ترفعها أيدى الرياح ، وتارة تخفضها مثل المكبر يسجد
وإلا فمن لا يملك الصبر قلبه يقوم به غيظ هناك ويقعد
لها ألسُنٌ تشكو بها ما أصابها وقد جعلت من شدة القر تُرْعَدُ

وله على لسان إنسان أخلقت بُرْدَتُه :

مولاى هذى بردتى أخلقت وليس شىء دونها أملك
وصرت من بأس ومن فاقة أبكى إذا أبصرتها تضحك

وله يستدعى أحد أبناء الرؤساء إلى يوم اجتماع :

تدارَكْنا فإنا فى سرور وما بسواك يكتمل السرور
أهِلَّةُ أنسنا بك فى تمام أليس تتم بالشمس البدور

وله ، وقد خطر على منزله من إليه له مَيْل ، وقال : لولا أخاف التثقيل لدخلت ، وانصرف ، فلما علم (1) أبو جعفر كتب إليه :

مولاى لِمْ تقصد تعذيبَ من يهوى وما قصدك مجهول
طلبت تخفيفاً ببعدٍ وفى تخفيفِ مَنْ نَهْواه تثقيل (2)
غيرك إن زارجَنَى ضَجْرة ولج منه القال والقيل
وأنت إن زرت حياة وما الـــعيش إذا ما طال مملول (3)

وله ، وقد جلس إلى جانبه رجل تكلم فأنبأ عن علوّ قدر ، فسأله عن بلده ، فقال : إشبيلية ، ففكر ثم قال :

يا سيداً لم أكن من قبلُ أعرفه حتى تكلم مثل الروض بالْعَبَقِ

---

(1) فى ا «فلما أعلم أبو جعفر» (2) فى ب «وفى * تخفيف من تهواه تثقيل»
(3) فى أصل ا « وما العيش إذا ماطال ممطول »

وزادنى أن غداً فى حمص منشؤه لقد تشاكل بين البدر والأفق

وله ، وقد حضر مجلساً مع إخوان له فى انبساط ومزاح ، فدخل عليهم أحدُ ظرفاء الغرب[1] بوجه طَلْق و بشاشة ، فاهتز لما سمع بينهم ، وجعل يصل ما يحتاج من مزاحهم إلى صلة بأحسن منزع وأنبل مقصد ، فأنشده أبو جعفر ارتجالا :

يا سيدا قد ضمه مجلس حل به للمزح إخوان

لم نلق من فجأته خجلة ولا ثنانا عنه كتمان[2]

كأنه من جمعنا واحـد لم يَنْبُ منا عنـه إنسان

ولم نكن ندريه لـكن بَدَا فى وجهه للظَّرف عُنْوَانُ

وله ، وقد لقى أحد إخوانه ، وكان قد أطال الغيبة عنه ، فدار بينهما ما أوجب أن قال :

إن لُحتَ لم تلمح سواكَ الأعينُ أو غبت لم تذكر سواكَ الألْسُنُ

أنت الذى ما إن يُمَلُّ حضوره ومغيبه السلوان عنـه يُؤْمَنُ

وله ، وهو من آياته :

إنى لأحمد طيفها وألومها والفرق بينهما لدىَّ كبير

هى إن بدت لى شيبة فى جفوة والطيف فى حين المشيب يزور

وإذا تَوَالَى صدُّها أو بَيْنُهَا وافى على أنَّ المزار عسير

وله ، وقد سافر[3] بعض الأراذل بماله ، فنكب فى سفره ، وعاد فقيرا بأسوأ أحواله :

اغد ولا يغن عنك القيل والقال فالجود مبتسم والفضل يختال[4]

قالوا فلان رماه الله فى سفر رآه رأيا بما حالت به الحالُ

فآب منه سليباً مثل مولده عليه ذل وتفجيع وإقلال

---

(١) فى ا « أحد الظرفاء الغرباء » وفى نسخة عند ب « ظرفاء الغرباء »

(٢) فى ب « لم يلق » وفيها « ولا ثناه »

(٣) في ب « وقد سار » وما بعده يحقق ما أثبتناه موافقا لما فى ب

(٤) فى ا « أعد ولا يغن عنك ــ إلخ »

فقلت لاخفف الرحمن عنه ، فلم يكن لديه على القصاد إقبال
فقل له دام فى ذل ومَسْغَبَةٍ ولا أعيدت له فى المال آمال
قد كان حُمْقُكَ حسنُ المال يستره فاليوم أصبحت لا عقل ولا مال

وله ، وقد سافر أحد الرؤساء من أصحابه :

أيا غائبا لم يَغِبْ ذكره ولا حال عن وده حائل
لئن مال دهرىَ بى عنكم فقلبىَ نحوكمُ مائل
فإنىَ شاهدت منكم عُلاً من العجز قسٌّ بها باقل[1]
لئن طال بى البعدُ عن لحظكم فما فى حياتى إذَنْ طائل

وله ، وهو من حسناته :

شقَّتْ جيوب فرحا عندما آبت ، وفى البعد تُشَقُّ القلوب
فقلت هذا موقف ما يشق الـ ـجيب فيه غير صب طروب
فابتسمت زهوا وقالت كذا الأ فق لعود الشمس شق الجيوب

وله ، وقد أجمع[2] رأيه على أن يَفِدَ على أمير المؤمنين عبد المؤمن ، فأخذ فى ذلك مع أصحاب له ، فجعلوا يَثْنُونه عن ذلك ، وظهر عليهم الحسد له ، فقال :

سر نحو ما تختار لا تَسْمَعَنْ ما قاله زيد ولا عمرو
كلهم يحسد ما رمته مهما يساعد رأيك الدهر[3]
عجبت ممن رام صدر العلا يروم أن يصفو له دهر

فقالوا له : اتهمتنا فى الود ، فقال : لو لم أتهمكم كنت أتهم عقلى ، والعياذ بالله تعالى من ذلك ، وكيف لا أتهمكم وقد غدوتم تثنوننى عن زيارة خليفةٍ لوالدى عنده مكانٌ ، وله علينا إحسان ، ولى شافع عنده مقرب لمجلسه عقلى ولسانى ،

---

(١) قس : مضرب المثل فى الفصاحة ، وباقل : مضرب المثل فى العى والفهاهة

(٢) فى أصل ا « اجتمع رأيه » (٣) فى ا « كلهم يحمد مارمته »

ولكنى أنا المخطئ الذى عدلت عن العمل بقول القائل :

ولم يستشر فى أمره غير نفســه ... ولم يرض إلا قائم السيف صاحباً[(١)]

وله فى شعاع الشمس والقمر[(٢)] على النهر :

ألا حبذا نهر إذا ما لحظته ... أبى أن يرد اللحظ عن حسنه الأنس

ترى القمرين الدهر قد عنيا به ... يفضضه بدر وتذهبــه شمس

وله فى والده وقدشن[(٣)] عليه درعا :

أيا قائد الأبطال فى كل وجهة ... تطير قلوب الأسد فيها من الذعر

لقد قلت لما أن رأيتك دارعا ... أيا حسن مالاح الحباب على البحر

وأنشدت والأبطال حولك هالة ... أيا حسن مادار النجوم على البدر

وقوله ، وقد بلغه أن حاسداً شكره :

متى سمعت ثنـــاء ... عمن غدا لك حاسد

فكان منك انخداع ... به فرأيك فاســد

بصــدره منك نار ... لهيبها غـير خامد

وغــله لك مازد ... ت فى السعادة زائد[(٤)]

وإنما ذاك منــــه ... كالْحَبِّ فى فخ صائد

وله :

أبصره من يلوم فيه ... فقال ذا فى الجمال فائق

أما ترى مادهيت منه ... كان عذولا فصار عاشق

وله فى أبيه ، وقد سجنه عبد المؤمن :

مولاى إن يحبسك خير خليفة ... فبذاك فخرك واعتلاء الشان

فالجفن يحبس نوره من غبطة ... والمرهفات تصان فى الأجفان

---

(١) فى ا ، ب « ولم يرض إلا قائم النفس صاحبا » تحريف ، والبيت من شعر « الحماسة » من كلمة لسعد بن ناشب المازنى (انظر شرح التبريزى بتحقيقنا : ٧٤/١)

(٢) فى ا « شعاع القمر والشمس » (٣) فى ا « وقد سن عليه درعا »

(٤) فى ا « وعله لك ــ إلخ »

فابشر فنزع الدر من أصدافه يعليه للأسلاك والتيجان
ولئن غدا من ظل دونك مطلقاً إن القذى ملقى عن الأجفان
والعين تحبس دائماً أجفانها وهداية الإنسان بالإنسان
والطرس يختم ما حواه نفاسة ويهان ما يبدو من العنوان
فاهنأ به لكن مَلِيًّا مكثه سجناً لغير مذلة وهوان
فلتعلُوَنْ رغم الأعادى بعده بذرى الخليفة فى ذرى كيوان

مولاى غيرك يُعَزَّى بما لم يزل يجرى على الكرام ، ويُذَكَّر تأنيساً له فى الوحشة بما يطرأ من الكسوف والخسوف على الشمس المنيرة والبدر التمام :

وأنت تُعَلِّمُ الناس التعزى وخَوْضَ الموت فى الحرب السجال

وقد كان مولاى أنشدنى لعلى بن الجَهْم قائلا : إن أحداً لم يُسَلِّ نفسه عما ناله من من السجن بمثله :

قالوا سجنت فقلت ليس بضائرى سجنى ، وأى مهند لا يغمد ؟(1)

الأبياتَ ، وما [ذا] تفيدك من العلم وصَدْرُك ينبوعه ، و بخاطرك لا يزال غروبه وطلوعه ، و إنما هى عادة تبعناها أدباً ، وقضينا بها ما فى النفس من الإعلام بالتوجع والتفجع أَرَبَا ، ولعل الله تعالى يُتبع هذه التسلية بتهنئه ، ويعقب بالنعمة هذه المرزئه ، قال : فأمر الملك بتسريحه أثر ذلك ، فلما اجتمع وجهه بوجهه جعل يحمد الله تعالى جهراً و يغرد بهذه الأبيات ، وكان سراحه بكرة :

طَلَعْتَ علينا كالغزالة بالضحى وعزك طَمَّاح ووجهك مُشْرق
فغفرًا لذنب الدهر أجمع إنه أتى اليوم من حسناه ما هو أليق
فَلُحْ فى سماء العز بالسعد طالعا وقدرك سامٍ أفقه ليس يُلْحَقُ

---

(1) فى ا « فقلت ليس بضائر » بغير ياء المتكلم .

فقد سرحَتْ لما غدوت مسرحا قلوبٌ وأفكار وسمع ومنطق

فاهتز أبوه من شدة الطرب ، وقال له : والله إنك لتملأ الدلو إلى عَقْد الكَرَبْ[(١)].

وله يعتذر ، وقد دعى إلى مجلس أنس : سيدى ساعدك[(٢)] سولك ، لما وصل إلى أخيك المعتدِّ بك رسولك ، قابله بما يجب من القبول ، وأبدى له من الشغل مامنع من الوصول :

ومن ذا الذى يُدْعَى لعدْن فلا يرى على الرأس إجلالا إليها يبادر

ولكن الاضطرار ، لا يكون معه اختيار ، و إنى لأشوق الناس إلى مشاهدة تلك المكارم ، وأحبهم فى محاضرة تلك الآداب المترادفة ترادُفَ الغمائم ، ولكن شغلنى عارض قاطع ، و برغمى أنى لدعوتك عاصٍ وله طائع ، وإنى بعد ذلك لحامل على تلك السجية الكريمة فى الغفران ، مستجير بالخلاص الذى أعهد من خرق فلان ومكر فلان ، فإنى متى غبت لا أعدم مترصداً قرحة يقع عليها ذُبَابُهُ[(٣)] ، ومستجمعا إذا أبصر فرصة سَلَّ عليها ذُبَابَهُ :

ولكننى أدرى بأنىَ نازح ودانٍ سواء عند من يحفظ العهدا

و إنى لأقول وقد غبت عن تلك الحضرة العلية ، وجانبت ذلك الجناب السامى والمثابة السنية :

لئن غبت عمن نوره نور ناظرى فحسبى لديه أن أغيب عِقَابَا

وسوف أوافيه مُقِراً بزلتى وفى حلمه أن لا يُطيل حسابا

وله فى قصر النهار ، ولو لم يكن له غيره لكفاه :

---

(١) أخذ هذا من قول اللهبى :

من يساجلنى يساجل ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكرب

(٢) فى ا « ماعدك سولك » وفى نسخة عندها « ماعدلك سؤلك »

(٣) الذباب الأول : الحشرة المعروفة ، والثانى : ذباب السيف

لله يوم مسرة أضوا وأقصر من ذُباله
لما نصبنا للمنى فيه بأوتار حباله
طار النهار به كمر تاع وأجفلت الغزاله

وهذا المعنى لم يُسْبق إليه ، ولم يقدر أحد أن ينزعه من يديه .

ولما وصل صحبة والده إلى إشبيلية افتتن بواديها ، واعتكف على الخلاعة فيها ، مُصْعداً ومنحدراً بين بساتينه ومنازهه ، فمر ليلة بطريانة فمال نحو منزه فيه طرب سمعه ، فاستوقفه هنالك ، وهو فى الزورق متكىء وأصحابه وأصحاب أبيه مظهرون انحطاطهم عنه فى المرتبة ، فأخرج رأسَه أحدُ الأنذال المعتادين بالنادر من شرجب ، والشرجب : هو الدرابزين من خشب فيه طاقات ؛ وطريانة مقابلة إشبيلية ، وبها المنازه والأبنية الحسنة ، فضرط له ذلك النذل بغاية ما قدر ، فرفع رأسه وقد أخذ منه السكر ، ولم يعتد مثل ذلك فى بلده ، وقال : يا سفلة ، أتقدم على بهذا قبل معرفتى ، فثنى عليه واحدة أخرى ، ثم رفع ثوبه عن ذكره وهو منعظ ، وقال: يا وزير اجعل هذا عندك وديعة حتى أعرف من تكون ، ثم رفع ما على استه من ثيابه وقال : واعمل من هذا غلافا للحيتك فإذا عرفناك ذهبناه لك ؛ فغلبه الضحك على الحرج ، وجعل أصحابه يقولون له : ما سمعت أن من دخل هذا الوادى يعول على هذا وأمثاله ، فمال عن ذلك المنزه قليلا ، وأطرق ساعة وقال :

نهر حمص لا عد منا ك فما مثلك نهر
فيك يلتذ ارتياح أبد الدهر وسكر
كل عمر قد خلا منــك فما ذلك عمر
خصه الله بمعنى فيه للألباب سر
يلعن الإنسان فيه وهو يصغى ويُسَرّ

ثم سأل بعد ذلك عن رب المنزه ، فسمى له ، وأعلم أن ابن سيد الشاعر المشهور

باللص كان حاضراً وأنه أملى على السفلة ما قال وصنع ، فكتب له أبو جعفر :

بين أبى جعفر وابن سيد المعروف باللص

ياسميي وإن أفاد اشتراك غير ما يرتضيه فضل وود
أكذا يزدرى الخليل بأفق أنت فيه ولم يكن منك رد
لا أرى من سلطت وغداً ولكن ليس يخفى عليك مَنْ هو وغد

فلما وقف على هذه الأبيات كتب له : يا مولاى وسيدى ، وأجل ذخرى للزمان وعَضُدِى ، الذى أفخر بمشاركة اسمه ، وتتيه هذه الصناعة بذكره ورَسْمه[١] :

وخير الشعر أشرفه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد

سلام كتسنيم ، على ذلك المقام الكريم ، ورحمة الله تعالى وبركاته ، وإن كان مولاى لم يفاتحنى بالسلام ، ولا رآنى أهلا لمقاومة الكرام ، لكن حطَّ قدرى عنده ما نسب لى من الذنب المختلق ، ولا والله ما نطقت بلسان ولا كنت ممن رَمَق[٢] ، بل الذى زوّر لسيدى فى هذه الوشاية كان المعين[٣] عليها ، والملم إليها ، فبادر إليكم قبل أن أسبقه فانَّسَمَ بأسقط خطتين النذالة الأولى والوشاية الأخرى ، ولولا أن المجالس بالأمانات ، وأن الخلاعة بساط يطوى على ما كان فيه ، لكنت أسبق منه ، لكنى يأبى ذلك خلقى ، وما تأدبت به ، ومع ذلك فإنى أقول :

فإن كنت ذا ذنب فقد جئتُ تائباً ومثلك غفار ومثلك قابل

ولولا ما أخشى من التثقيل ، وما أتوقع من الخجل إذا التقى الوجهان ، لأتيت حتى بلغت[٤] فى الاعتذار بالمشافهة مالا يسع القرطاس ، لكننى متكل على حلم سيدى وإغضائه ، متوسل إليه فى الغفران بعَلاَئه ، وكتب تحت ذلك شعراً طويلا منه :

ولا غرو أن تعفو وأنت ابن مَنْ غدا تعود عفواً عن كبار الجرائم

---

(١) فى ا « بذكره ووسمه »
(٢) رمق : نظر
(٣) فى ا « كان العين عليها »
(٤) فى ا « حتى أبلغت ـ إلخ »

لكم آلَ عَمَّارٍ بيوت رفيعة ... تشيد من كسب الثنا بدعائم

إذا نحن أذنبنا رجونا ثوابكم ... ولم نقتنع بالعفو دون المكارم

وإنك فرع من أصول كريمة ... ولا تلد الأزهار غير الكمائم

وإنيَ مظلوم لزور سمعته ... وقدجئت أرجو العفو فى زى ظالم

فأجابه أبو جعفر بما نصه : سيدى الذى أكبر قدره ، وأجل ذكره[1] ، وأجزل شكره ، وَصَل جوابك الذى لو كان لك من الذنب ما تحمله ابن ملجم[2] ، لأضربت لك عنه صفحا ، ونسيت بما تأخر ما تقدم ، ومعاذ الله أن أنسب لفضلك عيبا ، فأذم لك حضورا أو غَيْباً ، وإنما قصدت بالمعاتبة ، ما تحتها من المطارحة والمداعبة ، على أن سيدى لو تيقنتُ أنه ظالم لأنشدت :

منذ غدا طرفك لى ظالما ... آليت لا أدعو على ظالم

لكننى أتيقن خلاف ذلك ، وأعلم حتى كأنى حاضر ما كان هنالك ، وقد أطلت عليك ، وبعد هذا فلتعتمد على أن تصل إلى أو أصل إليك ، فهذا يوم كما قال البُسْتِى :

يوم له فضل على الأيام ... مَزَجَ السحاب ضياءه بظلام

فالبرق يخفق مثل قلب هائم ... والغيم يبكى مثل جَفْنٍ هامِ

فاختر لنفسك أربعا هن المنى ... وبهن تصفو لذة الأيام

وجه الحبيب ومنزلا مستشرقا ... ومغنيا غردا وكأس مدام[3]

وقد حضرت عند محبك الثلاثة فكن رابعها ، ونادت بك همم الأمانى فكن

---

(١) فى ا « وأجمل ذكره »

(٢) ابن ملجم : هو عبدَ الرحمن بن ملجم لعنه الله ! قاتل أبى السبطين أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه

(٣) فى ا « وجه الحبيب ومنظرا مستشرفا » ولعلها أحسن

بفضلك سامعها ، ومركز أفلاك هذه المسرة حين كتب هذه الرقعة إلى مجدك منزه مطل على جزيرة شنتبوس لا أزال أترنم فيه بقول ابن وكيع :

قم فاسقنى والخليجُ مضطرب ... والريح تثنى ذوائب القضب
كأنهـا والرياح تعطفهـا ... صف قَناً سندسية العذب
والجو فى حـلة ممسَّـكة ... قد طرزتها البروق بالذهب

فإن كان سيدى فى مثل هذا المـكان ، جرينا إليه جرى الحَلْبة لحصل الرهان ، وإن كان فى كِسْرِ بيته فليبادر إلى محل تقصر عنه همة قيصر وكسرى ، وإن أبطأ فإن الرقاع بالاستدعاء لا تزال عليه تَتْرَى ، وإن كان لايجدى هذا الكلام ، فما نقنع من العقوبة المؤلمة بالمَلَام ، وعلى المودة المرعية [الداعية] أكمل مايكون من السلام .

فعندما قرأ الرقعة ركب إليه زورقا وصنع هـذه الأبيات فى طريقه ، فعند وصوله أنشده إياها :

ركبت إليـك النهر يا بحر فالْقنَا ... بما يتلقى جـوده كل قادم
بفيض ولـكن من مدام ، وهزة ... ولـكن إلى بذل الندى والمكارم
وكنا نسمِّى قبل كونك حاتما ... ومذ لُحتَ فينا لم نعد ذكر حاتم
بآل سعيد يفخر السعد والعـلا ... فأيديهمُ تلغى أيادى الغمائم

فامتلأ أبو جعفر سروراً ، وخلع عليه ما كان عنده هنالك ، ووعده بغير ذلك ، فأطرق لينظم شيئاً فى شكره ، فأقسم عليه أن لا يشغل خاطره فى ذلك الوقت عن الارتياح ، وحَثَّ أكؤس الراح ، فأقبلوا على شأنهم ، وكان ابن سيد فى ذلك الحين متسترا بشرب الراح ، وكان عند أبى جعفر خديم كثير النادر والالتفات ، يخاف أهل التستر من مثـله ، فقال ابن سيد : هاتِ دواة وقرطاسا ، فأعطاه ذلك ، فـكتب :

يا سيدى قـد علمت أنى ... بهـذه الحال لا أظاهر

أخشى أناسا لهم عيون ... نواظر منى المعاير

أحذرهم طاقتى وإنى ... وثقت بالله فهو غافر

ولا تقِسْ حالتى بحال ... منك اعتذار فالفرق ظاهر

فأنت إن كنت ذا جهار ... غير مبال فالجاه ساتر

لا تخش من قول ذى اعتراض ... ولا حسود عليك قادر

وإننى قد رأيت ممن ... يكثِّر القول وهو ساخر

ما قد أراب العفيف منه ... ضحك وظن به يجاهر

أخشى إذا قيل كيف كنتم ... قالَ بحال تسر ناظر

واللصُّ ما بيننا صريعا ... بكل كأس عليه دائر

مطرحا للصلاة يصغى ... لصولة الدف والمزامر

فأغتدى سيدى مشارا ... إلىَّ مهما مررت خاطر

وإن أتيت الملوك أبغى ... نوالَهم قيل أى شاعر

يذكر فى شعره خلافا ... وهو لزور المحال ذاكر[1]

بالأمس قد كان ذا انتهاك ... فماله بعد ذاك عاذر

إن كان هذا فإن حظى ... وَافَى لربح فآب خاسر

فقال له أبو جعفر : يا أبا العباس ، اشرب هنيئا غير مقدر ما قدرت ، فلو كان هذا المضحك على الصفة التى ذكرت كان الذنب منسوبا إلى فى كونى أحضر فى مجلسى[2] من يهتك ستر المستورين ، ومهما تره هنا بهذه الخفة والطيش والتسرع للكلام فإنه إذا فارقنا أثقل من جبل ، وأصمت من سمكة ، متزىٍّ بزِىِّ خطيب فى

(١) فى ا « يذكر في شعره غلافا »

(٢) في ا « أحضر مجلسى »

نهاية من السكون والوقار * وتحت الثياب العار لو كان باديا *[١] فكن فى أمن ما شربت معى ، فإنى والله لا أسمع أحدا من أصحابنا تكلم فى شأنك بأمر إلا عاقبته أشد العقاب ، والذنب فى ذلك راجع إلى ، فسكن ابن سيد وجعل يحث الأقداح ، ويمرح أشد المراح ، على ما كان يظهره من الانقباض ، تَقِيَّةً لما يخشاه من الاعتراض ، إلى أن قاربت الشمس الغروب ، ومد لها فى النهر معصم مخضوب ، فقال أبو جعفر :

انظر إلى الشمس قد ألصقت على الأرض خدا

فقال ابن سيد :

هى المِرَاةُ لكن من بعدها الأفق يصدا

فقال أبو جعفر :

مدت طرازا على النهر عند مالاح بُرْدَا

فقال ابن سيد :

أهدت لطرفك منه ما للأكارم يُهْدَى

فقال أبو جعفر :

دِرْعُ اللجين عليه سيف من التبر مُدَّا

فقال ابن سيد :

فاشرب عليه هنيئا وزد سرورا وسعدا

ثم لما أظلم الليل نظروا إلى منارة شنتبوس قد عكست مصابيحها فى النهر ، و إلى النجوم قد طلعت فيه ، فقال ابن سيد :

اخْلَعْ على النهر ثوب السكرى فذلك واجب[٢]

---

(١) هذا عجز بيت ينسب لذى الرمة ، وينسب لامرأة اسمها كنزة تقوله فى مية :

على وجه مى مسحة من ملاحة وتحت الثياب العار لو كان باديا

(٢) السكرى : النوم

فقال أبو جعفر :

وانظر إلى السرج فيه كالزهر ذات الذوائب
وحين صفق للأفق نَقَّطَتْه الكواكب

فقبل ابن سيد رأسه ، وقال : ماتركت بعد هذا مقالا لقائل ، ثم جعلوا يشربون ،
فقال أبو جعفر :

سقنى والأفق بُرْدٌ بنجوم الليل مُعْلَمْ

فقال ابن سيد :

و بساط النهر منها وهو فِضِّيٌّ مُدَرْهم

فقالى أبو جعفر :

ورواق الليل مُرْخًى والشذا بالروض قدنم

فقال ابن سيد :

والنَّدَى فى الزهر منثو ر على عقد مُنَظَّمْ

فقال أبو جعفر :

والصبا جرت على ميت الطلى كف ابن مريم

فقال ابن سيد :

كان مبهوتا فلما نفخت فيه تكلم

فقال أبو جعفر :

وكأن الكأس والقهوةَ دينار ودرهم (1)

فقال ابن سيد :

وبدا الدفُّ يناغى العود والمزمار هيم

---

(1) القهوة : اسم من أسماء الخمر ، شبهها بالدينار وشبه الكأس بالدرهم

فقال أبو جعفر :

فأذاع الأنس منا كل ما كان مُكَتَّم[١]

فقال ابن سيد :

أى عيش يهتك المستور لو كان ابن أدهم[٢]

فقال أبو جعفر :

هكذا العيش ودَعْنِي من زمان قد تقدم

فقال ابن سيد :

حين لا خمر سوى ما بكؤس البيض مِنْ دَمْ

فقال أبو جعفر : والله ما تعديت ما جال الساعة فى خاطرى ، فإنى ذكرت أيام الفتنة وما كابدنا فيها من المحن ، وأنا لم نزل فى مصادمة ومقارعة ، ثم رأيت ما نحن الآن فيه بهذه الدولة السعيدة التى أمنت وسكنت ، فشكرتُ الله تعالى ، ودعوت بدوامها

ثم لما طلع الفجر قال أبو جعفر :

نثر الطل عقوده ونَضَا الليل بُرُوده

فقال ابن سيد :

وبدا الصبح بوجهٍ مطلع فينا سعوده

فقال أبو جعفر :

وغدا ينشر لما فتر الليل بُنُوده

فقال ابن سيد :

فهلُمَّ اشرب وقبل من غدا يُنْطِق عوده

---

(١) فى ا « كل ماقد كان مكتم »

(٢) ابن أدهم : هو إبراهيم بن أدهم ، من كبار الصوفية

فقال أبو جعفر :

ثم صافحه على رغـــم النوى وافرك نهوده

فقال ابن سيد :

واجعل الشكر على ما نلته منه جحوده[1]

فقال أبو جعفر : يا أبا العباس ، إنك أغرت على التهامى فى هذا البيت فى قوله :

* وشكرُ أيادى الغانياب جُحُودُهاَ *

قال : فلم لقبت باللِّص ؟ لولا هذا وأمثاله ما كان ذلك .

واللص المذكور اسمه أحمد بن سيد ، يكنى أبا العباس ، وهو من مشهورى شعراء الأندلس .

ولما أنشد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على بجبل الفتح قوله :

غمض عن الشمس واسْتَقْصِرْ مدى زحل وانظر إلى الجبل الراسى على جبل

قال له : أنت شاعر هذه الجزيرة ، لولا أنك بدأتنا بغَمْض وزحل والجبل .

من شعر اللص

ومن بديع نظم اللص قوله :

سَلَبْتَ قلبى بلحظ أبا الحسين خَلُوبِ

فلم أسمـــى بلص وأنت لص القلوب

ولما اجتمع أبو جعفر بن سعيد المترجم به باللص أبى العباس المذكور فى جبل الفتح عندما وفد فضلاء الأندلس على عبد المؤمن ، واستنشده ، فجعل ينشده ما استجفاه به لخروجه عن حلاوة مَنْزِع أبى جعفر ، إلى أن أنشده قوله :

وما أفنى السؤال لـكم نوالا ولـكن جودكم أفنى السؤالا

فقال له أبو جعفر : لا جعلك الله فى حل من نفسك ، يكون فى شعرك مثل هـذا

(١) فى ا فى صدر هذا البيت « واجعل الفـكر » محرفا

وتنشدنى ما كان يحملنى على أن أسأت معك الأدب ؟ والله لو لم يكن لك غير هذا البيت لكنت به أشعر أهل الأندلس .

من أبى الحكم ابن هرورس إلى أبى جعفر

وكتب إلى أبى جعفر أبو الحكم بن هرورس[1] فى يوم بارد بغرناطة :

يا سميى ، فى علم مجدك ما يحتاج فيه هذا النهار المطير
ندف الثلج فيه قُطْنا علينا ففررنا بعدلكم نستجير
والذى أبتغيه فى اللحظ منه ورضاب الذى هويت نظير
يوم قر يودُّ من حل فيه لو تبدى لمقلتيه سعير

جواب أبى جعفر عليه

فوجه بما طلب ، وجاوبه بما كتب :

أيها السيد الأجل الوزير الذى قدره مُعَلًّى خطير
قد بعثنا بما أشرت إليه دمت للأنس والسرور تشير
كان لغزا فككته دون فكر إن فهمى بما تريد خبير

من نظم أبى الحكم

ومن نظم أبى الحكم :

إذا ضاقت عليك فولِّ عنها وسر فى الأرض واختبر العبادا
ولا تمسك رحالك فى بلاد غدوت بأهلها خَبَرًا مُعَادا

لأخيل بن إدريس

ولما مدح أبو القاسم أخيل بن إدريس الرندى عبد المؤمن فى جبل الفتح بقصيدة أوّلها :

ما الفخر إلا فخر عبد المؤمن أثنى عليه كل عبدٍ مؤمن

قال أبو جعفر بن سعيد : دعاه التجنيس إلى الضعف والخروج عن المقصود ، والأولى أن لو قال « شاد الخلافة وهو أوّل مُبْتَنى » .

---

(١) كذا فى ا ونسخة عند ب ، وفى أصل ب « أبو الحكم بن هرون »

ومن هذه القصيدة :

أما ابن سعد فهو أوّل مارق   يا ليته بأبيه سَـعْدٍ يَكْتَنِي

ما قدر مرسية وحكمك نافذ   إن شئت من عدن لأرض المعدن

فلما أكملها قال له عبد المؤمن : أجدت ، فقال ارتجالا :

من لى أميرَ المؤمنين بموقفى   هذا وقولك لى أجدت ولم تَنِي

فلقد مدحتك خائفا أن لا يفى   لَسَنِي بما يُعْيِي جميع الألسن

ولابن إدريس المذكور :

أيها البدر هل علمت بأنى   لم أبت راعِياً مُحَيَّاك ودا

أنالوبات من حكيت بجنبى   لم يكن عنه ناظرى يتعدَّى

وله :

شتان ما بينى و بينك فى الهوى   أنا أبتغيك وأنت عنى تَصْدِفُ

و إذا عتبتك وارعويت يَبِينُ لى   فى الحين منك بأن ذاك تكلُّفُ

ياليت شعرى كيف يقضى وصلنا   والعمر يفنى والمواعِدُ تخلف

وقيل له لما هجره عبد المؤمن : اكتب له واعتذر ، و برهن عن نفسك ، فقال : ما يكون أميرُ المؤمنين هجرنى إلا وقد صح عنده ، ولا أنسبه فى أمرى لقلة التثبت والجور[1] ، و إنما أرغب فى عفوه ورحمته ، فكأن هذا الكلام ألان عليه قلب عبد المؤمن لما بلغه ، وكان قد نقل عنه حساده أنه قال : كيف تصح له الخلافة ، وليس بقرشى ؟

ولا بأس أن نزيد من أخبار اللص الذى جرى ذكرنا له مع أبى جعفر ابن سعيد فنقول :

---

(١) فى ا « لقلة التثبت وللجور »

من أخبار أبى العباس أحمد بن سيد الإشبيلى المعروف باللص

هو النحوى المبرز فى الشعر أبو العباس أحمد بن سيد ، الإشبيلى ، ذكره ابن دَحْية فى المطرب ، وأخبر أنه شيخه ، وختم كتاب سيبويه مرتين على النحوى أبى القاسم بن الرماك ، واجتمع به أبو جعفر بن سعيد بجبل الفتح كما سبق ، ولقب اللص لإغارته على أشعار الناس .

وله :

شاموا الردى فأشموا الترب أنفهم ولم يبالوا بما فيها من الشمم (١)

ثم جعل يقول : قطع الله لسانى إن كان اليوم على وجه الأرض مَنْ يعرف [أن] يسمعه ، فضلا عن أن يقوله .

وله القصيدة الشهيرة :

نَداكَ الغيثُ إن مَحْلٌ توالى وأنت الليث إن شاؤا القتالا

سلبت الليث شدة ساعديه نعم ، وسلبت عينيه الغزالا

وما أفنى السؤال لكم نوالا ولكن جودكم أفنى السؤالا

وقد تقدم هذا البيت فى حكايته مع ابن سعيد .

وقال فى حلقة خياط ، وهو من محاسنه :

كأنها بيضة وَخْزُ الرماح بها بادٍ وقونسها بالسيف قد قطعا

وقال :

فالليل إن واصلَت كالليل إن هجرت أشكو من الطول ما أشكو من القصر

عود لأخبار أبى جعفر ابن سعيد

رجع إلى أخبار أبى جعفر بن سعيد

قال فى « الأزهار المنثورة ، فى الأخبار المأثورة » ما نصه : لما قبض على الوزير أبى جعفر بن عبد الملك بن سعيد العَنْسى ، وثقف بمالقة ، دخل إليه (٢) ابنُ عمه ،

---

(١) فى ا « ولم يبالوا بما فيها من الشيم »

(٢) فى ا « دخل عليه ابن عمه »

ووصل إلى الاجتماع به ريثما استؤذن السيد أبو سعيد ابن الخليفة عبد المؤمن فى أمره ، قال : فدمعت عيناى حين رأيته مَكْبُولاً[١] ، فقال لى : أعلى تبكى بعد ما بلغت من الدنيا أطايب لذاتها ، فأكلتُ صدور الدجاج ، وشربت فى الزجاج ، ولبست الديباج ، وتمتعت بالسرارى والأزواج ، واستعملت من الشمع السراج الوهَّاج ، وركبت كل هِمْلاَج[٢] ، وها أنا فى يد الحجاج ، منتظر محنة الحَلاَّج[٣] ، قادم على غافرٍ لا يحتاج إلى اعتذار ولا [إلى] احتجاج ، قال : فقلت : أفلا يؤسف على من ينطق بهذا الكلام ، ثم يفقد ، وقمت عنه فكان آخر العهد به ، انتهى

رجع إلى أخبار النساء .

ولادة بنت المستكفى بالله

ومن أشهرهن بالأندلس وَلاَّدة بنت المستكفى بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر لدين الله ، وكانت واحدة زمانها ، المشار إليها فى أوانها ، حسنة المحاضرة ، مشكورة المذاكرة ، كتبت بالذهب على الطراز الأيمن[٤] :

أنا والله أصلح للمعالى وأمشى مشيتى وأتيه تيها

وكتبت على الطراز الأيسر :

وأُمْكِنُ عاشقى من صَحْن خدى وأعطى قبلتى مَنْ يشتهيها

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف ، وفيها خلع ابن زيدون عذاره ، وقال فيها القصائد الطنانة والمقطعات ، وكانت لها جارية سوداء بديعة المعنى ، فظهر لولادة أن ابن زيدون مال إليها ، فكتبت إليه :

لو كنت تُنْصِفُ فى الهوى ما بيننا لم تهو جاريتى ولم تتخير

---

(١) مكبولا : وضع فى يده الكبل ، وهو القيد

(٢) أراد بالهملاج الفرس السريع الشديد العدو

(٣) الحجاج : هو الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق المعروف بسفك الدماء ، والحلاج : صوفى مشهور شهد عليه علماء زمانه بالإلحاد والكفر فقتل لذلك ، وقد شبه نفسه به ، وشبه آسره بالحجاج . (٤) فى ا « طرازها الأيمن »

وتركت غصنا مثمرا بجماله وجنحت للغصن الذى لم يثمر
ولقـــد علمت بأننى بدر السما لـكن ولعت لشقوتى بالمشترى

ولقبت ابن زيدون بالمسدس ، وفيه تقول :

ولقبت المسَدس وهو نعت تفارقك الحياة ولا يفارق
فلوطى ومـــأبون وزانٍ وديوث وقَرْنان وسارق

وقالت فيه (١) :

إن ابن زيدون على فضله يعشق قُضْبان السراويل
لو أبصر الأير على نخـــلة صار من الطير الأبابيل

وقالت فيه أيضاً :

إن ابن زيدون على فضله يغتابنى ظلما ولا ذنب لى
يلحظنى شزرا إذا جئته كأننى جئت لأخصى على

وقالت ولادة تهجو الأصبحى :

يا أصبحىُّ اهنـأ فــكم نعمة جاءتك من ذى العرش رب المنن
قد نلت باستِ ابنك ما لم ينل بفرج بُورَانَ أبوهـــا الحسن (٢)

وكتبت إليه لما أولع بها بعد طول تمنع :

ترقب إذا جنَّ الظلام زيارتى فإنى رأيت الليل أكتم للسر
وبى منك مالو كان بالشمس لم تَلُحْ وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يَسْرِ

ووفت بما وعدت ، ولما أرادت الانصراف ودعته بهذه الأبيات :

ودع الصبر محب ودعك ذائع من سره مااستودعك
يقرع السنَّ على أن لم يكن زاد فى تلك الخُطَا إذ شيعك
يا أخا البـــدر سناءوسنا حفظ الله زمانا أطلعـــك
إن يَطُلْ بعدك ليلى فلكم بت أشكو قصر الليل معك

(١) فى ا يتأخر هذان البيتان عن البيتين بعدهما (٢) الحسن : هو الحسن بن سهل ، تزوج المأمون العباسى ابنته بوران ، ونال من المكانة فى الدولة ما لم ينله أحد.

وكتبت إليه :

ألا هل لنا من بعد هذا التفرق سبيلٌ فيشكو كل صب بما لقى

وقد كنت أوقات التزاور فى الشتا أبيت على جمر من الشوق محرق

فكيف وقد أمسيت فى حال قطعة لقد عجل المقدور ما كنت أتقى

تمرُّ الليالى لا أرى البين ينقضى ولا الصبر من رِقِّ التشوق معتقى

سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا بكل سَكُوب هاطل الوبل مُغْدِقِ

فأجابها بقوله :

لحى الله يوما لست فيه بملتق محياك من أجل النوى والتفرق

وكيف يطيب العيش دون مسرة وأى سرور للكئيب المؤرق

وكتب[1] فى أثناء الكلام بعد[2] الشعر : وكنتِ ربما حثثتنى على أن أنبهكِ على ما أجد فيه عليك نقدا ، وإنى انتقدت عليك قولك

* سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا *

فإن ذا الرمة قد انتُقِدَ عليه قوله مع تقديم الدعاء بالسلامة :

ألا يا سلمى يا دار مى على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر[3]

إذ هو[4] أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له ، وأما المستحسن فقول الآخر :

فسقى ديارك غَيْرَ مفسدها صَوْبُ الربيع وديمة تهمى

وبسببها خاطب ابن عَبْدوس بالرسالة المشهورة التى شرحها غيرُ واحد من أدباء المشارقة كالجمال بن نُبَاتة والصفدى[5] وغيرهما ، وفيها من التلميحات والتنديرات مالا مزيد عليه .

وقد ذكر ولادة ابن بَشْكُوال فى «الصِّلة» فقال : كانت أديبة ، شاعرة ، جزلة

---

(١) كذا فى أصل ا ، وفى ب ونسخة عند ا « وكتبت » ولا يصح مع مابعده

(٢) فى ا « فى أثناء كلام بعد الشعر » (٣) فى ا « من البلى »

(٤) فى ا « إذ هذا أشبه »

(٥) أخطأ صاحب هذا الكلام ، فإن ابن نباتة هو الذى شرح الرسالة الموجهة إلى ابن عبدوس ، وهى المعروفة بالهزلية ، وأما الصفدي فشرح الرسالة الجدية

القول ، حسنة الشعر ، وكانت تناضل الشعراء ، وتساجل الأدباء ، وتفوق البرعاء ، وعمرت عمرا طويلا ، ولم تتزوج قط ، وماتت لليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين ، وقيل : أربع وثمانين وأربعمائة ، رحمها الله تعالى !

وكان أبوها المستكفى بايعه أهل قرطبة لما خلعوا المستظهر ، كما ألمعنا به فى غير هذا الموضع ، وكان خاملا [١] ساقطا ، وخرجت هى فى نهاية من الأدب والظرف : حضور شاهد ، وحرارة أوابد ، وحسن منظر ومخبر ، وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر ، وفِناؤُها ملعبا لجياد النظم والنثر ، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها ، وعلى سهولة حجابها ، وكثرة مُنْتَابها ، تخلط ذلك بعلو نصاب ، وكرم أنساب ، وطهارة أثواب ، على أنها أوجدت للقول فيها السبيلَ بقلة مبالاتها ، ومجاهرتها بلذاتها ، ولما مرت بالوزير أبى عامر بن عبدوس وأمام داره بركة تتولد عن كثرة الأمطار ، وربما استمدت بشىء مما هنالك من الأقذار ، وقد نشر أبو عامر كميه ، ونظر فى عِطْفَيه ، وحشر أعوانه إليه ، فقالت له :

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر

فتركته لا يحير حرفا ، ولا يرد طرفا .

وقال فى « المغرب » بعد ذكره أنها بالغرب كعُلَيَّة بالشرق [٢] ، إلا أن هذه تزيد بمزية الحسن الفائق ، وأما الأدب والشعر والنادر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها ، وكان لها صنعة فى الغناء ، وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها فيمر فيه من النادر وإنشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك ، وفيها يقول ابن زيدون :

---

(١) فى ا « وكان جاهلا ساقطا ، وخرجت على نهاية فى الأدب »

(٢) علية : هى علية بنت المهدى العباسى

بنتم و بنا فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم ولا جَفَّتْ مآقينا

وقال أيضاً يخاطب ابن عبدوس لاشتراكه معه فى هواها :

أثرت هِزَبْرَ الشرى إذ رَبَضْ ونبهته إذ هدا فاغتمض

وما زلت تبسط مسترسلا إليه يَدَ البغى لما انقبض

حذار حذار فإن الكريم إذا سِيمَ خَسْفاً أبى فامتعض

و إن سكون الشجاع النهو سِ ليس بمانعه أن يَعَض (١)

عمدت لشعرى ولم تتئد تعارضُ جوهره بالعَرَضْ

أضاقت أساليبُ هذا القريـض أم قد عفارسمه فانقرض

لعمرى َفوقت سهم النضال وأرسلته لو أصبت الغرض

ومنها :

وغرك من عهد وَلاَّدة سَرَابٌ تُراءى و برقٌ وَمَضْ

هى الما يعزُّ على قابض ويمنع زبدته مَنْ مَخض

ومن أخبار ولادة مع ابن زيدون ما قاله الفتح فى القلائد : إن ابن زيدون كان يَكْلَف بولادَة ويهيم ، ويستضىء بنور محياها فى الليل البهيم ، وكانت من الأدب والظرف ، وتتميم السمع والطرف ، بحيث تختلس القلوب والألباب ، وتعيد الشَّيبَ إلى أخلاق الشباب ، فلما حـل بذلك الغرب ، وانحل عقد صبره بيد الكرب ، فرَّ إلى الزهراء ليتوارى فى نواحيها ، ويتسلى برؤية موافيها ، فوافاها والربيع قد خلع عليها برده ، ونشر سَوْسَنه ووَرْده ، وأترع جداولها ، وأنطق بلابلها ، فارتاح ارتياح جميل (٢) بوادى القرى ، وراح بين روض يانع وريح طيبة السرى ، فتشوق إلى اقاء ولادة وحن ، وخاف تلك النوائب والمحن ، فـكتب إليها يصف

(١) فى ب « الشجاع النهوض » وفى نسخة عند ا « الشجاع النهوش » وأثبتنا مافى أصل ا (٢) فى ب « ارتياح حميد بوادى القرى »

فرط قلقه، وضيق أمده إليها وطلقه، ويعلمها أنه ماسلا عنها بخمر، ولا خبا ما فى ضلوعه من مُلْتَهِبِ الجمر[١]، ويعاتبها على إغفال تعهده، ويصف حسن محضره بها ومشهده :

إنى ذكرتك بالزهراء مشتاقا ... والأفق طَلْق ووجه الأرض قدراقا
وللنسيم اعتلال فى أصائله ... كأنما رقَّ لى فاعتلَّ إشفاقا
والروض عن مائه الفضى مبتسم ... كما حللت عن اللبات أطواقا
يوم كأيام لذاتٍ لنا انصرمت ... بتنالها حين نام الدهر سُرَّاقَا
نلهو بما يستميل العين من زهر ... جال الندى فيه حتى مال أعناقا
كأن أعينه إذ عاينت أرقى ... بكت لما بى فجال الدمع رَقْرَاقَا
ورد تألق فى ضاحى منابته ... فازدادمنه الضحى فى العين إشراقا
سر ينافحه نيلوفر عبق ... وَسْنان نبَّه منه الصبح أحداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا ... إليك لم يعد عنها الصدرأن ضاقا
لو كان وَفَّى المنى فى جمعنا بكم ... لكان من أكرم الأيام أخلاقا
لاسَكَّنَ الله قلبا عنَّ ذكركم ... فلم يَطِرْ بجناح الشوق خفَّاقَا
لو شاء حملى نسيمُ الريح حين هفا ... وافاكم بفتى أضناه ما لاقى
يا علقى الأخطر الأسْنَى الحبيبَ إلى ... نفسى إذا ماقتنى الأحباب أعلاقا
كان التجازى بمَحْض الود مذ زمن ... ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا[٢]
فالآن أحمد ما كنا لعهدكم ... سلوتُمُ وبَقِينَا نحن عشاقا

وقال أيضاً : إن ابن زيدون لم يزل يروم دنو ولادة فيتعذر، ويباح دمه دونها ويُهْدَر، لسوء أثره فى ملك قرطبة وواليها، وقبائح كان ينسبها إليه ويواليها[٣]

(١) فى ا « من ملتهب جمر »
(٢) فى ا « من زمن » فى موضع « مذ زمن »
(٣) فى ا « ينسبها إليه مواليها »

أحدقت بنى جهور عليه ، وسددت أسهمهم إليه ، فلما يئس من لقياها ، وحُجب عنه مُحَيَّاها ، كتب إليها يستديم عهدها ، و يوكد ودها ، و يعتذر من فراقها بالخطب الذى غشيه ، والامتحان الذى خشيه ، و يعلمها أنه ماسلا عنها بخمر ، ولاخبا ما فى ضلوعه من ملتهب الجمر ، وهى قصيدة ضرَبت فى الإبداع بسَهْم ، وطلعت فى كل خاطر ووهم ، ونزعت منزعا قصر عنه حبيب وابن الجهم ، وأولها :

بنتم و بنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقا إليكم ولا جفت مآقينا

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضى علينا الأسى لولا تأسِّينَا

وأخبار ولادة كثيرة ، وفيما ذكرناه كفاية .

اعتماد جارية المعتمد بن عباد

ومن المشهورات بالأندلس « اعتماد » جارية المعتمد بن عباد ، وأم أولاده ، وتشتهر بالرُّمَيْكية ، وفى المسهب والمغرب أنه ركب المعتمد فى النهر ومعه ابن عمار وزيره ، وقد زردت الريح النهر ، فقال ابن عباد لابن عمار : أجز :

* صنع الريح من الماء زَرَدْ *

فأطال ابن عمار الفكرة[1] ، فقالت امرأة من الغسالات :

* أى درع لقتالٍ لو جَمَدْ *

فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به ، مع عجز ابن عمار ، ونظر إليها فإذ هى صورة حسنة ، فأعجبته فسألها : أذات زوج هى ؟ فقالت : لا ، فتزوجها ، وولدت له أولاده الملوك النجباء ، رحمهم الله تعالى !

وحكى البعض منهم صاحب « البدائه »[2] بسنده إلى بعض أدباء الأندلس ، وسماه ولم يحضرنى الآن ، أنه هو الذى قال للمعتمد :

* أى درع لقتال لو جمد *

---

(١) فى ا « فأطال ابن عمار الفكر »

(٢) فى ب « صاحب الهداية » تحريف ما أثبتناه

قال : فاستحسنه المعتمد ، وكنتُ رابعاً فى الإنشاد فجعلنى ثانياً ، وأجازنى بجائزة سنية .

قال ابن ظافر : وقد أخذت هذا المعنى ، فقلت أصف روضا :

فلودام ذاك النبت كان زبرجداً ولو جَمَدَت أنهاره كان بلورا

ولما قال ابن ظافر :

* قد أذكت الشمس على المَهَا *

قال القاضى الأعز :

* فكست الفضَّةَ منه ذهبا *

رجع ـ ولما خلع المعتمد وسجن بأغمات قلت له : يا سيدى لقد هُنَّاهُنَا ، فقال :

قالت لقد هناهنا مولاى أين جاهنا

قلت لها إلٰهنا صيرنا إلى هنا

وحكى أنها قالت له وقد مرض : يا سيدى ، مالنا قدرة على مَرْضَاتك فى مرضاتك[1] .

ولما قال الوزير ابن عمار قصيدته اللامية الشهيرة فى المعتمد والرميكية أغرت المعتمد به حتى قتله ، وضرب به بالطبرزين ففلق رأسه[2] ، وترك الطبرزين فى رأسه ، فقالت الرميكية : قد بقى ابن عمار هدهدا ، والقصيدة أولها :

ألا حى بالغرب حيا حلالا أناخوا جِمَالاً وحازوا جَمَالاَ

وعرج بيومين أم القرى ونَمْ فعسى أن تراها خيالا

ويومين: قرية بإشبيلية كانت منها أوَّلية بنى عباد

وفى هذه القصيدة يقول معرضاً بالرميكية :

---

(١) مرضاتك الأولى بمعنى رضاك ، والثانية من المرض

(٢) في ا « حتى تغلق رأسه »

تخيرتَهَا من بنات الهجان رُمَيْـكية ما تساوى عقالا

فجاءت بكل قصير العذار لئيم النِّجارين عَمًّا وخالا

قصار القدود ولكنهم أقاموا عليها قرونا طوالا

أتذكر أيامنا بالصبا وأنت إذا لُحتَ كنت الهلالا

أعانق منك القضيبَ الرطيبَ وأرشف من فيك ماء زلالا

وأقنع منك بدون الحرام فتُقْسِمُ جهدك أن لا حلالا

سأهتك عرضك شيئا فشيئا وأكشف سترك حالا فحالا

ومنها :

فيا عامرَ الخيلِ يا زَيْدَهَا منعت القرى وأبحت العيالا

وسبب قول ابن عمار هذه القصيدة أن المعتمد ندّر به[1] وذيل على قصيدته الرائية المذكورة فى القلائد بعد قوله :

كيف التفلت بالخديعة من يدى رجل الحقيقة من بنى عمار

وسخر به فى أبيات مشهورة .

حديث عن المعتمد بن عباد عن الفتح

قال الفتح فى حق المعتمد بعد كلام : وما زالت عقارب تلك الداخلة تدبّ ، وريحها العاصفة تهب ، ونارها تقِد ، وضلوعها تحنق وتحقد ، وتضمر الغدر وتعتقد ، حتى دُخِل البلد من واديه ، وبدت من المكروه بَوَاديه ، وكر عليه الدهر بعوائده[2] وعَوَاديه ، وهو مستمسك بعُرَى لذاته ، منغمس فيها بذاته ، ملقى بين جواريه ، مغتر بودائع ملكه وعواريه ، التى استرجعت منه فى يومه ، ونبهه فواتها من نومه ، ولما انتشر الداخلون فى البلد ، وأوهنوا القُوَى والجَلَد ، خرج والموت يتسعَّر فى ألحاظه ، ويتصور من ألفاظه ، وحُسَامه يعد بمَضَائه ، ويتوقد عند انتضائه ، فلقيهم

(١) فى ا « نذر به » محرفا

(٢) فى ا « وكر عليه الدهر بعواديه »

برحبة القصر ، وقد ضاق بهم فضاؤها ، وتضعضعت من رجتهم أعضاؤها ، فحمل فيهم حملة صيرتهم فِرَقًا ، وملأتهم فَرَقًا ، وما زال يوالى عليهم الـكر المعاد ، حتى أوردهم النهر وما بهم جَوَاد ، وأودعهم حشاه كأنهم له فؤاد ، ثم انصرف وقد أيقن بانتهاء حاله ، وذهاب ملـكه وارتحاله ، وعاد إلى قصره واستمسك فيه يومه وليلته مانعا لحَوْزَته ، دافعا للذل عن عزته ، وقد عزم على أفظع أمر ، وقال : بيدى لا بيد عمرو(١) ، ثم صرفه تُقَاء ، عما كان نَوَاه ، فنزل من القصر بالقسر ، إلى قبضة الأسر ، فقِيدَ للحِينِ ، وحان له يوم شر ما ظن أنه يحين ، ولما قيدت قدماه ، وذهبت عنه رقة الـكبل ورُحْماه ، قال يخاطبه :

إليك فلو كانت قُيُودُكَ أسعرت … تضرم منها كل كف ومعصم
مخافة من كان الرجال بسَيْبه … ومن سيفه فى جنة أو جهنم

ولما آلمه عَضُّه ، ولازمه كسره ورَضُّه ، وأوهاه ثقله ، وأعياه نقله ، قال :

تبدلت من عز ظل البنود … بذُلِّ الحديد وثقل القيود
وكان حديدى سنانا ذليقا … وعضبا رقيقا صقيل الحديد
فقد صار ذاك وذا أدْهَمًا … يعض بساقَىَّ عض الأسود

ثم جُمع هو وأهله وحملتهم الجوارى المنشآت ، وضمتهم جوانحها كأنهم أموات ، بعد ما ضاق عنهم القصر ، وراق منهم العصر ، والناس قد حشروا بضفتى الوادى ، وبكوا بدموع كالغوادى ، فساروا والنَّوْح يَحْدُوهم ، والْبَوْح باللوعة لا يعدوهم ، وفى ذلك يقول ابن اللَّبَّانة :

تبكى السماء بمُزْنٍ رائح غاد … على البهاليل من أبناء عَبَّادِ
على الجبال التى هُدَّتْ قواعدها … وكانت الأرض منها ذات أوتاد

---

(١) هذا مثل قالته الزباء ملـكة الجزيرة حين رأت عمرو بن عدى اللخمى قاصدا قتلها أخذاً بثأر خاله جذيمة الأبرش

عِرِّيسة دخلتها النائباتُ على … أساود لهم فيهـا وآساد
وكعبة كانت الآمال تخدمها … فاليوم لا عاكف فيها ولا باد
ياضَيْفُ أقفرَ بيتُ المكرمات فخذ … فى ضم رحلك واجمع فَضْلَةَ الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه … خَفَّ القطينُ وجَفَّ الزرع بالوادى
وأنت يا فارس الخيل التى جعلت … تختال فى عـدد منهم وأعداد
ألقِ السلاح وخَلِّ المَشْرَفِيَّ فقد … أصبحت فى لَهَوَاتِ الضيغم العادى
لمادنا الوقت لم تخلف له عدة … وكل شىء بميقات وميعاد[1]
إن يخلعوا فبنوا العباس قد خلعوا … وقد خَلَتْ قبل حمص أرض بغداد[2]
حموا حريمهم حتى إذا غلبوا … سيقوا على نَسَقٍ فى حبل مقتاد
وأنزلوا عن متون الشهب واحتملوا … فويق دُهْمٍ لتلك الخيل أنداد
وعيث فى كل طوق من دروعهمُ … فصيغ منهن أغلال لأجياد
نسيت إلّا غداة النهر كونهم … فى المنشآت كأموات بألحاد
والناس قد ملؤا العِبْرَيْنِ واعتبروا … من لؤلؤ طافيات فوق أزباد
حط القناع فلم تستر مخدرة … ومزقت أوجُهٌ تمزيق أبراد
حان الوداع فضجت كل صارخة … وصارخ من مفدات ومن فاد
سارت سفائنهم والنَّوْحُ يصحبها … كأنها إبل يحدو بها الحادى
كم سال فى الماء من دمع وكم حملت … تلك القطائع من قطعات أكباد

انتهى ما قصد جلبه من كلام الفتح رحمه الله تعالى وسامحه !

حديث آخر عن المعتمد

وقال ابن اللبانة فى كتاب « نظم السلوك ، فى مواعظ الملوك ، فى أخبار الدولة العبادية » : إن طائفة من أصحاب المعتمد خامرت عليه ، فأعلم باعتقادها ، وكشف

(١) فى ا « لميقات وميعاد »

(٢) حمص : اسم أطلقوه على إشبيلية كما ذكرناه غير مرة

له عن مُرَادها ، وحض على هتك حرمها ، وأغرى بسفك دمها ، فأبى ذلك مجدُه الأثيل ، ومذهبه الجميل ، وما خصه الله تعالى به من حسن اليقين ، وصحة الدين ، إلى أن أمكنتهم الغرة فانتصروا ببُغَاث مُسْتَنْسر [١] ،وقاموا بجمع غير مستبصر ، فبرز من قصره ، متلافياً لأمره ، عليه غِلاَلَة ترف على جسده ، وسيفه يتلظى فى يده :

كأن السيف راق وراع حتى ... كأن عليه شيمة منتضيه

كأن الموت أودع فيـه سراً ... ليرفعـــه إلى يوم كريه

فلقى على باب من أبواب المدينة فارسا مشهورا بنجدة ، فرماه الفارس برمح التوى على غِلالته ، وعصمه الله تعالى منه ، وصب هو سيفه على عاتق الفارس ، فشقه إلى أضلاعه ، فخر صريعاً سريعاً ، فرأيت القائمين عندما تسنموا الأسوار تساقطوا منها ، و بعد ما أمسكوا الأبواب تخلوا عنها ، وأخذوا على غير طريق ، وهَوَت بهم ريح الهَيْبة فى مكان سحيق ، فظننا أن البلد من أقذائه قد صفا ، وثوب العصمة علينا قد ضَفَا ، إلى أن كان يوم الأحد الحادى والعشرون من رجب فعظم الخطب فى الأمر الواقع [٢] ، واتسع الخرق فيه على الراقع ، ودُخل البلد من جهة واديه ، وأصيب حاضره بعادية باديه ، بعد أن ظهر من دفاع المعتمد و بأسه ، وترامیه على الموت بنفسه ، مالا مزيد عليه ، ولا انتهى خلق إليه ، فشنت الغارة فى البلد ، ولم يبق فيه على سبَد لأحد ولا لبد ، وخرج الناس من منازلهم ، يسترون عوراتهم بأناملهم ، وكشفت وجوه المخدّرات العَذَارَى ، ورأيت الناسَ سُكَارَى ، وماهم بسكارى ، ورحل بالمعتمد وآله ، بعد استئصال جميع ماله ، لم يصحب معه بُلْغة زاد ، ولا بغية مراد ، فأمضيت عزيمتى فى اتباعه ، فوصلت إليه بأغمات عقب

(١) أراد بضعيف يتصنع القوة

(٢) فى ا « فعظم الأمر فى الخطب الواقع »

ثقاف استنقذه الله منه ، فذكرت به شعرا كان لى فى صديق اتفق له مثل ذلك فى الشهر بعينه من العام الماضى ، وهو الأمير أبو عبد الله بن الصفار ، وهو :

لم تقل فى الثقاف كان ثقافا كنت قلبا به وكان شغافا[1]

يمكث الزهر فى الكمام ولكن بعد مكث الكمام يدنو قِطَافَا

وإذا ما الهلال غاب لغيم لم يكن ذلك المغيب انكسافا[2]

إنما أنت درة للمعالى ركب الدهر فوقها أصدافا

حجب البيت منك شخصا كريما مثل ما تحجب الدنان السلافا

أنت للفضل كعبة ولو أنى كنت أسطيع لاستطعت الطوافا

قال أبو بكر : وجرت بينى و بينه مخاطبات ألذ من غَفَلَاتِ الرقيب ، وأشهى من رَشَفَاتِ الحبيب ، وأدل على السماح ، من فجر على صباح ، انتهى .

ثم قال : ولما خُلع المعتمد وذهب إلى أغمات طلب من حواء بنت تاشفين خباء عارية ، فاعتذرت بأنه ليس عندها خباء ، فقال :

هم أوقدوا بين جفنيك ناراً أطالوا بها فى حشاك استعارا[3]

أما يخجل المجد أنْ زودوك ولم يصحبوك خباء معارا[4]

فقد قنعُوا المجد إن كان ذاك وحاشاهم منك خزيا وعارا

يقلُّ لعينيك أن يجعلوا سواد العيون عليكم شعارا

ثم إنه بقى مأسورا بأغمات إلى سنة ٤٨٢ ، فأخذ بمالَقَةَ رجل كبير يعرف بابن خلف ، فسجن مع أصحاب له ، فنقبوا السجن وذهبوا إلى حصن منت ميور ليلا فأخرجوا قائدها ، ولم يضروه ، و بينما هم كذلك إذ طلع عليهم رجل ، فسألوه

---

(١) فى ا « لم أقل فى الثقاف كان ثقافا »

(٢) فى ا « وإذا ما الهلال غاب بغيم »

(٣) فى ا « هم أوقدوا بين جنبيك نارا »

(٤) فى ا « أما يخجل المجد أن يرحلوك »

فإذا هو عبد الجبار بن المعتمد ، فولوه على أنفسهم ، وظن الناس أنه الراضى ، فبقى فى الحصن ، ثم أقبل مركب من الغرب يعرف بمركب ابن الزرقاء ، فانكسر بمرسى الشجرة قريبا من الحصن ، فأخذوا بنوده وطبوله وما فيه من طعام وعدة فاتسعت بذلك حالتهم ، ثم وصلت أم عبد الجبار إليه ، ثم خاطبه أهل الجزيرة وأهل أركش فدخلها سنة ٤٨٨ ، ولما بلغ خبر عبد الجبار إلى ابن تاشفين أمر بثقاف المعتمد فى الحديد ، وفى ذلك يقول :

قيدى أما تعلمنى مسلماً أبيت أن تشفق أو ترحما

يبصرنى فيك أبو هاشم فينثنى القلب وقد هشما

و بقى إلى أن توفى رحمه الله سنة ٤٨٨

ثورة عبد الجبار بن المعتمد بن عباد

وقد ساق الفتح قضية ثورة عبد الجبار بن المعتمد بعبارته البارعة فقال : وأقام بالعدوة برهة لا يُرَوَّعُ له سِرْب و إن لم يكن آمنا ، ولا يثور له كرب و إن كان فى ضلوعه كامنا ، إلى أن ثار أحدُ بنيه بأركش معقل كان مجاورا لإشبيلية مجاورة الأنامل للراح ، ظاهر على بسائط وبِطَاح ، لا يمكن معه عيش ، ولا يتمكن من منازلته جيش ، فغدا على أهلها بالمكاره وراح ، وضَيَّقَ عليهم المتسع من جهاتها والبَرَاح ، فسار نحوه الأمير سير بن أبى بكر رحمة الله عليه ، قبل أن يرتدّ طرف استقامته إليه ، فوجده وشره قد تشمر ، وصُرَدُه قد تنمر[1] ، وجَمْره متسعر ، وأمره متوعر ، فنزل عُدْوته ، وحل للحزم حُبْوَته ، وتدارك داءه قبل إعضاله ، ونازله وما أعَدَّ آلات نضاله ، وانحشدت إليه الجيوش من كل قطر ، وأفرغ من مَسَالكه كل قطر ، فبقى محصوراً لا يشد إليه إلا سهم ، ولا ينفذ عنه إلا نفس أووهم ، وامتسك شهوراً حتى عرضه أحد الرماة ، بسهم فرماه فأصماه ، فهوى فى مطلعه ، وخر قتيلا فى موضعه ، فدفن إلى جانب سريره ، وأمن عاقبة تغريره ، و بقى أهله

---

(١) فى ا « وضره قد تنمر »

ممتنعين مع طائفة من وزرائه حتى اشتد عليهم الحصر ، وارتدّ عنهم النصر ، وعمهم الجوع ، وأغبَّ أجفانَهُم الهجوع ، فنزلت منهم طائفة متهافتة ، وولت بأنفاس خافتة ، فتبعهم مَنْ بقى ، ورغب فى التنعم مَنْ شقى ، فوصلوا إلى قبضة الملمات ، وحصلوا فى غصة المَمَات ، فوسَمَهم الحَيْف ، وتقسمهم السيف ، ولما زار الشِّبْل خيفت سَوْرَةَ الأسد ، ولم يُرْجَ صلاح الكل والبعض قد فَسَد ، فاعتقل المعتمد خلال تلك الحال وأثناءها ، وأحل ساحة الخطوب وفِنَاءَهَا ، وحين أركبوه أساودا ، وأورثوه حُزْناً بات له معاودا ، قال :

غنتك أغماتية الألحان ... ثقلت على الأرواح والأبدان

قدكان كالثعبان رُمْحُكَ فى الورى ... فغدا عليك القيد كالثعبان (١)

متمردا يحميك كل تمرد ... متعطفاً لا رحمة للعانى (٢)

قلبى إلى الرحمن يشكو بثه ... ما خاب من يشكو إلى الرحمن

يا سائلا عن شأنه ومكانه ... ما كان أغنى شأنه عن شان

هاتيك قينته وذلك قصره ... من بعد أى مَقَاصر وقيان

ولمافقد مَنْ [كان] يجالسه ، و بعد عنه من كان يؤانسه ، وتمادى كربه ، ولم تسالمه حربه ، قال :

تؤمل للنفس الشجية فرجة ... وتأبى الخطوب السود إلا تماديا

لياليك فى زاهيك أصفى صحبتها ... كذا صحبت قبلى الملوك اللياليا

نعيم و بؤس ذا لذلك ناسخ ... و بعدهما نسخ المنايا الأمانيَا

ولما امتدت فى الثِّقَاف مدته ، واشتدت عليه قسوة الكَبْل وشدته ، وأقلقته همومه ، وأطبقته غمومه ، وتوالت عليه الشجون ، وطالت لياليه الجُون ، قال :

---

(١) فى ب ونسخة عندا « قد كان كالثعبان قيدك فى الورى »

(٢) فى ب ونسخة عندا «متمددا بحذاك كل تمدد »

أنباء أسرك قد طَبَّقْنَ آفاقا بل قد عممن جهات الأرض إقلاقا
سرت من الغرب لا تُطوى لها قدم حتى أتت شرقها تنعاك إشراقا
فأحرق الفجع أكبادا وأفئدة وأغرق الدمع آماقا وأحداقا
قد ضاق صدر المعالى إذ نُعِيتَ لها وقيل : إن عليك القيد قد ضاقا
أنَّى غُلبت وكنت الدهر ذا غَلَبٍ للغالبين وللسُّبَّاق سبَّاقا
قلت الخطوب أذلَّتنى طوارقها وكان غَرْبى إلى الأعداء طراقا
متى رأيت صروف الدهر تاركة إذا انْبَرَتْ لذوى الأخطار أرماقا

وقال لى من أثقه : لما ثار ابنُه حيث ثار ، وأثار من حقد أمير المسلمين عليه ما أثار ، جزع جزعا مُفْرِطا ، وعلم أنه قد صار فى أنشوطة الشر مُتَوَرطا ، وجعل يتشكى من فعله ويتظلم ، ويتوجع منه ويتألم ، ويقول : عرض بى للمِحَن ، ورضى لى أن أمتحن ، ووالله ما أبكى إلا إنكشاف من أتخلفه بَعْدى ، ويتحيَّفه بعْدِى[1] ، ثم أطرق ورفع رأسه وقد تهللت أسِرَّته ، وظللته مسرته ، ورأيته قد استجمع ، وتشوف إلى السماء وتطلع ، فعلمت أنه قد رجا عَوْدَةً إلى سلطانه ، وأوبة إلى أوطانه ، فما كان إلا بمقدار ما تنداح دائره ، أو تلتفت مُقْلة حائرة ، حتى قال :

كذا يهلك السيفُ فى جفنه إلى هز كفى طويل الحنينِ
كذا يعطش الرمح لم أعتقله ولم تَرْوِهِ من نجيع يمينى
كذا يمنع الطِّرْفُ عَلْكَ الشكيم مرتقبا غِرَّةً فى كمين
كأن الفوارس فيه ليوث تراعى فرائسها فى عَرِين
ألا شَرَفٌ يرحم المشرفىَّ مما به من شَمَات الوتين[2]
ألا كرم ينعش السَّمهرىَّ ويشفيه من كل داء دفين

---

(١) يتحيفه : يتنقصه ويأخذ من أطرافه
(٢) فى ب « مما به من سمات الوتين »

ألا حنة لابن محنية شديد الحنين ضعيف الأنين
يؤمِّلُ من صدرها ضمة تبوِّئه صدر كفر معين[1]

وكانت طائفة من أهل فاس قد عاَثُوا فيها وفسَقوا ، وانتظموا فى سلك الطغيان واتَّسَقُوا ، ومنعوا جفون أهلها السِّنَات ، وأخذوا البنين من حجور آبائهم والبنات ، وتلقبوا بالإمارة ، وأركبوا السوء نفوسَهم الأمَّارة ، حتى كادت أن تقفر على أيديهم ، وتدثر رسومها بإفراط تعَدِّيهم ، إلى أن تدارك أمير المسلمين رحمه تعالى أمرهم ، وأطفأ جَمْرَهم ، وأوجعهم ضربا ، وأقطعهم ماشاء حزنا وكربا ، وسجنهم بأغمات ، وضمتهم جوانح الملمات ، والمعتمد إذ ذاك معتقل هناك ، وكانت فيهم طائفة شعرية ، مُذْنبة أوبَرِية[2] ، فرغبوا إلى سجانهم ، أن يستريحوا مع المعتمد من أشجانهم ، فخَلَّى ما بينهم وبينه ، وغمض لهم فى ذلك عَيْنَه ، فكان المعتمد رحمه الله تعالى يَتَسَلَّى بمجالستهم ، ويجد أثر مؤانستهم ، ويستريح إليهم بِجَوَاه ، ويبوح لهم بسره ونَجْوَاه إلى أن شُفع فيهم وانطلقوا من وثاقهم ، وانفرج لهم مُبْهَم أغلاقهم ، وبقى المعتمد [فى محبسه] يشتكى من ضيق الكَبْل ، ويبكى بدمع كالوَبْل ، فدخلوا عليه مُوَدِّعين ، ومن بثه متوجعين ، فقال :

أما لانسكابِ الدمع فى الخد راحة لقد آن أن يَفْنَى ، ويفنى به الخد
هبوا دعوة يا آل فاس لمبتلًى بما منه قد عافاكُمُ الصمد الفرد
تخلصتم من سجن أغمات والتَوَتْ علىَّ قيودٌ لم يَحِنْ فكها بعد
من الدهم أما خلقها فأساود تَلَوَّى وأما الأيد والبطش فالأسد
فهنيتمُ النعما ، ودامت لكلكم سعادته إن كان قد خاننى سَعْدُ
خرجتم جماعات وخُلِّفْتُ واحداً ولله فى أمرى وأمركم الحمد

---

(١) فى ب « تبوئه صدر كبر معين »

(٢) برية : أى بريئة ، سهلت الهمزة بقلبها ياء ثم أدغمت فى الياء

ومرّ عليه فى موضع اعتقاله سِرْبُ قَطًا لم يعلق لها جَنَاح ، ولا تعلق بها من الأيام جُنَاح ، ولا عاقها عن أفراخها الأشراك[١] ، ولا أعوزها البَشَام ولا الأراك ، وهى تمرح فى الجو ، وتسرح فى مواقع النو ، فتنكّدَ بما هو فيه من الوثاق ، وما دون أحبته من الرقباء والأغلاق ، وما يقاسيه من كَبْله ، ويُعانيه من وَجْده وخَبْله ، وفكر فى بناته وافتقارهنّ إلى نعيم عَهِدْنَه ، وحبور حَضَرْنَه وشَهِدْنَه ، فقال :

بكيت إلى سرب القطا إذ مرون بى ... سوارح لا سجن يعوق ولا كبل

ولم تك والله المعيد حسادةً ... ولكن حنينا أن شكلى لها شكل

فأسرح لا شَمْلِى صَديع ولا الحشا ... وجيع ولا عيناى يبكيهما ثكل

هنيئا لها إذ لم يفرق جميعها ... ولا ذاق منها البعد عن أهلها أهل[٢]

وإذ لم تَبِتْ مثلى تطير قلوبها ... إذا اهتز باب السجن أوصلصل القفل

وما ذاك مما يعتريه ، وإنما ... وصفت التى فى جبلة الخلق من قَبْلُ

لِنفسى إلى لُقْيَا الحِمَامِ تشوّف ... سواى يحب العيش فى ساقه حِجْلُ[٣]

ألا عصم الله القطافى فراخها ... فإن فراخى خانها الماء والظل

وفى هذه الحالة زاره الأديب أبو بكر بن اللَّبَّانة ، وهو أحد شعراء دولته المرتضين دِرَرَها ، المنتجعين دُرَرَها ، وكان المعتمد رحمه الله تعالى يميزه بالشفوف والإحسان ، ويجوّزه على فرسان هذا الشان ، فلما رآه وحَلَقَات الكَبْل قد عضت بساقيه عض الأسود ، والتوت عليه التواء الأساود السود ، وهو لا يُطيق إعمال قَدَم ، ولا يُرِيقُ دمعا إلا ممزوجا بدم ، بعد ما عهده فوق منبر وسرير ، ووسط جنة وحرير ، تَخفِقُ عليه الألوية ، وتُشْرق منه الأندية ، وتَكِفُ الأمطار من راحته ، وتشرف الأقدار[٤] بحلول ساحته ، ويرتاع الدهرُ من أوامره ونواهيه ،

(١) الأشراك : جمع شرك ، وهو الفخ

(٢) فى ا « هنيئاً لها أن لم يفرق جميعها »

(٣) كذا فى ا ، وفى ب ونسخة عندا « بنفسى أن ألقى الحمام » وفيهما « فى ساقه كبل »

(٤) فى ا « وتشرق الأقدار »

ويقصر النسر أن يقارنه أو يُضاهيه ، نَدَبَهُ بكل مقال يلهب الأكباد ، ويثير فيها لوعة الحارث ابن عُبَاد[١] ، أبدع من أناشيد مَعْبَد[٢] ، وأصدع للكبد من مراثى ارْبَد[٣] ، أو بكاء ذى الرمة بالمِرْبَد[٤] ، سلك فيها للاحتفاء طريقا لاَحِبا ، وغدا فيها لذُيول الوفاء سَاحِبا ، فمن ذلك قوله :

أنْفُض يديك من الدنيا وساكنها ... فالأرض قد أقفرت والناس قد ماتوا

وقل لعالمها السفلى قد كَتَمَتْ ... سريرةَ العالم العلوى أغمات

طوت مظلتها لا بل مذلتها ... مَنْ لم تزل فوقه للعِزِّ رايات

مَنْ كان بين الندى والبأس أنصله ... هندية وعطاياه هُنَيْدَات

رماه من حيث لم تستره سابغة ... دهر مصيباته نَبْل مصيبات

أنكرت إلا التواآتِ القيود به ... وكيف تنكر فى الروضات حيات

غلطت بين هَمَايين عقدن له ... وبينها فإذا الأنواع أشتات

وقلت هن ذؤابات فلم عكست ... من رأسه نحو رجليه الذؤابات

حسبتها من قَنَاه أو أعنته ... إذا بها لثقاف المجد آلات

دَرَوْهُ ليثا فخافوا منه عادية ... عذرتهم فلعَدْوِ الليث عادات

لو كان يفرج عنه بعض آونة ... قامت بدعوته حتى الجماداتُ

بحر محيط عهدناه تجىء له ... كنقطة الدارة السبعُ المحيطات

لهفى على آل عباد فإنهمُ ... أهِلَّةٌ مالها فى الأفق هالات

راح الحيا وغدا منهم بمنزلة ... كانت لنا بُكَرٌ فيها ورَوْحَاتُ

أرض كأن على أقطارها سُرُجاً ... قد أوقدتهن بالأدهان أنبات

وفوق شاطىء واديها رياضُ رُباً ... قد ظللتها من الأنشام دوحات

(١) الحارث بن عباد : هو فارس النعامة الذى اعتزل حرب البسوس إلى أن قتل المهلهل ابنه فاستشاط غضباً وتقحم الحرب

(٢) معبد : مغن مشهور

(٣) أربد : أخو لبيد بن ربيعة ، اجتاحته صاعقة فبكاه لبيد فى مراث كثيرة

(٤) المربد : مكان بالبصرة كان الشعراء ينشدون فيه

كأن واديها سلك بلَبّتها وغاية الحسن أسلاك ولبَّاتُ

نهر شربت بعبْرَيْهِ على صور كانت لها فىّ قبْلَ الراح سورات[١]

وربما كنت أسمو للخليج به وفى الخليج لأهل الراح راحات

وبالغروسات لاجفت منابتها من النعيم غروسات جَنيَّاتُ

ولم تزل كبده تتوقّد بالزفرات ، وخَلَده يتردد بين النكبات والعثرات ، ونفسه تتقسم بين الأشجان[٢] والحسرات ، إلى أن شفته منيته ، وجاءته بها أمنيته ، فدفن بأغمات ، وأريح من تلك الأزمات :

وعطلت المآثر من حُلاَها وأفردت المفاخر من علاها

ورفعت مكارم الأخلاق ، وكسدت نفائس الأعلاق ، وصار أمره عِبْرة فى عصره ، وصاب أندَى عَبْرَةٍ فى مِصْرِه[٣] ، وبعد أيام وافى أبو بحر بن عبد الصمد شاعره المتصل به ، المتوصِّل إلى المُنَى بسببه ، فلما كان يوم العيد وانتشر الناس ضُحًى ، وظهر كل متوارٍ وضَحاً ، قام على قبره عند انفصالهم من مصلاهم ، واختيالهم بزينتهم وحُلاهم ، وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه ، وخر على ترُبْه ولثمه :

ملكَ الملوك ، أسامع فأنادى أم قد عدتك عن السماع عوادى

لما خلت منك القصور فلم تكن فيها كما قد كنتَ فى الأعياد

قبلت من هذا الثرى لك خاضعا وتخِذْتُ قبركَ موضع الإنشاد[٤]

وهى قصيدة أطال إنشادها ، وبنى بها اللواعجَ وشادها ، فانحشر الناس إليه وانحفلوا ، وبكوا ببكائه وأعْوَلوا ، وأقاموا أكثر نهارهم مُطيفين به طوافَ الحجيج ، مديمين للبكاء والعجيج ، ثم انصرفوا وقد نَزَفُوا ماء عيونهم ، وأقرحوا ما قيهم

(١) فى ب « كانت لها من قبيل الراح سورات » وأثبتنا ما فى أصل ا

(٢) فى أصل ا « تنقسم بين الأشجان »

(٣) صاب : أسال ، وأندى عبرة : أى أكثر دمعة ، ووقع فى ا « وصاب أبدا عبرة فى مصره » محرفا (٤) فى ا « قبلت فى هذا الثرى »

بفيض شؤونهم ، وهذه نهاية كل عيش ، وغاية كل ملك وجيش ، والأيام لا تدع حَيًّا ، ولا تألو كل نشر طَيًّا ، تطرق رزاياها كل سمع ، وتُفرق مناياها كل جمع ، وتُصْمِى كل ذى أمر ونَهْى ، وترمى كل مشيد بِوَهْى ، ومن قبله طوت[1] النعمان ابن الشقيقة ، ولوت مجازه فى تلك الحقيقة ، انتهى ما قصدنا جلبه من كلام الفتح مما يدخل فى أخبار المعتمد بن عباد المناسبة للمامر .

وكلام الفتح كله الغاية ، وليس الخبر كالعيان ، ولذا قال بعض من عَرَّفَ به : إنه أراد أن يفضح الشعراء الذين ذكرهم فى كتبه بنثره ، سامحه الله تعالى !

وأخبار المعتمد رحمه الله تعالى تحتمل مجلدات ، وآثاره إلى الآن بالغرب مخلدات ، وكان من النادر الغريب قولهم فى الدعاء للصلاة على جنازته «الصَّلاَةَ على الغريب» بعد اتساع ملكه ، وانتظام سلكه ، وحكمه على إشبيلية وأنحائها ، وقرطبة وزهرائها ، وهكذا شأن الدنيا فى تدريسها نحو نُدْبتها و إغرائها .

زيارة لسان الدين لقبر المعتمد

وقد توجه لسان الدين الوزير بن الخطيب إلى أغمات لزيارة قبر المعتمد رحمه الله تعالى ، ورأى ذلك من المهمات ، وأنشد على قبره أبياته الشهيرة التى ذكرتها فى جملة نظمه الذى هو أرقّ من النسيم ، وأبهج من المحيا الوسيم .

زيارة المؤلف لقبر المعتمد

قلت : وقد زرت أنا قبر المعتمد والرُّمَيْكية أم أولاده ، حين كنت بمراكش المحروسة عام عشرة وألف ، وعُمِّى علىَّ أمرُ القبر المذكور ، وسألت عنه من تُظن معرفته له ، حتى هدانى إليه شيخ طعن فى السن ، وقال لى : هذا قبر ملك[2] ملوك الأندلس ، وقبر حظيته التى كان قلبه بحبها خفاقا غير مطمئن ، فرأيته فى ربوة حسبما وصفه ابن الخطيب رحمه الله تعالى فى الأبيات ، وحصلت لى من ذلك[3] المحل خشية وادكار ، وذهبت بى الأفكار ، فى ضروب الآيات ، فسبحان من يؤتى

---

(١) فى ا « ومن قبله ماطوت النعمان — إلخ »

(٢) فى ا « هذا قبر ملك من ملوك الأندلس » (٣) فى ا « فى ذلك المحل »

ملكه من يشاء لا إله غيره وارث الأرض وَمَنْ عليها وهو خير الوارثين .

من شعر ابن عبدون

وما أحسن قول الوزير ابن عبدون فى مطلع رائيته الشهيرة :

الدهر يَفْجَعُ بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور

وهو القائل :

يا نائم الليل فى فكر الشباب أفِقْ فصبح شيبك فى أفق النُّهَى بادى

غضت عِنَانَكَ أيدى الدهر ناسخة علما بجهل وإصلاحا بإفساد [1]

وأسلمت للمنايا آل مسلمة وعبدت للرزايا آل عباد

لقد هوت منك خانتها قوادمها بكوكب فى سماء المجد وَقَّادِ

ومنها :

ومالك كان يحيي شول قرطبة أستغفر الله ، لا ، بل شَوْل بغداد

شَقَّ العلوم نطافا والعُلاَ زَهَرا فبين ما بين روّاد ووراد [2]

وأين هذه القصيدة فى مدحهم من قصيدة الغَضِّ منهم ، وهى قول أبى الحسن جعفر بن إبراهيم ابن الحاج اللورقى :

اللورقى يهجو آل عباد

تَعَزَّ عن الدنيا ومعروف أهلها إذا عدم المعروف فى آل عباد

حَلَلْتُ بهم ضيفا ثلاثة أشهر بغير قِرًى ثم ارتحلت بلا زاد

وهذا يدلك على أن الشعراء ، لم يَسْلَم من لسانهم مَنْ أحسن فضلا عمن أساء، من العظماء والرؤساء ، وما أمدح قول أبى محمد بن غانم فيهم :

ومن الغريب غروبُ شمسٍ فى الثرى وضياؤها باق على الآفاق

الفتح يتحدث عن أولية بنى عباد

وقال فى المطمح فى حق بنى عباد وأوليتهم ما صورته : الوزير أبو القاسم محمد ابن عباد ، هذه بقيةُ منتماها فى لخم ، ومرتماها إلى مفخرضخم ، وجَدّهم المنذر بن ماء

---

(١) فى أصل ا « عضت عنانك » بالعين مهملة ، وما أثبتناه موافق لما فى ب ونسخة عند ا

(٢) في ا « شق العلوم نطاقا » بالقاف

السماء ، ومَطْلعهم[١] فى جوّ تلك السماء ، و بنو عباد ملوك أنِسَ بهم الدهر ، وتنفس منهم عن أعْبَقِ الزهر ، وعمّروا ربع الملك ، وأمروا بالحياة والهلك ، ومُعتَضِدُهم أحد من أقام وأقعد ، وتبوّأ كاهِلَ الإرهاب واقتعد ، وافترش من عريسته[٢] ، وافترس من مكايد فريسته ، وزاحم بعوْد ، وهدَّ كل طَوْد[٣] ، وأخمل كل ذى زى وشارة ، وختَل بوحى و إشارة ، ومعتمدهم كان أجود الأملاك ، وأحد نيِّرات تلك الأفلاك ، وهو القائل ، وقد شغل عن منادمة خواص دولته بمنادمة العقائل :

لقد حَنَنْتُ إلى ما اعتدت من كرم حنين أرض إلى مستأخِرِ المطر

فهاتها خلعاً أُرْضِى السماحَ بهـــا محفوفة فى أكف الشَّرْبِ بالبِدَرِ

وهو القائل وقد حَنَّ فى طريقه ، إلى فريقه :

أدارَ النوى كم طال فيك تلذذى وكم عُقْتِنِى عن دار أهيف أغيد

حلفت به لو قد تعرض دونه كُماة الأعادى فى النسيج المسرَّدِ

لجردت للضرب المهنَّدَ فانقضى مُرادى وعزما مثل حد المهند

والقاضى أبو القاسم هـذا جدهم ، و به سَفَر مَجْدُهم ، وهو الذى اقتنص لهم الملك النافر ، واختصَّهم منه بالحظ الوافر ، فإنه أخذ الرياسة من أيدى جبابر ، وأضحى من ظلالها أعيان أكابر ، عندما أناخت بها أطماعُهم ، وأصاخت إليها أسماعُهم ، وامتدت إليها من مستحقيها اليد ، وأتلعوا أجياداً زانها الجِيد ، وفَغَر عليها فمه حتى هجا بيت العبدى ، وتصدى إليها من تحضر وتبَدَّى ، فاقتعد سَنامها وغاربها ، وأبعد عنها عجمها وأعاربها ، وفاز من الملك بأوفر حِصَّة ، وغدت سِمَتُه به صفة مختصة ، فلم يمح رسم القضاء ، ولم يتَّسم بسمة الملك مع ذلك النفوذ والمَضاء ، وما زال يحمى حَوْزته ، ويجلو عزته[٤] ، حتى حوته الرجام ، وخلت منه تلك

(١) فى ا « ومطلعهم من جو تلك السما »

(٢) العريسة ـ بكسر العين وتشديد الراء مكسورة ـ مسكن الأسود

(٣) كذا فى ب ونسخة عند ا ، وفى أصل ا « وهز كل طود »

(٤) فى ا « ويجلو غرته »

الآجام ، وانتقل الملك إلى ابنه المعتضد ، وحل منـه فى روض نُمِّق له ونُضِد ، ولم يعمر فيه ولم يدم ولاه ، وتسمى بالمعتضد بالله ، وارتمى إلى أبعد غايات الجود بما أناله وأولاه ، لولا بطش فى اقتضاء النفوس كَدَّرَ ذلك المنهل ، وعكر أثناء ذلك صفو العل والنَّهَل (١) ، ومازال للأرواح قابضا ، وللوثوب عليها رابضا ، يخطف أعداءه اختطافَ الطائر من الوَكْر ، وينتصف منهم بالدهاء والمكر ، إلى أن أفضى الملك إلى ابنه المعتمد ، فاكتحل منه طرفه الرَّمَد ، وأحمد مجده ، وتقلد منه أيَّ بأسٍ ونَجْدة ، ونال به الحق مناه ، وجَدَّد سَناه (٢) ، وأقام فى الملك ثلاثا وعشرين سَنَه ، لم تعدم له فيها حسنة ولا سيرة مستحسنة ، إلى أن غُلِبَ على سلطانه ، وذهب به من أوطانه ، فنقل ، إلى حيث اعتقل ، وأقام كذلك إلى أن مات ، وو ارته تربة أغمات (٣) ، وكان للقاضى جده أدب غض ، ومذهب مبيض ، ونظم يرتجله كل حين ، وينفثه (٤) أعطر من الرياحين ، فمن ذلك قوله يصف النيلوفر :

يا ناظرين لذا النيلوفر البهج ... وطيب مخبره فى الفَوْح والأَرَج (٥)

كأنه جام دُرٍّ فى تألقــه ... قد أحكموا وسطه فصا من السبج

انتهى المقصود منه .

وهو — أعنى الفتح — يشيد قصور الشرف إذا مدح ، ويهدم معاقلها إذا هجا وقَدَح .

الأديب أبو جعفر ابن البنى

ومن أغراضه قوله فى «المطمح» فى حق الأديب أبى جعفر بن البنِّى (٦) : رافع رايات القريض ، وصاحب آيات التصريح والتعريض ، أقام شرائعه ، وأظهر بدائعه ، إذا نظم أزرى بالعقود ، وأتى بأحسن من رقم البُرود ، وكان أليف غلمان ، وحليف كفر لا إيمان ، ما نطق متشرعا ، ولا رمق متورعا ، ولا اعتقد حَشْرا ، ولا صدق

---

(١) فى ا « وتصور أثنا ذلك العل والنهل » محرفا

(٢) فى ا « وندى به لحق مناه ، وجرز سنه » محرفا تحريفا شنيعا

(٣) فى ا « وو ارته برية أغمات » (٤) فى ا « ويبعثه »

(٥) فى ا « ياناظرين ندى النيلوفر » (٦) فى ب « البنى »

بعثا ولا نَشْراً ، ور بما تنسك مجونا وفتكا ، وتمسك باسم التقى وقد هتكه هتكا ، لا يبالى كيف ذهب ، ولا بم تمذهب ، وكانت له أهاجى جَرَّع بها صابا ، ودَرَّع منها أوصابا ، وقد أثبتّ له مايرشف(١) ريقاً ، و يشرب تحقيقاً(٢) ، فمن ذلك قوله يتغزل :

من لى بغُرَّةِ فاتن يختال فى ... حلل الجمال إذا بدا وحليه(٣)

لو شَبَّ فى وضح النهار شعاعَها ... ماعاد جنح الليل بعد مضيه(٤)

شرقت لآلى الحسن حتى خلصت ... ذهبيه فى الخد من فِضّيّه

فى صفحتيه من الجمال أزاهر ... غذيت بوَسْمِيِّ الحيا ووليه

سَلَّتْ محاسنُه لقتل محبه ... من سحر عينيه حُسامَ سميه

وله فيه :

كيف لا يزداد قلبى ... من جَوى الشوق خبالا

وإذا قلت على ... بهر الناس جمالا

هو كالغصن وكالبد ... ر قواما واعتدالا

أشرق البدر كمالا ... وانثنى الغصن اختيالا

إن مَنْ رام سُلوّى ... عنه قد رام محالا

لست أسلو عن هواه ... كان رشداً أو ضلالا

قل لمن قصر فيه ... عذل نفسى أو أطالا

دون أن تدرك هذا ... تسلب الأفق الهلالا

وكنت بمَيُورقة وقد حلها مُتَّسما بالعبادة ، وهو أسرى إلى الفجور من خيال أبى عُبَادة(٥) ، وقد لبس أسمالا ، ولَبَّسَ منه أقوالا وأفعالا ، سجوده هجود ، وإقراره بالله جحود ، وكانت له رابطة لم يكن للوازمها مرتبطا ، ولا بسكناها(٦) مغتبطاً ،

---

(١) فى أصل ا « مايرتشف ريقا » وفى نسخة عندها « مايرتشفه »

(٢) فى ا « وتلتحف الأيام منه شروقا » (٣) في ا « إذا مشى وحليه »

(٤) فى ب « لو شمت فى وضح النهار شعاعها » وهو فى نسخة عند ا

(٥) أبو عبادة : هو الوليد المعروف بالبحترى ، وله شعر كله غرر فى وصف الخيال وطروقه على المحب (٦) فى أصل ا « بسكناها »

سماها بالعقيق وسمى فتى كان يتعشقه بالحِمَى ، وكان لا يتصرف إلا فى صفاته ، ولا يقف إلا بعرَفَاته ، ولا يؤرقه إلا جَوَاه ، ولا يَشُوقه[1] إلا هوَاه ، فإذا بأحد دعاة حبيبه ، ورُوَاة تشبيبه ، قال له : كنت البارحة بحماه ، وذكر له خبرا وَرَّى به عنى وعَمَّاه ، فقال :

تنفس بالحمى مطلولُ أرض ... فأودع نشره نشرا شمالا[2]
فصبحت العيون إلى كسلى ... تجرِّرُ فيه أردانا خضالا
أقول وقد شممت الترب مسكا ... بنفحتها يمينا أو شمالا
نسيم جاء يبعث منك طيبا ... ويشكو من محبتك اعتلالا

ولما تقرر عند ناصر الدولة من أمره ما تقرر ، وتردد على سمعه انتهاكه وتكرر ، أخرجه من بلده ونفاه ، وطمس رَسْم فِسْقِهِ وعَفاه ، فأقلع إلى المشرق وهو جار ، فلما صار من مَيُوقة على ثلاثة بحار[3] ، نشأت له ريح صرَفته عن وجهته ، إلى فَقْد مهجته ، فلما لحق بميورقة أراد ناصر الدولة إماحته[4] ، وأخذ ثار الدين منه وإراحته ، ثم آثر صَفْحه ، وأخمد ذلك الجمر ولَفْحَه ، وأقام أياما ينتظر ريحاً علها تزجيه ، ويستهديها لتخلصه وتنجيه ، وفى أثناء بلوته ، لم يتجاسر أحد على إتيانه من إخوته ، فقال يخاطبهم :

أحبتنا الألىٰ عتبُوا علينا ... فأقصرنا وقد أزف الوداع
لقد كنتم لنا جَذلاً وأنسا ... فهل فى العيش بعدكم انتفاعُ؟
أقول وقد صدرنا بعد يوم ... أشَوْقٌ بالسفينة أم نِزَاعُ
إذا طارت بنا حامت عليكم ... كأن قلوبنا فيها شراع

(١) فى أصل ا « ولا يشرقه »
(٢) فى ا « مطلول روض » وفيها « فأودع رسمه ريحا شمالا »
(٣) فى ا « على ثلاثة مجار » (٤) فى أصل ا « إباحته »

وله يتغزل :

بنى العرب الصميم ألا رعيتم ... مآثركم بآثار السماح

رفعتم ناركم فعشَا إليها ... بوَهْنٍ فارسُ الحى الوقاح

فهل فى القَعْب فضل تنضحوه ... به من مخض ألبان اللقاح[1]

لعل الرسل شائبة الثنايا ... بشهد من ندى نوْرِ الأقاح

وله أيضاً :

وكأنما رشأ الحمى لما بدا ... لك فى مضلعة الحديد المعلم

غَصَبَ الغمام قِسِيَّه فأراكها ... من حسن معطفه قويم الأسهم

وله أيضاً :

نظرت إليه فاتَّقانِى بمقلة ... تردُّ إلى نحرى صدور رماح

حَمَيْتَ الجفون النوم يارشأ الحمى ... وأظلمت أيامى وأنت صباحى

وقال :

قالوا تصيب طيورَ الجوِّ أسهمُهُ ... إذا رماها فقلنا عندنا الخبر

تعلمت قوسها من قوس حاجبه ... وأيَّد السهم من ألحاظه الحوَرُ

يروح فى بُرْدة كالنِّقْسِ حالكة ... كما أضاء بجُنْح الليلة القمرُ[2]

وربما راق فى خضراء مورقة ... كما تَفَتَّحَ فى أوراقه الزهر

أبو الحسن ابن لسان

وقال فى ترجمة أبى الحسن بن لسان[3] : شاعر سَمْح ، متقلد بالإحسان متشح ، أمَّ الملوك والرؤساء ، ويَمَّم تلك السعادة[4] القَعْساء ، فانتجع مواقع خيرهم ، واقتطع ماشاء من مَيْرهم ، وتمادت أيامه إلى هذا الأوان ، فجالت به فى ميدان الهوان ، فكسد نفاقه ، وارتدت آفاقه ، وتوالى عليه حرمانه و إخفاقه ، وأدركته وقد خبنه سنونه ،

(١) فى ا « فهل فى العقب » وفيها « من محض ألبان اللقاح »

(٢) فى ا « يروح بى برده كالنفس جالكة » محرفا

(٣) فى ب « وقال فى ترجمة ابن اللبانة : أبو الحسن - إلخ » وقد أثبتناه فى ا والمطمح ولأن النسختين اتفقتا عليه فى كل ما يلى

(٤) فى ا « ويمم تلك العزة القعساء » وهو كذلك فى المطمح (٩٣

وانتظرته مَنُونه ، ومحاسنه كعهدها فى الاتقاد ، و بعدها من الانتقاد ، وقد أثبتُّ منهـا ما يعذب جَنًى وقِطَافا ، و يستعذب استنزالا واستلطافا ، فمن ذلك قوله يستنجد الأمير الأجل أبا إسحاق ابن أمير المسلمين .

قل للأمير ابن الأمير بل الذى ... أبدى به فى المكرمات وفى الندى[1]

والمجتنِى بالزُّرْق وهى بنفسج ... وَرْدَ الجراح مضعفا ومنضـدا

جاءتك آمال العُفَاة ظوامئاً ... فاجعل لها من ماء جودك موردا

وأُنثر على المداح سيبك أنهم ... نثروا المدائح لؤلؤا وزبرجدا

فالناس إن ظلُموا فأنت هو الحمى ... والناس إن ضلوا فأنت هو الهدى[2]

أخبرنى وزير السلطان أن هذه القطعة لما ارتفعت ، اعتنت بجملة الشعراء وشَفَعَتْ ، فأنجز لهم الموعود ، وأورق لهم ذلك العُود ، وكثر اللغط فى تعظيمها ، واستجادة نَظِيمها ، وحصل له بها ذكر ، وانصقل له بسببها فكر

وله من قطعة يصف بها سَيْفاً :

كل نهر توقدت شَفرَتاه ... كاتقاد الشهاب فى الظلماء

فهو ماء مركب فوق نار ... أو كنارٍ قد ركبت فوق ماء[3]

وكتب إلىَّ معزيا عن والدتى :

على مثله من مصاب وجب ... على من أصيب به المنتجب[4]

وقلب فَروق واب خَفوق ... ونفس تشب وهم نصب

فقد خشعت للتقى هَضْبة ... ذؤابتها فى صميم العرب

من الجاعلات محاريبهَا ... هوادجها أبدا والقتَبْ

من القائمات بظل الدجا ... ولا من تسامر إلا الشهب

---

(١) فى ا والمطمح « أبدا به » وأصلها « أبدأ به » فقلب الهمزة ألفا

(٢) فى ا « فالناس إن ظمئوا » وفى المطمح « إن فزعوا »

(٣) كذا فى ب والمطمح ، وفى ا « فهو ماء قد ركبت فوق نار »

(٤) فى ا « على من أصيب به المنتحب » بالحاء مهملة

فكم ركعت إثرها فى الدجا تناجى بها ربها من كثب
وكم سكبت فى أوانى السجود مدامع كالغيث لما انسكبْ
وقد خلفت ولداً باسلا فصيحاً إذا ما قرا أوخطب
يفلُّ السيوف بأقلامه ويكسر صُمَّ القنا بالقَصَبْ

وكان القائد أبو عمرو عثمان بن يحيى بن إبراهيم أجل من جال فى خَلَد ، واستطال على جَلَد ، رشأ يحيى باحتشامه ، ويسترد البدر بلثامه ، ويُزْرى بالغصن تَثَنِّيه ، ويثمر الحسن لودنت قُطُوفه لمجتنيه ، مع لوذعية تخالها جِرْيَالا ، وسجية يختال فيها الفضل اختيالا ، وكان قد بعد عن أنسنا بحمص ، وانتضى من تلك القمص ، وكان بثغر الأشبونة فسدَّه ، ولم ينفرج لنا من الأنس بعده ما يسدّ مسده ، إلى أن صدر ، فأسرع إلينا وابتدر ، فالتقينا وبتنا ليلة نام عنها الدهر وغَفَل ، وقام لنا بما شئنا فيها وتكفل ، فبينا نحن نفضّ ختامها ، وننفض عنا غُبَارَ الوحشة وقتَامها ، إذا أنا بابن لسان هذا وقد دخل إذنه علينا فأمرناه بالنزول وتلقيناه بالترحيب[1] ، وأنزلناه بمكانٍ من المسرة رَحِيب ، وسقيناه صغارا وكبارا ، وأريناه إعظاما وإكبارا ، فلما شرب ، طرب ، وكلما كرعها ، التحف السلوة وتدرعها ، وما زال يشرب أقداحا ، ويُنْشد فينا أمداحا ، ويفدى بنفسه ، ويستهدى الاستزادة[2] من أنسه ، فهتكنا الظلام بما أهداه من البديع ، واجتلينا محاسنه كالصَّريع[3] ، وانفصلت ليلته عن أتم مسره ، وأعم مَبَره ، وارتحل عثمان أعزه الله إلى ثغره ، وأقام به برهة من دهره ، فمشيت بها إليه مجدّدا عهدا ، ومتضلعا من مؤانسته شهدا ، فكتب ابن لسان هذه القطعة من القصيدة يذهب إلى شكره ، ويجتهد فى تجديد ذكره :

ما شام إنسانُ إنسانٍ كعثمان ولا كبغيته من حسن إحسان

---

(١) فى ا والمطمح « والتقيناه بترحيب »

(٢) كذا فى ب والمطمح ، وفى ا « ويستهدى الاستردادة »

(٣) فى ا والمطمح « كالصديع »

بدر السيادة يبدو فى مطالعه　　من المحاسن محفوفا بشهبان
له التمام وما بالأفق من قمر　　متمم دون أن يرمى بنقصان (١)
به الشبيبة تزْهى من نضارتها　　كما تساقط طَلٌّ فوق بستان
معصفر الحسن للأَبصار ناصعه　　كأنه فضة شيبت بعِقْيَانِ
نبئت عنه بأنباء إذا نَفحَتْ　　تعطلت نفحات المسك والبان
قامت عليه براهين تصدقها　　كالشكل قام عليه كلُّ برهان
قد زادها ابن عبيد الله من وَضَحٍ　　ما زادت الشمس نور الفجر للرانى
بالله بلغه تسليمى إذا بلغت　　تلك الركاب وعجل غير ليَّانِ
ولَيْتَ أنىَ لو شاهدت أنسكما　　على كئوس وطاساتٍ وكيزان
فألفظ الكَلِمَ المنثور بينكما　　كأنما هو من در ومَرْجَانِ (٢)
لله درك ياذا الخطتين لقد　　خططت بالمدح فيه كل ديوان (٣)
كلا كما البحر فى جود وفى كرم　　أو الغمامةُ تَسْقِى كل ظمآن (٤)
إن كان فارس هيجاء ومعترك　　فأنت فارس إفصاح وتبيان
فاذكر أبا نصر المعمور منزله　　بالرفد ما شئت من مَثْنًى ووُحْدَان
قصائدا لأخى ود وإن نزحت　　بك الركاب إلى أقصى خراسان

الأديب أبى بكر عبد المعطى

وقال فى ترجمة الأديب أبى بكر عبد المعطى : بيت شعر ونَبَاهه ، وأبو بكر ممن انتبه خاطره للبدائع أىَّ انتباهه ، وله أدب باهر ، ونظم كما سَفَرَتْ أزاهر ، وقد أثبتُّ له جمالا ، يبلغ آمالا ، فمن ذلك قوله ، وقد اجتمعنا فى ليلة لم يضرب لهاوعد ، ولم يَعْزُبْ عنها سعد ، وهو قَعَدِىّ ، قد شبَّ عن طوْق الأنس فى النَّدِىِّ ، وما قال خلا عمرو ولا عدا ، والكهولة قد قبضته ، وأقعدته عن ذلك وما أنهضته :

(١) فى المطمح « دون أن يزرى بنقصان » وفى ا « يزهى بنقصان »
(٢) فى ا والمطمح « فألقط الكلم المنثور بينكما »
(٣) فى المطمح « ياذا الخطبتين » وفى ا « حططت بالمدح — إلخ »
(٤) فى ا « تشفى كل ظمآن » وفى المطمح « أو الغمامة فيها رى ظمآن »

إمام النثر والمنظوم فتح جميع الناس ليل وهو صبح
له قلم جليل لا يجارى يقر بفضله سيف ورمح
يبارى المزن ماسحت سَماحا و إن شحت فليس لديه شح

وكان مرتسما فى عسكر قُرْطبة ، وكان ابن سراج يقوم له بكل ما يبغى تطلبه ، خيفة من لسانه ، ومحافظة على إحسانه ، ولما خرج إلى إقليش خرج معه ، وجعل يساير من شَيَّعه ، فلما حصلوا بفَحْص سرادق ، وهو موضع توديع المفارق للمفارق ، قرب منه أبو الحسين[1] بن سراج لوداعه ، وأنشده فى تفرق الشمل وانصداعه :

هُمُ رحلوا عنا لأمر لهم عَنَّا فما أحد منهم على أحد حَنَّا
وما رحلوا حتى استفادوا نفوسنا كأنهمُ كانوا أحق بها منا
فيا ساكنى نجد لتبعَدَ داركم ظننا بكم ظنا فأخلفتم الظنا
غدرتم ولم أغدر ، وخنتم ولم أخن وقلتم ولم أعتب ، وجرتم وماجرنا
وأقسمتم أن لا تخونون فى الهوى فقد وذمام الحب خنتم وماخُنَّا
ترى تجمع الأيام بينى و بينكم ويجمعنا دهر نعود كما كنا

فلما استتم إنشاده لحق بالسلطان واعتذر إليه بمريضٍ خَلَّفه ، وهو يخاف تلفه ، فأذن له بالانصراف ، وكتب إلى أبى الحسين بن سراج :

أما والهدايا ما رحلنا ولا حُلْنَا و إن عَنَّ من دون الترحُّلِ ماعنا
تركْنا ثوابَ الغزْو والقصْد للعِدَى على مضض منا وعُدْنا كما كنا[2]
وليس لنا عنكم على البين سلوة و إن كان أنتم عندكم سلوة عنا

وجمعتنا عشية برَبَض الزجالى[3] بقرطبة ، ومعنا لُمة من الإخوان وهو فى جملتهم ، مناهض لأعيانهم وجِلَّتهم ، بفضل أدبه ، وكثرة سُحُبه ، فجعل يرتجل ويروى ،

---

(١) كذا فى ب هنا وفيما سيأتى وهو كذلك فى ا والمطمح فيما يلى ، وفى ا هنا والمطمح « أبو الحسن »

(٢) فى ب « تركنا ثواب الفضل والعز للعزا » وفى المطمح « والعز للعرى »

(٣) كذا فى ا ، وفى ب والمطمح « بربض الرحال »

وينشر محاسن الآداب ويطوى ، ويمتعنا بتلك الأخبار ، ويقطعنا منها جانب اعتبار ، ويطلعنا على إقبال الأيام وعلى الإدبار ، ثم قال :

أيا ابن عبيدالله يا ابن الأكارِمِ   لقد بَخَّلَتْ يمناك صَوْبَ الغمائم
لك القلم الأعلى الذى عطل القنا   وفل ظُبَاتِ المرهفات الصوارم
وأخلاقك الزهر الأزاهر بالربا   ترفُّ بشؤبوب الغيوث السواجم (١)
بقيت لتشييد المكارم والعلى   تظاهرها بالسالف المتقادم

واجتمع عند أبيه لُمة من أهل الأدب ، وذوى المنازل والرتب ، فى عشية غيم أعقب مطرا ، وخط فيها البرق أسطرا ، والبَرَدُ يتساقط كدرٍّ من نظام ، ويتراءى كثنايا غادة ذات ابتسام ، وهو غلام ما نَضَا برد شبابه ، ولا انتضى مُرْهَفَ آدابه ، فقال معرضا بهم ، ومتعرضا لتحقق أدبهم :

كأنَّ الهواء غدير جَمَدْ   بحيثُ البروق تذيب البرد
خيوط وقد عقدت فى الهواء   وراحة ريح تحل العقد

وشرب فى دار ابن الأعلم فى يوم لم يَرَ الدهر فيه إساءه ، وليل نَسَخَ نورُ أنسه مَساءه ، ومعهم جملة من الشعراء ، وجماعة من الوزراء ، منهم أبناء القَبْطُرْنة فوقع بينهم عتاب وتَعْذَال ، وامتهان فى ميدان المشاجرة وابتذال ، آل به إلى تجريد السيف ، وتكدير ما صفا بذلك الخَيْف ، فسكنوه بالاستنزال ، وثنوه عن ذلك النزال

أبو بكر يحيى بن بقى

وقال فى المطمح فى حق أبى بكر يحيى بن بقى القرطبى صاحب الموشحات البديعة : كان نبيل السيرة والنظام ، كثير الأرتباط فى سلكه والانتظام ، أحرز خصالا ، وطرَّز بمحاسنه بُكَرا وآصالا ، وجرى فى ميدان الإحسان إلى أبعد أَمَدِ وبنى من المعارف أثبت عَمَد ، إلا أن الأيام حرمته ، وقطعت حبل رعايته وصرمته ،

---

(١) ترف : تتمايل ، ووقع فى ا « تزف »

فلم تتم له وَطَرا ، ولم تُسْجِم عليه الحُظْوَة مَطَرا ، ولا سوّغت من الحرمة نصيبا ، ولا أنزلته مَرْعًى خصيبا ، فصار راكب صهوات ، وقاطع فلوات ، لا يستقر يوما ، ولا يستحسن نوما ، مع توهم لا يظفره بأمان ، وتقلب ذهن كالزمان ، إلا أن يحيى بن على بن القاسم نزعه من ذلك الطيش ، وأنطه جانبا من العيش ، ورقاه[1] إلى سَمَائه ، وسقاه صَيِّبَ نعمائه ، وفيأه ظِلاَلَه ، وبوّأه أثر النعمة يَجُوسُ خِلاله[2] ، فصرف به أقواله ، وشرف بعواقبه فعاله ، وأفرده منها بأنفس در ، وقصده منها بقصائد غُر ، انتهى المقصود جَلْبُهُ من ترجمته فى المطمح .

وقال فى حقه فى القلائد : رافع راية القريض ، وصاحب آية التصريح فيه والتعريض ، أقام شَرَائعه ، وأظهر رَوَائعه ، وصار عَصِيُّه طائعه ، إذا نظم أزرى بنظم العقود ، وأتى بأَحْسَنَ من رَقْم البُرود ، وطغى[3] عليه حِرْمَانُه ، فما صفا له زمانه ، انتهى .

وابن بقى المذكور هو القائل :

بأبى غزالٌ غازلَتْهُ مقلتى ... بين العُذَيْبِ و بين شَطَّىْ بارق

الأبيات المذكورة فى غير هذا الموضع .

ومن موشحاته قوله :

عبث الشوق بقلبى فاشتكى ... ألم الوجد فَلَبَّتْ أدْمُعِى[4]

أيها الناس فؤادى شَغِفُ

وهو من بَغْى الهوى لا يُنْصَفُ

كم أداريهِ ودَمْعِى يَكِفُ

---

(١) فى ا « وأرقاه » (٢) فى ا « تجوس خلاله »

(٣) فى ا « وطفا عليه حرمانه ، وما صفاله زمانه »

(٤) فى ا «غلب الشوق بقلبى فاشتكى»

أيها الشادن من عَلَّمكا بسهام اللحظ قَتْلَ السبع

بدر تم تحت ليل أغطش

طالع فى غصن بانٍ منتشى

أهْيَفُ القد بخد أرقش

ساحر الطرف وكم ذا فتكا بقلوب الأسد بين الأضلع

أى ريم رمته فاجتنبا

وانثنى يهتز من سكر الصِّبَا

كقضيب هزه ريح الصَّبَا

قلت هَبْ لى يا حبيبى وصلكا واطرح أسباب هجرى وَدَع

قال خدى زهره مُذْ فوّفا

جردَتْ عيناى سيفا مُرْهَفَا

حذرا منه بأن لا يقطفا

إن من رام جَناه هَلكا فأزل عنك علال الطمع(١)

ذاب قلبى فى هوى ظبى غريرْ(٢)

وجهه فى الدَّجْنِ صبح مستنيرْ

وفؤادى بين كفيه أسيرْ

لم أجد للصبر عنه مسلكا فانتصارى بانسكاب الأدْمُعِ

وقال رحمه الله تعالى :

خذ حديث الشوق عن نفسى وعن الدمع الذى همعا

---

(١) فى نسخة عند ا « فأزل عنك هلال الطمع »

(٢) فى نسخة عند ا « فى هوى ظبى غدير » وإن صحت تقرأ بالإضافة

ما ترى شوقى قد اتقدا[١]

وهَمى بالدمع واطــردا[٢]

واغتدى قلبى عليك سُدَى

آه من ماء ومن قَبَسٍ بين طرفى والحشا جمعا

بأبى ريم إذا سـفرا

أطلعت أزراره قمـرَا

فاحذروه كلما نظـرا

فبألحاظ الجفون قِسِى أنا منها بعض مَنْ صُرِعا

أرتضيه جار أو عدلا

قد خلعت العذر والعَذَلاَ

إنمــا شوقى إليه جلا

كم وكم أشكو إلى اللَّعَسِ ظمئى لو أنه نفعــا[٣]

صال عبدُ الله بالحَوَرِ

و بطرفٍ فاتر النظــر

حكمه فى أنفس البشر

مثلُ حكم الصبح فى الغلس إن تجـلى نوره صدعا

شَبَّهته بالرشــا الأمَمُ

فلعمرى إنهـم ظلموا

فتغنى من به السقم

---

(١) فى ا « ماترى شوقى قد وقدا » وعليه تفتح ياء المتكلم فى « شوقى »

(٢) فى ا « وهمى دمعى واطردا »

(٣) كذا في ب ونسخة عند ا ، وفى أصل ا « كم وكم أشكو إلى الألعس »

أَيْنَ ظبى القفر والـكُنُسِ من غزال فى الحشا رَتَعَا

انتهى ، وله أيضاً

ما ردنى لابِسْ ثوبَ الضنا الدارسْ إلا قَمَـــرْ

فى غُصُنٍ مائِسْ شعاعه عاكس ضوء البصر(١)

أسير كالسيل إليـه لاباع إلا وداد

والطيف فى خيل لهن إسراع مـع الرقاد(٢)

يا كوكب الليـل إن كنت ترتاع فـلم فؤادى

كالأسد العابس لكنه خانس من الحـوَرْ

ومن نظمه قصيدة مدح يحيى بن على بن القاسم المذكور بها ، منها فى المديح قوله :

نوران ليسا يحجبان عن الورى كرم الطباع ولا جمال المنظر

وكلاهما جُمِعا ليحيى فليَـدَعْ كتمان نور عـــلائه المتشهر

فى كل أفق من جمـال ثنائه عَرْفٌ يزيد على دخان المجمر

رِدْفِي شمـائله ورِدْ فى جوده بين الحديقـة والغمام الممطر

بدر عليـه من الوقار سكينة فيهـا لقيطة كل ليث مخـدر(٣)

مثل الحسام إذا انطوى فى غمده ألقى المهابة فى نفوس الحضَّرِ

أربى على المزن المُلِثِّ لأنه أعطى كما أعطى ولم يستعبر

ومنها :

أقبلت مرتادا لجـودك إنه صوب الغمامة بل زُلَالُ الكوثر

ورأيت وجه النُّجْحِ عندك أبيضا فركبت نحوك كلَّ لُجٍ أخضر

---

(١) فى نسخة عند ا « فى غصن يابس » وفيها « ضوء القمر »

(٢) فى نسخة عند ا « من الرقاد »

(٣) فى ب ونسخة عند ا « لقيظة كل ليث مخدر »

وهى طويلة

وقوله « أربى على المزن الملث ـ البيت » هو معنًى تلاعب الشعراء بكرته ، وأورده كل منهم على حسب مقدرته ، فقال بعض :

من قاس جَـدْوَاك بالغمام فما أنصف فى الحكم بين شيئين
أنت إذا جُدْتَ ضاحك أبداً وهو إذا جاد دامـع العين

وقال آخر :

ما نوالُ الغمام يوم ربيـع كنوال الأمير يوم سخاء
فنوال الأمـير بدْرَةُ عينٍ ونوال الغمام قطـرة ماء

وهما من شواهد البديع

لأبى عبد الله الحوضى، يمدح سلطان تلمسان

وقال أبو عبد الله الحوضى التلمسانى فى قصيدة مدح بها سلطان تلمسان أبا عبد الله الزيانى :

أصبح المزن من عطائك يحكى يوم الاثنين للأنام عطاء
كيف يدعى لك الغمام شبيها ولقـد فقته سَـنا وسـناء
أنت تعطى إذا تُقَصِّر مالاً وهو يعطى إذا تَطَوَّلَ ماء

رجع ـ وذكر العماد فى الخريدة ابن بقى المذكور ، وأورد له جملة من المقطعات ، ومحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى ، و بقى على وزن عَلِي

رجع إلى بنى عباد رحمهم الله تعالى

عود إلى بنى عباد

وقال ابن اللبانة فى بنى عباد مانصه : بماذا أصفهم وأحليهم ، وأى مَنْقَبَة من الجلالة أوليهم[1]، فهم القوم الذين تجل مناقبهم عن العد والإحصاء ، ولا يتعرض

---

(١) المنقبة ـ بفتح الميم والقاف بينهما نون ساكنة ـ المأثرة والمحمدة، وأوليهم: أراد أنحلهم وأذكرها لهم ، وأصل معنى أوليهم أعطيهم

لها بالاستيفاء والاستقصاء ، ملوك بهم زُينت الدنيا(١) وتحلت ، وترقَّتْ حيث شاءت وحلت ، إن ذكرت الحروب فعليهم يوقف منها الخبر اليقين ، أو عُدَّت المآثر فهم فى ذلك فى درجة السابقين ، أصبح الملك بهم مُشْرِق القَسَام(٢) ، والأيام ذات بهجة وابتسام ، حتى أناخ بهم الحمام ، وعطل من محاسنهم الوراء والأمام ، فنقل إلى العدم وجودهم ، ولم يَرْعَ بأسهم وَجُودهم ، وكل ملك آدمى فمفقود ، وما نؤخره إلا لأجل معدود ، فأول ناشئة ملكهم ، ومحصل الأمر تحت ملكهم ، عظيمهم الأكبر ، وسابقة شرفهم الأجل الأشهر ، وزينهم الذى يعد فى الفضائل بالوُسْطَى والخنصر ، محمد بن عباد ، ويكنى أبا القاسم ، واسم والده إسماعيل ، ومن شعره قوله :

يا حبذا الياسمين إذ يزهر فوق غصون رطيبة نضر
قد امتطى للجبال ذروتها فوق بساط من سندس أخضر
كأنه والعيون ترمقه زمرد فى خلاله جوهر

وصف ابن اللبانة للمعتضد

ولنذكر كلام ابن اللبانة وغيره فى حقهم فنقول : وصف المعتضد رحمه الله تعالى بما صورته : المعتضد أبو عمرو عَبَّاد رحمه الله تعالى، لم تخل أيامه فى أعدائه من تقييد قَدَم ، ولا عطل سيفه من قبض روح وسفك دم ، حتى لقد كانت فى باب داره حديقة لا تثمر إلا رءوسا ، ولا تنبت إلا رئيسا ومرءوسا ، فكان نظره إليها أشهى مقترحاته ، وفى التلفت إليها استعمل جُلَّ بُكَره ورَوْحَاته ، فبكى وأرق ، وشتت وفرق ، ولقد حكى عنه من أوصاف التجبر ماينبغى أن تصان عنه الأسماع ، ولا يتعرض له بتصريح ولا إلماع ، ومن نظمه عفا الله عنه :

أتتك أم الحسن تشدو بصوت حسن

---

(١) فى ا « ملوك زينت بهم الدنيا »
(٢) القسام – بفتح القاف – الجمال

تمـــد فى ألحانها   من الغناء المـــدنى [١]

تقود منى ساكنا   كأننى فى رَسَنِ [٢]

أوراقها أستارهـــا   إذا شَـدَتْ فى فنَنِ

وقوله :

شربنا وجفن الليل يغسل كحله   بمـــاء صباح والنسيم رقيق

معتقةً كالتبر أما بخارهـــا   فضخم وأما جسـمها فرقيق [٣]

وقوله :

قد وجدنا الحبيب يصفى وداده   وحمدنا ضمـــيره واعتقاده

قرب الحِبُّ من فـؤاد محب   لا يرى هجره ولا إبعـــاده

وقال عند حصول رندة فى ملـكه :

لقد حصنت يا رنده   فصرت لملـكنا عُدَّهْ

أفادتنـــاك أرماح   وأسياف لها حِـدَّهْ

وقال رحمه الله تعالى :

اشرب على وجه الصباح   وانظـر إلى نَوْرِ الأقاح

واعـلم بأنك جاهـل   ما لم تقـل بالاصطباح

فالدهـــر شىء بارد   ما لم تسـخنه براح

ابن جاخ يرد على المعتضد

ومن حكايات المعتضد عباد ما ذكره غير واحـد أن ابن جاخ الشاعر ورد على حضرته ، فدخل الدار المخصوصة بالشعراء ، فسألوه ، فقال : إنى شاعر ، فقالوا : أنشدنا من شعرك ، فقال :

---

(١) كذا فى ب ونسخة عند ا ، وفى أصل ا « مد الغناء المدنى »

(٢) فى أصل ا « تقود منى سلسلا »

(٣) فى ا « وأما جسمها فدقيق »

إنى قصدت إليك ياعبادى   قصد القليق بالجرى للوادى

فضحكوا منه وازْدَرَوْه ، فقال بعض عقلائهم : دعوه فإن هذا شاعر ، وما يبعد أن يدخل مع الشعراء و يندرج فى سلكهم ، فلم يبالوا بكلام الرجل ، وتنادروا على المذكور ، فبقى معهم ، وكان لهم فى تلك الدولة يوم مخصوص لا يدخل فيه على الملك غيرهم ، وربما كان يوم الاثنين ، فقال بعض لبعض : هذه شنعة بنا أن يكون مثل هذا البادى يقدم علينا ، و يجترىء على الدخول معنا ، فاتفقوا على أن يكون هو أول متكلم فى اليوم المخصوص بهم عند جلوس السلطان ، وقد رأوا أن يقول مثل ذلك الشعر المضحك فيطرده عنهم ، و يكون ذلك حَسْماً لعلة إقدام مثله عليهم ، فلما كان اليوم المذكور ، وقعد السلطان فى مجلسه ، ونصب الكرسى لهم — رغبوا منه أن يكون هذا القادم أول متكلم فى ذلك اليوم ، فأمر بذلك ، فصعد الكرسى ، وانتظروا أن ينشد مثل الشعر المضحك المتقدم ، فقال :

قَطَّعْتَ يا يومَ النوى أكبادِى   وحَرَمْتَ عن عينى لذيذَ رُقادِى
وتركتنى أرعى النجوم مسهداً   والنار تضرم فى صميم فؤادى
فكأنما آلى الظلام أليَّةً   لا ينجلى إلا إلى ميعاد[1]
لى بين بين أين تقتاد النوى   إبل الذين تحملوا بسُعاد
ولرب خرق قد قطعتُ نياطه   والليل يرفل فى ثياب حِداد[2]
بشملة حَرْف كأن ذَمِيلَهَا   سرح الرياح وكل برق غادى[3]
والنجم يحدوها وقد ناديتها   يا ناقتى عوجى على عباد
ملك إذا ما أضرمت نار الوغى   وتلافت الأجناد بالأجناد

(١) الألية — بفتح الهمزة وكسر اللام وتشديد الياء مفتوحة — الحلف والقسم
(٢) فى نسخة عند ا « فى ثياب جداد » تحريف
(٣) فى ا « سرج الرياح وكل برق قاد »

فترى الجسوم بلا رؤوس تنثنى وترى الرؤس لَقًى بلا أجساد
يا أيها الملك المؤمَّلُ والذى قدما سما شرفا على الأنداد
إن القريض لكاسد فى أرضنا وله هنا سوق بغير كَسَاد
فجلبت من شعرى إليك قوافيا يفنى الزمانُ وذكرها متمادى[١]
من شاعر لم يضطلع أدبا ولا خطت يداه صحيفةً بمداد

فقال له الملك : أنت ابن جاخ ؟ فقال : نعم ، فقال : اجلس فقد وليتك رياسة الشعراء ، وأحسن إليه ، ولم يأذن فى الكلام فى ذلك اليوم لأحد بعده . انتهى

رجع إلى أخبار بقية بنى عباد :

المعتمد على الله بن المعتضد بن عباد

المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد أبى عمرو عباد ابن القاضى أبى القاسم ابن عباد رحمه الله تعالى : ملك مَجيد ، وأديب على الحقيقة مُجيد ، وهُمَام تحلَّى به للملك لَبَّة وللنظم جِيد ، أفنى الطغَاة بسيفه وأباد ، وأنسى بسَيْبه ذكر الحارث ابن عُباد ، فأطلع أيامه فى الزمان حُجولا وغُرَرا ، ونَظَم معاليه فى أجيادها جَوَاهِرَ ودُرَرا ، وشيد فى كل معلوة فناءه ، وعمر بكل نادرة مستغربة وبادرة مستظرفة[٢] أوقاته وآناءه ، فنَفَقَتْ به للمحامد سُوق ، وبَسَقَتْ ثمرات إحسانه أىَّ بُسُوق ، مَنع وقِرَى ، ورِاش[٣] وبَرَى ، ووصل وفَرَى ، وكان له من أبنائه عدة أقمار نظمهم نظم السلك ، وزين بهم سماء ذلك الملك ، فكانوا مَعَاقل بلاده ، وحُماة طارفه وتلاده ، إلى أن استدار الزمان كهيئته ، وأخذ البؤسُ فى فَيْئَته ، واعتز[٤] الخلاف وظهر ، وسَلَّ الشتات سيفه وشهر ، والمعتمد رحمه الله تعالى يطلب نفسه أثناء ذلك بالثَّبات ، بين تلك الثُّبات ، والمقام ، فى ذلك المقام[٥] ، إلى أن بدل القطب بالواقع ،

(١) فى نسخة عند ا « فجليت من شعرى إليك قوافيا »
(٢) فى أصل ا « مستطرفة » (٣) فى أصل ا « وراس وبرى »
(٤) فى أصل ا « واغتر الخلاف » (٥) فى ا « فى تلك المقام »

واتسع الخرق على الراقع ، فاستعضد بابن تاشفين فورد عليه كتابه يشعر بالوفاء[١] ، فثاب إليه فكر خاطره وفاء[٢] ، وثبت خلال تلك المدة للنِّزَالِ ، ودعا من رام حَرْبَه نَزَال ، إلى أن أصبح والحروب قد نهبته ، والأيام تسترجع منه ما وهبته ، فثل ذلك العرش ، واعتدت الليالى حين أمنت من الأرش ، فنقل من صَهَوَات الخيول إلى بطون الأجفان ، وهذه الدنيا جميعُ ما لديها زائل وكل من عليها فانٍ ، فما أغنت تلك المملكة وما دفعت ، وليتها ما ضرت إذ لم تكن نفعت ، وكل يلقى معجله ومؤجله ، ويبلغ الكتاب أجله .

وقال الفقيه القاضى أبو بكر بن خميس رحمه الله تعالى حين ذكر تاريخ بنى عباد : وقد ذكر الناسُ للمعتمد من أوصافه ، مالا يبلغ مع كثرته إلى إنصافه ، وأنا الآن أذكر نبذًا من أخباره ، وأردفها بما وقفت عليه من منظومات أشعاره ، فإنه رحمه الله تعالى جَمُّ الأدب رائقه ، عالى النظم فائقه ، كان يسمى بمحمد ، ويكنى بأبى القاسم ، على كنية جده القاضى ، استبد بالأمر عند موت أبيه المعتضد ، وفى ذلك يقول الحصرى رحمه الله تعالى :

مات عباد ولكن بقىَ الفرعُ الكريم
فكأنَّ الميْتَ حىٌّ غير أن الضادميم[٣]

قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى : ولم يزل المعتمد بخير إلى أن كانت سنة خمس وسبعين وأربعمائة ، ووصل اليهودى ابن شاليب لقَبْض الجزية المعلومة مع قوم من رؤساء النصارى ، وحَلُّوا بباب من أبواب إشبيلية ، فوجه لهم المعتمد المال ،

---

(١) فى أصل ا « فورد عليه خطابه بشعره بالوفاء » وفى نسخة عندها « فاعتضد » و « فودد » و « يشعره بالوفاء »

(٢) فاء هنا بمعنى رجع ، وكذلك ثاب

(٣) يريد أن ضاد « المعتضد » صارت ميما فصار الملك للمعتمد

مع جماعة من وجوه دولته ، فقال اليهودى : والله لا أخذت هذا العيار ، ولا آخذه منه إلا مشجرا[١] ، و بعد هذا العام لا آخذ منه إلا أجفان البلاد ، ردوه إليه ، فرد المال إلى المعتمد ، وأُعلم بالقصة ، فدعا بالجند ، وقال : ائتونى باليهودى وأصحابه ، واقطعوا حبال الخباء ، ففعلوا وجاؤا بهم ، فقال : اسْجنُوا النصارى ، واصلبوا اليهودى الملعون ، فقال اليهودى : لا تفعل ، وأنا أفتدى منك بِزِنَتِي مالا ، فقال : والله لو أعطيتنى العدوة والأندلس ما قبلتهما منك[٢] ، فصلب ، فبلغ الخبر النصرانى ، فكتب فيهم ، فوجَّه إليه بهم ، فأقسم النصرانى أن يأتى من الجنود بعدَدِ شعر رأسه حتى يصل إلى بحر الزقاق ، وأميرُ المسلمين يوسف بن تاشفين إذ ذاك محاصر سبتة ، فجاز المعتمد إليه ، ووعده بنصرته ، فرجع وحث ملوك الأندلس على الجهاد ، ثم وصل ابن تاشفين ، فكانت غزوة الزلاَّقة المشهورة ، ورجع ابنُ تاشفين إلى المغرب ، ثم جاز بعد ذلك إلى الأندلس ، وتوهم ابن عباد أنه إذا أخذ البلاد يأخذ أموالها و يترك الأجفان ، فعزم ابن تاشفين على أن يخلع ملوك الأندلس ، ودارت إذ ذاك مكايد جمة ، ثم وجه ابن تاشفين من سبتة إلى المعتمد يطلب منه الجزيرة الخضراء وفيها ابنه يزيد ، فكتب إليه معتذرا عنها ، فلم يكن إلا كلمح البصر و إذا بمائة شِراع قد أطلت على الجزيرة ، فطير ابنه الحَمام إليه ، فأمره بإخلائها ، فظهر عند ذلك ابن تاشفين ، وقيل : إنه لم يجز المرة الأولى حتى طلب من المعتمد الجزيرة لتكون عدة له ، وكان ذلك بدسيسة بعض أهل الأندلس نصحا لابن تاشفين ، ثم شرع ابن تاشفين فى خلع ملوك الأندلس وقتالهم ، وأرسل إلى كل مملكة جماعة من أهل دولته وأجناده يحاصرونها ، وأرسل إلى حضرة المعتمد إشبيلية ، وشرع فى قتالها ، والناسُ قد ملوا الدولة العَبّادية وسئموها ، على ما جرت به

---

(١) كذا فى أصل ا ، وفى ب ونسخة عند ا « مشحرا »

(٢) فى ا « ماقبلتها منك »

العادة من حب الجديد ، لا سيما وقد ظهر من ابن عباد من التهتك فى الشرب والملاهى مالا يخفى أمره ، فتمنى أكثر الناس الراحة من دولتهم ، ولما اشتدّ مُخَنَّق المعتمد وجه عن النصارى [١] ، فأعدّ لهم ابن تاشفين من لقيهم فى الطريق ، فهزمهم ، وجهز ابن تاشفين القطائع لإشبيلية ، وجَدَّ فى حصارها ، والمعتمدُ مع ذلك منغمس فى لذاته ، وقد ألقى الأمور بيد ابنه الرشيد ، فلم يشعر ابن عباد إلا والعسكر معه فى البلد ، فأفاق من نومه ، وصحا من سكره ، وركب فرسه وحسامُه فى يده ، وليس عليه إلا ثوب واحد ، فوافق العسكرَ قد دخل من باب الفرج ، ووافى هنالك طبالا فضربه بسيفه ضربة قسمه بها نصفين ، ففر الناس أمامه ، وتراموا من السور ، ووقف حتى بانَ الباب [٢] ، وفى ذلك يقول الأبيات المذكورة فيما يأتى « إن يسلب القوم العدا — إلى آخره » . فلما وصل إلى باب الصباغين وجد ابنه مالكا مقتولا ، فاسترحم له ، ودخل القصر ، وزاد الأمر بعد ذلك ، ودُخِل البلد من كل جهاته ، فطلب الأمان له ولمن معه ، فأمن وجميع مَنْ له ، وأعدّت له مراكب ، واجتاز إلى طَنْجة ، فلقيه الحصرى الشاعر ، وكان قد ألف له كتاب « المستحسن من الأشعار » فلم يُقْضَ بوصوله إليه إلا وهو على تلك الحالة ، فلما أخذ المعتمد الكتاب قال للحصرى : ارفع ذلك البساط فخذ ما تحته ، فوالله ما أملك غيره ، فوجد تحته جملة مال ، فأخذه ، ثم انتقل حتى وصل أغمات ، ولم يزل بها إلى أن مات ، رحمه الله تعالى ! .

ترجمة المعتمد عن الفتح

وقال الفتح فى ترجمته ما نصه : ملك قَمَعَ العدا ، وجمع البأس والندى ، وطلع على الدنيا بدرَ هُدَى ، لم يتعطل يوما كفه ولا بنانه ، آونةً يراعه وآونة

(١) كذا فى ب ، ا ، وكتب بهامش ب ما نصه « هكذا فى الأصل ، ولا يخفى ما فيه ، فلعله محرف والأصل « وجه إلى النصارى أو نحو ذلك » اه ، وسياق هذه القصة فى كتب التاريخ وفي ترجمة يوسف بن تاشفين من ابن خلكان مايدل على أن المعتمد وجه إلى الأذفونش ملك النصارى يطلب نصرته

(٢) فى ا « حتى بنى الباب »

سِنَانه ، وكانت أيامه مَوَاسم ، وثغوره بَوَاسم [١] ، ولياليه كلها دررا ، وللزمان حُجولا [٢] وغُررا ، لم يغفلها من سِمَات عوارف ، ولم يُضْحِها من ظل إيناس وارف ، ولا عطلها من مأثرة بقى أثرها باديا ، ولقى مقتفيه [٣] منها إلى الفضل هاديا ، وكانت حضرته مَطْمَحا للهمم ، ومَسْرَحا لآمال الأمم ، ومقذفا لكل كَمِيٍّ ، وموقفا لكل ذى أنفٍ حَمِى ، لم تَخلُ من وَفْد ، ولم يَصْحُ جوها من انسجام رِفْد ، فاجتمع تحت لوائه من جماهير الكُمَاة ، ومشاهير الُحماه ، أعداد يغصُّ بهم [٤] الفضاء ، وأبجاد يُزْهَى بهم النفوذ والَمضَاء ، وطلع فى سمائه كل نجم مُتَّقد ، وكل ذى فهم منتقد ، فأصبحت حضرته ميدانا لرهان الأذهان ، ومضماراً لإحراز الخصل ، فى كل معنى وفَصْل [٥] ، فلم يلتحق بزمامه إلا كل بطل نَجْد ، ولم يتسق فى نظامه إلا ذكاء ومَجْد ، فأصبح عصره أجمل عصر ، وغدا مصره أكمل مصر [٦] ، تسفح فيه دِيَمُ الكرم ، ويُفْصح فيه لسانُ سيفٍ وقلم [٧] ، ويفضح الرضا فى وصفه أيام ذى سَلَم ، وكان قومه وبنوه لتلك الحلْبة زينا ، ولتلك الجملة عينا ، إن ركبوا خِلْتَ الأرض فلكا يحمل نجوما ، وإن وهبوا رأيت الغَمَام سَجُوما [٨] ، وإن أقدموا أحجم عَنْترة العبسى ، وإن فخروا أفحم عَرَابة الأوسى [٩] ، ثم انحرفت الأيام فألوت بإشراقه ، وأذوت يانع إيراقه ، فلم يدفع الرمحُ ولا الحسام ، ولم تنفع تلك المنن الجسام ، فتملك بعد الملك ، وحُطَّ من فَلَكه إلى الفُلْك ، وأصبح خائضا تحدوه الرياح ، وناهضا يُزْجيه البكاء والصياح ، قد ضجت عليه أياديه ، وارتجت جوانبُ ناديه ، وأضحت منازلُه قد بان عنها الأنس والُحبُور ، وألوت ببهجتها الصَّبا والدَّبور . فبكت العيون عليه دما ، وعاد موجود الحياة عَدَما ، وصار أحرار الدهر فيه خَدَما ، فسحقا لدنيا مارعت حقوقه ،

(١) فى ا « وثغور بره بواسم »
(٢) فى ا « أحجالا وغررا »
(٣) فى ا « معتفيه »
(٤) فى نسخة عند ا « يضيق بهم الفضاء »
(٥) فى أصل ا « فى كل معنى وفضل »
(٦) فى أصل ا « أحسن مصر »
(٧) فى ا « لسانا سيف وقلم »
(٨) فى ا « رأيت الغمائم سجوما »
(٩) فى ا « أقصر عرابة الأوسي » وعرابة ممدوح الشماخ بن ضرار

ولا أبقت شروقه ، فـكم أحياها لبنيها ، وأبداها رائقة لمجتنيها[١] ، وهى الأيام لا يتقى من تجنيها[٢] ، ولا تبقى على مواليها ومُدَانيها ، أدثرت آثار جلق ، وأخمدت نار المحلق ، وذللت عزة ابن شداد[٣] ، وهدت القصر ذا الشُّرُفَات من سِنْداد ، ونعمت ببؤس النعمان ، وأكمنت غدرها له فى طلب الأمان ، انتهى .

ثم ذكر الفتح من أخباره وأشعاره ومجالس أنسه وغير ذلك من أمره نبذا ذكرنا بعضها فى هذا الـكتاب .

ترجمة الفتح للراضى بالله ابن المعتمد

وقال فى ترجمة ابنه الراضى بالله أبى خالد يزيد بن المعتمد مانصه : ملك تفرع من دَوْحَة سَنَاء ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، وتحدَّر من سُلَالَة أكابر[٤] ، ورُقَاة أسِرَّة ومَنَابر ، وتصرف أثناء شبيبته بين دراسة معارف ، وإفاضة عَوَارف ، وكلف بالعلم حتى صار مَنْهَجَ لسانه ، وروضة أجفانه ، لا يستريح منه إلا إلى فرس سائل[٥] الغُرَّة ، ميمون الأسِرَّة ، يسابق به الرياح ، ويحاسن بغُرَّته البدرَ اللياح ، عريق فى السناء ، عتيق الاقتناء ، سريع الوَخْد والإرقال ، من آل أعْوج أو ولد لذى العقال ، إلى أن ولاه أبوه الجزيرة الخضراء ، وضم إليها رُنْدَةَ الغراء ، فانتقل من متن الجواد ، إلى ذروة الأعواد ، وأقلع عن الدراسة ، إلى تدبير الرياسة ، وما زال يدبِّرُها بجوده ونُهاه ، ويورد الآمل فيها مُناه[٦] ، حتى غدت عِرَاقا ، وامتلأت إشراقا ، إلى أن اتفق فى أمر الجزيرة ما اتفق ، وخاب فيها الرجاء وأخفق ، واستحالت بَهْجَتُها ، وأحالت عليها من الحال[٧] لجتها ، فانتقل إلى رُنْدَة معقل أشِب ، ومنزل للسِّماك منتسب ، وأقام فيها رهينَ حصار ، ومهين حماة وأنصار ، ولقيت ريحه كل إعصار ، حتى رمته سهام الخطوب عن قِسِيِّهَا ، وأمكنت منه يدى مُسِيِّهَا ،

---

(١) فى أصل ا « لمجتليها » (٢) فى أصل ا « لاتقى من تجنيها »
(٣) فى أصل ا « وذللت عزة عاد بن شداد » (٤) فى نسخة « وتحذر من سلالة أكابر » تحريف (٥) فى ا « إلا إلى متن سائل الغرة »
(٦) فى ا « ويورد الأمل فيها منتهاه » (٧) فى ا «من الحوادث لجتها»

فخواه رَمْسُه ، وطواه عن غده أمسه ، حسبما بَسَطْنا القول فيه ، فيما مر من أخبار أبيه ، انتهى .

والذى أشار إليه هنا وأحال عليه فيما تقدم له من أخبار المعتمد هو قوله بعد حكايته قتل المأمون بن المعتمد بقرطبة وسياقه أخبار ذلك ما نصه : ثم انتقلوا إلى رُنْدَة إحدى[١] معاقل الأندلس الممتنعة ، وقواعدها السامية المرتفعة ، تطرد منها على بعد مُرْتقَاهَا ، ودنوّ النجوم من ذَرَاهَا ، عيون لا نصبابها دَوِىٌّ كالرعد القاصف ، والرياح العواصف ، ثم تتكوّن واديا يلتوى بجوانبها التواء الشجاع[٢] ، ويزيدها فى التوعر والامتناع ، وقد تجوّنت نواحيها وأقطارها ، وتكوّنت فيها لُباناتها وأوطارها ، لا يتعذر لها مطلب ، ولا يتصوّر فيها عدوّ إلا عقله[٣] ناب أو مِخْلَب ، فلما أناخوا[٤] منها على بعد ، وأقاموا من الرجاء فيها على غير وعد ، وفيها ابنه الراضى لم يحفل بإناختهم بإزائه ، ولا عَدَّها من أرزائه ، لامتناعه من منازلتهم ، وارتفاعه عن مُطَاولتهم ، إلى أن انقضى فى [أمر] إشبيلية ما انقضى ، وأفضى أمر أبيه إلى ما أفضى ، فحمل على مخاطبته لينزل عن صَيَاصيه ، ويمكنهم من نواصيه ، فنزل برا بأبيه ، وإبقاء[٥] على أرماق ذويه ، بعد أن عاقدهم مستوثقا ، وأخذ عليهم عهدا من الله ومَوْثِقا ، فلما وصل إليهم ، وحصل فى يديهم ، مالوا به عن الحصن[٦] وجرعوه الردى ، وأقطعوه الثرى حين أودى ، وفى ذلك يقول المعتمد يرثيهما ، وقد رأى قمرية بائحة بشَجَنها ، نائحة بفَنَنها على سَكَنها ، وأمامها وَكْر فيه طائران يرددان نغما ، ويغردان تَرَحُّة وترنما :

بكت أنْ رأتْ إلفين ضَمَّهُما وَكْرُ مساء وقد أخنى على إلفها الدهر

---

(١) في أصل ا « أحد معاقل الأندلس » (٢) الشجاع : الثعبان

(٣) فى أصل ا « إلا علقه ناب أو مخلب » وفى نسخة عندها « إلا حلقه »

(٤) فى ا « فأناخوا » (٥) فى ب « وأبقى على أرماق ذويه »

(٦) فى ا « مالوا به إلى ناحية من الحصن »

وناحت فباحت واستراحت بسرها وما نطقت حرفا يباح به سر[١]

فما لىَ لا أبكى أم القلب صخرة وكم صخرة فى الأرض يجرى بها نهر

بكت واحدا لم يُشْجِها غير فقده وأبكى لآلافٍ عديدُهم كُثْرُ

بنىٌّ صغير أو خليل موافق يمزق ذا قفر ويغرق ذا بحر

ونجمان زَيْنٌ للزمان احتواهما بقرطبة النكداء أو رندة القبر[٢]

غدرْتُ إذن إن ضن جفنى بقطرة وإن لُوِّمت نفسى فصاحبها الصبر

فقل للنجوم الزهر تبكيهما معى لمثلهما فلتحزن الأنجمُ الزُّهْرُ

وقال فى ترجمة الراضى ما صورته : وكان المعتمد رحمه الله تعالى كثيرا ما يرميه بملَامه ، ويُصْميه بسهامه ، فربما استلطفه بمقالٍ أفصح من دمع المحزون ، وأملح من رَوْض الحُزُون[٣] ، فإنه كان ينظم من بديع القول[٤] لآلئ وعقودا ، تسُلُّ من النفوس سَخَائم وحُقودا ، وقد أثبتٌ من كلامه فى بث آلامه ، واستجارة عَذْله ومَلامه ، ما تستبدعه ، وتحِلُّه النفوسَ وتودعُه[٥] ، فمن ذلك ما قاله وقد أنهض جماعة من أخوته وأقعده ، وأدناهم وأبعده :

أعيذك أن يكون بنا خمول ويطلع غيرنا ولنا أُفُولُ

حنانَكَ إن يكن جرمى قبيحا فإن الصفح عن جرمى جميل

ألست بفرعك الزاكى وماذا يرجى الفرع خانته الأصول

ثم قال الفتح بعد كلام : ومرت عليه — يعنى الراضى — هَوَادجُ وقِباب ، فيها حبائب كن له وأحباب ، ألفهن أيامَ خلائه من دوله ، وجال معهن فى ميدان المنى أعظم جَوْله ، ثم انتزعوا منه ببُعْدِهِ ، وأودعوا الهوَادجَ من بَعْده ، ووُجِّهوا

---

(١) فى ا « يبوح به سر » (٢) فى أصل ا « بقرطبة النكراء »

(٣) فى أصل ا « رياض الحزون » (٤) فى أصل ا « بدائع القول »

(٥) فى أصل ا « وتحله النفس وتودعه » وفى نسخة عندها « وتخلد النفس »

هدايا إلى العُدْوة ، وألموا بها[١] إلمام قريش بدار الندوة ، فقال :

مروا بنا أُصُلاً من غير ميعاد   فأوقدوا نار قلبي أى إيقاد[٢]

وأذكرونىَ أياما لهوت بهم   فيها ففازوا بإيثارى و إحمادى

لاغرو أن زاد فى وجدى مرورُهُمُ   فرؤية الماء تُذْكِى غُلَّة الصادى

ولما وصل المعتمد[٣] لورقة أعلم أن العدو قد جيش لها واحتشد ، ونَهَد نحوها وقصد ، ليتركها خاوية على عروشها ، طاوية الجوانح على وُحُوشها ، فتعرض له المعتمد دون بغيته ، وطلع عليه من ثنِيَّته ، وأمر الراضى بالخروج إليه فى عسكر جرَّده لمحاربته ، وأعده لمُصَادمته ومضاربته ، فأظهر التمرض والتشكى[٤] ، وأضمر التقاعُسَ والتلكى ، فراراً من المُصَادمة ، و إحجاما عن المساومة[٥] ، وجزَعا من منازلة الأقران ، ومقابلة ذوابل المُرَّان ، ومقاساة الطعان ، وملاقاة أبطال كالرِّعَان ، ورأى أن المطالعة ، أرجح من المقارعة ، ومعاناة العلوم ، أربح من مداواة الكُلُوم ، فقد كان عاكفا على تلاوة ديوان ، عارفا بإجادة صدر وعنوان ، فعلم المعتمد ما نواه ، وتحقق مالَوَاه ، فأعرض عنه ، ونفض يده منه ، ووَجه المعتدَّ[٦] مع ذلك الجيش الذى لم تنتشر بُنُوده ، ولا نصرت جنوده ، فعندما لاقوا العدو لاذوا بالفرار ، وعاذوا بإعطاء الغِرة بدلا من الغِرار ، وتفرقوا فى تلك الأماريت ، وفرقوا من تخطف أولئك العفاريت ، فتحيف العدوُّ مَنْ بقى مع المعتد واهتضمه ، وخضم ما فى العسكر وقَضَمه ، وغدت مضاربه مَجَرّ عواليه ، ومُجْرَى مَذاكيه ، وآب أخْسَرَ من بائع السِّدَانة ، ومضيع الأمانة ، فانطبقت سماء المعتمد على أرضه ، وشغلته عن إقامة نوافله وفَرْضِه ، فكتب إليه الراضى :

---

(١) فى أصل ا « وألموابه » ودار الندوة : مكان فى مكة كانت قريش تجتمع فيه للمشاورة فيما يعرض لهم من جسام الأمور

(٢) فى ا « فأوقدوا نار شوقى »

(٣) فى ب « ولما وصل العدو » محرفا

(٤) فى ا « فأظهر التمارض والتشكى »

(٥) فى ا « فراراً من المصادرة ، وإحجاما عن المساورة »

(٦) فى ب « وتوجه المعتمد »

لا يكرثنَّكَ خطب الحادث الجارى ... فما عليك بذاك الخطب من عار
ماذا على ضَيْغم أمضى عزيمتــه ... إن خانه حَـدُّ أنياب وأظفار
لئن أتَوْكَ فمن جبن ومن خَوَر ... قد ينهض العير نحو الضيغم الضارى
عليـك للناس أن تَبْقَى لنصرتهم ... وما عليك لهم إسعاد أقـدار[1]
لو يعلم النــاس فيما أن تدوم لهم ... بَـكَوْا لأنك من ثوب الصبا عارى
ولو أطاقوا انتقاصا من حياتهمُ ... لم يُتْحِفوك بشىء غـير أعمار

فَحَجب عنه وَجْه رضاه ، و لم يستنزله بذلك[2] ولا استرضاه ، وتمادى على إعراضه ، وقعد عن إظهاره و إنهاضه ، حتى بسطته سوانح السُّلُوّ ، وعطفته عليه جوانح[3] الحنو ، فـكتب إليه بهزل ، غلب فيه كل منزع جزل ، وهو :

الملك فى طى الدفاتر ... فتخلَّ عن قَوْد العساكر[4]
طُفْ بالسرير مسـلِّما ... وارجع لتوديع المنـابر
وازحف إلى جيش المعـا ... رف تقهر الحـبر المقامر
واطعن بأطراف اليـرا ... ع نصرت فى ثغر المحابر
واضرب بسـكين الدوا ... ة مكان ماضى الحد باتر
أو لست رسطاليس إن ... ذكر الفلاسفة الأكابر
وأبو حنيفــــة ساقط ... فى الرأى حين تكون حاضر[5]
وكذاك إن ذكر الخليــــل فأنت نحوى وشاعر
مَنْ هُرْمس مَنْ سيبويــــه مَنِ ابن فُورَكَ إذ تُناظر[6]
هذى المـكارم قد حويــت فكن لمن حاباك شاكر

(١) فى نسخة عند ا « عليك للناس أن تبقى لنصرهم » وما فى ب يوافق مافى القلائد
(٢) فى نسخة عند ا « ولم يستمله بذلك » وكذلك هو فى القلائد (٣٤)
(٣) فى نسخة « جوانب الحنو » (٤) فى نسخة « فتحل عن قود العسا كر »
(٥) هـذا البيت يقع فى ا بعد تاليه وكذلك فى القلائد
(٦) فى ا « من ابن فررك » محرفا

واقعــد فإنك طاعم كاسٍ وقل : هَلْ مِنْ مُفَاخر (١)

لحجبت وجه رضاى عنـــك وكنت قد تلقاه سافر

أو لست تذكر وقت لو رقــة وقلبك ثَمَّ طائر (٢)

لا يســتقر مكانه وأبوك كالضِّرغام خادر (٣)

هــلا اقتديت بفعله وأطعتــه إذ ذاك آمر

قــد كان أبْصَرَ بالعوا قب والمــوارد والمصادر

فكتب إليه الراضى مراجعا بقطعة منها :

مولاى قد أصبحتُ كافر بجميــع ما تحوى الدفاتر (٤)

وفَلَلْتُ سكين الدوا ة وظِلْتُ للأقلام كاسر

وعلمت أن الملك ما بين الأسنة والْبوَاتر (٥)

والمجــد والعلياء فى ضرب العسا كر بالعساكر

لاضَرْبُ أقــوال بأقــوال ضعيفات مَنَاكر

قد كنت أحسب من سفا هٍ أنها أصــل المفاخر

فإذا بهــا فــرع لها والجهــل للإنسان عاذر (٦)

لا يدرك الشرف الفتى إلا بعسَّــالٍ وباتر

وهجرت من سميتهم وجحــدت أنهمُ أكابر

لو كنت تهوى ميتَتِي لوجدتنى للعيش هاجر

ضَحِكَ المــوالى بالعبيــد إذا تؤمل غيرُ ضائر

إن كان لى فضــل فمنــك وهل لذاك النور ساتر

---

(١) أخذ هــذا من قول الحطيئة :

دع المــكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الــكاسى

(٢) فى أصل ا « يوم لورقة حين قلبك ثم طائر »

(٣) فى نسخة عند ا «كالضرغام حاذر» (٤) فى نسخة عند ا «أصبحت هاجر * لجميع»

(٥) فى نسخة «بين الأسرة والبواتر» (٦) فى نسخة « للانسان غادر »

أو كان بى نقص فمِنِّى غير أن الفضل غامر
ذَكَّرْتَ عبدك ساعة يبقى لها ما عاش ذاكر
يا ليته قد غيبته عندها إحدى المقابر
أتريد منى أن أكون كمن غدا فى الدهر غادر[1]
هيهات ذلك مطمع يُعْيِى الأوائل والأواخر
لا تنس يا مولاى قوله ضارع لا قول فاخر
ضبط الجزيرة عندما نزلت بِعَقْوَتِها العساكر[2]
أيام ظلت بها فريدًا ليس غير الله ناصر
إذْ كان يعشى ناظرى لمع الأسنة والبواتر
ويُصِمُّ أسماعى بها قَرْعُ الحجارة بالحوافر
وهى الحضيض سهولة لكن ثبتُّ بها مخاطر[3]
هبنى أسأت كما أسأت أما لهذا العتب آخر
هَبْ زلتى لبنوتى. واغفر فإن الله غافر

فقر به وأدناه ، وصفح عما كان جَنَاه[4] ، ولم تزل الحال آخذة فى البوَار ، والأمور معتلة اعتلالَ حُبِّ الفرزدق للنَّوار ، حتى مَضَوا لغير طِيَّة ، وقضوا بين الصوارم والرماح الخَطِّيَّة[5] ، حسبما سرَدْناه ، وعلى ما أوردناه ، وإذا أراد الله سبحانه إنفاذ أمر سبق فى علمه ، فلا مرد له ولا مُعقِّبَ لحكمه ، ولا إله إلا هو رب العالمين ، انتهى كلام الفتح .

وعلى الجملة فكانت دولة بنى عباد بالأندلس من أبهج الدول فى الكرم والفضل

---

(١) فى أصل ا « كمن غدا فى الدهر نادر »

(٢) فى نسخة « بغفوتها » وفى أخرى « بعقرتها » وفى أخري « بقفرتها »

(٣) فى نسخة « لكن وثبت بها مخاطر » (٤) في أصل ا « عما كان خباه »

(٥) فى أصل ا « بين الصوارم والقنا والخطية »

والأدب ، حتى قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى : إن الدولة العبّادية بالأندلس أشْبَهُ شيء بالدولة العباسية ببغداد ، سعة مكارم ، وجمع فضائل ، ولذلك ألف فيها كتابا مستقلا سماه « الاعتماد ، فى أخبار بنى عباد » ولا يلتفت لكلب عَقُور نبح بقوله :

مما يزهِّدُنِى فى أرض أندلس أسماء معتضد فيها ومعتمد[١]

ألقاب مملكة فى غير موضعها كالهر يحكى انتفاخا صورة الأسد[٢]

لأن هذه مقالة متعسف كافر للنعم ، ومثل ذلك فى حقهم لا يقدح ، وما زالت الأشراف تُهْجَى وتمدح .

أولاد المعتمد

والمعتمد أولاد ملوك منهم المأمون والرشيد والراضى والمعتد[٣] وغيرهم ، وقد سردنا خبر بعضهم .

وكان الدانى المذكور مائلا إلى بنى عباد بطَبْعه ، إذ كان المعتمد هو الذى جذب بضَبْعِهِ ، وله فيه المدائح الأنيقة ، التى هى أذكى من زهر الحديقة ، فمن ذلك قوله من قصيدة يمدحه بها ويذكر أولاده الأربعة ، الذين عَمَروا من المجد أرْبُعَه ، وهم الرشيد عبيد الله والراضى يزيد والمأمون والمؤتمن ، وكانوا نجوم ذلك الأفق وغيوث ذلك الزمن ، ولقد أجاد فى ذلك كل الإجاده ، وأطال لمجدهم نِجَادَهْ :

من مدائح الدانى فى بنى عباد

يغيثك فى محل ، يعنيك فى ردى يروعك فى درع ، يروقك فى برد

جمال وإجمال وسبق وصولة كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد

بمهجته شاد العلا ثم زادها بناء بأبناء جحاجحة لُدِّ

بأربعة مثل الطباع تركبوا لتعديل ذكر المجد والشرف العد

---

(١) فى أصل ا « سماع معتضد فيها ومعتمد »

(٢) فى نسخة « صولة الأسد »

(٣) فى ب « والمعتمد »

مقتل بنى المعتمد ورثاء ابن حمديس

والمأمون بن المعتمد قتله لمتونة بقرطبة ، والراضى يزيد قتلوه بُرُنْدة كما سقنا خبره آنفا ، وفى حالتهم هذه يقول الشاعر المشهور عبد الجبار بن حَمْديس الصقلى :

ولما رحلتم بالندى فى أكفكم ... وقُلْقِلَ رَضْوَى منكم وثَبِيرُ
رفعت لسانى بالقيامة قد دنت ... فهذى الجبالُ الراسيات تسير

للدانى فى المعتمد

وفى قضية المعتمد[1] يقول الدانى المذكور :

لكل شىء من الأشياء ميقات ... وللمنى فى مناياهن غايات
والدهر فى صفة الحِرْباء منغمس ... ألوانُ حالاته فيها استحالات[2]
ونحن من لُعَبِ الشطرنج فى يده ... وطالما قمرت بالبيدق الشاة
انفض يديك من الدنيا وزينتها ... فالأرض قد أقفرت والناس قد ماتوا[3]
وقل لعالمها الأرضى قد كَتَمَتْ ... سريرةَ العالم العلوى أغماتُ

وهى طويلة ذكرها الفتح وغيره .

وللدانى أيضاً قصيدة عملها فى المعتمد وهو بأغمات سنة ٤٨٦ :

تنشق بريحان السلام فإنما ... أفض به مسكا عليك مختما[4]
وقل لى مجازا إن عدمت حقيقة ... لعلك فى نعْمى فقد كنت منعما
أفكر فى عصر مضى بك مشرقا ... فيرجع ضوء الصبح عندىَ مظلما
وأعجب من أفق المجرة إذ رأى ... كسوفك شمسا كيف أَطْلَعَ أنجما
لئن عظمت فيك الرزية إننا ... وجدناك منها فى الرزية أعظما[5]
قناة سَعَتْ للطعن حتى تقسمت ... وسيف أطال الضرب حتى تثلما[6]

---

(١) فى أصل ا « وفى قصة المعتمد »

(٢) فى ا « والدهر فى صبغة الحرباء » وفى ب « لو أن حالاته »

(٣) فى أصل ا « من الدنيا وساكنها »

(٤) فى ا « تنشق رياحين السلام » وفيها « أفض بها مسكا »

(٥) فى أصل ا « وجدناك منها فى البرية أعظما »

(٦) فى ا « حتى تقصدت » أى تكسرت

ومنها :

بكى آلَ عبادٍ ولا كمحمد وأولاده صوبُ الغمامة إذ همى(١)
حبيب إلى قلبي حبيب لقوله عسى طلل يدنو بهم ولعلما
صباحُهم كنا به نحمَدُ السُّرَى فلما عدمناهم سرينا على عَمى
وكنا رعَيْنَا العز حول حماهمُ فقد أجدب المرعى وقد أقفر الحمى
وقد ألبست أيدى الليالى قلوبَهم مناسج سَدَّى الغيثُ فيها وألحما
قصور خلت من ساكنيها فما بها سوى الأدم تمشى حول واقفة الدُّمى
تجيب بها الهام الصَّدَى ولطالما أجاب القيانُ الطائرَ المترنما
كأن لم يكن فيها أنيس ، ولا الْتَقَى بها الوفد جمعا والخميس عرمرما

ومنها :

حكيتَ وقد فارقت ملكك مالكا ومن وَلَهى أحكى عليك متمما(٢)
مصاب هوى بالنيرات من العلا ولم يُبْقِ فى أرض المكارم معلما
تضيق علىّ الأرض حتى كأنما خلقت وإياها سوارا ومعصما
ندبتك حتى لم يُخَلِّ لى الأسى دموعا بها أبكى عليك ولا دَمَا
و إنى على رسمى مقيم فإن أمت سأجعل للباكين رسمى موسما(٣)
بكاك الحيا والريح شقت جيوبها عليك وناح الرعد باسمك معلما(٤)
ومزق ثوب البرق واكتست الضحى حدادا وقامت أنجم الجوّ أنجما(٥)
وحار بنك الإصباح وجدا فما اهتدى وغار أخوك البحر غيضا فما طَمى
وما حل بَدْرُ التمِّ بعدك دارة ولا أظهرت شمس الظهيرة مبسما

(١) فى ب « بكى آل حمود » وفى نسخة عند ا « آل محمود »

(٢) مالك : هو ابن نويرة ، قتله خالد بن الوليد فى حروب الردة ، فبكاه أخوه متمم بن نويرة أوجع بكاء ورثاه أحر رثاء

(٣) فى أصل ا « سأترك للباكين رسمى مرسما » (٤) فى ا « وباح الرعد »

(٥) فى ا « واكتست الدجى » وفيها « وقامت أنجم الليل مأتما »

قضى الله أن حطُّوك عن ظهر أشقر بشم وأن أمطوك أشأم أدهما

وكان قد انفكت عنه القيود ، فأشار إلى ذلك بقوله فيها :

قيودك ذابت فانطلقت لقد غدت قيودك منهم بالمكارم أرْحَما

عجبت لأن لاَنَ الحديدُ وأن قَسَوْا لقد كان منهم بالسريرة أعلما

سينجيك مَنْ نَجَّى من السجن يوسفا ويؤويك من آوى المسيح بن مريما

ولأبى بكر الدانى المذكور فى البكاء على أيامهم ، وانتثار نِظامهم ، عدة مقطعات[1] وقصائد ، هى قرة عين الطالب ونُجْعَة الرائد ، وقد اشتمل عليها جزء لطيف ، صدر عنه فى هيئة تصنيف ، سماه « السلوك ، فى وعظ الملوك » ووفد على المعتمد وهو بأغمات ، عِدَّةَ وفادات ، لم يخل فى جميعها من إفادات ، وقال فى إحداها : هذه وفادة وَفَاء ، لا وفادة اجتداء .

قال غير واحد : من النادر الغريب أنه نودى على جنازته[2] « الصلاة على الغريب » بعد عظم سلطانه ، وسعة أوطانه ، وكثرة صَقَالبته وحُبْشَانه ، وعظم أمره وشانه ، فتبارك من له العزة والبقاء والدوام ، واجتمع عند قبره جماعة من الأقوام ، الذين لهم فى الأدب حصة ، ولقضية المعتمد فى صدورهم غُصَّة ، منهم البالغ فى البلاغة الأمد ، شاعره أبو بحر عبد الصمد ، وكان به خصيصا ، وكم ألبسه من بره حُلة وقميصا ، فقال من قصيدة طويلة أجاد فيها ماشا ، وجلب بها إلى أنْفُسِ الحاضرين بعد الأنس إيحاشا ، مطلعها :

رثاء أبى بحر عبد الصمد للمعتمد

مَلِكَ الملوك أسامع فأنادى أم قد عَدَتْكَ عن السماع عَوادى

ومنها :

لما خلت منك القصور ولم تكن فيها كما قد كنت فى الأعياد

---

(١) فى ا « عدة مقطوعات »

(٢) فى ا « نودى فى جنازته »

قبلت فى هذا الثرى لك خاضعا وجعلت قبرك موضع الإنشاد (١)

فلما بلغ من إنشاده ، إلى مُرَاده ، قبل الثرى ومَرَّغ جسمه وعفر خده ، فبكى كل من حضر وحذفه ذلك عن سرور العيد وصَدَّه ، إذ كانت هذه القصة يوم عيد ، فسبحان المبدئ المعيد .

ويحكى أن رجلا رأى فى منامه أثر الكائنة على المعتمد بن عباد كأن رجلا صعد منبر جامع قرطبة فاستقبل الناس وأنشد هذه الأبيات متمثلا :

رب ركب قد أناخوا عِيسَهُمْ فى ذُرَا مجدهمُ حين بَسَقْ (٢)

سكت الدهر زماناً عنهمُ ثم أبكاهم دما حين نَطَقْ

وعاش أبو بكر بن اللبانة المعروف بالدانى المذكور آنفا بعد المعتمد ، وقدم ميورقة آخر شعبان سنة ٤٨٩ ، ومدح ملكها مبشر بن سليمان بقصيدة مطلعها :

ملك يروعك فى حلى ريعانه راقت برونقه صفاتُ زمانهِ

وأين هذا من أمداحه فى المعتمد ؟!.

بين الدانى وابن عمار

وتذكرت هنا من أحوال الدانى أنه دخل على ابن عمار فى مجلس ، فأراد أن يندر به وقال له : اجلس يادانى ، بغير ألف ، فقال له : نعم يا ابن عمار ، بغير ميم ، وهذا (٣) هو الغاية فى سرعة الجواب والأخذ بالثأر فى المزاح .

امرأة تلقى المعتمد وابن عمار بغير حياء

ونظيره ـ وإن كان من باب آخر ـ أن المعتمد مرمع وزيره ابن عمار ببعض أرجاء إشبيلية فلقيتهما امرأة ذات حسن مفرط ، فكشفت وجهها ، وتكلمت بكلام لا يقتضيه الحياء ، وكان ذلك بموضع الجباسين الذين يصنعون الجبس والجيارين الصانعين للجير (٤) بإشبيلية ، فالتفت المعتمد إلى موضع الجيارين ، وقال : يا ابن عمار

---

(١) في أصل ا « وتخذت قبرك موضع الإنشاد »

(٢) بسق : سما وارتفع

(٣) فى ا « وهو الغاية فى سرعة الجواب »

(٤) فى ا « الصانعين للجيار »

الجيارين ، ففهم مراده ، وقال فى الحال : يا مولاى والجباسين ، فلم يفهم الحاضرون المراد ، وتحيروا ، فسألوا ابن عمار ، فقال له المعتمد : لاتبعها منهم الأغالية ، وتفسيرها أن ابن عباد صحف « الحَيَازَيْن » بقوله الجيارين ، إشارة إلى أن تلك المرأة لو كان لها حياء لازدانت ، فقال له والجباسين وتصحيفه « والخناشَيْن » أى : هى وإن كانت جميلةً بديعةَ الحسن لكن الخناشَانَهَا ، وهذا شأو لا يلحق .

ابن وهبون والمعتمد

ومن أخبار المعتمد أنه جلس يوما والبُزَاة تُعرض عليه ، فاستحث الشعراء فى وصفها ، فصنع ابن وهبون بديها :

للصيد قبلك سنة مأثورة لكنها بك أبدع الأشياء

تمضى البزاة وكلما أمضيتها عاطيتها بخواطر الشعراء

فاستحسنهما ، وأسنى جائزته .

أبو العرب الصقلى والمعتمد

وذكر ابن بَسَّام أن أبا العرب الصقلى حضر مجلس المعتمد يوما وقد حمل إليه حمول وافرة من قراريط الفضة ، فأمر له بكيسين منها ، وكان بين يديه تماثيل عنبر من جملتها جمل مُرَصَّع بالذهب واللآلىء ، فقال له أبو العرب معرّضا : ما يحمل هذين الكيسين إلا جمل ، فتبسم المعتمد وأمر له به ، فقال أبو العرب بَدِيهاً :

أهْدَيتنى جملا جونا شفَعْتَ به حملا من الفضة البيضاء لو حملا[1]

نتاج جودك فى أعطان مكرمة لا قد تصرف من منع ولا عقلا[2]

فاعجب لشأنى فشأنى كله عجب رفهتنى فحملت الحمل والجملا

وذكر الحِجَارِى هذه القصة فقال : قعد المعتمد فى مجلس احتفل فى تنضيده ، وإحضار الطرائف الملوكية ، وكان فى الجملة تمثال جمل من بلور ، وله عينان من

(١) فى ب « أجديتنى جملا » وفى نسخة عند ا « أعطيتنى جملا » وفى نسخة « شغفت » (٢) كذا فى ا ، ب

يا قوتتين ، وقد حلى بنفائس الدر ، فأنشده أبو العرب قصيدة ، فأمر له بذهب كثير مما كان بيده من السكة الجديدة ، فقال معرضا بذلك الجمل : ما يحمل هذه الصلة إلا جمل ! فقال : خذ هذا الجمل ، فإنه حمال أثقال ، فارتجل شعرا منه :

* رفهتنى فحملت الحمل والجملا *

وذكر أن ذلك الجمل بيع بخمسمائه مثقال ، فسارت بهذا الخبر الركائب ، وتهادته المشارق والمغارب .

بحث للمعتمد فى بيت للمتنبى

وتباحث المعتمد مرة مع الجلساء فى بيت المتنبى الذى زعم أنه أمير شعره :

أزورهم وسَوَادُ الليل يشفع لى ... وأنثنى و بياض الصبح يغرى بى

فقال : ما قصر فى مقابلة كل لفظة بضدها إلا أن فيه نقداً خفيا ، ففكروا فيه ، فلما فكروا قالوا له : ما وقفنا على شىء ، فقال : الليل لا يطابق إلا بالنهار [ولا يطابق بالصبح][1] لأن الليل كلى والصبح جزئى ، فتعجب الحاضرون ، وأثنوا على تدقيق انتقاده .

كلام للصفدى فى بيت المتنبى

قال الصفدى : قلت : ليس هذا بنقد صحيح ، والصواب مع أبى الطيب ، لأنه قال « أزورهم وسواد الليل يشفع لى » فهذا محب يزور أحبابه فى سواد الليل خوفا ممن يَشِى به ، فإذا لاح الصبح أغرى به الوشاة ، ودل عليه أهل النميمة والصبح أول مايغرى به قبل النهار ، وعادة الزائر المريب أن يزور ليلا ، و ينصرف عند انفجار الصبح خوفا من الرقباء ، ولم تجر العادة أن الخائف يتلبث إلى أن يتوضح النهار ، و يمتلىء الأفق نورا ، فذكر الصبح هنا أولى من ذكر النهار ، والله أعلم ، انتهى .

قلت : كان يختلج فى صدرى ضعف ما قال الصفدى ، حتى وقفت على ما كتبه البدر البشتكى[2] ، ومن خطه نقلت ماصورته : هو ما انتقد عليه المعنى ،

---

(١) مابين المعقوفين ساقط من ا

(٢) فى نسخة عند ا « البدر السبكى »

إنما انتقد عليه مطابقة الليل بالصبح ، فإن ذلك فاسد ، انتهى ، فحمدت الله على الموافقة ، انتهى .

المعتمد وجارية من جواريه

وقال فى بدائع البدائه : جلس المعتمد للشرب وذلك فى وقت مطر أجرى كل وهدة نهرا ، وحَلَّى جيد كل غصن من الزهر جوهرا ، و بين يديه[1] جارية تسقيه وهى تقابل وجهها بنجم الكاس فى راحة كالثريا ، تخجل الزهر بطيب العَرْفِ والريَّا ، فاتفق أن لعب البرق بحسامه ، وأجال سوطه المذهب يَسُوقُ به ركامه ، فارتاعت لخطفته ، وذعرت من خيفته ، فقال المعتمد بديها :

روّعها البرق وفى كفها برق من القهوة لماع
عجبت منها وهى شمس الضحى كيف من الأنوار ترتاع

واستدعى[2] عبد الجليل بن وَهْبُون المرسى ، وأنشده البيت الأول مستجيزا ، فقال عبد الجليل :

ولن أرى أعجب من آنسٍ من مثل ما يمسك يرتاع[3]

فاستحسنه ، وأمر له بجائزة .

قال ابن ظافر : و بيته عندى أحسن من بيت المعتمد ، انتهى .

لابن وهبون فى وصف فيل من الفضة فى قصر المعتمد

وقال ابن بسام : كان فى قصر المعتمد فيل من الفضة على شاطىء بركة يقذف الماء ، وهو الذى يقول فيه عبد الجليل بن وَهْبُون من بعض قصيدة :

ويفرغ فيه مثل النصل بدع من الأفيال لا يشكو ملالا

---

(١) الذى فى بدائع البدائه « وبين يديه جارية تخجل الزهر بطيب العرف والريا ، وتقابل بدر وجهها بشهاب الكأس فى راحة الثريا ، فاتفق أن لعب البرق بحسامه ، وأجال سوطه المذهب ليسوق به ركاب ركامه » وهو أدق مما هنا .

(٢) فى ا « فاستدعى »

(٣) فى ا « ولن ترى أعجب من آنس »

رعى رطب اللجين فجاء صلدا تراه قلمــا يخشى هزالا

فجلس المعتمد يوما على تلك البركة والماء يجرى من ذلك الفيل ، وقد أوقدت شمعتان من جانبيه ، والوزير أبو بكر بن الملح عنده ، فصنع الوزير فيهما عدة مقاطيع بديها منها :

للوزير ابن الملح

ومشعلين من الأضواء قد قُرِنَا بالماء والماء بالدولاب منزوف

لاحا لعينىّ كالنجمين بينهما خط المجرة ممدود ومعطوف

وقال أيضاً :

كأنما النار فوق الشمعتين سَناً والماء من منفذ الأنبوب منسكب (1)

غمامة تحت جنح الليـل هامعة فى جانبيها خفاق البرق يضطرب

وقال أيضاً :

وأنبوب ماء بين نارين ضمنا هُدًى لـكؤوس الراح تحت الغياهب (2)

كأن اندفاع المـاء بالماء حية يحركها فى الماء لمع الحباحب (3)

وقال أيضاً :

كأن سراجى شِرْبهم فى التظأها وأنبوب ماء الفيل فى سيلانه (4)

كريم تولى كبره من كليهما لئيمان فى إنفاقه يعذلانه

لابن زيدون يرثى المعتضد ويمدح المعتمد

ولما مات والد المعتمد واستقل بالملك قال ذو الوزارتين ابن زيدون يرثى المعتضد ويمدح المعتمد بقصيدة طويلة أوّلها :

هو الدهر فاصْبِرْ للذى أحدث الدَّهْرُ فمن شيم الأحرار فى مثلها الصبر

ستصبر صبر اليأس أو صبر وحشة فلا تؤثر الوَجْهَ الذى معه الوزر

---

(1) فى ا « والماء من نفذ الأنبوب منسكب »

(2) فى ب ونسخة عند ا « هدي لـكؤوس الراح »

(3) فى نسخة « كأن اندفاع الماء بالنار » ولعلها أدق فى التشبيه

(4) فى ب وأصل ا « كان سراجى سربهم » وأثبتنا ما فى نسخة عند ا

حذارك من أن يعقب الرزء فتنة … يضيق بها عن مثل إيمانك العذر
إذا أسف الثكل اللبيب فشفه … رأى أفدح الثكلين أن يذهب الأجر
مصاب الذى يأسى بموت ثوابه … هو البَرْحُ لا الميت الذى أحرز القبر
حياة الورى نهج إلى الموت مَهْيَعٌ … لهم فيه إيضاع كما يُوضِعُ السَّفْرُ

ومنها :

إذا الموت أضحى قصد كل معمر … فإن سواء طال أو قَصُرَ العمر
ألم تر أن الدين ضيمَ ذِماره … فلم يغن أنصار عديدهم دَثْرُ
بحيث استقل الملك ثانىَ عطفه … وجرر من أذياله العسكر المجر
هو الضيم لو غير القضاء يرومه … ثناه المرام الصعب والمسالك الوعر
إذا عَثَرَت جرد العناجيج فى القْنَا … بليلِ عجاجٍ ليس يصدعه فجر

ومنها :

أعباد يا أوفى الملوك لقد عدا … عليك زمان من سجيته الغدر

إلى أن قال بعد أبيات كثيرة :

ألا أيها المولى الوَصُول عبيدهُ … لقد رابنا أن يتلو الصلةَ الهجرُ
يغاديك داعينا السلام كعهده … فما يسمع الداعى ولا يرفع الستر
أعَتْبٌ علينا ذاوعن ذلك الرضا … فتسمع أم بالمَسْمَعِ المعتلى وَقْرُ (١)

ومنها :

وكيف بنسيان وقد ملأت يدى … جسام أياد منك أيسرُها الوفرُ
و إن كنت لم أشكرلك المنن التى … تمليتها تترى فلا بقى الكفر
فهل علم الشلو المقدس أننى … مسوغ حالٍ حار فى كنهها الدهر (٢)

---

(١) فى ا « أعتب علينا ذاد عن ذلك الرضا »

(٢) فى ا « مسوغ حال ضل فى كنهها الفكر »

وإن متـــاتى لم يضعه محمد ... خليفتك العدل الرضى وابنك البر(١)

هو الظافر الأعلى المؤيد بالذى ... له فى الذى وفاه من صنعه سر(٢)

له فى اختصاصى مارأيت وزادنى ... مزية زلفى من نتائجها الفخر

وأرغم فى برى أنوفَ عصابةٍ ... لقــاؤهم جَهْمٌ ولحظهم شزر

إذاما استوى فى الدَّسْت عاقدَ حُبْوة ... وقام سماطا حَفْلِهِ فلى الصـــدر

وفى نفسه العليــاء لى مُتَبوأ ... يساجلنى فيه السما كان والنسر

ومنها :

لك الخير إن الرزء كان غيابة ... طلعت لنـا فيهـا كما طلع البدر

فقرت عيون كان أسْخَنَهَا البكا ... وقرت قلوب كان زلزلهـا الذُّعر

ومنها :

ولما قدمت الجيش بالأمر أشرقت ... إليك من الآمال آفاقُهَا الغبر

فقضيت من فرض الصلاة لُبَانة ... فشيعها نسك وقارنهـــا طهر

ومن قبل ما قدمت مَثْنَى نوافلٍ ... يلاقى بها من صام من غيره فطر

ورحت إلى القصر الذى غض طرفه ... بعيد التسامى أن غدا غيره القصر

وأجمل عن التاوى العزاء فإن توى ... فإنك لا الوانى ولا الضَّرِعُ الغمر

وماأعطت السبعون قبلَ أولى الحجا ... من اللب ماأعطاك عشروك والعمر

ألست الذى إن ضاق ذَرْعٌ بحادث ... تبلَّجَ منـه الوجه واتسع الصدر

فـلا تُهِضِ الدنيا جناحك بعده ... فمنك لمن هاضت نوائبهـا جَـبْرُ

ولا زلت موفور العـديد بقرة ... لعينك مشدوداً بها ذلك الأزْرُ

---

(١) متات : مصدر مت إليه بكذا ، أى توسل إليه ، وفى ا « لم يضعها محمد » على أنها جمع ماتة ، وليس بذاك

(٢) فى ا « له بالذى وافاه »

فإنك شمس فى سماء رياسة ... تطلع منها حولنا أنجم زهر[1]
شككنا فلم نثبت لأيام دهرنا ... بها وَسَنٌ أم هز أعطافها سكر
وما إن تغشتها مُغَازلة الكرى ... وما إن تمشَّتْ فى معاطفها الخمر
سوى نشوات من سجايا مملك ... يصدِّقُ فى عليائها الخبرَ الُخبْرُ
أرى الدهر إن يبطش فأنت يمينه ... و إن تضحك الدنيا فأنت لها ثغر
وكم سائل بالغيب عنك أجبته ... هناك الأيادى الشَّفْعُ والسودد الوتر
هناك التُّقَى والعلم والحلم والنهى ... و بذل اللُّهَا والبأس والنظم والنثر
همام إذا لاقى المُنَاجز رَدَّه ... و إقباله خطر و إدباره حصر
محاسن ما للروض سامره الندى ... رُوَاء إذا نصت حلاها ولا نشر
متى انتشقت لم تدر دَارِينُ مسكَهَا ... حياء ولم يفخر بعنبره الشَّحْرُ[2]
عطاء ولا من ، وحكم ولا هوى ... وحلم ، ولا عجز ، وعز ولا كبر
قد استوْفت النعماء فيك تمامها ... علينا فمنا الحمد لله والشكر

---

(١) فى ا « تطلع منهم »

(٢) في ا « ولم تفخر بعنبرها الشحر »

قد تم – بتيسير مدبر الأمور كلها ومعونته – مراجعة الجزء الخامس من كتاب « نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب ، والتعريف بوزيرها لسان الدين بن الخطيب » للشيخ أحمد بن محمد المقرى التلمسانى ، وترقيمه ، وضبط ما يحتاج إلى الضبط منه ، والتعريف بما رأينا التعريف به من أعلام رجالاته و بلدانه . و يليه – إن شاء الله تعالى – الجزء السادس مفتتحا بقول المؤلف فى أثناء الباب السابع من القسم الأول أيضاً « وكتب ابن زيدون المذكور إلى المعتمد – رحمهما الله تعالى ! – يشوقه إلى تعاطى الحميا ، فى قصوره البديعة التى منها المبارك والثريا » نسأل الذى يصرف الملكوت أن يعين على إكماله ، و يوفق إلى ما نرغب فيه من تجويده و إتقانه ، إنه ولى ذلك ، و إليه الوجه والعمل .

فهرس الجزء الخامس من كتاب

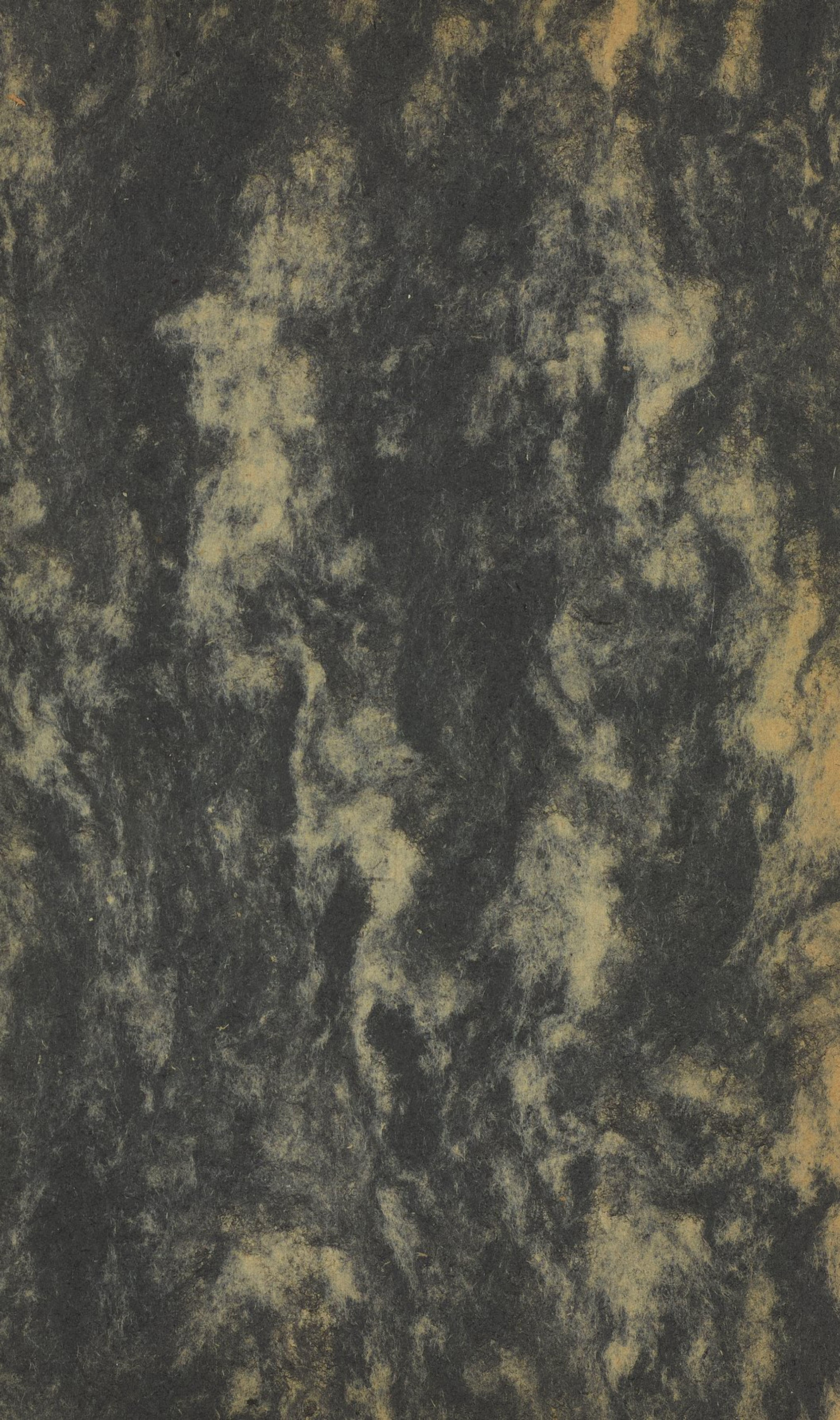
« نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب ،

والتعريف بوزيرها لسان الدين بن الخطيب »

للشيخ أحمد بن محمد المقرى التلمسانى

تمت فهرس الجزء الخامس من كتاب «نفح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب» للمقَّرى، والحمد لله أولا وآخرا، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه.






COLUMBIA UNIVERSITY
0026814382

